بين أبي عبيد وناقديه في غريب الحديث

الدكتور
كاصد ياسر الزيدي
كلية الآداب — جامعة الموصل

تمهيد

أبو عبيد وكتابه :

يعد كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (١٥٤ — ٢٢٤هـ) ، أهم كتاب في علم غريب الحديث، وأصلاً من أنضج أصول هذا العلم ، وأعمها فائدة ومن ثم أهم كتاب في الدراسات اللغوية المتعلقة بالحديث . وقد أمضى مصنفه الجليل أربعين عاماً في تحريره ، فجاء الكتاب متميزاً بمادته ومنهجه . ولذلك نال ثناء وإعجاب كبار العلماء في عصره ، كالامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ، ويحيى بن معين (ت ٢٢٣هـ) ، واسحق بن راهويه(١) شيخ البخاري . وعمرو بن بحر الجاحظ (٢) (ت ٢٥٥ هـ) . كما نال ثناء العلماء الذين جاءوا من بعده ، ولاسيما أولئك الذين صنفوا في غريب الحديث ، كابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، وأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ، وأبي سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، وابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، والشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) ، والشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) ، وغيرهم . وهم الذين ضمهم هذا البحث نقاداً لأبي عبيد .

---

(١) و(٢) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ص ١٩٩ .

كان كتاب أبي عبيد إماماً وقدوة لمن صنف بعده في غريب الحديث ، يستمدون منه ، وينهجون منهجه . وقد عبر عن أهميته بجلاء أقدم من صنف فيه بعد أبي عبيد ، وهو ابن قتيبة في مقدمة كتابه ، إذ قال : «فأما زماننا هذا ، فقد كفيَ حملة الحديث فيه مؤونة التفسير والبحث بما الفه أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم بما الفناه في هذا بحمد اللـه » (١) .

وممن نوّه بأهمية هذا الكتاب أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٥٠هـ)، في أثناء حديثه عن (علم غريب الحديث) (٢) ، فقال : « فأول من صنف الغريب في الاسلام النضر ابن شميل ، له فيه كتاب هو عندنا بلا سماع ، ثم صنف فيه أبو عبيد القاسم بن سلام كتابه الكبير ». وذكر الحاكم بعد سند روايته له شهادة هلال بن العلاء الرقي لمكانة أبي عبيد وكتابه هذا ، وهي أن ابا عبيد كان أحد الذين منّ الله بهم على هذه الأمة ؛ لأنه فسّر غريب أحاديث رسول الله (ص) (٣) . وقد حكى ذلك عن الحاكم ابن الصلاح (ت ٦٤٢هـ) (٤) في مقدمته ، وابن خلكان (٥) (ت ٦٨١هـ) في وفياته .

ويبدو أن جلال أبي عبيد ومكانة كتابه العلمية ، جعلا أهل العلم لأمد غير قليل يتهيبون أن ينقدوا عليه شيئاً من آرائه ومقولاته فيه . وهي حالة قد لاتبدو طبيعية في موازين العلم السليم ، اذ ان كتاباً يمثل سعة مادة هذا الكتاب وأهميته — اذا قيس بما سبقه — لابد أن يكون فيه مايحتمل هذا الرد والاعتراض والاستدراك . فكان ذلك مدعاة لظهور كتاب (أصلاح غلط أبي عبيد) لابن قتيبة ، وماتلاه من نقود وردت مبثوثة في كتب شتى ، منها مايتعلق بالحديث أو الادب أو اللغة ، وهي التي أوردنا أسماء مؤلفيها في صدر هذا التمهيد .

على أن طائفة من هذه الكتب قد تخللها ذبّ عن أبي عبيد وانتصار له ، بجانب ماتضمنه من رد واعتراض عليه . وهذا يرجع إلى اختلاف وجهات نظر مؤلفيها في مايراه أبو عبيد من تفسير وبيان لغريب كل حديث أورده في كتابه ، أو اتفاق فريق منهم مع ما أورده في ذلك .

---

(١) ابن قتيبة : غريب الحديث ١/١٥٠ .
(٢) و(٣) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ٨٨ .
(٤) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ١٣٧ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/٦١ .

وقد آثرت أن أجمع في هذه الدراسة بين المنهج الوصفي والمنهج التاريخي ، فعرضت لبيان هذه الردود والنقاشات مرتبة بحسب قدم مؤلفيها وآثارهم التي أوردوها فيها . وكان من الطبيعي أن يتصدرها كتاب ابن قتيبة ، إذ كان أقدمها من جهة ، وأغزرها مادة من جهة أخرى ، فضلا عن أهميته ؛ لأنه تمحض للرد على أبي عبيد ، ولذلك أخذ من هذا البحث جزءاً أوسع مما كان لغيره من كتب .

(١)

ابن قتيبة :

تبين لي من دراسة ردّ ابن قتيبة في كتابه (اصلاح غلط أبي عبيد) ، على أبي عبيد ، أن الخلاف بينهما يرجع عموماً إلى اسباب أجملها في ثلاث نقاط رئيسة :

احداها – وهي الأغلب – اختلاف في الاستدلال ووجهة النظر في دراسة نصوص الحديث وفهم غريبه . والثانية – أن يحمل أحدهما اللفظ على المجاز ، ويحمله الآخر على الحقيقة . أويحملانه معاً على المجاز مع اختلاف في التأويل والفهم المجازي للتعبير . والثالثة – وهم وقع فيه ابن قتيبة ، بان نسب إلى أبي عبيد قولا لم يكن هو قائله ، بل كان حاكياً له عن غيره ، غير مرتض له . ولما كان تفصيل الكلام على اعتراضات ابن قتيبة يحتاج إلى فسحة من القول لايتسع لها هذا البحث ، فقد رأيت أن اختار من ذه ما اتضحت لي فيه وجهة نظر ،أو اتضحت لبعض من انتصر لأبي عبيد مثل ابن الأنباري والشريف المرتضى . غير مخف ان الكلام على الاعتراضات كلها يحتاج إلى مزيد من الجهد والبسط ، مما لايتسع له هذا البحث . وما لايدرك كله لايترك كله . ومن هنا لم اشأ السكوت التام على هذه الاعتراضات ، ولا الخوض فيها جميعاً . وانما انتقيت منها ماكان لي فيه رأي أومجال من القول ووجهة نظر ، كما بينت آنفاً ، أوكان لبعض القدامى وجهة نظر فيه أيضاً .

وآمل أن اكون قد انصفت العالمين الجليلين : أبا عبيد وابن قتيبة ، فكلاهما حري بالتبجيل وانما هي أراء ونظرات ذهب فيها أحدهم الى شيء ، وذهب الاخر الى شيء . ولاداعي مطلقاً لتلك الحدة التي بدت في رد بعض أهل العلم على ابن قتيبة ، على نحو ما يلحظ على أبي بكر بن الأنباري . فلسنانتهم ابن قتيبة بالتمحل ونقصد الاعتساف في الرد ولا ينبغي لأحد ذلك ؛ اذ هذا ما تمليه الثقة به وحسن الظن الذي أمرنا أن نلتزم ابتداء بـه . وحسبي أني أول باحث عرض لهذا الموضوع الدقيق ، بمثل هذه الدراسة المقارنـة

وبهذه الموضوعية التي آمل ان تكون لبنة في بناء النقد الحديثي في بحوث المعاصرين وسأعرض أولا ما كان الخلاف فيه يرجع الى النوع الاول الذي أشرت اليه آنفاً :

(أ) في الحديث المروي عن النبي (ص) «أنه نهى عن كسب الزمارة» حكى أبو عبيد عن الحجاج المصيصي (ت٢٠٦هـ) أن الزمارة : الزانية ، ورأى أبو عبيدة أن هذا القول شبيه بما روي عنه (ص) من أنه نهى عن مهرالبغي . ثم قال «ولم اسمع هذا الحرف الا فيه ، ولا أدري من أي شيء أخذ. وقال بعضهم :الرمازة .وهذا عندي خطأ في هذا الموضع . اما الرمازة في حديث أخر (١) وذلك أن معناها مأخوذ من الرمز ،وهي التي تومىء بشفتيها وعينيها. فأي كسب هاهنا ينهى عنه ؟ ولا وجه للحديث الا ما قال الحجاج : الزمارة » . ثم قال بعد هذا :«وهذا عندنا أثبت مما خالفه » (٢) .

وقد أثار هذا القول اعتراض ابن قتيبة ورده . فقبل طرفاً مما قاله أبو عبيد وانكر طرفاً منه . فقبل تفسيره للرواية الأولى من ان الزمارة : الزانية ، وأنكر عليه انكاره للرواية الثانية التي تقول انها الرمازة ، فقال : «وهو كما ذكر الا ما انكره على من زعم أنها الرمازة : الفاجرة ، سميت ، بذلك لأنها ترمز ، أي : تومىء بعينيها وحاجبيها . وشفتيها » . ثم قال بعد هذا : « فالرمازة صفة من صفات الفاجرة . ثم صار اسماً لها أو كالاسم ..» (٣)

ويبدو أن الروايتين كلتيهما في مستوى واحد من القبول والقوة ، إذ ليس ثم ما يقدح في أية واحدة منهما ، وليس «لاحدى الروايتين على الأخرى رجحاناً ؛لأن كل واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن الى قوله ، ولكل منها — كذلك — مخرج في اللغة وتأويل يرجع الى معنى واحد : لأن الرمازة يرجع معناها على ماذكر ابن قتيبة الى معنى الفجور، ولأمن رواها الزمارة «فالمرجع في معناها الى ذلك أيضاً». (٤)

والحق أنه بعد القول بصحة الرواية الثانية — التي بالراء — يكون ما أورده ابن قتيبة جيداً وصحيحاً ؛ لأنه احتج بما لامجال لدفعه وانكاره . وانما خفي المراد من هذا

(١) كذا في الأصل ، ويبدو أن في النص سقطاً ، هو جواب (أما) ، ولعله بعد عبارة (في حديث آخر) : (فهي غير الزمارة) .
(٢) غريب الحديث ٣٤١/١-٣٤٢ .
(٣) ابن قتيبة : إصلاح غلط أبي عبيد ص ٦٠ .
(٤) أمالي المرتضى١ / ٤٥٧

اللفظ على أبي عبيد ، ولذلك لم يتكلم فيه ببيان وشرح على خلاف ماهو معهود منه في الألفاظ المتباينة الصيغ المروية في الحديث ، مما كان لايستبعده ، بل يراه من المحفوظ ، أويحتمل كونه من المحفوظ .

(ب) وفي الحديث المروي عن النبي (ص) : «لايموت لمؤمن ثلاثة أولاد فتمسّه النار إلا تحلة القَسَم » ، ذكر أبو عبيد أن المراد بعبارة : «تحلة القسم » قوله تعالى : « وانْ منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً » (مريم : ٧١) ، فلايَردها الا بقدر مايبرّ الله به قسمه فيه » (١) .

وقد علق ابن قتيبة على هذا التفسير بوصفه له بأنه : «مذهب حسن من الاستخراج» ، أي : الاستنباط والتأويل ، ولكنه علق هذا الاستحسان على صدق كون هذا الكلام الذي في الآية قَسَماً . ثم بيّن ان هناك مذهباً آخر رآه « أشبه بكلام العرب ومعانيهم » وهو أن يراد به التقليل ؛ لأن العرب « اذا أرادوا تقليل مكث الشيء ، وتقصير مدته شبهوه بتحليل القسم ، وذلك أن يقولوا بعده : إن شاء الله ، فيقولون : مايقيم الرجل عندنا إلا تحلة القسم» .

وبعد أن احتج ابن قتيبة بأبيات من الشعر العربي القديم ، انتهى إلى القول : «ومعنى الحديث على هذا التأويل : أن النار لاتمسّه الا قليلا ، كتحليل اليمين ، ثم ينجيه الله منها . ولعل المسّ القليل يكون بالورود الذي حتّمه الله وقضاه على نفسه » .

وبذلك انتهى ابن قتيبة إلى شيء لامطعن فيه على مارآه أبو عبيد ، وان كانت عبارة : «أشبه بكلام العرب » مشعرة أن الذي أورده هو أولى ، وليس مجرد رأي ثان رآه ، قد يكون مساوياً في القوة والرجاحة لرأي أبي عبيد وتفسيره . وهذه صورة من الصورة التي تضمنّها اصلاح ابن قتيبة لما أورده أبو عبيد .

(ح)وفي الحديث المروي عن النبي (ص) في النساء اللاتي وصفن أزواجهن ، ان الخامسة منهن قالت : «زوجي انْ أكلَ لفّ ، وانْ شرب اشتفّ ، ولا يولجُ الكف ليعلم البثّ » ، قال أبو عبيد (٢) في تفسير عبارة : « ولايولج الكفّ ليعلم البثّ » : « فأحسبه كان بجسدها عيب أوداء تكتئب له ؛ لأن البث هو الحزن . فكان لايدخل يده في ثوبها ليمسّ ذلك العيب ، فيشق عليها ، تصفه بالكرم » .

---

(١) غريب الحديث ١٦/٢-١٧ .
(٢) غريب الحديث ٢٩٢/٢ .

وقد اعترض ابن قتيبة على هذا التفسير محتكماً الى سياق الكلام، فقال : « قد تدبّرت هذا التفسير ، فرأيت المرأة في اللفظين الاولين قد وصفته بالشَرَه والنَهَم والبخل . ومن شأنهم أن يذموا بكثرة الطُعم، ويمدحوا بقلة الرزق. فكيف تهجوه بلفظينَ وتصفه بالكرم في الثالث» . ؟

ثم بين بعد ذلك أنه لايرى القول في هذا الكلام « الا ماقال ابن الاعرابي ، فانه رواه زوجي ان أكل لفَّ ، و وإن شرب اشتف ، وان رقد التفَّ ، ولايدخل الكف ليعلم البثَّ ». وأنه فسره بأنه اذا نام التف ناحية ، ولم يدخل يده في ثوبها ليعلم البثَّ ، ولا بثَّ هناك غير حب المرأة دنُوَّ زوجها منها ومضاجعتها إياه . واحتج ابن قتيبة بعد هذا بما ذهب اليه من معنى كلام المرأة ، بقول لامرأة من كنانة ، وبيت من الشعر لأوس ابن حجر (١)

والذي نراه هنا ، أن قول ابن قتيبة هو الوجه ، وأن حجته قوية ، وهي سياق كلام المرأة ، إذ أنه دال على الذم لزوجها والنيل منه ، وليس الثناء عليه . فاذا حمل ، كلامها في البث على ماحمله عليه أبو عبيد تمزقَ السياق، وتناقض كلامها في وصف زوجها . وهو مع ذلك مروي بهذه الدلالة — كما ذكر ابن قتيبة — في نص المرأة ، الكنانية: «ان شربك لاشتفاف، وان ضجعتك لانعجاف، وان شملتك لالتفاف » (٢)

على أن أبا عبيد — مع هذا الذي أسلفنا — لم يكن متيقناً من التأويل الذي ذهب اليه بل يبدو من كلامه انه ظانٌّ اياه محتمل له . فقد قال : « فأحسبه كان بجسدها عيب أو داء تكتئب له ، لأن البث هو الحزن... » . الى آخر النص الذي أوردناه سالفاً :

وفضلاً عن ذلك، فان البث ليس الحزن ، وإنما بينهما تباين وفرق في الدلالة ، وآية ذلك عطف أحدهما على الآخر في آية يوسف (٨٦) : « انما اشكو بثي وحزني الى الله » . فلو كان البث هو الحزن بعينه لما عطف عليه ، لأن ذلك يكون تكراراً ، والقرآن لايكرر لفظاً دون زيادة معنى فيه، وعندئذ لايكون تكراراً بالمعنى المتعارف عليه. وقد التفت الى ذلك غير واحد من القدامى ، فقال أبو هلال العسكري (٣) (ت ٣٩٥هـ) : « الفرق بين الحزن والبث ، أن قولنا : الحزن يفيد غلظ الهم . وقولنا : البث يفيد

---

(١) إصلاح غلط أبي عبيد ص ٧٣ – ٧٤ .
(٢) المصدر نفسه ص ٧٣ .
(٣) الفروق اللغوية ص ٢٦٢ .

أنه ينبث ولابنكتم ، من قولك : أبثثته ماعندي وبثثته : إذا أعلمته إياه . وأصل الكلمة كثرة التفريق . ومنه قوله تعالى : « كالفراش المبثوث » وقال تعالى « إنما أشكو بثي وحزني الى الله » . فعطف الحزن على البث لما بينهما من الفرق في المعنى وهو ما ذكرناه . » .

وقال محمد بن الحسن الطوسي (١) (ت ٤٦٠هـ) في تفسيره لهذه الاية الكريمة : «والبث تفريق الهم باظهاره عن القلب ، يقال بثه مافي نفسه بثاً ، وأبثه إبثاثاً ، وبثّ الخيل على العدو : اذا فرقها عليه » . وبذلك لاحظ الطوسي أن المادة عموماً تدل على الاظهار والتفريق والنشر ، كما لاحظ ذلك قبله أبو هلال . وهو لاشك معنى مغاير للحزن ، لأن الحزن كثيراً مايكتم ، بخلاف البث . وعلى هذا يكون أبو عبيد واهماً في التسوية الدلالية بينهما وواهماً في ماترتب على هذا الفهم من تأويل للحديث ، وهو كون هذه المرأة تعاني من داء في جسدها وارته ثيابها ، انطوت عليه بحزن وكظم .

(د) وفي حديث الرسول (ص) : « إن قريشاً كانوا يقولون : إن محمداً صنبور » ، روى ابو عبيد عن شيخه أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) ان الصنبور : النخلة تخرج من النخلة الاخرى لم تغرس.وقال الاصمعي:الصنبور النخلة تبقى مفردة، ويدق اسفلها ثم قال أبو عبيد: فشبهوه بها ، يقولون : إنه فرد ليس له ولد ولا أخ ، فاذا مات انقطع ذكره . وقال: « وقول الاصمعي في الصنبور أعجبُ إليَّ من أبي عبيدة ، لأن النبي عليه السلام لم يكن أحد من أعدائه من مشركي العرب ولامن غيرهم يطعن عليه في نسبه ولااختلفوا في أنه أوسطهم نسباً » . واحتج بعد هذا ببيت من الشعر لأوس بن حجر ، وهو قوله :

مُخَلَّفون ويقضي النـاسُ أمرهُـمُ غَشُّـوا الأمانـة صنبورٌ فصنبورُ (٢)

وقد اعترض ابن قتيبة على تفسير أبي عبيد للصنبور ، مبيناً أنه تدبره فلم يره متوجهاً لأن النخلة اذا دق أسفلهاويبس سعفها ، ليست بأولى بالتشبيه بالفرد الذي لاولد له ولا أخ ، من النخلة التي غلظ أسفلها ورطب سعفها، لأن هذه في الانفراد بمنزلة هذه . ثم تساءل عما أوحشه من قول أبي عبيدة الذي يعده هو الصواب ، وقال : « إنما أرادوا

(١) التبيان في تفسير القرآن ١٩٢/٦ .
(٢) غريب الحديث ١٠/١ .

أن محمداً ناشيء بمنزلة الصنبور الذي يخرج من أصل النخلة ، يقولون : فكيف تتبعه المشايخ والكبراء وهو كذلك؟ (١) ؟

وهذا الذي ذهب اليه ابن قتيبة ليس بسديد ، إذ أن النبي (ص) لم يكن يوم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم بنبوته حدثاً ناشئاً ليصح أن يقولوا فيه هذا الذي ذهب اليه ابن قتيبة ، وإنما كان (ص) رجلا مكتمل الرجولة ،قد تجاوز مرحلة الكهولة ،اذ كان عمره عند مبعثه أربعين سنة (٢) وهو عمر يؤذن بالنضج العقلي والنفسي : وعلى هذا يكون ماذهب اليه أبو عبيد وجها لاغبار عليه في تفسيره لكلمة (صنبور) . وهو مختار – مع هذا – من قول الاصمعي ، فلا موجب لرده والاعتراض عليه ، وخاصة أننا لم نسمع أن المشركين عابوا على الرسول (ص) ، بهذا الذي ذهب اليه أبو عبيدة . وقد حكى القرآن الكريم كل مقولاتهم التي قالوها فيه افتراء وكذبا ، من مثل قولهم : شاعر (٣) مجنون (٤) ، افترى القرآن وأعانه عليه قوم (٥) ، اساطير الأولين (٦) ... الى ماهنالك من دعاوى كذبها الواقع بعد حين ، فانصاع القوم إذ ذاك الى الحق ، وآمنوا به وصدّقوه . ولم يذكر القرآن أنهم استصغروه من حيث سنه ، ولكنه ذكر أنهم استصغروه من حيث انه لم يكن عظيم قومه ورئيسهم . فكانوا يرون الرياسة لمن له هذه الصفة ، بحكم ماجبلوا عليه من مفاهيم الجاهلية ، وقيمها المادية والاجتماعية ، فقالوا – في ماحكاه القرآن عنهم – ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (الزخرف : ٣١) . والقريتان هما مكة والطائف ، والعظيمان – بزعمهم – الوليد بن المغيرة المخزومي ، ومسعود بن عمر الثقفي(٧) ، وأخرج ابن المنذر عن قتادة أن الوليد قال : لو كان مايقول محمد حقاً ، لأنزل هذا القرآن عليّ أو على مسعود الثقفي ، فنزلت الاية . (٨)

---

(١) إصلاح غلط أبي عبيد ص ٧٧ .

(٢) ابن هشام : السيرة ١٥٣/١ .

(٣) الأنبياء : ٥ ، الصافات : ٣٦ ، الطور : ٣٠ .

(٤) الحجر : ٦ ، الشعراء : ٢٧ ، الصافات : ٣٦ .

(٥) الفرقان : ٤ .

(٦) الأنعام : ٢٥ ، الأنفال : ٣١ ، النحل : ٢٤ .

(٧) السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول ص ١٢٨ .

(٨) المصدر نفسه : ص ١٩٣ .

(٨) وفي الحديث المروي عن النبي (ص) : « وردنا (١) على جُدجُدٍ مُتَدَمِّنٍ»، حقق أبو عبيد الجدجد بقوله : « جُدجُد ، وانما المعروف في كلامهم : الجُد » ، وبين أن (الجُدجُد) دويبّة ، وأنها ليست هي المرادة في الحديث . وروى بعد هذا عن الأصمعي أن(الجُد) البئر الجيدة الموضع من الكلاء . واحتج لهذه اللفظة ببيت للأعشى(٢).

وقد اعترض عليه ابن قتيبة (٣) بقوله : « بلغني عن اليزيدي أنه قال : الجدجد : البئر الكثيرة الماء » . وهذا يعني أن كلمة الجدجد المروية في الحديث مسموعة ، لا كما ذهب أبو عبيد ، ومصدرها اليزيدي (ت٢٠٢هـ) ، وهو لغوي مشهور له نوادر ، ولم يدركه ابن قتيبة ولذلك قال : بلغني عن اليزيدي» . وهذه الرواية معارضة برواية أبي عبيد عن الأصمعي ، من أنها : (الجدُ) لا(الجدجد) ، وتبقى الروايتان بعدهذا قائمتين على وجه التعادل ، لأن كلا الرجلين : الاصمعي واليزيدي ثقة ، وان كان الاصمعي أشهر وأوثق لدى أهل العلم ، إلا أن المثبت في العلم ماليس النافي ، ولان عدم السماع لايعني عدم الشيء . والسامع حجة على من لم يسمع ، ولوكان الثاني اوثق منه، اذمدار الأمر في ذلك على تناهي المخبر اليه أو عدم تناهيه . فلابد اذاً من مرجح ، وهو ماستجده في أقدم معجم لغوي في العربية ، الا أن ذلك لايعد في الواقع مأخذاً على أبي عبيد ، من حيث إنه روى اللفظة بصيغة (الجد) ، لأنه محدّث ثَبْتٌ ، ولغوي كبير . وكتابه (الغريب المصنف) الذي هو معجم لغوي ، يشهد له بذلك .

وقد رجعنا ابتداء إلى اثنين من كبار معاصري أبي عبيد والأصمعي واليزيدي ، وهما أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) في كتابه (المطر) ، وأبو سعيد الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) في كتابه : (البئر) ، فلم نجد لإحدى اللفظتين ذكراً فيهما ، مع أن كلاً منهما يتعلق بالماء ، كما مرّ علينا سالفاً في الروايات . وإنما وجدنا في كتاب أبي زيد مايقرب منهما في الصيغة ، اذ ذكر (الجَدوَد) ، فقال : « والجَدود : الجدود ، ولايقال لها : جدود الا وفيها ماء . وجماعها : الجدود ، ومثلها الخليج » .

حتى اذا رجعنا إلى من هو أقدم منهم جميعاً ، وهو الخليل بن أحمد في معجمه (العين) ألفيناه يذكر (الجُدجُد) بنفس الدلالة التي ذكرها له أبو عبيد ، مع زيادة شرح

---

(١) كذا في غريب الحديث ٤/٤٩٤ ، وهو في إصلاح غلط أبي عبيد ص ٨٨ : (أتينا) .
(٢) غريب الحديث ٤/٤٩٤ .
(٣) إصلاح غلط أبي عبيد ص ٨٨ .

وبيان ، وكذلك كلمة (جُد) . فقد جاء فيه : « والجُد جُد : دُوَيّبة على خلقة الجندب ، الا أنها سوداء قصيرة ، ومنها مايقرب الى البياض .. » (١). وجاء فيه أيضاً : « والجدّ : البئر تكون في موضع الكلأ » (٢) .

وبذلك حسم مافي(العين) مادار من خلاف في دلالة هاتين اللفظتين ، وبان منه أن ماذهب اليه أبو عبيد كان صحيحاً ، بل هو الصحيح ، اذ رأى أن (الجد) : البئر ، وأن الجدجد لاتدل على ذلك ، لأنها تعني تلك الحشرة التي وصف الخليل .

(و) وفي حديث حذيفة بن اليمان : « ان الله يصنع صانع الخَزَم ، ويصنع كل صنعة » ، فسّر أبو عبيد (الخَزَم) بأنه « شيء شبيه بالخوص وليس بخوص » ، وأن « بعض الناس يقول : هو خوص المقل ، وهو أدقّ منه والطف » . ثم ذكر بعد ذلك أن في هذا الحديث تكذيباً لقول المعتزلة الذين يقولون : ان اعمال العباد ليست مخلوقة . وبيّن أن « مما يصدّق قول حذيفة ويكذب قول أولئك قول الله تبارك وتعالى : «والله خلقكم وما تعملون» (الصافات : ٩٦) ، وقال : « ألا ترى أنهم كانوا ينحتون الأصنام ويعملونها بأيديهم ، ثم قال : والله خلقكم وما تعملون ، وكذلك قول حذيفة : ويصنع كل صنعة» (٣) .

وقد اعترض على هذا التفسير ابن قتيبة ، مع أنه — وهو السني المذهب — يخالف المعتزلة في قولهم : ان أفعال الناس ليست كلها مخلوقة لله ، ويذهب إلى انها كلها من خلق الله . وقد أقر بذلك في صدر اعتراضه . وذلك أنه فهم من كلام حذيفة الذي رواه أبو عبيد مايدل على هذه العقيدة ، ولم يجده في الآية الكريمة التي احتج بها أبو عبيد ، لأنها — في مايبدو — لاتتعلق بالأعمال ، وانما تتعلق بالمعمول الذي عبدوه ، وهي الأصنام التي كانوا يتخذونها آلهة من دون الله . قال : « لم يُرِد : والله خلقكم وأعمالكم ، وانما أراد : والله خلقكم والأصنام التي تعملون » . واحتج لهذا التأويل بدليل قوي ، وهو سياق الآية فقال « ألا تراه يقول : (أتعبدون ماتنحتون) ؟ » يعني : الأصنام لا النحتَ ، ثم قال : (والله خلقكم وما تعبدون) ، كما احتج بالكلام فقال : « ولو قال

---

(١) العين ٩/٦ ، باب الجيم مع الدال .

(٢) العين ١٠/٦ باب الجيم مع الدال .

(٣) غريب الحديث ١٢٦/٤ - ١٢٧ .

قائل : والله خلقكم وما تأكلون ، لم يقع ذلك إلا على الطعام لا الأكل ، ولو قال : والله خلقكم وما تركبون ، لم يقع الا على الدواب ، لا على الركوب » (١)

والحق في هذا مع ابن قتيبة ؛ لأن الآية في الواقع لا علاقة لها بأعمال الخلق ، وإنما هي– بدليل السياق وحكمه – تتعلق بما كانوا ينحتون بأيديهم من الأصنام ويعبدون . والسياق من أقوى الأدلة ، ان لم يكن أقواها ، في تفسير الآية . والقرآن يفسّر بعضه بعضاً . وأحسن طرق التفسير أن تكون الآية شاهداً للاية (٢) ، وابن قتيبة يدرك ذلك جيداً ، ولذلك اعتمد هذا الأسلوب من أساليب التفسير في تأويل الاية . وعلى هذا الوجه غير واحد من مفسّري أهل السنة ، حتى ان النسفي (ت ٧٠١ﻫ) أورده في تفسيره على أنه الوجه الأول ، وأورد الوجه الآخر الذي ذهب اليه أبو عبيد ، بعد ذلك فقال : (٣) « ولو قال قائل : والله خلقكم وما تعملون ؛ وخلق ماتعملون من الأصنام ، أو (ما) مصدرية ، أي : وخلق أعمالكم ، وهو دليلنا في خلق الأفعال » (٤) .

(ز) وفي الحديث المروي عن النبي (ص) : « اللهم انّا نعوذ بك من الألس والألق والكبر والسخيمة » ، قال أبو عبيد : « قوله : الألس : هو اختلاط العقل ... وأما الألق ، فإني أحسبه أراد : الأولق ، والأولق الجنون » ، واحتج له ببيت للأعشى ، ثم فسّر السخيمة بأنها « الضغينة والعداوة » (٥) .

وقد اعترض ابن قتيبة على تفسير أبي عبيد للألس ، فقد قال : « ولا أرى الألس في هذا الموضع الا الخيانة والغش ، ومنه يقول الناس : فلان لا يدالس ولا يوالس » ، واحتج بقول الشاعر :

هُمُ السَّمْن بالسَّنُّوتِ لاألسَ فيهم   وهم يمنعون جارهم أن يُقَرَّدا

(١) إصلاح غلط أبي عبيد ص ١٢٧ .
(٢) ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣ ، والزركشي : البرهان في علوم القرآن ١٧٥/٢–١٧٦ .
وينظر بحثنا : تفسير القرآن بالقرآن : نشأته وتطوره في مجلة آداب الرافدين العدد ١٢ لسنة ١٩٨٠ .
(٣) النسفي : مدارك التنزيل ٢٤/٤ .
(٤) أي كون الله سبحانه خالق أفعال الإنسان
(٥) غريب الحديث ٤٩٤/٤–٤٩٥ .

وعلق عليه بقوله : « يصفهم بالسهولة في المعاملة ، وبأنه لاخيانة فيهم ، وهم مع ذلك يمنعون الجار من أن يستذل كما يستذل البعير اذا نزع قردانه (١)

والذي أراه هو أن ماذكره ابن قتيبة في تفسير (الألس) أصح ، وهو أنه يراد به الخيانة والغش ، إذ أنه أشبه بسياق الحديث ، ذلك أنه ورد بعده الألق وهو الكذب ، والكبر أي : التكبّر ، والسخيمة وهي الضغينة . فالألس بهذه الدلالة التي ذهب اليها ابن قتيبة مشاكل لهما وموائم ، وهو أشبه بالمراد مما رآه أبو عبيد من أنه « اختلاط العقل ، وهو الجنون (٢) .

فهذا مايتعلق بالألس ، وأما الذي يتعلق بالألق ففيه خلاف أيضاً . فقد كان أبو عبيد يراه بمعنى الجنون ، (٣) على حين يراه ابن قتيبة بمعنى الكذب (٤) . وهذا الأخير أشبه بالحديث وسياقه أيضاً ؛ اذ هو مشاكل للكبر والسخيمة ، وللألس بمعناه الذي رجحنا آنفاً ، وهو الغش والخيانة .

فهذا مما يعود الخلاف فيه والاعتراض على أبي عبيد فيه إلى ما بينته سالفاً من تباين في الاستدلال ووجهة النظر في دراسة وفهم الغريب — وهو الضرب الأول من أسباب الخلاف .

أما مايعود إلى الضرب الثاني ، وهو أن يحمل أحدهما اللفظ على المجاز ويحمله الآخر على الحقيقة فيمكن أن يتضح — على سبيل الاختيار — بهذين المثالين :

(أ) ورد في تفسير غريب الحديث المروي عن النبي (ص) : « ان مسجداً كان مربداً ليتيمين » ، إذ فسّر أبو عبيد المربد بأنه : « كل شيء حبست به الإبل » ، وعلل بذلك تسمية سوق الابل في المدينة والبصرة ، وقال : « انما كان موضع سوق » ، وبيّن أن الأصمعي أنشده :

عواصيَ إلا ما جعلتَ وراءها   عصا مربد تغشى نحوراً وأذرعاً

وقال : « يعني بالمربد ههنا عصا جعلها معترضة على الباب لمنع الابل من الخروج ، سمّاها مربداً لهذا ، والمربد أيضاً : مواضع التمر ... » (٥) .

---

(١) إصلاح غلط أبي عبيد ص ٩٤ .
(٢) و(٣) غريب الحديث ٤/٤٩٥ .
(٤) إصلاح غلط أبي عبيد ص ٩٥ .
(٥) غريب الحديث ١/٢٤٦–٢٤٧ .

وقد اعترض ابن قتيبة على هذا الكلام بقوله : « لم يجعل الشاعر العصا مربداً ، وانما أراد : عصا في المربد ، ترد الإبل اذا أرادت الخروج ، فأضاف العصا إلى المربد . ولو انفردت العصا لم يكن وراءها محبس للإبل لم تُسمَّ – وان منعت الإبل – مربداً » (١)

ولدى الموازنة بين قول أبي عبيد وقول ابن قتيبة ، يتبيّن أن أبا عبيد حمل لفظة (مربد) في البيت على ضرب من المجاز اللغوي الذي أطلق عليه البلاغيون من بعد اسم : المجاز المرسل ، الذي علاقته الجزئية ؛ لأنه ذكر الجزء – العصا – وأراد الكل : المربد ، على أساس أن «العصا تسمى مربداً ؛ لأنها من سبب المربد . كما سمّوا موضع الدابة آريّاً ؛ لأنه من سبب الآري » (٢) والآري : الحبل الذي تحبس به الدابه . على حين ذهب ابن قتيبة إلى الحقيقة ، فلم يَرَ أن العصا تسمى مربداً ، ملاحظاً – كما هو واضح من كلامه الذي أوردنا آنفاً – أن إضافة العصا إلى المربد لاتعين على تأويلها بالمربد وكأنه لاحظ أن اضافة الشيء إلى الشيء تعني أنه غيره .

(ب) وفي حديث النبي (ص) الذي حدّثت به الصحابية (قيلة) ، حين خرجت اليه . قال زوج أختها لأختها : وأبيك لقد أصبت لقبلة صاحب صدق ، حريث بن وائل الشيباني ، فردّت عليه قائلة : « الويل لي ، لاتخبرها فتتبع أخا بكر بن وائل بين سمع الأرض وبصرها ، ليس معها رجل من قومها » (٣)

فسر أبو عبيد عبارة : « بين سمع الأرض وبصرها » ، بأن نقل عن بعضهم أن المراد : « بين طولها وعرضها » . واستبعد هذا التفسير بقوله : « وهذا معنى تخرج منه ، ولكن الكلام لايوافقه ، ولاأدري ما الطول والعرض من السمع والبصر » ؟ ! .

وأبو عبيدة على حق في هذا الاستبعاد ، اذ ليس ثمّ علاقة حقيقية أو مجازية بين السمع وبين الطول والعرض . ولذلك بين رأيه بعد ذلك في معنى العبارة على أساس من المجاز الذي هو هنا استعارة . وقد رآه في صور من التشخيص الاستعاري ، منها ما ورد في القرآن والحديث والكلام ، كقوله تعالى : « فوجدا جداراً يريد أن ينقض » (٤) (الكهف : ٧٧) ، وقول النبي (ص) في جبل أحد وقد رآه : « هذا جبل يحبّنا ونحبّه » ، وقولهم :

---

(١) إصلاح غلط أبي عبيد ص ٩٢ – ٩٣ .

(٢) ابن الأنباري : الزاهر ٣٦٦/٢ .

(٣) غريب الحديث ٥١/٣ .

(٤) والاستعارة في تشبيه الجدار بالانسان ، وقد جعلها الزمخشري في المصدر المأخوذ من الفعل يريد ، ينظر : الكشاف ٢٦٧/٢ ، عند تفسير هذه الآية الكريمة .

منزلي نظر إلى منزل فلان ، ودورنا تناظرُ ... وأشار إلى ان الجدار ليست له ارادة ، الجبل ليست له محبة ، والدور لانظر لها ، وانما يراد بذلك قرب الشيء منه . وبيّن هذا كثير في كلام العرب (١) . فهذا ماذهب اليه أبو عبيد في تفسير العبارة .

وقد اعترض ابن قتيبة على هذا القول ، وان ذهب في رأيه إلى المجاز أيضاً . فرأى أن المراد بعبارة : « بين سمع الأرض وبصرها » : « بين أسماع الناس وأبصارهم » ، وأنها ذكرت السمع والبصر للأرض ، وهي « تريد : ساكنيها » . وهذا يعني أنها عنده ضرب من المجاز المرسل الذي علاقته المحلية ، اذ يذكر المحل ويراد بذلك الحالّ . واحتج له بما احتج له البلاغيون (٢) من بعد ، وهو قوله عزوجل : « واسأل القرية » (يوسف : ٨٢) ، وقال : « أي أهلها » ، وبيّن أن الشاهد الذي احتج به أبو عبيد من قول رسول الله (ص) في جبل أحد ، انما هو شاهد لهذا التأويل الذي رآه لأنه (ص) أراد : « هذا جبل يحبنا أهله وهم الأنصار ، ونحبه ، أي : ونحبهم » .

وذكر أن حبابة قينة يزيد غنّته :

لعمرك إنني لا أحب سلعاً (٣)

وسلع : جبل ، فقال لها : أتحبين أن أنقله اليك حجراً حجراً ؟ ! ، فقالت : إني لم أردْهُ وانما أردت أهله (٤) .

والحق ان الذي ذهب اليه أبو عبيد وجه ، وهو وجه معروف في العربية ، مشهود له في البلاغة العالية ، وهو الذي ذكرنا أنه ضربٌ من التشخيص الاستعاري ، بخلع صفة الأشخاص العقلاء على الشيء . وله في كتاب الله نظائر ، كقوله عزّ وجل : « فما بكت عليهم السماء والأرض » (الدخان : ٢٩) . كما أن الذي ذهب اليه ابن قتيبة له وجه في العربية وبلاغتها كذلك ، وهو الذي يطلق عليه اسم المجاز المرسل . فكل منهما نظر إلى التعبير من ناحيةٍ وتأوله من زاوية ، وان لم يخرجا بحال عن سمت المجاز

---

(١) غريب الحديث ٣/٥٥ – ٥٦ .

(٢) كالجرجاني في دلائل الإعجاز ومن تلاه .

(٣) كذا في الأصل ، والبيت لقيس بن ذريح (قيس لبنى) ، وهو في شعره المجموع ص ١٢٩ : لعمرك إنني لأحب سلعا وهو ما يقتضيه الوزن والمعنى ، وعجز البيت : لرؤيتها ومن بجنوب سلع ، ويروى : لرؤيته ومن أكناف سلع .

(٤) إصلاح غلط أبي عبيد ص ٩٧ – ٩٨ .

وبلاغته » ولذلك قد يصعب على الباحث ترجيح أحد القولين على الآخر . ومع ذلك أجد قول ابن قتيبة أقرب إلى المراد ؛ لأن المعنى يكون : أن هذه المرأة قد خرجت مع ذلك الرجل المسلم تحت سمع أهل الأرض الذين يمران بهم ، وتحت بصرهم . فربما يكونان اذ ذاك عرضة لتقولهم ، وهدفاً لخوضهم فيها .

فأبو عبيد وابن قتيبة في نهم هذا الحديث ، على غير فهمهما للحديث الذي سبق ؛ اذهما يذهبان هنا معاً إلى مجازيته ، ويختلفان في صورة هذه المجازية كما رأينا . على حين يذهبان هناك إلى التضاد في الفهم والتفسير ، من حيث ان ابا عبيد يراه مجازاً ويراه ابن قتيبة حقيقة .

أما الضرب الثالث من ضروب أسباب الخلاف بين الرجلين وهو الوهم فيتجلى في بعض الأحاديث ، اذ نجد ابن قتيبة يضيف إلى أبي عبيد قولا أورأياً لم يقله أبو عبيد أحياناً .

ففي حديث النبي (ص) : «الثيب يعرب عنها لسانها» ، ذكر ابن قتيبة أن أبا عبيد أورد صيغة هذه اللفظة : (يعرب) بالتشديد ، أي تشديد الراء وأنه قال : عرّبت عن القوم ، اذا تكلمت عنهم ، وكذلك الحديث في الرجل الذي قتل رجلا يقول : لااله الا الله ، انما كان يعرب عما في قلبه لسانه» ، بالتشديد وبيّن ابن قتيبة بعد هذا العرض لكلام أبي عبيد أن « اللفظ على ماجاء في الحديث : يعرب عنها لسانها » ، واحتج لهذا بالكلام والشعر فقال : « يقال : اللسان يعرب عن الضمير ، أي يبين عنه ، والاعراب في الكلام من هذا ، انما هو الافصاح والابانة . ولم أسمع أحدا يقول : التعريب » . واحتج بعد هذا بقول الكميت لبني هاشم :

وجدنا لكم في آل حميم آية تأولها منا تقيّ ومُعربُ (١)

وفسّر التقيّ : بالذي يخفي مافي نفسه خوفاً عليها ، والمُعرب بالذي يُبيّن ويفصح بذلك ولا يبالي (٢) .

والحق أن ابن قتيبة لم يكن محقاً في اعتراضه على أبي عبيد ، بل كان عليه أن يعترض على الفراء ، لأن هو صاحب هذا القول الذي يذهب باللفظة إلى التشديد . وقد أورده أبو عبيد على سبيل الحكاية له ، على وفق منهجه في ايراد الأقوال المتباينة سواء وافقت رأيه أم خالفته . وانما كان أبو عبيد يذهب إلى التخفيف . فوقع ابن قتيبة — في ما يبدو ، ومايوجبه حسن الظنّ به — في وهم ، من دون أن يتعمد ادعاء ذلك على أبي

(١) و(٢) إصلاح غلط أبي عبيد ص ٧٨ - ٧٩ .

عبيد تعمداً ، وسبحان من لاينالـه الوهم . ونحسب أن من التعجل القول انه قصد تغليط أبي عبيد هنا قصداً . وان كان كلام أبي عبيد لايتحمل في الواقع أي وهم ، وليس لمثل ابن قتيبة أن يقع فيه ، لما عرف عنه من الدقة في الفهم والتثبيت في العلم .

أما عبارة أبي عبيد فهي « هذا الحرف (١) يروى في الحديث (يُعرب) بالتخفيف وقال الفراء : هو يُعرب — بالتشديد — يقال : عرَّبت عن القوم اذا تكلمت عنهم واحتججت لهم » (٢) . وقال بعد ذلك: « وكذلك الحديث الآخر في الذي قتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله ، فقال القاتل : يارسول الله ، انما قالها متعوذاً ، فقال عليه السلام : فهلا شققت عن قلبه ؟ ! فقال الرجل : هل كان يبين لي ذلك شيئاً ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم فإنما كان يعرب عما في قلبه لسانه . ومنه حديث روي عن ابراهيم التيميّ ، قال : كانوا يستحبون أن يلقّنوا الصبي حين يُعرب أن يقول : لا إله إلا الله ، سبع مرات » .

وبعد أن أنهى أبو عبيد أدلة الحديث وحججه في أنه وارد في الرواية بتخفيف راء (يعرب) ، بيّن أن الاعراب لايراد به هنا مافي مصطلح النحو ، وانما يراد به « أنه يُبين لك القول مافي قلبه » (٣) . وهذا يدل بجلاء على أن أبا عبيد لم يكن يلذهب بالرواية إلى التشديد — وهي الرواية عن الفراء وهو لغوي — وإنما كان يذهب إلى رواية المحدّثين التي رواها عنهم بالتخفيف. وأبو عبيد يأخذ برواية المحدثين أصلاً في اعتماد النص الذي يفسّره . وهذا واضح في منهجه في تفسيره لغريب الحديث ، مالم يصرفه عنه صارف قوي ، ومرجح لايحاد عنه ، فعندئذ يأخذ برواية اللغويين الموافقة لكلام العرب (٤) .

---

(١) يقصد بالحرف : الكلمة ، إذ هو لفظ مشترك بين عدة معان .

(٢) و(٣) غريب الحديث ١٦٣/١ – ١٦٤ .

(٤) ينظر مثلا ما رواه عن الأصمعي في (جوار القدر) من أنه (جناوة القدر) ، وعن أبي عمرو الشيباني من أنه الجياء والجواء ، في ٤٣٥/٣ – ٤٣٦ من غريب الحديث .

(٣)

ابن الانباري :

على الرغم من ان ابا بكر بن الأنباري انتصر لابي عبيد في غير كتابه من كتبه ، كالزاهر والاضداد ، فرد على اعتراضات ابن قتيبة التي اوردها عليه (١)، الا أنه لم يعدم — مع ذلك — الاعتراض على ابي عبيد ايضاً، وان كان ذلك قليلا لايتجاوز الحديث أو الحديثين ، وانما قدمناه على غيره من الناقدين — بعد ابن قتيبة الذي مر — مراعاة للمنهج التاريخي في عرض المادة، الى جانب المنهج الوصفي الذي هو لب هذا البحث وعمدته :

(أ) ففي حديث النبي (ص): «اللهم لامانع لما أعطيت ، ولامعطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»، ذكر أبو عبيد أن المراد بالعبارة الأخيرة من الحديث هو «لاينفع ذا الغنى منك غناه، إنما ينفعه العمل بطاعتك»، وبين أنه كقوله تعالى: «لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم» (الشعراء : ٨٨) ؛ كقوله: «وما اموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً» (سبأ: ٣٧) .

ثم بين ان الجد ينبغي ان يكون في هذا الحديث: «بفتح الجيم لاغير»(٢) ، وان كسرها غير جائز فيه، على اساس ان الجد : انما هو الاجتهاد بالعمل ، وهذا التأويل خلاف ما دعا الله عز وجل اليه المؤمنين، ووصفهم به، لأنه قال في كتابه : «ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً» (المؤمنون: ٥١) ؛ فقد امرهم بالجد والعمل الصالح وقال : «جزاء بما كانوا يعملون» (الواقعة: ٢٤) في آيات كثيرة ، فكيف يحثهم على العمل وينعتهم به ويحمدهم عليه، ثم يقول: إنه لاينفعهم (٣) »؟!

وقد علق ابو بكر بن الانباري على هذا الكلام بقوله : «ولا أظن الذين رووا هذا بكسر الجيم، ذهبوا الى المعنى الذي ذكره ابو عبيد، ولكنهم ارادوا: ولا ينفع ذا الانكماش والحرص على الدنيا انكماشه وحرصه عليها ، انما ينفع العمل للاخرة» (٤) .

فذهب ابن الانباري بدلالة (الجد) بصيغته التي بكسر الجيم، الى غير ماذهب اليه أبو عبيد ؛ إذ رآه الحرص على الدنيا، ورآه ابو عبيد : السعي والعمل الصالح. وما ذهب اليه

---

(١) ينظر مثلا ٢/٣٠٢–٣٠٣ ، ٢/٩٧–٦٩ ، ٢/٣٦٦ من الزاهر . وكان المرحوم المرتضى يرى في موقف ابن الأنباري العلمي من ابن قتيبة « وأن من شأنه أن يرد على كل ما يأتي به ابن قتيبة ، وإن تعسف في الطعن عليه» .

(٢) غريب ١/٢٥٧ .

(٣) غريب الحديث ١/٢٥٨–٢٥٩ ، وينظر : الزاهر بن الأنباري ١/١١١–١١٦ .

(٤) ابن الأنباري : الزاهر ١/١١٧ .

ابن الانباري اقرب – في ما يبدو لنا – اذ يعضده سياق الحديث قبل ذلك، وهو عدم المنع لما اعطى الله، وعدم المنح لما منع الله. فجاء الحرص هنا – متمثلا بالجد – ملائماً لذلك اكثر من ملاءمته للعمل الصالح والسعي اليه. فيكون المعنى : ولا ينفع ذا الحرص على اعراض للدنيا حرصه عليها، بل ينفعه عمله لاخرته.

(ب) وفي حديث الامام علي كرم الله وجهه في دية القارصة والقامصة والواقصة، ذكر ابو عبيد ان الوقص في اللغة : الكسر ، واحتج لذلك بقول ابن مقبل:

فبعثتها تقص المقاصـــر بعـدما　　كربت حيـاة النـار للمتـوقـد

وبين ان «قص : تكسر وتدق» وأن: «واحد المقاصر : مقصرة». واشار الى ان ابا زياد – يقصد الكلابي الاعرابي – ذهب الى ان المقصرة « من قصر العشي» ، وقال بعد بيان هذا الرأي: «هو عندي من اختلاط الظلام»(١). وقد ذهب ابو بكر ابن الانباري مذهب ابي زياد في تفسير المقصرة، قائلا إنها: «من قصر العشي» (٢) .

ومراده بذلك : وقت العشي، إذ أن: «المقصرة العشي(٣)» ، والعشي: وكذا العشية آخر النهار(٤). فالمقاصر إذاً : العشايا الأخيرة (٥). وعلى هذا هناك تباين بين ماذهب اليه أبو عبيد، وما ذهب اليه ابن الانباري متابعاً أبا زياد الكلابي في دلالة المقصرة ؛ اذ كان ابو عبيد يراها : اختلاط الظلام ، كما مر آنفاً. على حين يراها ابن الانباري : آخر النهار قبل ان يدخل الليل ويختلط ظلامه .

يقال : «جاء فلان مقصراً حين قصر العشاء» أي : كاد يدنو من الليل. قال الحارث ابن حلزة :

آنستْ نبأة وأفزعهـا القنـاص قصْراً وقد دنا الإمسـاء (٦)

---

(١) غريب الحديث ٩٦/١-٩٧ .
(٢) الزاهر ٣١٢/٢ .
(٣) ابن منظور : لسان العرب ٤١٤/٦ (مصر) .
(٤) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٣٦٢/٤ (العشى) .
(٥) لسان العرب ٤١٤/٦ (قصر) .
(٦) لسان العرب ٤٠٩/٦ (قصر) .

(٣)

أبو سليمان الخطّابي :

وعرض لنقد أبي عبيد ابو سليمان حمد بن محمد الخطابي الشافعي ، من ولد زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي، وذلك في كتابه (اصلاح غلط ابي عبيد) ،ويتبين ذلك مما يأتي :

(أ) في حديث النبي (ص) : «اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث» ، فسر أبو عبيد (الخبث) : بالشر، و(الخبائث): بالشياطين(١) - فاعترض الخطابي على رواية الحديث بأن بين أن: «اصحاب الحديث يروونه : الخُبْث - ساكن الباء - ومنهم أبو عبيد، وهو في ما يرى (الخُبُث) مضموم الباء - جمع خبيث ، وأما الخبائث فهو جمع خبيثة، فاستعاذ (ص) من مردة الجن، ذكورهم وإناثهم. ثم قال: «فأما الخُبْث - ساكنة الباء - فمصدر خَبُثَ الشيء يخبث خبثاً، وقد يجعل اسماً»(٢) .

ويبدو من كلام الخطابي أن المحدثين مجمعون على أن (الخُبْث) باسكان الباء الا انه مع ذلك يخالفهم ويرى انه بضم الباء. والظاهر أنه ترك الرواية المجمع عليها بناء على المعنى للذي رآه، وهو التعوذ من الخبيثين والخبيثات من مردة الجن فرأى ان ورود الكلمة بالضم هو الملائم لكلمة الخبائث ، لتتم المطابقة بين اللفظين .

ولا نحسب ان هذا التأويل يخفى على ابي عبيد، وهو اللغوي - احب (الغريب المصنف) ، لو كانت الرواية تساعد عليه، ولكنها واردة في الواقع بلفظ واحد ساكن ، وبإجماع المحدثين على ذلك ، كما اعترف الخطابي في كلامه السالف. وإذاً لايبقى للقول الثاني مكان وخاصة ان علماء العربية كالكسائي والفراء والأصمعي وابي عمرو الشيباني ، وغيرهم ممن يروي عنهم ابو عبيد آراء في ضبط الألفاظ لغوياً وصرفياً، لم يقولوا شيئاً في هذه الرواية، ولم يخالفوها الى غيرها بشيء ، والا كان ابوعبيد قد نص عليه، بناء على منهجه العام في تأليف هذا الكتاب، اذ كان لايني يذكر الأقوال المتعددة ويوازن بينها في كثير من الاحيان، ويعرض رواية المحدثين على علماء العربية ليقولوا كلمتهم (٣) فيها .

(١) غريب الحديث ١٩٢/٢ .

(٢) الخطابي : إصلاح غلط المحدثين ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٣) على نحو ما فعل في (النبل)في حديثه (ص) : «اتقوا الملاعن واعدوا النبل» ، إلا بين أن المحدثين يروونه بفتح النون ، وأن الأصمعي يراه بضمها . ينظر غريب الحديث ٧٩/١ .

ومن هنا يبدو هذا الذي جاء به الخطابي رأياً لاتعضده الرواية المحفوظة ، وهو أمر ، يعته به أبو عبيد كثيراً ويوليه أهمية خاصة ، إذ كان محدثاً فوق أنه لغوي .

(ب) وفي قصة صفية بنت حُيَيّ زوج الرسول (ص) ، حين قيل له يوم النفر : إنها حاضت روى أبو عبيد أنه (ص) قال : « عَقْرَاً حَلْقاً ، ما أراها إلاحابستنا » ، ثم بيّن أن معناه : «عَقَرَها الله وحبسهـَا» ، فهو إذاً أسلوب من اساليب الدعاء . ثم نظّر له بمثل قول العرب : رأس فلانٌ فلاناً ، إذا ضرب رأسه ، وحلقه : إذا اصاب حلقة وبيّن أن المحدثين يرونه «عقرى وحَلْقى» ، ولم يوافقهم في ماذهبوا اليه ، بل رأى أنه كما رواه : « عقراً وحلقاً » (١) .

وقد حكى ذلك عنه كله الخطابي ، وأورد أقوالاً لمحدثين مشهورين تؤيد الرواية التي رواها المحدّثون ، كرواية علي بن خشرم (ت ٢٥٧هـ) من وكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ) ، من أن قوله (ص) : حلقى : يريد بها : المشؤومة ، وعقرى : وهي التي لاتلد من العقر . كما أورد أقوالاً لاثنين من اللغويين الكبار هما الخليل بن أحمد وتلميذه الليث ، فحكى عن الخليل أنه : يقال : امرأة عقرى وحلقى ، توصف بخلاف وشؤم وعن الليث أنه : «اشتقاقها من أنها تحلق قومها وتعقرهم ، أي تستأصلهم من شؤمها»(٢) .

وهذا يشعرنا أن الخطابي يميل الى هذه الرواية الاعم «عقرى حلقى» . إذ عززها بالاقوال المؤيدة والشواهد المتعددة المستقاة من كلام العرب . فضلا عن أنه ذكر في كتابه أن هذه الرواية عليها «أكثر المحدثين» ، وهي في الواقع كذلك إذ وردت لدى كبار المحدثين الذين سبقوه ممن تلوا أبا عبيد ، كالبخاري (٣) (ت٢٥٦هـ) ، ومسلم(٤) (ت ٢٦١هـ) ، وابن ماجة(٥) (ت٢٧٥هـ) . وقد اعتمد الخطابي هذه الرواية حين ذكر نص الحديث في أول كلامه عليه دون رواية أبي عبيد التي ذكرنا . فلا يسع الباحث الا أن يرجح ماورواه المحدّثون ومعهم الخطابي الذي مال إلى هذه الرواية ، وذلك لأنها الأشهر من جهة ، ولها وجه صحيح مقبول في العربية وكلام العرب من جهة أخرى .

---

(١) غريب الحديث ٩٤/٢ .

(٢) الخطابي : إصلاح غلط المحدثين ص ٣٣٩ - ٤٠٠ .

(٣) كتاب الحج : ٣٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، الطلاق ٤٣ ، الأدب ٩٣ من الصحيح .

(٤) كتاب الحج : ٣٨٧ ، البر : ٨ من الصحيح .

(٥) كتاب المناسك : ٨٣ من سننه ، ورواه الدارمي أيضاً في سننه .

(٤)

الشريف الرضيّ :

وللشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي اعتراض على ابي عبيد ، لفت نظرنا في الكتاب الذي ضم خطب الامام علي ، والذي جمعه وسمّاه : (نهج البلاغة) .

ففي حديث النبي (ص) : « إذا بلغ النساء نصّ الحقائق ، وبعضهم يقول : الحقاق ، فالعصبة اولى » ، فسّر أبو عبيد (نص الحقائق) بقوله : « أصل النص هو منتهى الاشياء ومبلغ أقصاها ، ومنه قيل : نصصت الرجل : اذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ماعنده ، وكذلك النص في السير ، انما هو أقصى ماتقدر عليه الدابة ، فنص الحقاق انما هو الادراك ؛ لأنه منتهى الصغر ، والوقت الذي يخرج منه الصغير الى الكبير » . ثم بيّن بعد هذا ، المعنى العام للحديث بقوله : « يقول : فاذا بلغ النساء ذلك فالعصبة أولى بالمرأة من أمها ، اذا كانوا محرماً مثل الاخوة والاعمام ، بتزويجها إذا أرادوا » (١) .

ويفهم من كلام أبو عبيد أن (الحقاق) أنما هو إدراك المرأة وبلوغها . وهو أمر لا لبس فيه ولا غموض على قارىء هذا الكلام الذي أوردناه آنفاً .

وعاد أبو عبيد الى تفسير (الحقاق) ،بعد تفسير (نصّ) ، فقال : «وقوله : الحقاق إنما هو المحاق ، أن تحاق الام العصبة فيهن ، فذلك الحقاق ، فتقول : أنا أحق ويقول أولئك : نحن أحق . وهذا كقولك . جادلته جدالا ومجادلة ، وكذلك حاققته حقاً ومحاقة .

ونقل عن ابن المبارك أنه قال : « نص الحقاق :بلوغ العقل» . وعلق عليه بقوله : إنه «مثل الادراك ؛ لأنه إنما أراد منتهى الامر الذي تجب به الحقوق والاحكام فهذا العقل والادراك » ولاعقل يعتدّ به قبل الادراك ، ومن رواه : نص الحقائق ، فانما أراد جمع حقيقة » (٢) .

فهذا نص كلام أبي عبيد، وقد حكاه الرضي عنه بالمعنى(٣)، ثم انبرى يختار غيره مما رآه هو . وقد جاء اعتراضه قائماً على أن أبا عبيد كأنه لم يذهب بعبارة « نص الحقاق » الى بلوغ المرأة وإدراكها واكتمال أنوثتها ، بل كأنه في رأي الرضي قد ذهب الى غير

---

(١) غريب الحديث ٤٥٦/٣–٤٥٧ .
(٢) غريب الحديث ٤٥٧/٣ .
(٣) محمد عبده : شرح نهج البلاغة ٢١٢/٣ .

ذلك قاله بعد تلخيص رأي أبي عبيد: «والذي عندي أن المراد بنص الحقاق — ههنا بلوغ المرأة الى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها، تشبيهاً بالحقاق من الابل، وهي جمع حقة وحق، وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة وعند ذلك يبلغ الى الحد الذي يتمكن فيه من ركوب ظهره ونصه في السير. ثم قال: والحقائق أيضاً جمع حقة، فالروايتان جميعاً ترجعان الى معنى واحد. وهذا أشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور» (١).

ويلحظ ان اعتراض الرضي على ابي عبيد، قد انحصر في دلالة (الحقائق) وأصل اشتقاقها، اذ اختلفا فيها ولم يختلفا في المراد من الحديث على وجه الاجمال، لأنهما متفقان كما هو واضح — في أن ذلك يعني بلوغ المرأة واكتمال نضجها وصلاحها لأن تتزوج.

(ب) وفي حديث الامام علي: «من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلبا با او تجفافاً»، ذكر ابو عبيد ان بعض الناس تأوله على أنه من أحبنا افتقر في الدنيا. ورأى انه ليس لهذا وجه: قال: «لأنا قد نرى من يحبهم فيهم مافي سائر الناس من الغنى والفقر». وبين رأيه الذي خالف لهذا الرأي او هذا التفسير بقوله: «ولكنه عندي انما اراد فقر يوم القيامة يقول: ليعد ليوم فقره وفاقته عملا صالحاً ينتفع به في يوم القيامة، وانما هذا منه على وجه الوعظ والنصيحة له، كقولك: من أحب ان يصحبني ويكون معي، فعليه بتقوى الله واجتناب معاصيه، فانه لايكون لي صاحباً الا من كانت هذه حاله، ليس للحديث وجه غير هذا» (٢).

وقد عرض الشريف الرضي لتفسير هذا الحديث استطراداً حين اورد قول الامام علي في وفاة سهيل بن حنيف الأنصاري، وكان من أحب الناس اليه: «لو أحبني جبل لتهافت». فقد قال الرضي: «معنى ذلك ان المحنة تغلظ عليه — أي على المحب — فتسرع المصائب اليه. ولا يفعل ذلك الا بالأتقياء الأبرار المصطفين الأخيار». ثم قال: «وهذا مثل قوله عليه السلام: «من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلباباً». وقال بعد ذلك: «وقد يؤول ذلك الى معنى آخر ليس هذا موضع ذكره» (٣).

(١) محمد عبده: شرح نهج البلاغة ٢١٢/٣.
(٢) شرح نهج البلاغة ١٧٦/٣.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٩٢/٣.

ومع أنه لم يذكر ذلك المعنى الآخر، الا أن الواضح من كلامه انه يذهب في تفسير حديث الفقر الى غير ماذهب اليه أبو عبيد؛ ذلك انه ذهب الى معنى الحديث الذي أورده قبله، وهو: «لو أحبني جبل لتهافت». وتبين مما ذكره في معنى ذلك الحديث أنه يرى معناه: من أحبنا أهل البيت فليوطن نفسه على تحمل الفقر والعوز ، فانه سيمتحن بذلك ولا يصيب ذلك إلا الأتقياء الأبرار، تزكية لهم وتكريماً في أن يخرجوا من الدنيا ، وقد فارقوا ملاذها .وجانبوا شهواتها ، وتجلببوا بلباس القناعة والرضى بقسم الله. وليس هذا ترويجاً للفقر من لدن الامام بالطبع ؛ لأنه على ضد ذلك، فهو القائل فيه : «الفقر الموت الأكبر»(١)، وكان يوصي ولده الحسن عليه السلام بالاستعاذة من الفقر(٢) .

(٥)

الشريف المرتضى

واعترض على ابي عبيد ، علي بن الحسين الموسوي الملقب بالمرتضى في أماليه اعتراضات قليلة لاتتجاوز الثلاثة ، اوردها في أثناء حكومته في اعتراضات ابن قتيبة على ابي عبيد، وفي ما أنكره ابن الانباري على ابن قتيبة من هذه الاعتراضات. ولم يجرد المرتضى لهذه الاعتراضات كتاباً خاصاً بها كما فعل ابن قتيبة ، ولا جعلها ضمن كتاب مجرد للاعتراضات على المحدثين بعامة ، كما فعل الخطابي ، بل اوردها في اثناء كتابه «الغرر والدرر» المشهور بأمالي المرتضى، عرّضاً في سياق تلك الحكومة التي تولاها، بين ماقاله المحدثون الثلاثة الكبار : أبو عبيد وابن قتيبة وابن الانباري. ومن هنا لم تشب هذه الاعتراضات شائبة من حدة وإنما كانت تتسم عموماً بالهدوء والنقاش الموضوعي العلمي.

(أ) ففي حديث النبي (ص): «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواهُ يهودانه او ينصرانه» حكى أبو عبيد عن شيخه محمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ) ان ذلك كان في اول الاسلام « قبل ان تنزل الفرائض، وقبل ان يؤمر المسلمون بالجهاد» ، ففسر ابو عبيد قول ابن المبارك بقوله : «كأنه يذهب الى انه لوكان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن يهوده أبواه او ينصرانه ماورثهما ولا ورثاه ؛ لأنه مسلم وهما كافران ، وكذلك كان يجوز ان يسبى ، يقول: فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك، علم ما أنه يولد على دينهما.»

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣/٢٢٩ .

(٢) غريب الحديث ٢/٢١ – ٢٢ .

ثم حكي عن عبد الله بن المبارك (ت١٨٢هـ)، أنه فسر (الفطرة) بالاسلام «فمن كان في علم الله ان يصير مسلماً فانه يولد على الفطرة، ومن كان في علمه أن يموت كافراً ولد على ذلك»، وأنه نظر لهذا الحديث واحتج لمعناه للذي ذهب فيه اليه بحديثين أحدهما أن النبي (ص) قال حين سئل عن اطفال المشركين: «الله اعلم بما كانوا عاملين»، والآخر: قوله (ص): «يقول الله تعالى: خلقت عبادي جميعاً حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم..».

ومع أن ابا عبيد لم ينص على قبوله واحتماله لهذين الوجهين، او ترجيحه لأحدهما على الآخر، الا أن روايته لهما وسكوته عليهما، يعني بداهة أنه يقبلهما ويحتملهما ولا يستبعدهما.

وقد وقف المرتضى عند هذا الحديث، فرأى أن قول الشيباني – ان لم يقصد به النسخ – لا نحتاج الى غيره، وذلك ان هذا الحديث خبر من الاخبار، والنسخ لا يجوز في الأخبار، وانما يكون في الأمر والنهي (١). واما قول ابن المبارك فلم يره متوجهاً، بل رآه بعيداً (٢).

وبعد هذا النقد، اورد رأيه هو في دلالة (الفطرة) في الحديث، فاحتمل لها امرين: أحدهما: ان تكون الفطرة هنا الدين، وتكون على بمعنى اللام. واحتج لورودها بهذه الدلالة بشواهد من كلام العرب شعراً ونثراً. والمعنى عنده كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين.

والآخر: أن يراد بالفطرة الخلقة، وتكون لفظة (على) في الحديث كما هو في ظاهرها فيكون المعنى: ان كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والايمان به. واحتج له بقوله تعالى: «فطرة الله التي فطر الناس عليها»(٣).

وإذا تأملنا في هذين الوجهين اللذين ذهب اليهما المرتضى، بدا لنا في تأويله بُعْدٌ، إذ ان الوجه الأول لا يستقيم الا بهذا الضرب من التأويل الذي رآه، وهو حمل (على) على معنى (اللام) هنا، وفيه من التكلف ما فيه. والأحسن بقاء هذه الاداة على ما هي عليه من الدلالة. كما قال (ص) في حديث آخر: «وقد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها

(١) أمالي المرتضى ٢/٨٣ .
(٢) أمالي المرتضى ٢/٨٥ .
(٣) أمالي المرتضى ٢/٨٤ .

لايزيغ عنها بعدي الا هالك» (١). واما الوجه الثاني الذي رآه، وهو أنه (ص) اراد : «كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقه وصورته على عبادة الله تعالى ، وان عدل بعضهم فصار يهودياً او نصرانياً»(٢) ، فانه وان بدا وجهاً، إلا أن التكلف فيه واضح كذلك، وليس هو اشبه بمعنى الحديث.

و لعل القول الذي ذهب اليه ابن المبارك هو الوجه ، وهو أن المراد بالفطرة: الاسلام بدلالته العامة، وهي التسليم لله سبحانه والاقرار له وحده بالوحدانية والعبودية ، كما قال عز وجل : «ماكان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً» (آل عمران : ٦٧) .

(ب) وفي حديث النبي (ص) : «من تعلّم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم» ، فسّر أبو عبيد الأجذم بانه « المقطوع اليد: يقال منه قد جذمت يدهُ تجذم جذماً : إذا انقطعت وذهبت . وان قطعتها أنت قلت : جذمتها جذماً فأنا أجذمها. واحتج لذلك بحديث الامام علي : «من نكث بيعته لقي الله يوم القيامة أجذم وليست له يد» . وقال . «فهذا تفسير الأجذم». كما احتج بقول المتلمس العبدي :

وهل كنتُ إلا مثل قاطع كفــــه بكفٍّ له أخرى فاصبح أجذما(٣)

وقد ذهب المرتضى الى رأي مخالف لما ذهب اليه أبو عبيد ، وهو رأي يبدو على جانب من القوة والوجاهة ، وقد سلك فيه سبيل المجاز في فهمه لدلالة (الأجذم) في الحديث ، ولم يحمله على الحقيقة ، كما فهمه غيره من المترضين . وذلك أن المراد بالاجذم – عنده – في الحديث : « المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال ، وفقد ماكان عليه بالقرآن من الزينة والجمال» . وأن «التشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليد من الاعضاء الشريفة التي لايتم كثير من التصرف ، ولايوصل الى كثير من المنافع الا بها . ففاقدها يفقد ماكان عليه من الكمال ، وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى تناولها . وهذه هي حال ناسي القرآن ، ومضيّعه بعد حفظه . لانه يفقد ماكان لابساً من الجمال ومستحقاً له من الثواب .

---

(١) الرضي : المجازات النبوية ، الحديث المرقم ٣٥٩ ص ٤٤٢ .

(٢) أمالي المرتضى ٢/٨٤ .

(٣) غريب الحديث ١/٤٨– ٤٩ .

وبيّن المرتضى بعد ذلك أن « هذه عادة للعرب في كلامهم معروفة ، يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه : فلان بعد فلان أجدع ، وقد بقي بعده أجذم » . واحتج له بقول الفرزدق يرثي مالك بن مسمع :

تضعضع طَودا وائل بعد مالك   وأصبح منها مَعطس العز أجدعا

وقال : «وانما أراد المعنى الذي ذكرناه . وللعرب ملاحن في كلامها ، واشارات الى الاغراض ، وتلويحات بالمعاني ، متى لم يفهمها ويسرع الى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم وتأويل خطابهم ، كان ظالماً نفسه ، متعدياًطوره . » (١)

وواضح من هذا الكلام ، أن المرتضى قد نظر الى هذا التعبير نظرة بيانية أدبية ، وأنه – وهو الاديب – ذهب الى أنه ضرب من المجاز الذي ألفته العرب في كلامها ، وعرفته في تحاورها . وهو وان وسمه – في وصفه – بسمة التشبيه ، الا أنه في الواقع يذهب الى لون من الكناية . وانما حال دون تصريحه بذلك عدم استقرار هذا المصطلح بصورته التي استقر عليها – من بعد – في عصره . وهو ما كان أيضاً في مصطلحات أخيه الشريف الرضي في كتابيه : (المجازات النبوية) و(تلخيص البيان في مجازات القرآن) اذ ان المصطلحات البلاغية من استعارة وكناية وتشبيه ونحوها ، لم تكن واضحة الحدود والدلالات في هذين الكتابين – كما لاحظ استاذنا الدكتور شوقي ضيف (٢) – فبين أنه أنواعها ودقائقها لم تكن حرّرت حتى عصره .»

وقد عدّ المرتضى أبا عبيد مخطئاً في ماذهب اليه ، وعلل خطأه – في نظره – بأدلة عقلية وشرعية ؛ وذلك أنه قال : أما أبو عبيد ، فأن خطأه من حيث لم يفطن للغرض في الخبر ، وضل عن وجهه ، والا فالاجذم هو الأقطع لامحالة ، كما قال . إلا أنه لايليق بهذا الموضع ، واذا حمل عليه لم يفد شيئاً » .

وبيّن المرتضى بعد هذا ان الذي حمله على هذا التأويل إن كان ظنه بأن الجذم عقوبة له لنسيانه القرآن ، فقد وهم ، لان الجذم أولا ليس بعقوبة ؛ لأن الله تعالى قد يجذم أولياءه والصالحين من عباده ، ويقطع أعضاءهم بالامراض . ثم أنه لو أن ناسي القرآن يستحق

(١) أمالي المرتضى ١/٧ .
(٢) البلاغة تطور وتاريخ ص ١٤٠ .

عقوبة على نسيانه له ، لكان حفظ القرآن بأسره فرضاً واجباً وحتماً لازماً ؛ لان العقوبة لاتستحق بترك ماليس بواجب . وليس حفظ جميع القرآن كذلك (١) .
واذا تأملنا في كلام المرتضى الذي أوردنا آنفاً — في باب الاعتراض عليه — أن الجذم قد يكون عقوبة أو لايكون وكذلك غيره من الادواء. وآية ذلك أنه روي في تفسير قوله عز وجل : « لامساس » من قوله على لسان موسى للسامريّ الذي صنع عجل بني اسرائيل الذي عبدوا : « فاذهب فإنّ لك في الحيوة أن تقول لامساس» (طه ٩٧): أن السامري كان إذا ماسّ أحداً من الناس ، رجلاً أوامرأة «حُم الماس والممسوس» فتحامى الناس وتحاموه. وكان يصيح لامساس».(٢) فهذا الداء الذي أصاب للسامري كان عقوبة له، على هذا الوجه من تأويل العبارة . (٣) وكذلك الجذم ، فانه قد يكون عقوبة لمن يشاء الله سبحانه ، معاقبته به ، وقد لايكون ،

(ج) وفي حديث النبي (ص)، وقد ذكر أهل الجنة فقال: « لايتغوّطون ولايبولون إنما هو عرق يجري من أعراضهم مثل ريح المسك » ، نقل أبو عبيد عن عبدالله بن سعيد الأموي : أن الاعراض جمع عرض ، وهو كل موضع يعرق من الجسد . ثم قال بعد ذلك: « المعني في العرض ههنا : أنه كل شيء من الجسد من المغابن، وهي الأعراض . وليس العرض في النسب من هذا في شيء ». (٤) .

حكى المرتضى قول أبي عبيد ، ثم ذهب الى قول مخالف له ومغاير ، وهو أن العرض لايقتصر على سلف الرجل ولاعلى نفسه ، وانما هو «موضع الذم والمدح من الانسان ، ولافرق بين سلفه ونفسه » (٥) في ذلك . على حين جعل أبو عبيد أحد معاني العرض ، الاسلاف من الآباء والأمهات ، وذلك حين قال « وليس العرض في النسب من هذا في شيء » ، كما مرّ سالفاً .

وبذلك يتبين لنا أن الشريف المرتضى نقد على أبي عبيد شيئاً من تفسيره لغريب الحديث أوخالفه في بعض ماذهب اليه في ذلك ، وان كان في كثيرمن الاحيان ينتصر له ، ويناقش من ينقده .

---

(١) أمالي المرتضى ١/٧ — ٨ .
(٢) الزمخشري : الكشاف ٢/٢١٢ ، والطبرسي : مجمع البيان عند تفسير الاية الكريمة .
(٣) والتأويل الاخر ، وهو في ما يبدو الأشهر ، أنه هام على وجهه مبتعداً عن الناس ، وهو يقول : لا مساس .
(٤) غريب الحديث ١/١٥٤ .
(٥) أمالي المرتضى ١/٢٣٥ .

ومما تقدم يتبين لنا كذلك ، أن كتاب (غريب الحديث) لابي عبيد ، قد نال عناية القدامى ودراستهم له وتعقيبهم عليه ، استدراكاً أواعتراضاً ، وفي جانب مما عرض له من تفسير غريبه نال استحساناً (١) . وهذايدل على مالهذا الاثر اللغوي الحديثي النفيس من قيمة علمية جلّتها تلك الردود والاعتراضات الّتي عرضناها وناقشناها في هذا البحث وماترتب عليها من توليد روح نقدية تتعلق بعلم غريب الحديث استمرّت واضحة الى القرن الخامس للهجرة ، متمثلة بأمالي المرتضى ، بحيث انها أغنت الدرس اللغوي الحديثي ، ونقلته الى مرحلة من النقد اللغوي ، بأن تنال عناية الباحثين في كل عصر ومصر .



---

(١) عرضنا في هذا البحث الجانب النقدي المتمثل بالاعتراضات وحدها ، إذ ما تبقى من كتاب أبي عبيد ، مما لم تنله الاعتراضات لاشك منضو تحت الاستحسان والقبول ، وهو أكثر الكتاب دون شك . وكثير من هذه الردود والاعتراضات ، كما مر ، مردودة .

المصادر والمراجع

١ – الاعرابي: أبو سعيد محمد بن زياد: البئر، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب القاهرة ١٩٧٠ .

٢ – ابن الانباري : ابو بكر محمد بن القاسم: الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، دار الرشيد – بغداد ١٩٧٦ .

٣ – ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن الحليم: مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور ط٢، دار القرآن الكريم – الكويت ١٩٧٢

٤ – الحاكم : ابو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري: معرفة علوم الحديث، نشر الدكتور معظم احمد حسين ط٢، المكتب التجاري – بيروت ١٩٧٧.

٥ – ابن خلكان: أبو العباس احمد بن محمد: وفيات الأعيان، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة – بيروت ١٩٦٨ – ١٩٧٢ .

٦ – الخليل بن أحمد: العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد – بغداد ١٩٨٠ – ١٩٨٦ .

٧ – الرضي : الشريف محمد بن الحسين الموسوي: المجازات النبوية، تحقيق الدكتور طه الزيني ،مؤسسة الحلبي – القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩١٧

٨ – الزبيدي : أبو بكر محمد بن الحسين الأندلسي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف – مصر ١٩٧٣ .

٩ – الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١ ، دار احياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٥٧ .

١٠ – الزمخشري: جار الله محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل ، مطبعة البابي – القاهرة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨ .

١١ – أبو زيد: سعيد الأنصاري: كتاب المطر، ضمن (البلغة في شذور اللغة) ، نشر الدكتور اوكست هفنرولويس شيخو – بيروت ١٩١٤ .

١٢ – شوقي ضيف – الدكتور –: البلاغة تطور وتاريخ ، ط٢ ، دار المعارف – مصر ، بدون تاريخ.

١٣ – ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن: مقدمة ابن الصلاح في الحديث دار الحكمة – دمشق ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ .

١٤ — الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد شوقي واحمد حبيب، المطبعة العلمية — النجف ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧ .

١٥ — أبو عبيد : القاسم بن سلام الهروي : غريب الحديث ، صورة عن طبعة حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٨٤هـ=١٩٦٤

١٦ — أبوعبيدة : معمر بن المثنى : مجاز القرآن ، بتحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين ط٢ دار الفكر — القاهرة ١٩٧٠ .

١٧ — الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، مكتبة النوري دمشق ، بدون تاريخ .

١٨ — ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري : إصلاح غلط أبي عبيد : تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي — بيروت ١٤٠٣هـ =١٩٨٣ .

١٩ — ابن قتيبة : غريب الحديث : تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري ، مطبعة العاني بغداد ١٩٧٧

٢٠ — قيس بن ذريح (قيس لبنى): الديوان : شعر ودراسة ، جمع وتحقيق وشرح الدكتور حسين نصار ، دار مصر للطباعة — القاهرة ١٩٦٠ .

٢١ — محمد عبده (الامام) : شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة الاستقامة — القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٢ — المرتضى : أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي : الامالي (الدرر والغرر) ، تحقيق أبي الفضل ابراهيم ، مطبعة الحلبي — مصر ١٩٥٤ .

٢٣ — ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، صورة بطبعة بولاق سنة ١٣٠٨هـ

٢٤ — النسفي : أبو البركات عبدالله بن أحمد : تفسير النسفي ، دار احياء الكتب العربية ،القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٥ — ابن هشام : أبو محمد عبد الملك : مسيرة النبي (ص) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني —القاهرة ١٩٧١ .

٢٦ — أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ، ط١ ، دار الافاق الجديدة — بيروت ١٣٩٣هـ=١٩٧٣ .

الدوريات

١ ــ مجلة آداب الرافدين : العدد ١٢ لسنة ١٩٨٠ ، الدكتور كاصد ياسر الزيدي : تفسير القرآن بالقرآن ، نشأته وتطوره حتى عصر الجلالين .

٢ ــ مجلة المجمع العلمي العراقي : ج٤ ، م٣٥ ، لسنة ١٩٨٤ ، الدكتور حاتم الضامن (محقق) : إصلاح غلط المحدثين ، لابي سليمان احمد بن محمد البستي الخطابي.



عناصر التأثير في قصائد المعركة

د. عبدالاله الصائغ
جامعة الموصل / كلية الاداب

نافذة :

هذا البحث يسعى الى تأصيل فكرة (التأثير ، التشويق) وتقديمها الى كوكبة الشعراء والنقاد معاً؟ لما لهذه الفكرة من جليل الأثر في كسب المتلقي وإمتاعه ومن ثم توثيبه والتأثير فيه بتلقائية محسوبة، إذ ليس ثمة من يدعي ان التأثير مسألة ثانوية لأنه (مطلوب في كل بؤر الحياة التي نعيشها او نتمناها ،فالقصيدة العظيمة هي التي تمتلك مفاتيح (التأثير التشويق) لتفك بها مغاليق انحياز المتلقي الى النص.

ان فكرة التأثير باتجاه التشويق تجعل بحثنا عريضاً بما يجعل الأمتداد الأفقي تهديداً للامتداد العمودي ، وقبالة هذه المعضلة حاولنا الالتزام بالمنهج الفني مقتربين بحزم من روح – التأثير التشويق ، فلا أجيال شعرية ولا مدارس ادبية ولا طبقات ارتكازية، وانما الشعر اولا والشعر ثانياً، واحتكامنا لايتم الى اسم الشاعر او جيله او سوى ذلك مما ليس له علاقة بالنص اكيدة، احتكامنا كان الى الشعر، وقد اضطرنا الاتساع الافقي الى الاختزال فكان لنا رصد اعمال اربعة وعشرين شاعراً عراقياً ، ثمانية منهم تألق في نصوصهم البارق الزمني وثمانية آخرون كان لنصوصهم شأن مع الصور الفنية (الحسية) بينما اعتمدنا الثمانية الباقية لملاحظة الصور الفنية (الذهنية)، ثم نوهنا بمقامات الشعراء الذين لم يتسع المجال (في هذا البحث على الأقل) لرصد اعمالهم القيمة والتنويه اضعف الايمان ، بعدها بلغنا التوصيف المكثف لنتائج البحث. ان المعركة المقدسة التي نخوضها

لحماية الوطن والمواطن من غائلة العدوان اثمرت شعراً غزيراً وصار حقاً على الباحثين ان يؤثلوا هذا النمط من الشعر ويصنفوه ويمنهجوه من خلال زوايا محددة، وهذا هوالذي يهيأ لنا اننا صنفناه، وحسب اي باحث انه لم يدخر جهداً او اجتهاداً في سبيل اغناء بحثه ومن الله التوفيق .

مادة البحث: اذا فتحت ديوان المعركة واجهتك مواهب الشعراء ورؤاهم على هيئة قصائد صميمة تسعى للوصول الى ضمير القارىء والحوار مع القضية من خلال اجتهادات إبداعية في كيف تكون القصيدة مصدر جذب دائم يجعلها خبز يومياً؟ ويخطىء تماماً من يظن ان الافكار العظيمة (القضية) قادرة على حماية قصيدة هزيلة مبعثرة، والرأي في نظر كل من كتب في شعر المعركة او الالتزام هو ان يتعادل الهمان: الوطني والابداعي فتكون القصيدة سعياً جميلا لأجتذاب اعجاب المتلقين لاتلقينهم، كما تجتذب الزهرة بسحرها نفوس العشاق، اي ان تكون القصيدة بمستوى الحدث .

ان الخطر الأكيد الذي يتهدد القصيدة هو ضياع الخط الفاصل بين موقعها في الابداع وموقفها من القضية ، بين القصيدة الملتزمة القصيدة وبين القصيدة الملتزمة غير القصيدة ، وذلك ما ندعو إلى معالجته بدراسات تنظيرية تجرد وترصد وتقوم ، ونبدأ الأمر بملاحظة التشويق الذي تطمح اليه عنوانات قصائد المعركة التي نشرت في صحفنا ومجلاتنا ، معرضين ملياً عن اسامي الشعراء :

(آ) رمل وحناء + ثانية تنهض ذي قار + دائماً يرتقي الشجر + عروس مندلي + قصة حب من زمن الحرب + انا محض طينك يا عراق + لتموز ان غنّى وان غضبا + سيدة الأهوار + رسالة مفتوحة إلى سليمان العيسى + صرخة الرفاق + أشواق البرتقال + ليلة من زجاج + على ايما موعد نلتقي + الواح الدم + رؤيا نعب الشهيد + صلوات لحلم يوشك على الإكتمال + كل يوم + إلى من يهمه الأمر + تداعيات عن زمن الولادة + قصائد من زمن الحرب + ميلاد في خندق + القمر عند الساتر + تقاسيم بصوت الناي + سلاماً يا مياه الأرض + القصيدة من عيار ١٠٦ ملم + سمفونية اليقين + اربع قصائد للعاشقين + رجل في هيئة الشمس + عن الفتى كريم + سواتر عراقية + خمس قصائد من خيزانة + بيت دافىء اسمه العراق .

(ب) الصوت + الكوكب + للحرب + الطائرة + الرقم + المعلم + الشهيد + الرتل + إمرأة + أبي + المعجزة + تنويمة + الاديم + البيرق + صلاة + سيروا + الغضب + المحارب

(ج) الى تموز + تموز والفرسان + في ليل مقاتل + قصائد + ثلاث قصائد + اربع قصائد + اننا منتصرون + قصيدتان + مقاطع من قصيدة.

..لقد وصل الينا ان هذه العنوانات تمثل مقطعاً عرضياً لرؤية القصيدة(غايتها)ورؤية الشاعر (اسلوبه) فاذا نحن بمواجهة ثلاثة انماط من العنوانات : الاول يسعى الى كسب المتلقي من الوهلة الاولى باستخدام عبارات مثيرة بايحاء انها للقصصية ،فهي مبتدأ وهو بمرونة محسوبة بين المحورين على سبيل التأويل.

والثاني : يستعمل الضربة الواحدة ، بكلمة واحدة ، فهو ان شئت مبتدأ وخبره محذوف يتمه المتلقي بخياله وعلى هواه ، وهي ان شئت خبر لمبتدأ محذوف يبحث عنه المتلقي ، والقصيدة غب عناء لذيذ.

والثالث: تقريري ، يوحي للمتلقي بثقة عارمة مؤداها ان العبرة بالطرفين – الشكل والمعنى ولامسوغ للشغل بالعنوان ! وعلى أية حال هذا هو اجتهاد ليس لنا ان نهمله باجتهاد مضاد وقد لاحظنا سيلا من الاعمال لشعراء مختلفين متعكزاً على (قصائد) أو (ثلاث قصائد أو (مقاطع) ! ..

والجدير بالملاحظة ان الشاعر الواحد ربما كتب بهذه الانماط الثلاثة من العنوانات عندها نعود الى الرؤيتين الشعرية والشاعرية.

ثم ندخل بلورة القصيدة عند الشعراء الذين كتبوا في المعركة والقضية لنلاحظ أفانينهم في صناعة التشويق باحتراز كبير هو ان هذا البحث لطبيعته ووقته المهيأ له لم يشأ رصد كل الافانين وانما الملاحظة منصرفة الى ماتهيأ لنا بأنه أهم الافانين وأكثرها وضوحاً : للزمن والصورة الفنية (الحسيّة والذهنية).

• الزمن – المحور الأول

ليس الزمن الشعري معنياً بالزمن الفلكي وان كان الثاني مبثوثاً بالعمد أو دونه في تجاويف القصيدة «انظر كتابنا: الزمن عند الشعراء العرب ق. إ» بعبارة اخرى: الزمن هو الكل المعقد ابتداء بالآنة وانتهاء بالازل عبر مفردات الحياة والموت والناس (السلطان +الناس + المرأة)؟ ويقيناً ان حوار القصائد معه يعكس حواراً فلسفياً مع مايرى وما لايرى، مع ماهو خارج للجسد وما هو تحت جلده.

١ – ومل وحناء – حميد سعيد – مجلة آفاق عربية ع آذار ١٩٨٦ م
النار واطئة وتصعد ثم تصعد

كان ليل الفاو يفترش الرصاص
تختفي الظلمات في الذهب المذاب
ويجيء عبد الله من دمه.
فتصحبه الى الاحراش خوذته وتصحبه الأغاني» .

حميد سعيد يجمع المكان في موضع والزمان في آنه، فيكون تحديده للمحورين وفق عبارات متلاحقة متدافقة : النار واطئة ← تلبث هكذا في أقانيم الزمان الثلاثة (الماضي + الحاضر + المستقبل): وليل الفاو يفترش الرصاص— في كل الأزمنة التي تتهدد فيها الحناء بمسيل الدم ! فلماذا؟

لنلاحظ تقنية هذا المقطع، ثمة عبارات نغمية (متفاعلن ← ///٥/٥) وثمة عبارات نفسية ، المسرح مظلم، الهدوء ثقيل، ثم يضاء المسرح (القصيدة) بالنار واطئة وشيئاً فشيئاً تكون النار قطعة من الجحيم حتى لتطال السحب.. (وتصعد) استغراقاً في الصعود الزماني والمكاني والنفسي واذا يتوقف الخيال عند حد من الصعود (...) فصل الشاعر بين(تصعد) و(ثم تصعد) بثلاث نقاط هي لحظة انتهاء الصورة المتخيلة من (النار واطئة (...وتصعد...) وابتداء الصورة المثابرة الجديدة ..ثم تصعد.. فتختفي الظلمات.

حميد سعيد يفرغ الزمان والمكان ليجعل السبيل سالكة امام ظهور (عبد الله) ليواجه النظارة (المتلقين) بالمفاجأة (ويجيء عبد الله)! من اين؟ (من دمه) وتبدأ الملحمة الأسطورة: فتصحبه الى الأحراش خوذته (استمارة حذف منها المشبه به وهو الانسان واشير الى واحدة من لوازمه: فتصحبه) .

٢ — سيدة الأهوار — يوسف الصائغ — مجلة الأديب المعاصر ، حزيران ١٩٨٥
«بعد قليل ، تقبل سيدة الأهوار — طافية .
كالشمعة فوق الماء .
تحمل في يدها اليمنى ارغفة حمراء
وباليسرى فاكهة من نار.
ورويدا.. ستهب الريح وتنفخ في هذا القصب الساكن.
ويطوف الماء على صدى ناي
بعد مغيب الشمس
ثم يسود الصمت .. لحظات .. ويجيء صدى الطلقات ،

شاء الصائغ ان يبتديء طقس القصيدة بصوت راو هو الشاعر الذي اغمس يديه أمام النظارة بدم امرأة من أهل الهور ثم يقترح عليهم التدخل في رسم اللوحة لتكون اللحظة الزمكانية اكثر توهجاً ! وقبل ان نعرف الألوان التي اضافها النظارة (خيال .. المتلقين) . يتفجر الزمن الشعري مثل رمّانه فيعد الصائغ جمهوره بمقابلة هائلة (بعد ، قليل). (تقبل سيدة الاهوار) (طافية) (كالشمعة) (فوق الماء) .. و(رويداً) (ستهب الريح) ثم يسود الصمت لحظات (بعد مغيب الشمس) ! الزمن هنا – على الاقل – ديكور ، يمتلك سحراً لاراد له، فهو الوان من الذهن (بعد قليل) والحس (بعد مغيب الشمس) وهل اغفل الشاعر ألوان الزمكان ؟

زرقة مياه الهور والسماء + صفرة الجسد والقصب + حمرة الشمعة والارغفة . ثم تختلط الألوان الزمكانية في لون المغيب (ازرق اصفر احمر) في سمفونية لونية يستطيعها الصائغ بموهبة عجيبة .

٣ – ألوان الدم – عبد الرزاق عبد الواحد – آفاق عربية ك١ عام ١٩٨٥ ،

الآن سأحمل صوتي – سأرفع هذي الاوراق

من يبصر أبعد من عينيه – من يسمع أبعد من أذنيه .

يسبق هذا الزمن الاعرج

ليرى ماقبل الاشراق

فغدا بعد زوال الليل – بعد الريح وبعد السيل

لاعذر لعين لم تبصر قبل الويل مهب الويل،

أهم مايميز هذا الشاعر انه الغى الفاصلة بين البؤر الثلاث (القضية القصيدة الشاعر) . فهو ابن زمنين (ماض ومقبل) انجزا حاضر الشعر عنده ، ولانه كذلك فالزمن عنده رخو وصلب معاً ، ممشوق واعرج معاً ! أي انه حقيق بالزمان النفسي ، صوته يخترق الازمنة فاذا قال الان شدد على الاحرف لتكون (الان) .(أواناً) أزلياً ، فكما ان الموت مبتدأ البعث الديني فإن الخلاص هو مبتدأ البعث الحياتي ؛ فاذا تخلف الشعراء (وهم قادة الذوق بين الناس) عن قافلة الزمكان ، فليس ثمة عذر لاحد منهم ، انه تواق لان يصعد مع عائلته (الناس ← جمهور البؤر الثلاث) الى الملكوت القداسات، وذلك لن يكون الا برؤية مالايرى وسماع مالايسمع ، جلجامش هو الذي رأى كل شيء ، وزهير بن أبي سلمى (جاهلي) يمتلك جرحاً وسؤالاً :

الاليت شعري هل يرى الناس ماارى مـن الامر، أويبدو لهـا مابداليـا !
تفرد عبد الرزاق عبد الواحد وامتيازه انه يدري ان الناس يرون الذي يراه ويسمعون مثله
وانما اختلاف المواقف باختلاف المواقع (زوايا النظر الى الصورة الزمانية) والعكس
هو الصحيح ايضاً، فلتر الاعين (قبل الويل مهب الويل). وعظمة هذا للشاعر انه يطوع
الزمكان ويطوّع القصيدة ليناسب بين ذلك والهم القضية،

٤ — الرتل — سامي مهدي — آفاق عربية ك — ١ عام ١٩٨٥

« كنا ننحني — أو نثرثر
كانت الكلمات تطلع كالبنادق
كانت الضحكات كالنغمات
إلا من أراد الصمت وأسترخى قليلا
فهو يعبث بالحشائش — أوحزام البندقية
أو يدقق في اسمه المحفور فيها
(لن يطول الوقت حتى يبدأ الرتل المسير)
وكان غضبان العريف يشدّ خوذته
ويمتحن الوجوه — يدور — كان يدور ».

سامي مهدي واحد من رواد القصيدة الومضة، التي تكشف بالاختزال، المنصرف
— كما نظن — إلى العمارة اولا بيقين مسبق ان عظمة القصيدة تكمن في القدرة على
اختزال المساحة وتكثيف الأزمنة، فاذا طالعنا هذا المقطع للفيناه مبهوراً بالزمان الذي
تستحيل فيه (كان) لافتة عرضها الكون، والا أمصادفة ان شاعرا بمثل تجربة سامي
مهدي ينثر الكائنات (بعيداً عن إرث كان: وأصبحت كتبيا وأصبحت ...) على اتساع
استثنائي؟! في حقول المقاطع، كان — هنا — هي اليكون والكائن، لكنه كدأبه يدري
ان الحكاية البسيطة المكتنزة هي هربوة المودة بين الشاعر والمتلقي، الناس تعشق الحكاية
لانها عنصر تشويق مهم، لهذا جاء هذا المقطع لزمكاني حكاية تسعى إلى الإبهار؛ نعم
المقطع لايشي بمفارقة أومفاجأة (وهما عنصران تشويقيان مهمان) الا أن الشاعر صنع
حالة من التوقع، فالمتلقي موقن ان ثمة امر هائل وهائل جدا سيحدث، يناغي — وهو
المخشن — غنائية الموضوع فتأمل!

واذا ألف اسما عنا زمنية كان ، التي يتألق فيها حرف (ك) فينسحب (ا+ن) إلى الظل ، تختبيء كان .. لتخلي المكان إلى كثافة أشد وهي حرف (ك) مقطوعاً عن (كان) نحو : الكلمات + كالبنادق + الضحكات + كالنغمات ....

في المقطع زمنان : زمن الواقع وزمن التوقع (لن يطول الوقت حتى يبدأ الرتل المسير) إلى أين ؟ .. الرتل هو زمن الواقع الذي يسير نحو زمن التوقع ! وهذا في ظننا مفتاح التشويق عند شاعر الرتل .

٥ — ميلاد في خندق — كمال عبدالله الحديثي — آفاق عربية ١ عام ١٩٨٤

« وذات صبح — كان لي مسار

قال أبي — لقد كبرت قد كبرت

آن أن تعاف — ذلك الموحل البعيد .

ومرّت للفصول — مرّت السنين — طوف النهار

في دروب قريتي والفيض

طافت سنبلات القمح — فالمدى ريٌّ وقمح

والمدى سح من الضياء — صار صغار قريتي يمسون بالنعمى ويصبحون »

خندق كمال الحديثي هو خندق المكان الزمان القضية ، هو خندق في الجبهة وهو خندق في الأحداث وهو خندق في القصيدة واذا شعر ان التفاصيل الذهنية تؤذي خيال المتلقي أحيانا ، واجه المتلقين بتفاصيل حسية ، فاصطنع قريتين طفولتين وطنين ! هو أبقى المكان على حاله ثابتا ، وحرك الزمان المتحول (الزمن المتحول في اطار النفس) فالقرية الطفولة الوطن في ليل ثم في نهار ! في خوف ثم في طمأنينة — في جوع ثم في شبع وري — في حزن ثم في فرح ؛ الفاصلة بين الحالين هي الفاصلة بين الماضي والحاضر بين واقع ولى وواقع جاء بين خشونة التبدد ونعومة التجمع ، ولكن لماذا ..

ج : شاعر في خندق : يحارب العدوان المتربص بالوطن اذن هو في جبهة القتال ؛ يحارب التخلف إذن هو في جبهة الحضارة ؛ فلا بد من خلفيات تزدان بها القصيدة ، خلفيات تصنع أضداداً مزاجها المقارنات والمفارقات ، العرب تقول (والضد يظهر حسنه الضد) أبو الشاعر في القصيدة هو ابوه في الواقع وأبوه في المجاز (الوطن الجديد) و (لقد كبرت) عبارة تمس الواقع والمجاز (انتصرت) ! والفصول والسنوه والنهد

والسنابل والقمح والمدى والنعمى : لوازم انشادية يكون تكرارها ذهنيا (في خيال المتلقى) بما يؤجّج بلورة القصيدة في أطار تشويقي محسوب من الحكاية .

٦ — وجه من جمر وماء — .. علي العلاق (الدكتور) جريدة الثورة ٢٨ — ١ — ٩٨٤

«كان مألوفاً كما الماء ، مشاعاً

مثل لون الصبح ، بل كنّا نراه

بيننا ، فينا حوالينا ، وما كنّا نراه .

..... بدلاً عنّا يموت — بدلا عن ذلك المرعى — وذاك القمر العالي

وعن هذي البيوت

بدلا عنّي يموت

..... لم يعد أتباعه متهاه والأهل وبعض الأصدقاء

سيداً صارا على الكون وأصبحنا رعاياه المحبين

يتاماه الوالوعين »

يرى الدكتور ثابت الآلوسي (ان الشهيد في قصيدة العلاق حلّق عالياً ... فلم نستطع أن نتثرى قسماته أونستبين هويته بوضوح الا من خلال مؤشرات خارج حركة النص الشعري) — الثورة ١ — ٣ — ١٩٨٤ أ. ه واذا اردنا ان نضيف قولا فهو ان الشهيد عند العلاق إنسان بأزاء زمنين : زمن الفردانية الأعتيادي — قبل الشهادة — ثم زمن الانتشار واجتياز المستحيل — بعد الشهادة — الشهيد يدخل في كنه الأشياء الحسية والذهنية ، هو يموت بدلا (من) الناس والمرعى والقمر العالي والبيوت والشاعر ، اذن هو يستحيل غب الشهادة في كل الأشياء يداخلها ويمازجها (سيداً صارا على الكون) ، وهذه العبارة مكتنفة بصياغة مذهلة ، مكتنزة بسحر الشعر الغامض وهي مايميز العلاق بعامة ، لقد قدّم خبر الفعل الماضي الناقص — صار — وهو تقديم لايسوغه بعد أمن اللبس إلا التقديس ، ينبغي ان يتقدم سيد الكون على المخلوقات ويفلت من قفص الزمكان ويتقدم كلمات العبارة أيضاً ، فاذا أسسنا عبارة زمنية صعبة يكون التأسيس — سيداً — مثابة : خبر لمبتدأ محذوف يجترح من الضمير المستتر جوازاً في صار وتقديره هو — الشهيد — على هذا النحو غير النحوي .

• الشهيد — أوهو — سيّدٌ (سيداً)

أو : الشهيد — هو — صار سيداً

وبهذا التأسيس والذي قبله يكون الشهيد لوحة زمنية كبرى تتّسع لكل المفردات التي نتمناها ، الشهادة نمط من الايثار الهائل يقرن السعادة الفردية بالسعادة الجمعية ، فنياً يقرن الغنائي بالموضوعي .

٧ - نشيد الدم - ذوالنون الاطرقجي - مجلة الحدباء الموصلية ١١ - ٣ - ١٩٨٦

« دم يتقي ودمٌ يلتقي .

ودم يرتقي بالفراتين أفق الخلود

يرش على وطن المجد عطر الورود

دمٌ يتصاعد من أمنيات الشهيد - إلى شفق الخلد

يربط أرضاً بغيم - وتلا بنجم »

الدم هنا يمثل اتحاد الأزمنة، فهو فينا ارث من أجدادنا نورثه لأحفادنا ، والدم استعار الفعل ، فكان المشبه به له الإنسان الذي يتقي ويلتقي ويرتقي س : ولكن لماذا ؟ ج :. الزمن لم يتبدل والمكان لم يتحوّل والبشر هم الطيبون ورثوا الطيبة والأجلاف ورثوا الجلف !! تتغيّر الأسماء والوجوه تتغير الصدفة ، لكن المعدن باق ، الجوهر أزلي ، تلكم هي بلاغة نشيد الدم ، وربما تبرز لاوعي الشاعر أو وعيه - لاندري - أن يبث الاستمرارية في النشيد فكان التكرار غير الاعتيادي لمفردة (دم) ! القصيدة متألفة من (٤٩) سطراً وبعض هذه الأسطر متألف من كلمتين فاذا احصينا مفردة / دم / وجدناها (١٩) ثم نضيف صور الدم نحو (أسود + اسود) يعلٌ رعافه) (الجرح) (ينزف) (اسودا) + (اسودا) (نزف) (جرح) فيكون حاصل الحساب (١٠) والمجموع (٢٩) ثم نضيف الأخبار التي تستثمر الحواس الخمس فنجد الرقم قد تجاوز عدد الأسطر إلى الضعف أي ان القصيدة بركة دم وكنا اشرنا إلى الارث الذي يحمله دمنا نحن ابناء الارض الطيبة ودمهم (الأعداء) ابناء الأحن والترات ادركنا ان الشاعر يدرك اتحاد المكان والزمان وأزلية الاشياء التي تبدو متحولة باتجاه التاريخ (آه ياوجع التاريخ / متى تهدأ / يا أرث الثارات / صفحات تقلب / لكن الميت مامات (وهنا بيت القصيد الذي تضافرت الآنات النغمية لتصعيد موسيقاه (ن لكن - حرف غنة) (م+ م+م ميت مامات - حروف تمنع الشفاه تفشي هوائها فينساب من الانف) تكون الجملة النغمية ترديدا لصوت آت من اعماق التاريخ !!

٨ - عروس مندلي /لؤي حقي/ كتاب مجلة فنون ، العدد ٢ العام ١٩٨٥

«من زمن الامجاد والبطولة/ من زمن الرجولة

من زمن النهوض والاقدام/ من زمن أرخه صدام

من زمن أيامه أغلى من العين / كنا عروسين

نحلم بالبيت الذي لم تحوه!! الآفاق

وطفلة اول لثغة لها : عراق»

الزمن هنا بؤرة القصيدة ومحور الاشياء ومنلاحظ عروس مندلي بعينين زمنيتين لأن لؤي وبشكل واضح يعاني من ضغط الزمن المألوف زمانهم (الأعداء) على الزمن الاستثنائي (القاعدة) ! الأزلي (زمان الشاعر) فكان التكرار وسيلة الشاعر لتأشير الخاطرة ومن ثم الامساك بها وتأطيرها لكي يطوع الشاعر طغيان الأزمنة باتجاه مايريده (النصر) كما طوعت عروس مندلي طغيان الموت باتجاه ماتريده (الشهادة) فهل توسل الشاعر الى هدفه باللغة؟ الجواب الذي نقترحه: نعم ؛ فلقد مهد للضربة الكبيرة بعبارات يسيرة اتكأت على تكرار (من زمن) وخبأت جوهر المقال في صدفة مايقال ، الضربة الاخيرة او اللؤلؤة هـــي (كنا عروسين) هنا فعل ناقص واسمه ضمير اتصل به وخبره المفرد (مثنى) ! فلماذا قدم الشاعر الفضلة على الجذر : لماذا قدم الجار والمجرور وهما الفضلة على كان واشتراطاتها بعض الجواب قلناه في مسألة التطويع ومتبقيه نراه على هذا النحو : ربما يكون (من زمن) خبراً لمبتدأ محذوف تقديره في ذهن الشاعر (لمية مثلا او العروس او الشهيدة) عندهـــا يكون التقدير أو التأويل جزءاً من الاثارة : التشويق الذي يلجأ اليه الشعراء لكسب المتلقين و استخدام الأثر الفني الابداعي في التأثير الوجداني وأذا كان ذلك كذلك فقد أفلح لؤي حقي من خلال تكرار الجار والمجرور وتكرار حرف (ن) في أستمرار النغم المتردد (الاستمرار) للايحاء باستمرار الزمن المتألق .. الذي تكون ايامه (أغلى من العين) .

• الصورة الفنية الحسية (المحور الثاني)

الصورة الفنية : نسخة جمالية حقيقية أو مجازية تعكس الواقع او التوقع وعدة الشاعر في ذلك الحس غالباً والذهن نادراً ، ولايمكن تخيل شعر بمعزل عن النسخ الجمالي (التصوير الفني) الذي يضيىء غايتي القصيدة : الاسلوب (الغاية الصغرى) والغرض . (الغاية الكبرى) وهذه المقولة تؤشر انماطاً لاحصر لها من تسميات الصورة نحو : الجزئية والكلية واللقطة واللوحة والمشهد والطولية والعرضية فضلا عن الصور الحسية والذهنية

(الصورة الفنية معياراً نقدياً د. عبدالاله الصائغ) ولن نستطيع – لاعتبارات فنية – توصيف قصائد المعركة وفاق تنميطات الصورة الفنية ، لذا ينصرف همنا الى معاينة الألوان المحسة والمتخيلة

١ – عروس مندلي/ ساجدة الموسوي/ كتاب فنون ع ٣من ١٩٨٥
«وردٌ وشمع/ بخور وحنة / شرائط زينة
دفوف ، طبول / غناء ورقص
صغار يدورون بين الأزقة / والركض يسبق انفاسهم
يريدون رؤيتها / النساء التمعن
الرجال انتحوا جانباً ...
...يقولون جاءت / تستعد بأحداقهم رغبة عارمة
هل يرون لميعة حقاً بثوب الزفاف
ثم ينتظرون / وينتظرون /
الى ان تجر خيول المساء / بقايا الأصيل
تجيء لميعة / فيندلق الصبح ثانية /
في شعاب المدينة/ يوزع من كفها همسات الصباح»

ثمة لوحة كلية مزاجها لقطات صغيرة ومشاهد متحركة حاورت الحواس بجدل رقيق فالورد والشمع صورتان ، كل صورة فيهما متعددة الحوار ، فالورد مثلاً يرى ويشم ويلمس ثم نلاحظ (بخور وحنة) البخور والحناء صورتان ، كل واحدة فيهما ثنائية الحوار فالبخور يشم ويرى والحناء ترى وتشم اما شرائط الزينة فهي ذات حوار واحد بصري –
ورد + شمع = ٦صور حسية (بصر + شم + لمس)
بخور + حناء = ٤ صور حسية (بصر + شم)
شرائط حريرية = ١صورة حسية (بصر)

وساجدة أمرأة ، تعرف كيف تزوق عروس مندلي فتجعلها بهية كما لم تر العين ابهى منها، فابتدأت الشاعرة بترويق الصورة ، فأنت ترى أنتظاراً (صورة ذهنية) للعروس لميعة بثوب الزفاف (صورة حسية) ثم تتكرر الصورة الذهنية (تنتظر + تنتظر) فاذا جاء المساء وهو صورة بصرية استعارت له الشاعرة خيولا لكي تجر عربة الاصيل ، وغب هذا الموكب

الكوني الحلمي تجيء لميعة، تجيء الدهشة (النساء التمعن) وتجيء ايضاً الشهادة والنصر معاً

٢ ــ الفتيان/ أمجد محمد سعيد/ البلاد الاولى (مجموعة شعرية) ١٩٨٣

«أيها الفتيان / يامن تحملون الأرض في اعناقكم / ورداً ودم

ايها الفتيان ياشمس التواريخ وأسرار الحلم

ايها الفتيان ياتين البراري الخضر

ياغزلان في هذا الخضم

نحن لانحلم بالحرب ولانحضن غير الحب

لانحلم بالحرب ولكن بسماوات من العشق المباح

نحن لانحلم بالحرب ولكن نقطع الأيدي التي تمتد للغصن

وتغتال الصباح...

أيها الفتية مهلاً /ستعودون الى البيت وفي أعينكم كبر

وفي مشيتكم نخل الزمان

ستعودون وفي اطاقكم شمس الأمان

ستعودون ولكن خيرنا سافر للخلد / وقد القى اليه الله نهراً من حنان

خيرنا من صار في الكون ضياء وكتابة

فوق حقل الروح/ من صار ربابة

في مدى الأيام والعمر سحابة»

الحلم الذي اطعمه الشاعر كل حياته هوان يحيا العشاق في أعشاشهم آمنين سعداء ، يهدون الخير زهور المحبة ، لكن الاخرين (الأعداء) يلوثون سحابة العمر ويلونون اعشاب للوطن بالدعر ، هي أذن مقادير لايفلت منها العشق فلتكن الحرب بين خندقين : خندق الفتيان الذي يعادله الشاعر بالورد والحلم وتين البراري والغزلان وسماوات العشق المباح ونخل الزمان قبالة خندق الغدر و الاغتيال الذي يعادله الشاعر بالأيدي التي تمتد للغصن وتغتال الصباح ، فما الذي أراده الشاعر بتقابل صورتين نقيضتين ؟ج! انه يسعى الى خلق. صورة ثالثة ذهنية تماماً ترتدي فيها المفردات الذهنية لبوساً حسية،ثمة شر يريد أن يضيم ! الخير ، واذ لا يمكن الجمع بين نقيضين فلا بد من ان يجلو الشاعر مفردة الخير ــ الفتوة التي تشرق في لوحة المبدأ (نحن لانحلم بالحرب ولا نحضن غير الحب) التي تتكرر عل

هذا النحو (نحن لانحلم بالحرب ولكن نقطع الأيدي التي تمتد للغصن وتغتال الصباح .

٣ — رسالة مفتوحة الى سليمان العيسى/محمد جميل شلش/ آفاق عربية تموز ١٩٨٥

«وأن تسل ياشاعر الوحدة والثورة والثوار
فأمس شيعنا شهيداً مات قرب الدار
مردداً من شعرك الثائر مقطعين
مهشم اليدين/ مهشم الساقين —
أوصى رفاق دربه الاحرار / ياأيها الثوار
واروا بقايا جسدي تراب هذا الوطن الساكن في العينين
خطوا على شاهدتي سطرين / تبت يدا كل ابي لهب تبت يدا فرسان قوم في الوغى سيوفهم خشب»

شاعر يبث وآخر يستقبل ، ولغة التوصيل هي معجم كثيف من الصور الفنية الحسية ، الصور التي شاء شلش ان يسكب فيها شيئاً من روح العيسى ، أي أن شلش يصنع صوره : بالخطوط والألوان التي تجعل الأثر الفني للجمالي سبيلاً الى التأثير الوجداني ، نحن قبالة لوحة او قداس طقوسي ، اللوحة مرآة نرى من خلالها شهيداً يعشق الشعر الوطن الجمال شهيداً لنا ان نتخيله في صورتين الاولى : فتى جميل يردد شعراً للعيسى والثانية جسد مسجى باطراف مهشمة : فأي عناء هذا ؟ لماذا قابل شلش بين الصورتين : صورة ذلك الفتى العاشق وهو يقرأ غده فيرى الشهادة ليوصي رفاقه إن يدثروا جسده بتراب الوطن ،

الوطن قبل الشهادة يسكن البطل
البطل بعد الشهادة يسكن الوطن

وصورة ذلك الفتى العاشق وهو يستجمع طاقته ليفجر ها غضباً على اولئك الذين وضعوا الرصاص في قلبه المسكون بالوطن والمحبة ج: هذه المقابلة تقدم البوماً كاملاً من الصور الساخنة ، الصور الحسية الجزئية التي تتكاثف لتكون اللوحة الكبرى : الصورة الذهنية التي نعدها حصيلة شرطية لكل القصائد في كل زمان وأي مكان : الشهيد يردد شعراً لسليمان ، الصورة البصرية لموكب الشهيد ، الصورة السمعية لترديد شعر سليمان ، الصورة اللمسية : تهشيم اليدين والرجلين ، نفتقد الصورة الذوقية والشمية في هذا المقطع فقد جعلها في الظل واضاء الصور الحسية الاخرى ليشكل منها معنى واحداً ومحدداً هو النصر للشهيد وقضيته واللعنة للمعتدي واطماعه : (تبت يدا كل أبي لهب)

٤ — البيرق/ معد الجبوري / جريدة الثورة ١١/٩/١٩٨٤

«وحدي في الساحة مازلت
أنا البيرق / والسيف المسلول
بدمي حصنت بلادي / وبخطوي أدنيت الأنجم
من كفي / صيرت عراق العشق حقولا آمنة
ومنحت فراتيه عيوني
فسعى النخل إليّ
وأنا افتح للطير نوافذ داري
وأرد المارق والضليل
وحدي في الساحة / لي صوتي / ويداي
ولي ماء جبيني
فليقرع كورش طبل الحقد / أمام حصوني
وليقبل اصحاب الفيل / والحب وما أعطى
والسيف وما سوى
ان خيولي نار تسعى — وحجارة غيظي من سجّيل»

معد الجبوري ، في معظم قصائد المعركة ملك الزمان الذي اتخذ العراق قلباً لملكوته ، فالأنا هي النحن والغنائية موضوعية ، وصوت الزمان لايسمع ولايرى ولايقع تحت سلطنة الحواس انه صوت يفهم ، فهو يقرر ان التاريخ امتداد بين نقطتين تبدأ الأولى بالماضي وتنتهي الثانية بالمستقبل مرورا بالحاضر ، فلا يمكن للزمن أن يكبو ، ولايجوز للخير ان ينبو ، ملك الزمان قبالة كورش واذ تكون المعركة بين الخير والشر في صورة ذهنية فلا بد من ان تنتقي الصور الذهنية وسائلها الحسية للظهور : كورش ثانية يقرع طبول (الحقد) وقرع الطبول صورة حسيّة مكنت الشاعر من جلاء صورة (الحقد) الذهنية ويقف الحقد امام حصون الملك .. لكن الشاعر يردد (وحدي) وسلاحه (صوته) (كبرياء الارض) (ويداي) سلاح العصر (عدة حضارة) (وماء جبيني (الكبرياء وصورة الصوت (وحدي) استطاعت تحصين العراق بالدم وجرّ النجوم نحو السماء المختارة بالخطو ليظل البيرق أعلى واكبر ليظل الصوت ناراً تسعى وحجارة من سجيل.

وتأسيساً على هذا فان الصورة الحسيّة عند معد الجبوري تسعى إلى امتلاك المفاتيح التي تفتح الباب ليلج المتلقي مملكة القصيدة وسبيلها التشويق باللون والمجاز والتخييل.

٥ – زهرة نيسان – محمود الجادر (الدكتور) القيت من اذاعة بغداد

«عدنا اليك ونبض العشق حادينا كما نشائين فاملي ما تشائينا
عدنا وكل المسافات التي زرعت بين الخطى بدم محض تقاضينا
وما بخلنا فاي النخل ينكرنا واي عرف بهذا الرمل يجفونا
قلت الشهادة ، درب العشق فاقتحمت صدورنا دربها صرفاً ملايينا
فلا تردّي خطى شدت اليك هوى ولا تزيدي جراحا في المجدينا
كل الجراح احتملناها فما قتلت الا الجراح التي من صنع ايدينا»

سنلاحظ مفردات ذهنية بثها الشاعر في اديم القصيدة (العشق + المشيئة + المقاضاة + البخل + الانكار + الجفاء) ثم (الشهادة + الهوى) أس الفكرة هو حوار بين الشاعر وزهرة نيسان ، فلماذا زهرة نيسان ؟ صورة نيسان ذهنية ابداً ولكنها استحالت صورة اخرى وهي الزهرة بعد أن عشّق الجادر بين الزهرة ونيسان فكان التعشيق تشميرا لرمز كبير هو العراق والزهور واتحاد العاشق (الشاعر أو المقاتل) بالمعشوق (العراق – النصر) وكان لابد من حوار يثيره الشاعر ليخلف في اخيلتنا استعداداً للصوت الآخر الذي نستطيع تصوره وكان لابد ان يفتتح الشاعر طقس المودة بقدّاس قديم جديد (قلت الشهادة درب العشق) كما نقول ان درب الجنة النار الا ان صورة الجادر اقرب إلى نسغ المروءة والتوثيب القومي فدرب العشق الشهادة ، العشق والشهادة صورتان ذهنيتان بهما يمتحن بصر العاشق فان عشا ولم يقو على استقبال سطعهما بحدقتيه التفت إلى ماهو تحت الجلد ليتيقن من كم الحب وكيفه ، وستكون الجروح لذيذة كالسعادة هانئة كالقضية ، ثمة جرح عصيّ على الجروح الأخرى : جرح اليد الغادرة التي فتكت بالعشق لحظة الصلاة يد عربية نسباً اعجمية حركة وانتماء غرزت سما في جلدة الجرح ورشت ملحا .. فصاح الشاعر عندها : آه فهي يد تشبه ايدي العاشقين ولكنها عاذلة كل الجراح احتملناها فما قتلت

الا الجراح التي من صنع ايدينا)

٦ – عروس مندلي عروس العراق – عبدالمنعم حمندي– كتاب فنون ع ٣ عام١٩٨٥ صوت ثان

(... من تلك ثُرى –
– تلك لميعة تخرج من شطآن الشمس ترتاد الغابات
المسحورة بالتقوى وحواليها قمر وملائكة وطيور

وفي عينيها حلم أخضر ،، وعلى كتفيها شلالات النور
الافق خطاها والافق يـداها
رقص الفجر لرؤيتها / والحوريات تأبطن ذراعاً وأساور
دم
خضبن ضفائرهن اتين يكرمن قدوم لميه
ينثرن أغاني للعيد حواليها

اطلقن عصافير الجنة ... زغردن وشق النور الافقا ›

صور هذا المقطع ممتلئة حدّ الاختناق ساخنة حدّ الاحتراق ، هي مشاهد القيامة الفرح الازلي الطقس الابدي ، ولميعة الجمال العراقي الـذي ارادت قذائف الموجدة والدمار ان تطفئه فانطفأت القذائف واشرق الجمال حتى بات عصياً على الدمار والفناء ! نحن بمواجهة صورة مدهشة تماماً صورة انتقاها الشاعر من القرآن والكتب المقدسة عن الجنة صورة انتقاها الشاعر من لوحات فناني القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الذين رسموا لوحات لعرائس الجنة : البحر والزورق الزهور والملائكة على هيئة اطفال لهم اجنحة من حرير ، والطيور والفراشات وشلالات النور والعفراوات .

ومع الاحتراز فان لميعة تمتلك مآلا يشبه مآل (تيامة) التي جعلها الموت سماء وارضا! فالمقطع الذي اخترناه يتألف على قصره من عشرات الصور الجزئية الحسية ثم يكثفها الشاعر بمهارة تحسب له في لوحة ذهنية كبرى ذات دلالة تبوح بالعراق الذي انتصر بلميعة ولميعة التي انتصرت بالشهادة .

٧ــ جندي عراقي/ ياسين طه حافظ/ جريدة الثورة ١٩٨٦/٨/٢٣

واقفٌ / صخرة تستطيل
مع الليل/ تنبت جذراً
وفرعاً / لكل اتجاه
تتوزع ذاك الظلام / لغة
لاتفك الرموز التي/ رسمتها على الليل
كل المدى/
شبك ناعم من حديد/ ساعة للترقب أو
لاعتناق الحياة/ المدى شبك ناعم من منايا /

على الريح / تنتظر إالخفق بين الحجارة / خيط الدبيب المرقط عبر المتاه
فجأة
يتقل الكف من موضع باردٍ يبتغي جمرة مضمرة
لذة في الخشب / وارتعاش عظيم على العمر / من قبضة البندقية
حتى انفجار اللهب:
لحظة

تراءى له طفلة في الحديقة / لحظة / والعراق الجميل هنالك /
يأخذه من يديه / ويمنحه قبلة من عجب.

يخطيء من يظن ان الحسية وباء يلتهم القصيدة ، وها نحن اولاء نقدم بين يدي البحث لوحة كبرى انجزها الشاعر ياسين طه حافظ معتمداً البقع الحسية في الذاكرة والتوقع عبر نشيج من التخييل يسهم في الموازنة الرفيقة بين منطقين هما الحسية والذهنية ، فاذا استقرأنا نص قصيدة (جندي عراقي) فليس ثمة أمامنا سوى مفردات بصرية لمسية ، سمعية يقابلها غياب جمالي هائل للصور الشمية والذوقية ولن نتطوع فنجيب عن الشاعر قبالة سؤال لماذا؟ فياسين طه حافظ ميال منذ وهلة النشر الاولى الى القصيدة الصعبة ، المركبة ولم تقل القصيدة المضببة، وكان متلقيه على جانب من الحيرة والمعاناة فهو امام قصيدة مشاكسة تكسر صدقة التوقع ، واذا كانت التجربة قد اثمرت قصائد للشاعر تحمل النميفين (البساطة والتركيب) العمومية والتخصيص — نحو مناغاته لديالى وأنا شيد المعركة فان ميل الشاعر الاكيد للتركيب جاء بحلة جديدة بما يؤسس منهج الشاعر ورؤيته والنص الذي بين أيدينا شهادة للتعقيد الذي اسسناه ، فالمبتدأ مخبأ في الصورة ، ولنا ان نحاور الخبر على هذا النحو (المقاتل←مبتدأ متخيّل في الخاطر متمثّل في البصر) (واقف←خبر لمبتدأ محذوف ظاهر مذكور جوهراً) . والمبتدأ والخبر تمهيد لكناية (صخرة تستطيل) لقد جعل لشاعر معادل الجندي حالاً (صخرةً) وفعلا (تستطيل) ثم فجّر هذه الصخرة ماءً وحياةً ، فثمة جذور و(فرع) في دراما الحركة (لكلّ اتجاه) وايقاعات فاعلن (ب —ب) . أو(/٥//٥) تموسق لصوره الحسية (واقف — شبك — فجأة — لذة — لحظة) وازاء هذه الصنعة المطبوعة يكون الجندي لغة جديدة ، طقساً متمازاً ، فهو صخرة تذكرنا بمقولة للشاعر الجاهلي ميمون بن قيس الذي رسم علوه وعلا ورسم ذاته وكبرياءه صخرة .

كناطح صخرةً يوماً ليفلقها / فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل . وهوشبك ناعم من حديد لايفلت من قراره السمك صغيراً كان او كبيراً وهو الى هذه (الجندي) مخلوق حـالم ، فقبالة العدو ، وفوق الرابية أوخلف الساتر (تتراءى له طفلة في الحديقة) .

كناية عالية الايماء عن (العراق الجميل) وغب هذه اللقطات والصور الحسيّة يلحظ المتلقي لوحة حسّية كبرى تستميل أخيراً الى لوحة ذهنية تؤكد قيم المروءة وتعزز انتماء النصر .

٨ — خمس قصائد من خيزافة/ عبد الوهاب العدواني (الدكتور)/ اغنيات الحرب من منشورات المركز الثقافي الاجتماعي في جامعة الموصل ١٩٨٦ .

«سيدتي /قلبي كرة ..تقفز في الظلمة بين القمم السوداء .
ثمّ يعودُ الى صدريْ / طيراً مذبوحاً .
...بعض ذماء
ماأعجب هذا القلبَ ؟! / لايخشى غولَ الظلمةِ وحشتها
لايخشى خطو الاعداء
كمنٌ للصبوة تهصره
يعودُ كأوهى ماكان العشب الاخضر في الماء
أعلم انك تنتظرين /وأن النوم يغالبُ عينيكِ/ ثم يغيب
أعلمَ أن عيونَ الأطفال / والعيد قريب/ تسأل عن بابا
فتقولين كيف /أجيب
ولانّاً في قمة خيزافةً / لا أقدر أن أجمع ايامي
وأكورها /ثم أجيء»

فهنا تتطاول كلّ الأشياء — الوحشية / والليل / ووجيب القلب وتموت الساعات»

عبدالوهاب العدواني مصوِّر مغامر ، فإذا اقتضاه التصوير ان يخرج عن سياق القصيدة فهو لايتردد لحظة أو لعله قد توفر على أهم شرط تتطلبه الصور الفنية عامة واعني الجرأة التي يراها البعض عيباً أوتفريطاً بالموضوع !!العدواني الذي لم اقرأ له سوى القليل من الشعر (والكثير من المباحث الأكاديمية يلقح صوره الفنية بآلاء الموروث الشعبي والمفردات البسيطة التي تتقرب من الناس لغة ووهماً فتلد التوائم المتجاذبة : الفتـوة قبالة الطفولة ، الفحولة قبالة الانوثة ، الزهو المتألق ازاء الدهشة العصبية ، المقاتل العراقي الحالم والصارم (الحاضر) قبالة الطفولة المرحة الحالمة (الغد) نثر الحياة قبالة شعر الحلم ، والفاصلة بيـن

التوأمين صور الواقع والتوقع التي تبسم أونكشر ، الفتى الذي يخاطب سيدة اكتنزت صورتها بمودة غامضة الايحاء موحية الغموض معاً ، سيدة تسكن قلبه كما العراق ، فيستحيل القلب كائناً برائياً ملعبه القمم الليلية وفجأة تنضح الصورة دماً (طيراً مذبوحاً !) ومن معطف الفجاءة ينبعث غناء الشاعر عذباً صافياً (ماأعجب هذا القلب) سؤال ردده منذ أمد أميد ذو الاصبع العدواني (٥) وإذ تلتفت إلى وجه المغني الخجول يغالبنا يقين مؤداه ان القلب العجيب معادل موضوعي للشاعر (هو بدل كل من كل) وشفيعنا فيما زعمناه ان وضع (العدواني) محل (القلب) لايغير شيئاً من مفردات الصورة الحسية ، فالقلب (الشاعر) يقاوم عنجهية العدو ولا يخشى وقع خطواته ، لكنه يستسلم مخذولا أمام الجمال (الصبوة) فتتبادل الصور مواضعها !! فالصبوة (= الجمال + المرأة + الرغبة) تستحيل اسداً (بالاستعارة) والقرينة (تهصر) والشاعر المقاتل العنيف يرى حتى يستحيل طريدة للجمال في اطار يعشق بين الغنائية والموضوعية والهمين الوطني والابداعي مضاء بتفاؤل طاغ تنهض له سمة الحكاية التي القت ظلالاً مبهرة على القصيدة فالغت (أوكادت) المسافة المرهقة بين المستقبل (المتلقي) والباث (الشاعر) بيقين ان انحياز الآخرين مرهون بمفردات التشويق التي تستثمرها القصيدة .

يامن لقلب شديد الهم محزون ـ أمسى تذكر ريّا ام هارون (للديوان ق ٢/ ب ١ / ص ٨٨)

• الصورة الذهنية (ثالثاً)

ـ في ملحمة البسيتين ـ نوري حمودي القيسي (الدكتور) ـ القيت من اذاعة بغداد

توليتها والعزُّ في سوحها عذبُ	واغنيتها والفخر تعرفه العرب
وخضت سراياها عزيزاً تشدّه	أواصرُ لاينفكُّ عن شدّها قرب
وجزت بصوت الاقتدار مرابضاً	يتيه بها من صمت غرتها الركب
تسجّل في ساحاتها اروعَ الفدا	وطعم الإبا والنصر والملتقى عذب
وانت تخطّ الفجرَ زهواً مخلداً	يرفُّ على أقداره الصارمُ العضب
.. هي الحربُ ماضاقت علينا دروبها	ولا حالَ عن ادراك غايتها صعبُ

المقطع الذي انتقيناه أنهاه الشاعر إلى المقاتل العراقي ، وبين الشاعر والمقاتل لوحات ذهنية شتى (العز + العذوبة + الفخر + المعرفة + العزة + الاقتدار + التيه + الفداء + الاباء النصر + الخلود + الأقدار + الإدراك + الغاية) ويمكن صناعة جدول نختزل به الصور أو نكثفها لنشكل لوحة كبرى هي (المروءة المنتصرة في ملحمة (البسيتين) كما المحنا سابقاً

فإن الصور الذهنية متخيلة في نسج ضبابي لا تستبين فيه الملامح ولن تستبين فليس له سوى تحسيس الصور الذهنية وهو ما سعت اليه قصيدة الدكتور الشاعر فقد ثمّر فكرته عناقيد صور مشرقة متفائلة ، فالمقاتل العراقي سليل اصيل للمقاتل العربي (أواصر لا ينفك عن شدّها قرب) المقاتل هنا زمن داخل الزمن وبهذه المزية ينهض الفعل الهائل لصناعة المعجزة الكونية من خلل بلاغات الاستعارة (وأنت تخط الفجر) و (تخط) هنا تشكيل (تبدع) أو (تصنع)، المقاتل يبدع الفجر ويصنع منه (زهواً مخلداً) وهذه خلاصة صعبة في باحورة الصورة، فالفجر أقرب إلى الصورة الذهنية منه إلى الحسيّة فيتحول (زهواً) والنعت كما نعلم إيضاح وبيان للمنعوت ، النعت معلوم لمنعوت اقرب للمجهول فلماذا عرّف الذهني بالذهني ؟ المنعوت (زهواً) والنعت (مخلداً) واستكمالاً للتشكيل الذهني بصنع الشاعر طيراً اسطورياً ببيئة الصارم (الاستعارة) لكي (يرفّ على أقداره) ثم يلغي القيسي المسافة بينه وبين المقاتل فتتحد انت وأنا في (نا) :

(ما ضاقت علينا دروبها)

٢ — عن الفتى كريم إلى الشهيد الملازم كريم يوسف الذبحاوي / عدنان الصائغ الجمهورية ١٨/٧/١٩٨٥

«يا عذارى ابي صخير / إن جاءكن كريم .. الفتى القروي
على كفه قمر وعراق / محنّى يدم
فأحملن صواني الشموع إلى عرسه
ثمّ حنّين من دمه المستطاب جدائلكن
فما كان يعشق إلا الأقاحي ونخل المحاجير
والخصلات المحناة في ليلة عرس
ما كان يحمل في روحه / غير وهج العراق
إلى نخلة في المحاجير طار الحمام»

اذا اردت ان تشكل لوحة مركبة فلابد ان تكون مفرداتها بسيطة والاخرجت اللوحة من اطار القصيدة لتدخل اطار النثر ، وذلك التشكيل الواعي هو ما اسمه عدنان الصائغ الذي رثى الشهيد الذبحاوي عاشقاً سبيله في الموت ، الموت في الصورة ليس مخيفاً بل هو أليف واعتيادي ، والميت ليس جدثاً ليحتويه التابوت ، انه الميت الحي ، الشهيد الخالد ، صورته في مرآة القصيدة تشرق بالفتوة التي لا تشيخ والمروءة التي لا تنفد من اجل هذا (يتضعضع) صبر عدنان واحتماله حين يلبث هو ويمضي صديقه كريم ، كان عدنان يشيّع بعضه، وإذا

كان ذلك صحيحاً فلابد من ان يعنى الصائغ بطقس التشييع فيصرخ بملء رئتيه في وجـوه العلاوات اللواتي اذهلهن رحيل كريم الذبحاوي ، صراخ الصائغ يعيدهن إلى الصحوة لأن كريم غاب ليعود وعلى كفه المحنى بالدم (قمر وعراق) فليحملن صواني الشموع في مهرجان زفاف الشهيد وليحنين جدائلهن بدمه ، وإذا تهيأ لقارىء هذه القصيدة ان يـرى المحاجير وهي قصبة ريفية على رمية عصى من قضاء المناذرة فإنه سيرى جنة عراقية اسطورية قوامها النخيل والماء والعصافير وعبق التنانير وشجي المطبخ ، الشاعر الصائغ والشهيـد الذبحاوي نخلتان من المحاجير ، وبكاء الشاعر المقاتل عدنان الصائغ على الشهيد إن هو إلا حوار نخلتي حلوان ، هو الهوسة التي يتقنها الرجال فتستحيل إلى كبرياء وغب كل هذه الصور ثمة اللوحة الكبرى (الشهادة سبيل النصر) (الحلم سبيل الواقع إلى التوقع)

٣ — تموز والفرسان بشرى البستاني / جريدة الحدباء الموصلية ٢٣/٧/ ١٩٨٥

ويا ايها الورد العراقي المصان ..
يا ايها القمر العراقي / الخزامى والبنفسج والعرار
يا ايها الصقر المضمخ عنفوان
افديك من حزن ومن وجع
ومن ليل يخاتل . / يا ايها القمر المقاتل
لن تسقط الرايات عبر مضارب الفرسان تخضر السنابل
ويداك تومىء للدجى فيظل فجرك بالمشاعل
نشوى تلم ضفائري / فتفيض في الليل الجداول
يا ايها القمر المكابر
اشرق فهذا الليل كافر / اشرق فهذا الصد كافر،

بشرى ابنة الموصل مدينة الربيع الاسطوري والخضرة الدائمة ، فهي تعرف انماطاً مـن الزهور بين البادية والمدينة (البيبون الخزامى البنفسج العرار) وهذه وسواها من مفردات المدينة الطبيعية والطقوسية (السنابل المشاعل الجداول) الصورة الذهنية الأساس هي (الحب) الـذي يأتي ببيئة مقاتل يوحّد همه الفردي بهمه الجماعي ، وببيئة الورد والقمر والصقر ، وثمة نقلة من صورة ذهنية إلى أخرى ذهنية اي أ (الحب النصر) وهما جدل الفارس وزهوه، وإذا حسست بشرى صورها الذهنية انبثق القمر العراقي (استعارة حذف منها المشبـه — المقاتل — وظهر المشبه به — القمر — ثم لبثت القرينة وهي : العراقي/ المقاتل) ثم تدخل الشاعرة في اللوحة التي رسمتها ريشتها مفردةً ذات علوية ،تدخل لوحتها لتحاور الفارس

الحبيب فتخاطبه لنستعيد مشهداً ماضياً في مخيلتنا / ويدا تومىء للدجى / فيظل فجرك بالمشاعل / نشوى تلم ضفائري / . هذه الصور الصاخبة الملتهبة يمكن ان تشكلها ترجمة الشاعرة لها بصورة المعادل الموضوعي (فتفيض في الليل الجداول) جداول العشق الانتظار الفرح ، جداول الذات والموضوع وليظل الفارس الحائل كما تتمناه الشاعرة شمساً تبدّد (كفر) الليل والصدو د

٤ ــ بغداد سفر مآثرنا الحاضرة ــ عاتكة وهبي الخزرجي (الدكتورة) الجمهورية ١٠ ــ ٨ ــ ١٩٨٥ .

إذا قيل بغداد قيل الاباء وقيل العلى واليد القادرة
وقيل آنبعاث لعهد جديد يعفي على الأرسم الدائره
وقيل بدور نجلّ بها تنير طريق الفدا ساهره
وقيل صقور بأجوائها تربّصُ كالأنجمِ الدائره
وقيل بها كلّ قرم جليل جميل كطلعتها الباهره
إذا قيل بغداد قيل الاباء يسوقُ العداة لها صاغره
وبغداد نور وبغداد نار وسفر مآثرنا الحاضره

البحر المتقارب كما يتهيأ لنا محاكاة لسجع طائر الفاختة ، هذا الطائر الذي يعزف جملا نغمية عميقة العذوبة (يقوقي يقوقي) متحركان فساكن + متحرك فساكن إذا كنا لمجرد سماعنا نواح الفاختة نشعر برغبة للبكاء فلأن ذلك قريب الذبذبة بهدهدة الأم واغاني التنويم عندها فكيف لانتأثر حين تنجز الشاعرة لوحة بغدادية تؤكد باليقين للمتلقي ان بغداد هي الاباء العلى القدر الانبعاث الجديد التجلي الفداء الجلال الجمال الابهار النور للنار المآثر ..... سبعة ابيات انتقيناها يبدأ أولها (إذا قيل) ثم تتكرر اللازمة بحرف العطف والفعل الماضي المبني للمجهول ! هذه اللوحة البغدادية اعتمدت كثيراً من الصور الذهنية كما المعنا وقليلاً من الصور الحسية ثم سعت الشاعرة بذوق متميز لتأطير اللوحة بالنور والنار العراقيين ، نور البركة العراقية حيث تفيض على الطيبين ونار الغضب العراقي حين يزمجر بالوعود والراجمات ، وسعت بذات الذوق الى بثّ الوان حارة وبارده وخطوط خشنة وناعمة بإيقاعات البحر المتقارب (فعولن فعولن =يقوقي يقوقي) فكانت البانوراما التي تتعانق على أديمها أقانيم الزمان الثلاثة فاذا السماء محمية بالصقور والارض بالعشاق المقاتلين ، بانوراما كبيرة حق للشاعرة ان تلخص بغداد من خلالها بـ(سفر مآثرنا الحاضرة)

٥ – بيت دافيء – اسمه العراق – عيسى حسن الياسري – مجلة فنون ٧نيسان ، ١٩٨٦

•من فزّز الارض النبية
من ايقظ الشطآن من اغفاءة الحلم اللذيذ
من جرّح الموج المسافر نحو احضان الضفاف
من أقلق النخل المغني بين أحداق الصغار
لاياعراق ...
الليل كل الليل .. لن يمحو خطى هذا النهار
(٢) لادفء إلادفءُ بيتك ياعراق
لاشمس إلا شمسك المغسولة الأهداب بالمطر الأليف
ياأنت يابيت (الهلا) قد مزقت خجل الضيوف
ياصوت أمي إذ تهدج بالهلاهل والدفوف
من ياعراق
من يطفيء القمر المناوب تحت نافذة الحبيبة
أويكسر الريح الرخية
وقلوب عشاق الجنوب سياج بصرتك البهيّة •

هذه قصيدة بالغة الخطر ، فهي تكثف المجلدات في كلمات والعواطف في قبلة والمساحات في هدب والأزمنة في وهلة ، وإذا كانت الصور الفنية تتقارب ثم تتحابب ثم تتجاوب ثم تتصالب ثم تتداخل لتشكل (بعد هذا الجدل) لوحة اللوحات (اعني الذهنية) فإن صور عيسى حسن نمط آخر ، انها وبمهارة فائقة تلقح اللقطة الحسية باللقطة الذهنية) فيكون الجنين صورة ثالثة لاتشبه الاولى ولاالثانية !! فكيف حدث هذا الحدث؟ الياسري عيسى منماز بالاسئلة الخارقة وقاريء شعره (له دواوين عديدة) يعرف جيداً ان هذا الشاعر يلمس أداة الاستفهام (من فيحيلها شيئاً يعجز الآخرون (المقلدون) عن محاكاته وان نجحوا فبشق النفس ، عيسى نجح في تشمير (من) : من ايقظني الساعة من موتي(هذا مطلع مشهور لعيسى) . الذي تماثل هنا فلم يهتف أويصرخ أويقرر ، دخل الموضوع الوطني الساخن كما تدخل القبلة وجدان العاشق فيزداد نبضه وسعيره ، لمس مفردات الوطن فتوقدت النار تحت جلد المتلقي ، فالشمس مغسولة والمطر اليف والهلا ساحرة والريح رخيه والنخل مطمئن مغن ، اذن ثمة علاقات جديدة بين الصورة والصورة ،

الكلمة والكلمة الذاكرة والتوقع وثمة بلاغات جديدة ، ومجترحة بين المشبه والمشبه به بين الاستعارة المكنية والاستعارة التصريحية ، وبين التلميح والتصريح ، تنهض لها مشاعر نضجت حتى كاربت الاحتراق ، مع هذا السلوك الابداعي ينسى قطب العملية الثاني (المتلقي) تريثه وتلبثه وينحاز الى النص فيكون الاثر الفني الحسي مبيلا لتخليق التأثير الوجداني الذهني فتكسب المتلقي الى القضية ونضمن انحيازه الذوقي الجمالي لنقاء المغزى الذي يسعى المقاتل العراقي العظيم الى تأثيله .

٦ — راضي مهدي السعيد — الرقم — الأقلام كانون الثاني ١٩٨٥

«لاتكابر — لست الاواحداً من الف جوّاب وعابر

...ايها النابت من هذي الرمال السمر خفقاً عربياً

ماتغني بسماء الغرباء

أيها المسكون بالعشق العراقي امايكفيك ان

تحمل من نبضك من جلوة اعماقك شارة

لتراب انت لاتملك الا أن تسلّ الروح في محرابه صوت انتماء

لايخون الدم أو تنكره حين تجيء الريح .

صفراء وتنشي الساح غاره»

هل خدش كبرياء الشاعر أحد بكلمة فاخرة عابرة؟ كل مانديه ان بركانا يمور تحت جلد الشاعر وهو الفتى العربي سليل الكبرياء العربي ، انه يخاطب أحداً أذن هو يخاطب نفسه — بالالتفات — فالشاعر القضية حلول في كل الضمائر الغائبة الحاضرة المخاطبة المتكلمة المفردة والمجموعة هو يرسم صورة لكبريائه العروبي من خلال أداة مباركة (أيها) فنرى الشاعر سنبلة ازلية تطلع من شقوق الرمال السمر لتميس زهواً مع النسيم المسالم اوالعصف الغاضب فإذا أثمرت هذه السنبلة مئات البيادر فلتتذكر السنبلة المبتدأ والمنتهى كما يتذكر الشاعر دمه الذي لم يخذله ولن ، الصورة هادئة هانئة والوانها مألوفة شفيفة ثم يتفرقع صوت التوقع ، تهتز اللوحة بألوانها وخطوطها ومفرداتها الدلالية في (حين تجيء الريح) والريح شر والرياح خير ، أذن الريح صفراء والصفرة غيرة وغدر وموت فتقاوم السنبلة زحف الرماد والجراد والتراب ، نلاحظ ملايين السنابـــل ، ملايين الفتيان العرب الذين يطربون لايقاعات تحذير الشاعر (وتغشى الساح غاره) وتكـــون نهايات اللوحة ودلالاتها ان الانتماء ليس عــرضاً انه اتحاد العاشق بالمعشوق والثمرة بالبذرة .

٧ — قصائد — (مرثية الشهيد) — جواد الحطاب — الاقلام أيلول ١٩٨٤
وعرفتك مت" — لأني رأيت الرياح
تعض" البنايات والناس والارصفة
ورأيتك تصحب مفرزة الموت
نحو ضواحي الشهادة
تيقنت انك مت" لأني
شممت دماً في الرياح
وقابلت عشر جماجم — ينثرن فوق سطوح البيوت القديمة
زهور الولادة — الصباح الصغير المهشم فوق بلاط الشوارع
ومرج الجواد المدمّى — وفوضى المدافن
— وهي تهيء اعراسها لمراسيم تتويجك الأبدي — »

إذا سألتني لماذا امتاز جواد الحطاب في قصائد المعركة وبماذا ؟؟ اجبتك دون تردد بصوره الفنية المتوهجة امتاز . فهو فنان يتقن اسباب الصنعة ويعرف اسرارها ، لقد اخترنا — مرثية الشهيد — لنجعلها همزة وصل بين المتلقي وصور الحطاب الذهنية المشوّقة الشهادة هي الخلود الشهادة هي النص الشهادة هي السحر الذي يحيل لحظة الموت الى لحظة ولادة ويحيل صفرة القيظ خضرة الربيع ، هنا نعرف كيف اتخذ الشهيد من الكون ← الوطن معراجاً نحو اللامستحيل ، الموت الاعتيادي — حتف الانف — في الشعر بكاء وعويل وفناء ويأس والموت اندلالي نقيض تماماً للموت الاعتيادي عـــلى مساحتي الواقع والابداع ، فاذا ذاق المتشمم عبق الدم في الرياح ادرك ان مهرجان الموت بدأ باحتفالية للشهيد الذي سيتوج ملكاً لكل الازمنة والامكنة والفتيان وقد حشّد الحطاب مفردات ذهنية عديدة منها المعرفة + الموت + الشهادة + القديمة + الولادة + الابدي . ومفردات حسّية على هذا النحو : رأيت الرياح ← بصري + لمس
تعض البنايات ← لمس + بصري

شممت دماً ← لمس (اساساً) ثم شمي" بالتراسل (بتبادل الحواس) لقد اسس للذهن مفردات مهيئة للصور تماماً .

٨ — ثانية تنهض ذي‌قار — منذر الجبوري — آفاق عربية آذار ١٩٨٦ .
« يقولون نحن حرب .

وتلك سيوفهم المتعبات من الغمد تنعى الرجال
وتلك مضاربهم يتناهبها الغرباء
وتعول فيها الرمال / وتلك .. الأمرّ — انهم يدّعون العُلى
ويغوصون في العار حدّ الركب ..
يقولون نحن عرب ..

• فالوطن الناهض فوق ركام الألام
والوطن النافض عنه غبار الأيام
ينهض يعلو / يزهو حتى يسمو فوق الشعر
ويسمو مقتدراً فوق الألام
ويعاتب في همسِ حبيبٍ
رغم الجرح
دمشق الشام»

الشاعر ليس ضيفاً على ذي قار ، لقد عرفها ودوسها وكتب فيها وخاض مع السلف غمارها كما الخلف ، فإذا قامت القادسية الثانية نهضت في وجدانه ذي قار ، وإذا نهضت ذي قار نهض معها الهم العربي القديم ، في كل زمان عربي ومكان ، في كل معترك حضاري ومفترق ، ثمة فريقان : الاول بوجوه بيض وانوف شم والثاني بوجوه سود وانوف فطس ، فلماذا جمع الجبوري الاجداد والأحفاد وقابل الأنداد ؟؟ انه يؤشر يقيناً ويؤطره (الاحجام والشرّ قديمان) (الاقدام والخير قديمان) واذا كانا قديمين فقد باتا بالضرورة جديدين ، الزمن ثابت ومتحول ، شيبان تعرف الوجوه البيض وتميزها وتعرف كيف تعاتب في (همس حبيب) (ورغم الجرح) روابي الشام التي تتذكر احفاد شيبان حين عبروا الحدود اليها وجواز سفرهم بنادقهم الغاضبة التي صنعت مع البنادق العربية الأخرى نشيد النخوة ، منذر الجبوري يرتفع بالايقاع النفسي النغمي شيئاً فشيئاً ، فالبحر المتدارك الذي اجترحه الاخفش من وقع حوافر الخيل يمنح الصور الفنية (اوبرالية) عذبة تشد الصور الذهنية بالحسّية .

• **تأسيس (أول) —**

ومن حصيلة غصني الصور الفنية (الحسّية + الذهنية) وجدنا ان للشعراء افانين في ذلك ، فهم يرسمون بالكلمات والموسيقى وفق نسق من الصياغة يحول اللحظة المألوفة لحظة فائقة فالقصيدة المقاتلة هي اولاً وقبل كل شيء قصيدة ذات انتمائين توأمين ، لا حياة للواحد إلا

بالآخر ونعني بالانتمائين انتماء الشعر وانتماء القضية ، فإن تستوفي القصيدة المقاتلة شرط الانتماء الأول وتتخلف عن شرط الانتماء الثاني فذلك هو الكلل الذي يبعدها عن الغاية التي بدأت بها وسعت اليها ، كمن تستهويه الوسيلة وتنسيه الغاية ، وان تستوفي القصيدة المقاتلة شرط الانتماء الثاني وتعجز عن شرط الانتماء الاول فذلك هو المنزلق الذي يبعدها عن مشروعية الغاية التي تتطلب أول ما تتطلب وسيلة بمستواها جمالاً واتقاداً وقد المحنا في البدء ان الغاية العظيمة لا تشفع لقصيدة لم تستكمل شرطها الابداعي التقني ، ولماذا نثقل القضية بقصائد باردة هامدة ؟

يمكن القول ان كل الدراسات التي تناولت القصائد الملتزمة عامة أشرّت هذا الشرط المبدئي (الاديب والالتزام) : الكتاب الاول محمود الجومرد والثاني د. نوري القيسي

فإذا اردنا استزادة من تفاصيل وفق الاطارين : العام (الحرب) والخاص (القادسية الثانية) فثمة كتابات يمكن الرجوع اليها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- اوليات شعر الحرب عند العرب د. نوري حمودي القيسي ، جريدة الثورة ١٩٨٢/١٠/١٥
- قصيدة الحرب وأفاقها الانسانية والقومية في العصر الجاهلي د. محمود الجادر ، ملحق القادسية ١٩٨٢/١١/٢٧
- الشعر العربي والتحدي د. سلمى الخضراء الجيوسي ه الاقلام ، آب ١٩٨٥
- قصيدة الحرب في العراق . المنصف الوهايبي . الأقلام آب ١٩٨٥
- الحرب في الشعر العراقي الحديث من الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٨٤ يحيى زكي عبد العبيدي (اطروحة ماجستير) مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد
- قصيدة الحرب : المقدمة (التجربة والفن) طراد الكبيسي ، الاقلام ، آب ١٩٨٥ وانظر للكاتب ايضاً : مقدمة في شعر الحرب ، الثورة ١٩٨٥/٩/٩
- قصيدة الحرب في العراق خلدون الشمعة . الأقلام ك ثاني ١٩٨٦
- صحيفة لقيط : مجلة الطليعة الادبية شباط ١٩٧٩ عبدالاله الصائغ

- **تأسيس (ثان) —**

وغب هذه الاستزادة وتنسيقاً مع المثل العربي المأثور : ولا ينبئك مثل خبير ، لاحظنا الشعراء بعيداً عن احضان القصيدة بعبارة أخرى لاحظنا شعراء المعركة الذين تنبهوا او تبهتهم مواهبهم الواعية إلى أهمية التشويق في كسب المتلقي ورفد للمعركة ، لاحظناهم في مواجهات

صحفية يؤكدون قيمة الابداع الذي اعتدناه (الانتماء الأول) وصناعة جدل صريح بين الشكل والمعاني الثواني (معاني المعاني) من جهة والغرض الأساس من جهة أخرى فهم (الشعراء الملتزمون) يؤكدون في المواجهات الصحفية ان الشاعر ليس ضيفاً على المعركة يوثب الحماس ويهتف للنصر ويشدّ على الأيدي ، وانما الشاعر مقاتل بالتأكيد سلاحه مضاء الكلمة المشرقة التي تسابق الرصاصة ولهم في تراث اسلافهم الشعراء دليل فعل لا يخطيء فضلاً عن مناخات التجربة المضافة الجديدة .

واذا كان ذلك كذلك فينبغي ان نتأكد خصوصية الصوت الشعري في لهب الإبداع والمعركة ، الخصوصية التي تعدد وجهات النظر إلى القضية ولا تبددها ويمكن (للمثال حسب) ملاحظة المواجهات التالية :

- علي الحلي / الشعر تعبير عن الثورة وقضايا الإنسان / الأقلام ، تموز ١٩٨٥ وانظر علي الحلي / الانطلاق من الموقف الملتزم / الجمهورية ١٨/٧/١٩٨٥
- كمال الحديثي في حوار عن الثورة والتقاليد / آفاق عربية تموز ١٩٨٥
- يوسف الصائغ / حوار عن الانسان والشعر / القادسية ٣١/٨/١٩٨٥
- سامي مهدي / المعركة اكبر من كل الدواوين الشعرية / الف باء . ت الثاني ١٩٨٥
- عبد الرزاق عبد الواحد / الإبداع إحساس مطلق بالحياة / الأقلام ، آب ١٩٨٥

تأسيس (ثالث) —

وما قدّمناه من تطبيقات على اعمال نصّية لأربعة وعشرين شاعراً يمثل مكنة البحث في المواجهة كيفاً وكمّاً ، بيقين اكيد ان هذا التقديم لا يعفي البحث من ملاحظة أفانين شعراء كثيرين كتبوا حبهم للوطن من خلال التجاوب مع اطروحة المعركة واضعين في ضمائرهم همّاً كبيراً هو صناعة قصيدة ذات تأثير كبير على المتلقي من خلال هبات التشويق (حوار الزمن ، الصورة الحسية ، الصورة الذهنية ، العبارة ، الإبهار بالمفارقة .: الخ) وربما أسعفنا الوقت والعمل لكي نصنع مواجهة نقدية اخرى تتناول نصوصهم وتأثيلا للتأسيس الثالث (الاعتذار) ننوه بأعمال الشعراء الذين وضعوا الاثر الفني على سبيل التأثير الوجداني ، الشعراء الذين لم استطع الآن على الاقل التوفر على كتاباتهم وتوثيقها .. وهم (ببليوغرافية أولى) :

- عبد الهادي عباس (دائماً يرتقي الشجر + صرخة الرفاق
- غزاي درع الطائي (أشواق البرتقال + فؤاد العراق + ازهار الجنة + الف لام ميم)
- محمد حسين ال ياسين (القصائد التي قدمها تلفزيون بغداد)

- عبد المطلب محمود / قصائد
- فوزي السعد (قصيدتان + إلى من يهمه الامر + في انتظار العبوة الناسفة)
- عبد الرحمن مجيد الربيعي (صلوات لحلم يوشك على الاكتمال)
- محمد راضي جعفر (أبي)
- عبد الوهاب اسماعيل (قصائد ..)
- علي الياسري (القصائد التي قدمها تلفزيون بغداد) .
- زياد هاشم يحيى : القمر عند السائر
- مزاحم علاوي (شعر..)
- عمار عبدالخالق (تقاسيم بصوت الناي
- ابراهيم زيدان (سمفونية اليقين)
- عبدالكريم راضي جعفر (اربع قصائد)
- محمد حنون شربة (قصائد..)
- طالب عباس هاشم (قصائد)
- شريف هاشم الزميلي (قصائد ورجز في المعركة)
- ضياء مهدي (الاخت الما عادت من سوق الخضار)
- فاضل عزيز فرمان (سواتر عراقية)
- علي الحسيني (الغضب + شاهد من مخيم برج البراجنة)
- منذر آل جعفر / ياسيد الارض
- محمد صالح عبدالرضا/ المحارب
- عبدالستار عبدالثابت/ في الفاو احترق الكائن الغريب
- يونس ناصر عبود/ قصائد
- رعد عبدالخالق/ شعر
- علي الطائي/ الجنود
- عبدالجبار الدوري/ قصائد
- اديب كمال الدين/ قصائد
- محمد مردان /قصائد
- سالم الخباز /قصائد
- وسمية محيبس زاير/ قصائد

- علي الغوار / ضباب الأضرحة
- كاظم الخلف / الشهيد
- خليل الأسدي / صلاة
- عادل الشرقي / شعر في الجبهة
- عبد الجبار الكواز / قصائد من الجبهة
- حامد القيسي / قصائد من الجبهة
- صاحب خليل ابراهيم / قصائد
- كامل النعيمي /قصائد
- كاظم الحجاج /قصائد
- محمد حسين المحتصر / قصائد في الشهادة
- محمد صابر عبيد/ قصائد
- عبدالمحسن عقراوي/ قصائد
- أمين جياد/ قصائد
- كزار حنتوش/ الطفلة كفاح وقصائد اخرى
- ارشد توفيق قصائد
- طلال عبدالرحمن =
- حميد الخاقاني =
- ميسر الخشاب =
- كمال سبتي =
- هشام عبدالكريم =
- محمود التكريتي (الدكتور) =
- مؤيد عزيز =
- الاسماء التي اوردها البحث ليست كاملة فثمة الكثير من الشعراء الذين غنوا للمعركة وتميزوا ، بيد ان للبحث منهجاً اولا وحصر كل الشعراء عملية عصية ثانياً فاقتضت الاشارة (الباحث)

تأسيس رابع

حاولنا في هذا البحث تأسيس نظر منهجي لرصد النصوص التي تمتلك حداً مناسباً من وعي التأثير – التشويق وفعله في أطار ابداع الشعر ونحن نعلم الذي يلي في الفقرتين ١+٢ ولكن ثمة اسباباً تخفف وزر التقصير.١ : ان النص ليس مكرساً لأي حالة درسته من خلالها، فمثلاً النصوص التي لاحظت الزمن من خلالها صالحة لملاحظة الصور الذهنية أو الحسية فضلاً عن العبارة والمفارقة والعكس صحيح أيضاً .

ف٢: ملاحظ التأثير – التشويق كثيرة وهي بالتأكيد ليست محصورة بالزمن والصورة. والنقاد المختصون يعرفونها ويعرفون مناهج تطبيقها

نحو: الاستعارة بأنماطها والكفاية هذا على صعيد المجاز

ونحو: التشبيه على صعيد الواقع

ثم الحلم والاسئلة والتكرار والاقتران والقسم والتوكيد والاسطورة والمثل والنفي وتداعي الحروف..

س: فلماذا نعالج النقاط الاخرى في البحث ؟

ح: الغاية منهجية بمعنى اتباع مقولة نظرية صالحة للتطبيق ، فضلاً عن اني مارست اختصاص (الزمن + الصورة الفنية) ولم اشأ أخذ اختصاصي واختصاص غيري .

فاذا عدنا الى مساحة انتقاء النصوص العريضة ادركنا استحالة التوفر على كل نقطة فكان الاختيار – والفن اختيار –

- **الخاتمة ونتائج البحث –**

وبعد ...

فهذه الرحلة الطويلة تقتضينا توصيفاً موجزاً للبحث كي نجمع الشتيت وندني البعيد ونفك الشديد ، وهو طموح على اية حال ..

(الزمن)

(أ) نظرة الشعراء للزمن نظرة نسبية ونفسية ،فهو كما هم جمالا أو ايحاشاً طولا أو قصراً

(ب) الشعراء يجسمونه (يجعلونه محسوساً جماداً أو نباتاً أو حيواناً) أو يجسدونه (يجعلونه انساناً) من خلال الاستعارة والحلم لكي يسلطوه او يتسلطوا عليه.

(ح) النظرة الأساس للزمن – في شعر المعركة – متفائلة ؛ فالشاعر موقن ان المقاتل سيد الزمن وأن الايام تعرف اي نمط من رجال التاريخ هو .

(ذ) اختلفت زوايا الالتقاط الزمنية عند الشعراء ، بعضهم نظر الى الزمن من كوة الفلك والاخر توسل اليه بالحدث او الشخوص .

(ه) المعركة زمن داخل الزمن فاذا تلكأ الزمن لسبب وآخر نهض المقاتل ليرسم الزمن الذي لايتلكأ .

(ه) يضطر الشاعر لاسباب فنية زرع الزمن في أنبوب الميتافيزيقيا بيد ان الحصيلة الكلية لرؤيته الزمن ليست غيبية بل هي علمية موضوعية .

(الصورة الفنية) أو الشعرية أو الادبية

ا – للقصائد المقاتلة ولوعة بالصور الفنية بشكل عام لوعي الشاعر بأهمية التصوير الفني في التأثير الوجداني .

ب – الصور الفنية الجزئية حسية في معظمها وبخاصة الصور البصرية واللمسية والشمية اما الصور الكبيرة أو الكلية فهي ذهنية كما هو معلوم .

جـ – ألوان الصور هي الوان الميدان والجبهة وهي صارخة حارة اما الخطوط فهي تشاكل حالة النفس جلاء أو غموضاً

د – تتألق الصور في القصيدة المقاتلة من خلال صناعة الأضداد والقرائن والتكرار وتنميط الايقاعات .

هـ – وتتنفس الصور الفنية حريتها في فضاءآت الحكاية حين يكون الحدث بطـلاً والانسان شاهداً ومبدعاً وتبدأ باداة النداء الظاهرة أو المقدرة :

و – تستثمر الصور الفنية في قصائد المعركة مفردات المورورث الشعبي استثماراً عالياً نحو الطقوس والتقاليد وما يترتب على المسافة بين الحالين .

ز – يروق للشاعر تأسيساً على الفقرة (ه) صناعة حوار بين الأحداث والشخوص والمرئيات والأفكار بعامة تنتهمر من سمائه عناقيد الصور الفنية :

حـ – الصور الفنية بسيطة وصافية ولن يلجأ الشاعر الى التركيب والتضبيب إلا في حالات يتهيأ له انها تخدم فنية القصيدة .

ط- تختلج الصور الفنية بالأحلام مما يضفي عليها سحراً و جمالا آسرين ، فالصورة مجنحة تغري بتغليف صور اخرى في مخيلة المتلقي .

ي- المونولوج يبدأ طقساً في الخندق او لحظة يتوحد المقاتل مع نفسه قبل بدء الهجوم أو عقبه فيمد الشاعر جسراً بين قطبين الواقع والتوقع اليقظة وحلمها .

ك - ثمة تقابل بين صورتين نقيضين يسعى الى خلق صورة ثالثة ذهنية تماماً ترتدي فيها المفردات الذهنية لبوساً حسيّة .

ل - تلبثت معظم قصائد المعركة عند صورة الشهيد قبل الشهادة وخلالها وغيرها بما يجلو الشهيد انساناً اعتيادياً جداً واستثنائياً جداً ، وتلبثت عند الصور التي أحبها الشهيد مثل ((الأم - الحبيبة - الأطفال - البيت - المحلة - النخلة - العصافير ....)) .

• مسك البحث -

هذا ماقدر عليه جهدي واجتهادي ، والمرء ابن هذين فان قصرت اليد فما من احد قبلنا ادعى الكمال لنفسه وإن وصلت فالحمد لله اولاً وآخراً .



الفكر العربي الاسلامي والمسرح

د. عمر الطالب
جامعة الموصل / كلية الآداب

اختلف الباحثون في ارائهم حول وجود المسرح عند العرب قبل عصر النهضة العربية : فمنهم من اكد عدم وجود الفن المسرحي عند العرب من قبل . ويرجعون ذلك إلى عدة عوامل :

١ – عدم تمتع العرب بعقلية تحليلية كاليونان والافكار عندهم لا ترتبط فيها النتائج بالاسباب بشكل متسلسل ، وان العربي ليس مبتكراً (١) . وهذا ما تؤكده سوير قلماوي بأن العرب بطبيعة عقلهم ينظرون إلى الكليات ولا يميلون إلى التحليل ، والمسرح يعتمد على العقلية التحليلية لا التركيبية ، لذا لم يعرفوه حتى وصلوا إلى اصطناع العقلية التحليلية بالمران على العلوم والمعارف (٢) وتذهب استاذتنا الفاضلة في مذهبها هذا مذهب المفكرين الغربيين مثل جوبينو وريتان القائل بأن العرب ككل الساميين يتمتعون بعقلية أدنى من عقلية الآريين ، لأن العقلية الأولى مفرقة غيبية لا تتوقع غير المعجزات بينما العقلية الآرية موحدة وجامعة (٣) . وهو قول لا يحتاج إلى رد لأنه مدحوض من الناحية العلمية فلا فرق بين العقلين السامي والآري لأن العقول واحدة ما دامت سالمة ، وما هو غير ادعاء استعماري لتبرير استلاب خيرات دول العالم الثالث .

---

(١) العرب والمسرح ص٢٣–٢٤
(٢) المجلة المصرية ، ١١١ ، ١٩٦٦
(٣) أضواء على الفكر العربي الاسلامي ص٩١–٩٢ .

٢ ــ مادية العربي وضعف الخيال لديه فالعربي بحسب ما يراه محمد مندور : «لم يكن رجل خيال محلق كسكان الجبال والغابات حيث يسبح الخيال إلى القمم او ينطلق بين الدروب الكثيفة الاشجار فيتصور انواعاً من الكائنات التي لا يراها ويخلق خياله ضرورياً من الحيوانات الاسطورية والقصص الخارقة وهو رجل يقول الشعر لينشده وكأنه يلقي خطباً تهتز المشاعر لا مجرد ناقل لفكرة أو احساس (١). » ويردف بأن المسرح يقوم «على خلق الحياة والشخصيات وتصور المواقف والاحداث لا مجرد الوصف الحسي الذي يستقي مادته من معطيات الحواس المباشرة ولا يلعب فيه الخيال الا في التماس الاشباه والنظائر ومد العلاقات بين عوالم الحس المختلفة عن طريق اللغة بفضل التشبيهات والاستعارات والمجازات المختلفة» (٢) . ومن الثابت ان الطبيعة في الوطن العربي تكتنفها الغابات وتسمق فيها قمم الجبال الشماء . وتتلون طبيعتها اكثر من تلون الطبيعة الأوربية . وان العربي اهتم بالخيال في آدابه وعبّر عنه ببساطة تناسب حياته بأن اعذب الشعر اكذبه ، أي أشده خيالاً . وخلق عالماً من الجن والشياطين وعدّ لكل شاعر شيطاناً وسمي الوادي الذي يسكنه شياطين الشعراء بوادي عبقر ، كما صور الغول والعنقاء والوحوش الخرافية وتداولها في ادبه وفي اساطيره ، وهكذا نجد ان حجة استاذنا مندور لا تصمد امام الحقيقة .

٣ ــ لم يعرف العرب الاستقرار في جاهليتهم في مدن وحواضر في إطار نظام اجتماعي قبلي تذوب فيه شخصية الفرد بالجماعة ، مما يعدم امكانية وجود أدب تمثيلي . وكان الشعر الجاهلي في عهد الاستقرار هو المثل الأعلى (٣) . وقد ذهب محمود حامد شوكت هذا المذهب بقوله «اسباب الانصراف عن هذا الفن عند العرب قد عاد فيها يرى الاستاذ زكي طليمات إلى قسوة الحياة الجاهلية وبداثية وثنيتها» (٤) ويقول زكي طليمات : «ان العرب لم يعرفوا المسرح لأنه يعتبر مرحلة أولية لم تتهيأ لها اسباب التطور والتقدم ولم تكن في الجزيرة العربية حضارة بالمعنى الكامل . انها البادية بروحها القبلية وسكانها دائمي الترحال انتجاعاً للسري والمرعى» (٥) . وإلى هذا الرأي ذهب امين الخولي بقوله : لأن صلة المسرح بالحياة الريفية قوية وثيقة وحيث لم يستقر البدوي لم تستقر المظاهر التجسيمية في وثنيته ولم يوجد عنده

(١و٢) المسرح ، ١٤-١٥ .
(٣) العرب والمسرح ص٣٤ .
(٤) الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث ص١٣
(٥) فن التمثيل العربي ص٩٩ .

مسرح (١) . وإلى هذا الرأي ايضاً ذهب توفيق الحكيم (٢) ومحمود تيمور (٣) واحمد حسن الزيات (٤) وعباس محمود العقاد الذي استطرد قائلاً : فانما يقوم التمثيل من الناحية الاجتماعية على التجاوب بين الافراد والامر كلما تعددت العلاقات وتنوعت المطامع والنزعات ، ولم يكن في مجتمع البداوة مجال كبير لهذا التجاوب الكبير بين اسرة واسرة وبين انسان وانسان . وما كان من ذلك قائماً في حياتهم البدوية أو حياتهم الحضرية فقد وجد الكفاية للتعبير عنه في القصائد والاغاني والعاب الفروسية وضروب المساجلات والمفاخرات التي تتفق لهم من حين إلى حين (٥) . وبعد ان يؤكد زكي نجيب محمود هذا الرأي يطرحه في التحليل والتفصيل حيث يقول : ولم يعرف العرب الأدب المسرحي والقصصي : لعدم التفاتهم إلى تميز الشخصيات الفردية بعضها عن بعض . ولو نشأ الكاتب في جو ثقافي لا يعترف للأفراد بوجود ، ويطمسهم جميعاً في كتلة واحدة من الضباب الادكن فلا سبيل إلى تصوير هؤلاء الافراد يصطرعون في مأساة . والشرق كله في رأيي قد طمس الفرد طمساً ولم يترك له مجالا يتنفس فيه ، فهو جزء من القبيلة لا وزن له إلى جانبها ولا قيمة له بالقياس اليها . ولا كذلك اليونان ، فالفرد عندهم هو محور التفكير ، لم يعرف الشرق أشخاصاً فلم يعرف الشرق المسرحية ولا القصة (٦) .

والمتأمل لهذه الآراء يجد ان اصحابها رموا العرب بالبداوة ونسوا المدن التي استقر فيها العرب وتناسوا الحضارات العريقة التي قامت في الجزيرة العربية ، وكأنهم لم يسمعوا بمكة ويثرب والطائف ومنى وخيبر وينبع ، وما عرفته بلاد الشام والعراق بعد ذلك من تطور وحضارة . فضلا عن ان التنقل اكسب العرب سعة الخيال والخبرة وسعة الرؤية والشمول إلى جانب الاهتمام بالجزئيات كاهتمامهم بالكليات ودفعهم إلى التأمل والتفكير بكل جديد يمرون به ، أما ما رموا به من ذوبان الفردية بالجماعة القبلية : فإن النظام القبلي يعد من النظم الديمقراطية التي تقدس حرية الفرد وتهتم بشخصيته والا لما برزت الفردية كل هذا البروز عند الشعراء الجاهليين كأمرىء القيس وطرفة وعنترة والأعشى وغيرهم ويبدو كلام زكي

---

(١) المجلة المصرية ، ١١١ ، ١٩٦٦ .

(٢) الملك اوديب ص٢٣-٢٥

(٣) المجلة المصرية : م .س

(٤) م : س .

(٥) أثر العرب في الحضارة الاوروبية ص٢٤ .

(٦) لشورولباب ص١٣٣ - ١٣٤ .

نجيب محمود غريباً كل الغرابة بمثاليته غير مستمد من واقع الحياة العربية قبل الاسلام . ومثل هذه المثالية نجدها في رأي العقاد ، فقد كان الاتصال قوياً بين أسر القبيلة الواحدة والقبائل المتحالفة هذا في البوادي اما في الحواضر فإن العلاقات بين الافراد والأسر كانت متينة وقوية.
ويؤكد محمد صقر خفاجة بأن شعر الرعاة عند الاغريق يشبه حداء الابل عند العرب وانه قد استخدم فيها الاسلوب القصصي وفي بعضها استخدم الاسلوب التمثيلي المسرحي الملىء بالحركة (١) . فضلاً عن إلى ان الحياة القبلية أحدثت المنافسات والمنازعات والحروب الملحمية التي استمرت سنين طويلة كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء الحافلة بالمغامرات والبطولات والاحداث الدامية (٢) التي تساعد على نشأة الملاحم والأدب التمثيلي وكانت فعلاً نواة مهمة لظهور القصص الشعبي الذي لعب دوراً مهماً في الحياة العامة وعدّ اساساً لظهور الرواية (الحكواتي) الذي يمثل شكلا من الاشكال المسرحية البدائية .

اهتمام العرب بالشعر الغنائي والنغمة الخطابية والاوصاف الحسية . «واما النثر فلم يصلنا منه الا بعض جمل من سجع الكهان ... ومن البيّن ان هاتين الخاصيتين لا تنتجان شعر الدراما الذي يقوم على المواد المختلف النغمات لا على الخطابة الرنانة كما يقوم على خلق الحياة والشخصيات وتصور المواقف والاحداث ... وذلك بالرغم من انه قد كانت لهم ايام وحروب شهيرة فانهم لم يصوغوا تلك الايام والحروب أو بعضها في صورة ملاحم بالرغم مما نعثر عليه في شعرهم من قصائد تصف الحروب والمعارك وذلك لأن الشعر العربي لم يصبح يوماً شعراً موضوعياً منفصلا عن قائله خالصاً للفن في ذاته على نحو ما حدث عند اليونان في الملاحم والمسرحيات وذلك لان الشعر العربي ولد وظل شعراً غنائياً » (٣) . وكما هو واضح ان مندوراً يناقض في الجزء الاخير من رأيه ما أورده زكي نجيب محمود والعقاد . وإلى هذا الاتجاه ذهب توفيق الحكيم (٤) . وهما متأثران برأي المستشرق الفرنسي جاك بيرك الـذي يقول : ان التقاليد العربية تعاني بالنسبة للمسرح من مشكلتين ، ولذلك جهلت التعبير المسرحي ، لانها لم توفق إلى اعطائه اللغة المناسبة : أولا هما عدم تناسب اللغة العربية الكلاسيكية

---

(١) شعر الرعاة .
(٢) الحضارة العربية ص٢٣
(٣) المسرح ، ص١٤-١٥ .
(٤) الملك أوديب ٢٦-٢٨

مع المتطلبات الداخلية للغة الدرامية والثانية صعوبة اختيار واحدة من اللغات العربية الثلاثة وهي : الاشارة والتعبير والدلالة . ولغة الشعر العربي تختلف دائماً عن لغة الحياة اليومية فهي لغة كلاسيكية تشبه بستاناً جميلاً ، ولكنه بستان متجمد والمسرح بتكوينه هو اللغة التي لا تحتمل القوالب الجامدة (١) :

واذا استثنينا الدور القومي البارز الذي لعبته اللغة العربية في وصل حبل التفاهم بين العرب جميعاً من المحيط إلى الخليج ، فإن اللغة العربية كأية لغة أخرى حيّة قادرة على التعبير الذاتي والجماعي : العاطفي والموضوعي ، وقد أكد العديد من النقاد العرب القدامى والمحدثين على وظيفة اللغة في توصيل المعنى إلى المتلقي . وخير دليل على ذلك ما أكده ابن جني حين قال : ان اللغة العربية أكثر اللغات قبولاً للإشتقاق لتنويع المعنى الأصلي وتلوينه واكسابه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ومبالغة وتعدية ومطاوعة ومشاركة .. الخ . ومنها وفرة الألفاظ الدالة على الشيء المنظور اليه في مختلف درجاته واحواله وهذا يكسب اللغة وفرة في التلوين الداخلي بالاطياف والظلال والصور الذهنية المتعددة ومنها الايجاز في اللفظ والتركيز في المعنى دون الاخلال بالوضوح والتميز . ويقول العقاد : ان اللغة العربية في طليعة اللغات المعبرة ، فلا يعرف علماء اللغة لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم والفاظهم ، كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربي من مادة الفاظه ومفرداته في اسلوب الواقع واسلوب المجاز (٢) . ان اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ولغة الأدب الثر الذي أفادت منه الحضارة الأوربية الحديثة نفسها ، ومعجمها الذي لا يضاهيه أي معجم آخر لأية لغة في العالم بسعته وشموله وكثرة مفرداته القادرة على خلق الحوار الجيد والتعبير عن الفعل والحركة والصراع وهذا ما لمسناه سواء في الشعر العربي أم في النثر منذ عصر ما قبل الاسلام .

٥ — لم يجد العرب أمامهم نماذج من الشعر التمثيلي ليقتدوا بها ، وعندما دخل العرب بالحضارة إلى بلاد الروم كان الادب التمثيلي مهجوراً عند أهله إذ أن الدولة البيزنطية في العصر المسيحي أهملت فن التمثيل واعدته من مخلفات الوثنية ، فكان بالنسبة اليهم غير موجود (٣) . وإلى هذا الرأي ذهب طه حسين ، وأكد قائلاً : ولو كان معروفاً حين ترجم

(١) الاسلام والمسرح ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠

(٢) م . س ص٥٣ عن كتاب ابن جني في الخصائص ط١ ص٢٢٨-٢٢٩ عن مقال للعقاد بعنوان لغة التعبير ، مجلة الأزهر مارس ، ١٩٥٩ .

(٣) العرب والمسرح ص٣٤

العرب ثقافة اليونان لما ترددوا في ترجمته (١) . ويقرر طه حسين بأن الأدب العربي عرف الفن القصصي (٢) . ويذهب عبدالرحمن بدوي إلى أبعد من هذا فيقول : وإلى جانب الأدب أتاح الاسلام لفنون التشكيل والتصوير والنقش والعمارة ان تطرد بروح العالم الجديد الذي بشرّ به الاسلام ، وقد تلقى العرب في موطنهم بعض النماذج المتأثرة بالمسرح الاغريقي حين تدهور هذا الفن وحين تحطمت صيغة الحياة التي بررت ازدهاره في بلادة الأصلية (٣) .
ويربط صلاح عبدالصبور بين الحضارتين الاغريقية والحضارة العربية المعاصرة لها قبل الاسلام والتي ازدهرت في اليمن والشام والحجاز منذ ١١٠٠ — ٢٦٠ ق.م. وقد احتوت هذه الحضارة على ما وصلنا من شذرات واخبار على العديد من الوان الفكر والفن (٤) . وكما يشير هيرودت إلى العلاقة بين الحضارتين الاغريقية والفرعونية ، فلابد من تواصل بين الحضارة الاغريقية والحضارات العربية القديمة ، ومن الاحتمالات المؤكدة ان هوميروس قد تأثر في كتابة ملحمتيه الالياذا والاوديسة بملحمة كلكامش البابلية. وذهب توفيق الحكيم في تبرير عدم ترجمة المسرحيات الاغريقية والرومانية إلى القول « المعرف انه عقب فتوح الاسكندر تغلغل الروح اليوناني في اسيا وكانت سوريا وما بين النهرين من أهم المناطق التي خضعت لنفوذ الحضارة الاغريقية ، هناك في صوامع النساك السوريين المنتشرة في تلك البقاع نشطت على مدى القرون حركة ترجمة واسعة للمؤلفات الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية ، ومن هذه الترجمات السريانية جاء العرب بعدئذ ونهلوا ونقلوا ، ولم يكن الشعر من بين ما عني به اولئك الرهبان ، ولكن الذي حدث هو ان كثيرين من العرب تعلموا اليونانية بعد ذلك واستطاعوا أن ينقلوا عنها مباشرة وكان مما نقل منها إلى العربية كتاب فن الشعر (البو يطيقا) لأرسطو وفيه تعريف بالتراجيديا والكوميديا وما اليهما من فنون الشعر التمثيلي (٥) ثم يتسأل الحكيم لماذا لم يترجم العرب المسرحيات الأغريقية بعد ذلك وينتبه في العموميات والانشائية ويلمح إلى المسائل التي أثرناها وناقشناها ولكنه لم يتوصل إلى الرأي الذي وصل اليه حسين والمذكور آنفاً ؛

(١) المجلة المصرية ، ١١١ ، ١٩٦٦
(٢) من حديث الشعر والنثر ص٢٧
(٣) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ص٣٣
(٤) العرب والمسرح ص٤٠-٤١
(٥) الملك أوديب ص١٥-١٦ .

٦ – كانت وثنية العرب في عصر ماقبل الاسلام وثنية ساذجة لم تتطور ولم تتمخض عن طقوس ومراسيم تؤدي الى نشوء فن التمثيل كما نشأ عند اليونان من طقوس عبادة الاله ديونسيوس إله الخصب والخمر . اما عند الاسلام فقد وجد العربي في عقيدته وضوحاً لايحتاج الى تأويل . ومن أجل ذلك اعرضوا عن ترجمة ادب اليونان لما يتضمنه من آلهة متعددة وعبادة للابطال (١) . وذهب هذا المذهب محمود حامد شوكت (٢) . وسهير قلماوي (٣) وزكي طليمات (٤) وامين الخولي الذي أكد صدوف العربي عن ترجمة المسرح عن الاغريقية لانه وثني، وانصرافه الى ترجمة الفلسفة (٥) . وهنا يكمن التناقض في قول امين الخولي . ألم تنبع الفلسفة من طبيعة المجتمع وحضارته ، أليست الفلسفة مرتبطة إذا بالوثنية الاغريقية ؟ وبالتالي ألم ترتبط المسرحيات الاغريقية بالفلسفة والوثنية والحضارة الاغريقية ، فاذا كان الدين الاسلامي توحيداً يجب الوثنية فلماذا ترجمت الفلسفة الا غريقية واتخذت اساساً لمدارس فكرية وفقهية اسلامية ، ولماذا تأثر بها المعتزلة كل هذا التأثر بينما لم يجرأ أحد على ترجمة الأدب الأغريقي ؟!! .وذهب محمود تيمور هذا المذهب أيضاً(٦) وذهب أحمد أمين هذا المذهب ولكنه ربط بين منع الدين الاسلامي للتصوير وبالتالي بمنع التمثيل ، لأن الاسلام يمنع التجسيم ، كما أكد على حجاب المرأة وابتعادها عن الظهور وان المسرح يحتاج الى المرأة لتجسد النصف الثاني من المجتمع (٧) . وتعود جميع هذه الآراء الى ماأورده المستشرق الالماني جوستاف فون جرينبوم من ان الاسلام لم ينجح في خلق فن مسرحي برغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية وهذا لايعود الى سبب تأريخي قدر مايعود الى مفهوم الانسان في الاسلام . الذي يمنع وقوع أي نوع من التحدي للقوى العليا والمؤمن بالقضاء والقدر . فاذا لم تكن هناك حرية في اختيار حقه واذا لم يكن لهذا الخيار المعنى يتجاوز به الحالات الخاصة واذا لم تنعكس هذه الحرية على القطب الاخلاقي في الروح نفسها فان الانسان العادي لايمكنه أن يصبح انساناً دراماتيكياً .

---

(١) العرب والمسرح ص٣٤
(٢) الفن والمسرح ص١٣
(٣) المجلة المصرية ، ١١١ ، ١٩٦٦
(٤) م . س
(٥) م . س
(٦) فجر الاسلام ص ١٣٥-١٤٠
(٧) العرب والمسرح عن مجلة ديوجين،العدد ٤٨ ، ١٩٦٤

ويلاحظ جاك بيرك ذلك فيقول : ان الشخصية الاسلامية التقليدية تنتسب لنظام الكون لذلك فهي تهرب من الكثير من العذاب والألم ومن مواجهة الكثير من المشاكل ، انها سعيدة سعادة التوافق (١) . ويعلق محمد عزيزة على كلام جاك بيرك موافقاً : ان التواصل بالذات الآلهية هو الذي يمنع حركة التمرد ، وليس الخوف وحده ، لأن التمرد كما نعرف هو انفصال قبل أي شيء آخر (٢) . ويمضي محمد عزيزة في تساؤلاته : هل يمكن للمسلم أن يضع حريته الشخصية أمام ارادة الله ، أو أمام الكيان الاجتماعي لمدينته ؟ أو يواجه بها منطق التاريخ والقدر أو ان يكتشف اخيراً في اعماقه انساناً آخر يصارعه ؟ وتجاه القدرة الآلهية المطلقة فان تصرف الانسان يتقاص الى ادنى درجاته ، ان ارادة الانسان هي جزء من ارادة الرب الشاملة ، ومن هذه الزاوية لايمكننا تصور نشوء صراع يتواجه الكل مع شي صغير منه(٣).
ويضيف المستشرق الالماني هنريش بكر الى ذلك أن التراث اليوناني أدى الى ايجاد النزعة الانسانية في اوربا بينما لم يؤد الاسلام الى نفس هذه النزعة ، وترتب على هذا اختلاف في المضمون الفعلي في كل منهما وان العالم الاسلامي لم يأخذ من التراث اليوناني الا ماكان ذا نزعة عقلية منطقية اما الاشياء التي كان نصيب الروح اليونانية في صياغته اكثر من نصيب العقل ، مثل الشعر الغنائي أو الأدب الروائي ، وكل ماكان يونانياً بحتاً كآلهة هوميروس، كل هذه الامور ظلت مغلقة امام الشرق ، بنما نجد في الغرب انه تأثر بهذه الأمور اليونانية الاصيلة اكثر من غيرها (٤) .

وردنا على هذا الادعاء أن الله بوأ الانسان منزلة كبيرة في الاسلام : «ولقد كرمنا في آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا(٥)» . وتظهر الصفة البشرية للخاق من خلال القرآن الكريم : «وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق (٦)» واسقط الطبقية والتفاضل بين الشعوب الا بالعمل الصالح والتقى : «يأيها الناس انا خلقناكم

---

(١) الاسلام والمسرح ص٢٧
(٢) م . س ص٢٧
(٣) م . س ص ٢٣ ، ٢٥-٢٦
(٤) العرب والمسرح ٣٢-٣٣
(٥) القرآن الكريم ، سورة الاسراء ٧٠
(٦) سورة المائدة ، ١٨

من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم (١)» . وقد دعا الاسلام الى القضاء على الرق والعبودية : «فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ماالعقبة فك رقبة ، أو اطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة (٢)» . وتتجلى انسانية الاسلام بالحث على تقديم المساعدة لليتامى والمساكين ودعم ذوي القربى واسداء العون اليهم ان كانوا بحاجة اليه : «أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدعّ اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون (٣)» . «ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس . اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون(٤)» وقد حدّد القرآن الكريم مصارف الصدقات وجعلها ثمانية ، تتمثل فيها الأسس الانسانية افضل تمثيل : «انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفةِ قلوبهُم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابنِ السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم (٥)» .

وتوضح عائشة عبدالرحمن السمات الانسانية للاسلام بقولها : «وفرض الاسلام على المؤمن تحرير رقبة كفارة لعدد من الذنوب : الحلف في الايمان : المائدة ٨٩. والقتل الخطأ النساء : ٩٢ . والظّهار ، المجادلة : ٣. والبيان القرآني حين يتحدث عن تحرير العبيد فيذكر الرقاب بصيغة الجمع ، فمسؤلية التحرير فيها على الجماعة وولي الأمر والعبء فيها على المال العام للمسلمين. اما حين يستعمل الرقبة بصيغة المفرد فهذه هي مسؤلية الانسان فرداً ، إما احتمالاً لأمانة انسانيته واقتحاماً للعقبة في سبيل تحقيق الوجود الحر (٦)» . وتتجلى انسانية الاسلام في مساعدة المستضعفين والفقراء لمساعدتهم في التغلب على صعوبات الحياة : «وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم اللهُ من فضله واللهُ واسع عليم(٧)» .

---

(١) الحجرات ، ١٣

(٢) سورة البلد

(٣) سورة التكاثر

(٤) سورة البقرة ، ١٧٧

(٥) سورة التوبة ، ٦٠

(٦) القرآن وقضايا الانسان ص٨٨

(٧) سورة النور ، ٣٢

ويؤكد الاسلام على استقلال شخصية الانسان والاهتمام بذاتيته وخصوصيته يقول محمد عزيز الحبابي : «مفهوم الاستقلال الذاتي . هو ذاك الشيء الخاص بكل شخص ، تعني واقع فرديته المخصصة له ، . . لا وجود لنموذج انساني أو لقالب يفرغ فيه جميع الاشخاص ليكونوا على نمط واحد ، أذ لكل شخص وجهته وتطلعاته الخاصة وهي منبع لاينضب من العفوية والمبادهة (١)» . ويؤكد رأيه بآيات كريمة : «لكل وجهةٌ هو موليها ، فاستبقوا الخيرات ، قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو أهدى سبيلا (٢)» .

وورد المعنى ذاته في الحديث الشريف «اعلموا فكلٌ ميسرٌ لما خلق له» . ويأتي التأكيد على انسانية المسلم ماورد في خطبة الرسول (ص) : «الناس من آدم وآدم من تراب (٣)»

وورد تأكيد على شخصانية الفرد المسلم في القرآن الكريم في آيات كثيرة مثل «إنـا هديناه السبيل ، إما شاكراً واما كفورا ، ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين (٤)» ويعترف الاسلام بالقيمة المهمة للعقل والتفكير عند الانسان «تبتدىء الشخصانية عندما يرفض الشخص الطاعة العمياء ... وليس هو الخضوع الاعمى الذي يفرضه مذهب من المذاهب ولو كان دينياً (لا أكراه في الدين ، البقرة : ٢٥٦) لهذا لاتقبل في الاسلام أية وساطة بين البشر وبين ربهم . اكليريكية كانت أو غيرها (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان ، البقرة : ١٨٦) ... واصبح الشخص موضوعـاً للأحكام الشرعية بصفته كائناً مسئولاً عن فعالياته ... لقد اصبح الشخص ذاتاً لها حياتها الخاصة واستقلالها الذاتي ... وبفضل الدين الجديد حصل انقلاب جذري في ذهنية ووجدان العرب : ... فقد صار شخصاً يشعر بشخصيته في ذاتها ... ويبرز مايتسربل فيه الانسان من كرامة وقدسية عندالله ، هي انه تعالى قد حباه من بين جميع المخلوقات فسخّر له كـل ما في الكون (٥)» وتؤكد لنا سورة ابراهيم مافعله الله من اجل البشر : «الله الذي خلـق السماوات والأرض . وانزل من السماء ماءاً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم . وسخرّ لكم الفُلك لتجري في البحر بأمره ... وسخرّ لكم الانهار . وسخرّ لكم الشمس والقمـر دائبين . وسخرّ لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ماسألتموه . وان تـعـدوا نعمة اللـه

(١) الشخصانية الاسلامية ص١١
(٢) البقرة ، ٤٧ والاسراء ، ٨٤
(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ ص٢٧٥ .
(٤) الانسان ، ٣، البلد ، ١٠
(٥) الشخصانية الاسلامية ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٣

لاتحصوها (١)» . ومما يدلل على انسانية الانسان وتملكه لاختيار وعيه الخاص قوله تعالى «كل نفس بما كسبت رهينة ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (٢)» . ومما يدلل على اختيار الانسان لطريقه في الحياة وجود الاوامر والنواهي التي ذكرها القرآن الكريم ووجود الثواب والعقاب . وقد ذكر الامام النووي في شرح صحيح مسلم قوله : قال الخطابي : وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ماقدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وانما معناه ؛ الاخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها ،.. فعلم الله تعالى صفة كاشفة ليس لها تأثير كالقدرة فلا تعني اجبار للعبد على شيء ما (٣) . وتتجلى انسانية الانسان في الاسلام بما اورده القرآن الكريم من عدم الاعتداء في القتال ومساعدة المستضعفين والمساكين : «وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان (٤)» . «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم .. واذا ماغضبوا هم يغفرون ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ... ان الله يأمر بالعدل والاحسان ... اعدلوا هو اقرب لتقوى (٥)» .

هكذا ينظر الاسلام الى الانسان ، وجعله يتصرف بادراكه ووعيه حراً كريماً شجاعاً لايرضى الذل والهوان . وقد صور الشعر العربي وهو (ديوان العرب) الانسان العربي بأسمى مااتصف به الاخلاق السامية . وجمع العربي في شمائله وخلاله كل مافي المروءة من معنى ومن اخلاق عالية ، ومنح الاسلام للمرأة حرية كاملة وساواها بالرجل في الحقوق الاجتماعية وامام القانون . وسمح لها بالخروج الى مجالس الرجال وابداء الرأي والمناقشة وظهر منهن الفقيهات كعائشة ، والاديبات كالخنساء وليلى العفيفة وليلى الاخيلية والمتصوفات كرابعة العلوية والمقاتلات الشجاعات كخولة بنت الأزور والناقدات وصاحبات المجالس الأدبية

(١) سورة ابراهيم : ١٤ ، ٣٢ ، ٣٣

(٢) المدثر : ٣٨ ، الكهف : ٢٩

(٣) اصول الدين الاسلامي ص١٥٩ ، ١٥٧-١٥٨

(٤) النساء

(٥) البقرة ، البقرة ، الشورى ، الشورى ، النحل ؛ المائدة ، من المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي

والفنية مثل سكينة بنت الحسين وعقيلة بنت عقيل بن ابي طالب : ولا أريد التطويل لأن ذكرهن يملأ مجلداً كاملاً فضلاً عن أن الاسلام سمح بترجمة كتب وثنية كانـــت حكايات بعضها تستقى من الملحمة الهندية المعروفة بألمها بهارتا الوثنية الهندية ، ولم يحرم الاسلام الرسم بل ازدهر الرسم في العصور الاسلامية وظهر النقش البارز بالخشب والمرمر والمعادن : وبلغ فنا الرسم والنحت درجة عالية من الأبداع في العصور الاسلاميـــة المزدهرة ومازالت الآثار الاسلامية في الوطن العربي والاندلس والبلاد المفتوحة تدلل على اهتمام العرب المسلمين بالرسم والنحت والنقش وهكذا نجد ان التجسيد لم يحرم في الاسلام وبذا لايمكن ان يكون تصوير الشخصيات التمثيلية تحديداً لقدرة الله ومشاركة له في قدرته على الخلق ... ان الاصل الفني والفلسفي لعملية الابداع والتي يتم فيها تصويـــر الشخصيات هو المحاكاة كما قال ارسطو في كتابه فن الشعر ... هي محاكاة الطبيعـــة بالمخلوقة من قبل الاله (١)» ، اي انها عملية ابداعية وبهذا أختلف عن افلاطون الذي عد المحاكاة تقليداً . والأدب برمته عملية ابداعية سواء أكان شعراً غنائياً أم تمثيلياً أم ملحمياً أم كان نثراً . فاذا سمح الاسلام بترجمة العلوم والفلسفة والآداب الاجنبية اليونانية والهندية وكلها وثنية فهل يخشى على الدين الاسلامي من الأدب التمثيلي اليوناني فقط ؟ أليست الفلسفة اليونانية أشد خطراً ؟ فلماذا إذاً لم يمنع ترجمتها بل على العكس تدار سهـا المسلمون وتأثروا بها ؟!! .

اما ادعاء من قال بأن التراجيديات صعبة الفهم بالنسبة للعرب فما هي صعوبتها تجاه كتب الفلسفة لافلاطون و ارسطو وبطليموس والكتب العلمية والفلسفية الأخرى (٢)؟!!

انها اراء لا تصمد امام الحقيقة العلمية والمناقشة الجادة . اما من ادعى بأن وثنية العـرب كانت ساذجة غير متطورة . فان العقل العربي ليس عقلا تجريدياً فقد عرف الاسطورة والحكاية والمثل والقصة . وعبّر بالحركة والايقاع في فنونه ، وعرف المنشد للجوال وليس ما كان يفعله الاعشى صناجة العرب خافياً على أحد ، وعرف العرب الرواية والرواة «ولم يفـرق في المثالية والابراج العاجية ، بل اتسم دائماً بالوسطية اي البعد عن الطرفين الحادين : الانحراف والعنف ، كما اتسم بالتكاملية اي الربط بين الروح والمادة والفرد والمجتمع ، كذلك اتسم بالحركة التي تتمثل في القدرة على مواجهة التطور ومجافاة الجمود » (٣) . فأية سذاجة يدعون

---

(١) العرب والمسرح ، ٣٧-٣٨ .

(٢) م . س ، ٣٨

(٣) اصالة الفكر العربي الاسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ص٥٨

وأي تخلف ؟! واثر الحضارة العربية في وادي الرافدين ظاهرة كل الظهور في الآداب والعلوم اليونانية القديمة ؟! وملاحمهم الشهيرة متأثرة بالملاحم البابلية ؟!

٧ – ويعرض مندور فكرة صراع الانسان ضد القضاء والقدر ، كان المادة الاساسية لمآسيهم المسرحية بينما ينفي ان تتفق هذه الاوضاع مع فلسفة الاسلام الذي نادى بالوحدانية ، وتصور الاله منفصلا عن عالمنا البشري ومسيطراً على مصائره سيطرة تامة وانه مزج إلى حد بعيد بين الجبر الكوني والارادة الالهية وجمع بينهما فيما يسمى القضاء والقدر (١) . ويعرض محمد عزيزة لنفس الفكرة مفصلا في انواع الصراع التي كانت سبباً في نشوء المسرح الأغريقي وادى استحالتها – كما يعتقد – في الفكر الاسلامي إلى غياب المسرح عند المسلمين العرب.

ويقسم محمد عزيزة الصراع إلى اربعة اقسام :

(آ) الصراع العمودي : وهو الصراع الذي يجسد المواجهة بين الحرية البشرية والارادة الالهية ويمثله بمسرحية (بروميتوس مقيداً) .

(ب) الصراع الافقي : وهو الذي يجسد المواجهة بين حرية الفرد وارادته وبين الكيان الاجتماعي وقوانينه ويمثله بمسرحية (انتجيونا) .

(ج) الصراع الديناميكي : وهو الصراع الذي يجسد المواجهة بين العفوية البشرية وبين القدر الذي لا مفر منه ويمثله بمسرحية (الفرس) .

(د) الصراع الداخلي : الذي يجسد التناقضات الداخلية عند البطل المأساوي والـتي تفجره وتوجه حدثه نحو اكمال وجوده ويمثله بمسرحية (اوديب ملكا)(٢). ويتساءل محمد عزيزة : هل يمكن للمسلم أن يضع حريته الشخصية امام ارادة الله او امام الكيان الاجتماعي لمدينته؟ او يواجه بها منطق التاريخ والقدر او ان يكتشف اخيرا في اعماقه انساناً اخر يصارعه؟ (٣) . ويوافق جميل نصيف هذا الرأي ويعده السبب الأساس في عدم ظهور المسرح في الاسلام . (٤) حيث يرد اراء محمد عزيزة مؤكداً لها ومتفقاً معها وان اكتشاف الانسان لنفسه كذات للالهة او كشخصية مستقلة تحيا وحدها تجاهه يعني القول بوجود ارادتين : ارادة الانسان وارادة الله ، وبالنسبة للدين الاسلامي

---

(١) محاضرات عن مسرحيات شوقي ص٥

(٢) الاسلام والمسرح ص١٧–٢٢ .

(٣) م . س ص٢٣ .

(٤) مقدمة في دراسة المسرح العربي ، مجلة كلية الآداب ، العدد ١٥ ، ١٩٧٢ .

التقليدي فان مثل هذه الثنائية كما يرى الباحث محمد عزيزة. ليس غير موجود فحسب بل غير متصورة على الاطلاق ... والانسان ليست له اهمية الا بكونه قطعة صغيرة في محرك ميكانيكي كبير.. انه بين يدي الرب.. وكما كشف الباحث عن الاسباب الكامنة وراء منع قيام صراع بين الانسان المسلم وخالقه يسعى ايضاً للكشف عن مسؤولية الدين الانساني نفسه من صرف الانسان المسلم عن مواجهة مدينته وقوانينها.. وكل من يخرج عن مجموعة المسلمين ولو مقدار فارق شعرة فانه يموت كافرا.. ان صراع الانسان مع القدر اي مع التاريخ الدرامي شيء يصعب تصوره في اطار الاسلام التقليدي..

والتاريخ لايمكن ان يأخذ بعدا دراميا الا اذا احسسنا بوجوده الموضوعي المستقل عن رغباتنا الشخصية والذي لايخضع لها اما بالنسبة للاسلام التقليدي فالتاريخ لايتطور جدليا وانما دوري واسطوري.. وبين فترة واخرى يأتي الانبياء والرسل يذكرون الناس بهذا الميثاق وهذا الزمن البعيد غير المحدد والذي يخلق الاسطورة ولا يمكنه ان يخلق الدراما. ان هذا الفكر التقليدي قد ملا التاريخ بتفسيرات تعود كلها الى حتمية متفائلة تركز على الانسجام لنظام العالم وتجعل الانسان المسلم يتحرك بعيدا عن التناقضات والصراع . اما بخصوص الصراع الداخلي.. يتجلى بقبول شامل وبالتالي فان الصراعات النفسية والفردية تتجه نحو الذوبان في بوتقة التصرفات الجماعية.. ولو توفرت مثل هذه الحتمية التاريخية لقيام مسرحية عربية لخلقت هذه المسرحية نفسها وخلقت معها التقاليد المسرحية بما فيها تلك المتعلقة باللغة المسرحية»(١) .

واذا كان جميل نصيف قد اكد اراء محمد عزيزة لتأييد ماااراد الذهاب اليه فان عزيزة قد استعان بآراء المستشرقين لتثبيت رأيه حيث يورد رأي لويس غاردية :« من المدهش ان يظل الفن المسرحي مجهولا في الاسلام وهذا يعود الى صعوبة تنظيم العروض المسرحية في مجتمع يحارب فيه رجال الاخلاق والمحافظين تمثيل الادوار النسوية ، ويعود اكثر من ذلك الى المعنى الأليم للقدر الانساني فان الصراع والعواطف النفسية التي تعتبر الاعادة الاساسية للدراما أو التراجيديا وتحليل الطباع الذي تقوم عليه كل الكوميديات الكبيرة الانسانية لم تكن قط من خصائص المجتمع الاسلامي القديم فهذا العراك بين الانسان وقدره الذي مجده وكتاب المسرح اليونان لايتناسب مع مفهوم الحياة ولا مع العلاقات التي تربط الانسان بخالقه في المجتمعات العربية او الاسلامية»(٢) ويمضي محمد عزيزة

---

(١) م . س

(٢) الاسلام والمسرح ص٥٨

لتثبيت رأيه بقوله : « ان ارادة المسلم جزء من ارادة الله لذلك لايمكن ان تواجهها وان الانتماء المطلق للانسان المسلم لمجموعته ومفهوم التاريخ اللادرامي عنده يمنع وجود هذا الصراع على مستويه الثانيين اي ان الفردية مصدر كل صراع داخلي لتبدو مستحيلة لذلك فان وعيه بالمجموعة التي تحيط به والتي يرى نفسه مجبرا على الانتماء اليها يتجلى بمستوى قبول شامل وبالتالي فان الصراعات النفسية والفردية تتجه نحو الذوبان في بوتقة التصرفات الجماعية هذه هي قصة الغلاق الذي حدث بين المسرح والاسلام. وان هذا التعارض بين المسرح والدين لم يكن ظاهرة تميز بها الاسلام فحسب وانما كافة الديانات التي تقول بأله واحد والتي اقامت حداً بينها وبين الفعل المسرحي ولكن طبيعة الديانة المسيحية التي فصلت بين الامور الدينية والدنيوية في المدينة المسيحية والصراع بينهما قد خففت من ظاهرة اجتماعية على فكرة المسرح من سيطرة الدين »(١) .

ان الايمان لايمكن الا ان يصدر عن عقيدة صادقة. وبالتالي يجب ان ينبع من القلب وان يصدر عن رضا خالص وطمأنينة صادقة. ولاخير في كلمة ينطق بها اللسان زورا ويكفر بها القلب فذلك هو النفاق ويعده الاسلام شراً من الكفر الصريح .(٢) وقد ورد في القرآن الكريم مايؤيد حرية العقيدة «لااكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ولوشاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»(٣) والرسل الذين يرسلهم الله سبحانه وتعالى لمجرد تبليغ الرسالة ، وتقع على الانسان تبعية اختياره وتحمله لمسؤولية حريته: «فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بعباده. فهل على الرسل الا البلاغ المبين، فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ، فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً ان عليك الا البلاغ »(٤) . ويبدأ صراع الانسان منذ خلقه عندما طلب الله سبحانه وتعالى من الملائكة ان يسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس فلعنه الله الى يوم الدين: «واذ قال ربك للملائكة أني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى ان يكون مع الساجدين»(٥) ويسأل الله ابليس عن

---

(١) م . س ص٣٤
(٢) القرآن وقضايا الانسان ص٩٦
(٣) البقرة : ٢٥٦ ، يونس : ٩٩
(٤) آل عمران : ٢٠ ، النحل : ٣٥ ، المائدة : ٩٢ ، الشورى : ٤٨
(٥) الحجر : ١٥ ، ٢٨-٣١

السبب في عدم سجوده : «مالك ان لاتكون مع الساجدين؟ قال: لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون : قال: فاخرج منها فانك لرجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين»(١). ويشتد الصراع بين ابليس وآدم حتى يوقعه في الخطيئة ويؤدي الى هبوطه الى الارض ويمضي صراعهما على الارض فيأتيه مـن كل جانب وينبعث من اعماقه: «يجيئه من مسارب العاطفة والوجدان والنفس او يندفع اليه مـن منافذ الحس او يستصرخ فيه شهوات الجسـد او يتقدم اليه محملا ببهرج الحياة وزينتها . يجند لقتاله والمروق به على ساحة الخير كل القوى المادية والمعنوية وكل الذين يختارون بارادتهم ان ينتموا اليه اناسا كانوا ام شياطين أم جناً . وبرغم من ان اسلحة الشيطان كثيرة ومتنوعة وعاتية الا أن الانسان قد وهب ازاءها قوة معادلة وامكانات مكافئة تعطي للصراع الدائم بين الطرفين مدى واسعاً ممتداً»(٢). ان هذا التلبس للشيطان والتجسد باشكال مختلفة يشبه الى حد كبير الصراع بين الانسان والآلهة عند الاغريق الذين كانوا يتجسدون باشكال مختلفة ويشاركون البشر حياتهم ويشتد الصراع بينهم وبين البشر لانهم يمتلكون نزعات وطباعا وخصائص انسية. ويهبطون من السماء الى الارض لمشاركة البشر في نزواتهم وفعالهم واعمالهم مما ولد الصراع المستديم بين الالهة والبشر وكان السبب في خلق التراجيديا الاغريقية كما قال الباحث محمد عزيزة.

وفي الاسلام قد لعب الشيطان الدور الذي لعبته الالهة الاغريقية ، والصراع بين الحياة والموت مسألة قائمة في الاسلام كما هي قائمة في الديانة الوثنية الاغريقية وقد ورد في القرآن الكريم آياتٌ عديدة تصور انواع الصراع بين الحياة والموت والخير والشر « تمرد الشيطان في عدم السجود لآدم لأنه مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ، والتزيـين له للايقاع به وارتكابه المعصية وغضب الله منه ثم هبوطه الى الارض ــ كما مرّ بنا في آيـات سابقة ــ والصراع المستديم حتى يوم الدين بين الانسان والشيطان ؟! « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنةً واليناً ترجعون ، » وكذلك فتنا بعضهم ببعض . قال فانا فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الذيـن صدقوا وليعلمن الكاذبين . ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ، ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وغرتكم الاماني ، أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم

---

(١) الحجر ٣٢-٣٥

(٢) التفسير الاسلامي للتاريخ ص٢٣٥-٢٣٦

لايفتنون ؟ . وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ليجعل مايلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ، يابني آدم لايفتننكم الشيطان » (١) .

ان تمرد ابليس في السماء وعدم طاعة الله في السجود لآدم مما أغضبه الله وسببه في طرده من الجنة من هذه النقطة فقد بدأ نوع من الصراع ، وراح ابليس يتلبس لبوساً مختلفاً ، كما نعلت الالهة الاغريقية — واصبحت له افعال وصفات تناسب لبوسه المختلف كما كان لآلهة الاغريق، ومن ثم بدأ الصراع بينه وبين أدم في السماء حتى خدعه وجره الى عصيان أوامر الله فأكل من تلك الشجرة التي منعه الله من الأكل منها وشاركته حواء نعلته مما أغضب الله لعصيانهما : « قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتيكم مني هدى ، فمن اتبع هداي فلا يضلّ ولايشقى . ومن اعرض عن ذكري فله معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى » (٢) . وهكذا استمر الصراع بين البشر وأبليس على الارض متمثلا في الصراع بين الخير والشر ؟ « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفرو أولياءهم هم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك . اصحاب النار هم فيها خالدون (٣) .

ومما يؤكد حرية الرأي في الاسلام حق الجدال في الامور الدينية وما يتعلق فيها من احكام . والجدال في العربية من صيغ المفاعلة والاصل اللغوي للمادة في استعمالاتها الحسية المادية فيه معنى الصلابة ، يقال جدل فلانا اذا صرعه والجدل : عنف الخصومة في المناقشة واكثر مايستعمل الجدل والمجادلة في صراع الاراء والافكار حيث يحاول كل مجادل ان يفرض رأيه ويناضل عنه في صلابة ونفهم من آية الكهف ان الجدل من خصائص الانسان المميزة له من غيره من الكائنات : (لقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا) . فلو لم يكن من شأن الانسان الجدل لكان حسبه ماجاءه من آيات بينات فيها تعريف للناس من كل مثل (٤) . ويتجلى الصراع متنوعاً قائماً في صميم العلاقات البشرية . ويشتد الصراع بين الايمان وعدمه والتشكك : «واذا قيل لهم تعالوا الى ماانزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لايعلمون

---

(١) الانبياء : ٣٥ ، الانعام : ٥٣ طه : ٨٥ ، العنكبوت :٣ ، الدخان :١٧ العنكبوت :٢ الانبياء :١١١ ، الحج : ٥٣ ، الاعراف :٢٧

(٢) طه : ١٢٣-١٢٤

(٣) البقرة : ٢٥٧

(٤) القرآن وقضايا الانسان ص١١٦

شيئاً ولا يهتدون»(١). «بل قالوا: انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون. وكذلك ماارسلنا من قبلك في قرية من نذير الاقال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون: قل: أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا: انا بما ارسلتم به كافرون »(٢). ونجد مثل هـــذا الصراع بين الايمان والتشكك عبر التاريخ البشري ويتجلى هذا الصراع على اشده بين نوح وقومه حتى يأتيهم الطوفان ونجد من بين الذين خاصموه بعضاً من اولاده ويستمر هـذا الصراع بين الايمان والاحزاب: «كذلك قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب»(٣) . ومثل قوم نوح والاحزاب قوم لوط الذي بغوا وجادلهم ابراهيم وطلب لهـم الغفران والشفاعة ولكنهم ذاقوا نتيجة مااقترفت ايديهم: «فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم اواه منيب. ياابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء أمـر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود» (٤) .

وقد ظهر الصراع على اشده في المجتمع الاسلامي في اطاره السياسي ابتداءا من مقتـل عثمان مرورا بمعركتي الجمل وصفين وانتهاء بصراع الاحـزاب في العصرين الاموي والعباسي على يد المغول. ليبدأ صراع جديد بين الطوائف والفرق والـدويلات وخاصة بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية . واذا استمر الصراع السياسي في المجتمع الاسلامي ولم ينته حتى عصرنا.هذا. فقد وازاه صراع فكري وعقائدي ومذهبي بين الجبرية والمعتزلة والاشعرية والصوفية والشيعية والفرق الاسلامية الأخرى.(٥) ومن خلال هذا الصراع الطويل تتحرك مياه التاريخ فلا تركد ولا تسكن ، فالارادة الحرة والاختيار المفتوح اللذان منحا للانسان فردا وجماعة يقودان بالضرورة الى عدم توحد البشرية وتحولها الى جماعة واحدة. ان قيمة الحياة وصيرورتها الحضارية الدائمة تكمن في هذا الصراع القائم بين الكتل البشرية المختلفة المتضادة والموزعة . وقد تشهد الكتلة الواحدة تغيير او انقساما وتنوعا وصراعا ، هذه هي طبيعة العلاقات البشرية مادامت تمارس حريتها في الأخذ

---

(١) المائدة : ١٠٤
(٢) الزخرف : ٢٢-٢٤
(٣) فاطر : ٥
(٤) هود : ٧٤ ، ٧٦
(٥) للاستزادة ينظر / القرآن وقضايا الانسان ص١٢٥-١٥٠

والعطاء(١) ونستدل بما ورد في القرآن الكريم على هذا الصراع المجتمعي والتطور الفعال للتأريخ: «ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن الله يدخل من يشاء في رحمته والظالمون مالهم من ولي ولا نصير. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات. وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما يختلفون. ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم.لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم .»(٢) ان الاسلام يحدثنا من خلال كتاب الله وسنة رسوله ان صراع المسلم في العالم فردا وجماعة يتخذ اتجاهين احدهما باطني ذاتي سماه الرسول (ص): (الجهاد الاكبر).لما يتطلبه من مصاعب ويستلزمه من قدرة على المقاومة والمراقبة والحذر والتجرد وهو يهدف الى مواجهة الانسان لذاته وتغييرها تغييرا مركباً مستمراً، والمسلم يجد نفسه ازاء تجربة صراع ذاتي دائم لمجابهة قوى الشر والسلب في نفسه والتفوق عليها.(٣) وقد وردت آيات قرآنية كريمة للدلالة على هذا الصراع النفسي.

ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله غني عن العالمين» . (٤) ويتصل الصراع الفردي بالصراع الجماعي (الافقي) على مستوى العالم، مذهبياً وسياسياً وعسكرياً واخلاقياً واقتصادياً وحضارياً وتأريخياً وهو بهذا يمثل مساحة للحركة أوسع بكثير من تلك التي تحتلها صراعات التفاسير المذهبية سيما المثالية والمادية ، كما يتضمن ديمومة زمنية يعبر بها حديث الرسول (ص) : (الجهاد ماض الى يوم القيامة) . وبين لنا القرآن الكريم ، أن هذا الصراع دائم بين معسكرين كبيرين ينتمي كل منهما الى فكرة ويلتزم موقفاً وهو صراع ميتاً فيزيقي ازلي بين الانسان والشيطان بين الخير والشر،وان هذا الصراع يضع الامة الاسلامية امام مسؤوليتها الحركية الكبرى في العالم ويمنحها فاعلية ازلية دائمة ازاء التجارب والمواقف البشرية تتجاوز حدود الزمان والمكان(٥) «الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون الطاغوت ، فقاتلوا اولياء الشيطان أن كيد الشيطان ضعيفاً . فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا

---

(١) التفسير الاسلامي للتاريخ ص٢٣٩-٢٤٠
(٢) الشورى : ٨ ، المائدة : ٤٨ ، يونس : ١٩ ، هود : ١١٩ ، الحج : ٦٧
(٣) التفسير الاسلامي للتاريخ ص٢٤٦
(٤) الرعد : ١١ ، العنكبوت : ٦
(٥) التفسير الاسلامي للتاريخ ص٢٤٧ ، ٢٤٩

من قبلهم قل : فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين » (١) ، ويرفع الاسلام الأمة الاسلامية الى موقع الشهادة على الناس ذلك الموقع الوسط المميز الذي لن ترتفع اليه الاعندما تمارس جهادها الدائم على كل الجبهات ، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وقتالاً بالكلمة وكفاحاً مسلحاً (٢) :

«وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً(٣) وهكذا يصل الانسان أو الانسانية في درجة الشهادة الى ذلك الموقف التراجيدي الذي ينتهي اليه بطل المسرح الاغريقي، عبر مواقف تتعاظم فيها التضحية وتتجلى الصلابة والقدرة على مجابهة المخاطر ، فاذا ما انتهى جاءت نهايته قوية صلبة كصلابته وقوته وماشبه موقفه بالشهادة تجاه نزوات الالهة المتصارعة التي تنزل من عليائها الى مستوى الانسان العادي وتتمثل فيها نزواتها الخاصة المؤلمة .

وهكذا نجد ان مسألة الصراع على انواعه المختلفة موجود في الاسلام على العكس مما قال به المستشرقون والسائرون في ركابهم من الباحثين العرب كما اسلفنا آنفاً .

الا أن هذا الصراع ليس دائماً قوة ايجابية تشد حركة التاريخ الى امام، وانما قد يتمخض الصراع أحياناً عن ردة عكسية تنتج عن تفتت التجربة التاريخية وسقوطها في صراع غير متكافيء مع قوة قد تفوقها بكثير ، ان الذي يملك زمام العقل الواعي والارادة عبر التاريخ هو الانسان وحده . ومادام الانسان حراً في اعتماده على قدراته هذه فانه قد يسيء وقد يجيد ولكنه لايقدر على احاطته بالضمانات الكافية فيجيء الصراع لكي يكشف عن نقاط الضعف في التجربة البشرية (٤) وهكذا نجد ان الصراع الانساني في اطاره الفردي والجماعي مرتبط بعضه أشد الارتباط ويصعب التفريق بين أنواع الصراع . وهكذا تتلاشى أدعاءات المستشرقين عن عدم وجود الصراع في الاسلام ومن سار في ركابهم من الباحثين العرب بوعي مقصود أو من دون أدراك لطبيعة الاسلام ومفاهيمه العظيمة .

---

(١) الانفال : ٥٣ ، النساء : ٧٦ ، يونس : ١٠٢-١٠٣
(٢) التفسير الاسلامي للتاريخ ص٢٤٩ .
(٣) البقرة : ١٤٣ .
(٤) التفسير الاسلامي للتاريخ ص ٢٥١

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أثر العرب في الحضارة الاوربية ، عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- الاسلام والمسرح . محمد عزيزة ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- اصالة الفكر العربي الاسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ، انور الجندي ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٩٦٩ .
- اصول الدين الاسلامي ، رشدي عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري ، دار الحرية بغداد ، ١٩٧٧ .
- اضواء على الفكر الاسلامي ، المكتبة الثقافية ، العدد ١٤٩ ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، عبدالرحمن بدوي ، دار النهضة المصرية القاهرة ، بلا تأريخ
- التفسير الاسلامي للتأريخ ، عماد الدين خليل ، م دار الاضواء ، بغداد ، ١٩٧٨
- الحضارة العربية ، محمد شكري عياد ، م — الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- السيرة النبوية ، ابن هشام ، الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٦
- الشخصانية الاسلامية ، محمد عزيز الحبابي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ .
- شعر الرعاة ، محمد صقر خفاجة ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، بلاتاريخ
- الخصائص ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الثانية .
- العرب والمسرح . محمد كمال الدين ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع ، بيروت ١٩٤٥ .
- فجر الاسلام ، أحمد أمين ، م النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- الفلسفة القرآنية ، عباس محمود العقاد ، دار الهلال ، القاهرة ، بلا
- فن التمثيل العربي ، زكي طليمات ، م حكومة الكويت ، ١٩٦٥ .
- الفن المسرحي في الادب العربي الحديث . محمود حامد شوكت ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٦٣ .

– القرآن وقضايا الانسان ، عائشة عبدالرحمن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٩٧٣
– قشور ولباب ، زكي نجيب محمود ، م الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
– محاضرات عن مسرحيات شوقي ، محمد مندور ، معهد الدراسات العربية العليا ، القاهرة ، ١٩٥٥
– المسرح ، محمد مندور ، دار المعارف ، القاهرة ، بلا
– الملك اوديب ، توفيق الحكيم ، م النموذجية ، القاهرة ، بلا .
– من حديث الشعر والنثر ، طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، بلا

الدوريات

– مجلة الازهر ، مايس ، ١٩٥٦ ، القاهرة
– مجلة ديوجين ، العدد ٤٨ ، ١٩٦٤ ، بيروت .
– مجلة كلية الاداب ، العدد ١٥ ، ١٩٧٢ ، بغداد .
– المجلة المصرية ، العدد ١١١ ، ١٩٦٦ ، القاهرة .

الموازنة بين التذكير والتأنيث في اللغة العربية

عبد الوهاب محمود الكحلة
جامعة الموصل/ كلية التربية



بسم الله الرحمن الرحيم

بالمقارنة بين النظائر والأشباه في اللسان العربي تنكشف لنا ظاهرة تدل على الاتساق والتوازن ، تتضح في مسائل كثيرة متناثرة في أبواب متفرقة نستطيع أن نجملها في باب واحد . لتكون ظاهرة متميزة لها كيانها في إطار محدد .

ومحاولتنا هنا أن نتتبع ضروباً من هذه المسائل للوقوف على الانسجام الذي ينشده العربي في كلامه ، وتبدأ بالموازنة فيما ورد فيه التناسق بين القلة والكثرة ليكون تكأة وتمهيداً التدليل على ظاهرة التوازن بين التذكير والتأنيث .

الموازنة بين القلة والكثرة

في الكلام العربي تتجلى هذه الظاهرة في حالة الجموع ، وكذا في استعمال الأعداد .

اما الجمع فإما أن يكون دالاً على قلة بأوزانة المعروفة وهي (أَفْعُل ، وأفعال ، وأَفْعِلَة و فِعْلَة) وتدل على ما دون العشرة ، وإما أن يكون دالاً على ما فوق ذلك وهي جموع الكثرة . وقد وجدنا أن ما ورد عن العرب هو أنهم يعاملون جمع القلة معاملة الجمع المؤنث ، ويعاملون جمع الكثرة معاملة المفردة المؤنثة ، فيقولون : (الأجذاعُ انكسَرْنَ ، والجذوع انكسَرت) قال ابن يعيش : (إعلم ان هذا الشيء قد استعملته العرب استحساناً

للفرق بين القليل والكثير فيقولون الأجذاع انكسرت ، والجذوع انكسرن فيؤنثون الكثير بالتاء ، والقليل بالنون ، ومنه قولهم في التأريخ : (لخمسٍ خَلَوْنَ ، وأربع بَقِيْنَ ، ولخمسَ عشرةَ خَلَتْ ، ولثلاثَ عشرةَ بَقِيَتْ) (١) .

وقد عللوا ذلك بـ «ان التأنيث فيها لمعنى الجماعة ، والكثرة اذهب في معنى الجمعية من القلة، و (التاء)حرف مختص بالتأنيث، فجعلت علامة فيما كان اذهب في معني الجمعية و(النون) فيما هو اقل حظاً من الجمعية، لان (النون) لاترد للتأنيث خصوصاً، وانما ترد على ذوات صفتها التأنيث»(٢)

ومن دقة النظر تعليل ابن يعيش لهذه المسألة، اذ قال: «ان بناء القلة قد جرى عليه كثير من أحكام الواحد، من ذلك: تصغيرها على الفاظها من نحو: اجيمال ، وأثيِّاب، ومنها جواز وصف المفرد به من نحو : برمة اكسار وثوب أسمال،

ومنها: عود الضمير اليه مفرداً من قوله تعالى: «وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه»(٣) فلما غلبت على القلة أحكام المفرد عبروا عنها في التأنيث بـ(النون) المختصة بالجمع لئلا يتوهم فيها الافراد»(٤) .

ومثلما وجدنا التوازن في الجمع فانا نجده في أحكام العدد،فما كان دالا على قلة دون العشرة كان معدوده جمعاً كقوله تعالى: «سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً»(٥) فأتى بـ(الليالي) جمعاً مع العدد الدال على القلة، ولم يقل (ليلة)، وكذا جاء بـ (الأيام) جمعاً ولم يقل (يوماً) .

ومهما كان العدد دالا على الكثرة كان معدوده فرداً مثل : «اني رأيْتُ أحَدَ عَشر كوكباً»(٦). و«إن هذا اخي له تسعُ وتسعونَ نعجةً» (٧)، ونحو : «في كُل سُنبلة

(١) شرح المفصل لابن يعيش: ١٠٦/٥

(٢) شرح المفصل لابن يعيش: ١٠٦/٥

(٣) سورة النحل: الآية (٦٦)

(٤) شرح المفصل لا بن يعيش: ١٠٦/٥

(٥) سورة الحاقة: الآية (٧)

(٦) سورة يوسف : الآية (٤) .

(٧) سو رة (ص): الآية (٢٣) .

مئة حبّة»(١) «وليلة القدر خير من ألف شهر»(٢)، فالتوازن ههنا بين القلة والكثرة ظاهر في أجلى صوره .

ويجري مجرى الجمع لفظ (مئة) إن كان معدوداً فيقال : (ثلاث مئة) و (أربع مئة) لان (المئة) أفردت لفظاً فهي جمع معنى ؛ فأشبهت الجمع كالرّهط في نحو قوله تعالى : «وكان في المدينة تسعةُ رَهْطٍ»(٣) .

ومما ورد متّسقاً ومتوازناً بين القلة والكثرة في العدد قوله تعالى : «والمطلّقاتُ يتربّصنَ بأنفسهنَّ ثلاثةَ قُروءٍ»(٤) ؛ (قروء) جمع كثرة جيء به مع العدد القليل وهو (ثلاثة) للموازنة ، ولم يقل (أقراء) بصيغة جمع القلة ، وهذا تركيب في قمة الاتّساق والموازنة بين القلة والكثرة ؛ وبهذا يُحكم على ضعف من ذهب إلى أن المعدود إن كان له جمع قلة وكثرة لم يضف العدد في الغالب إلاّ إلى جمع القلة كما ذهب اليه (ابن عقيل)، حيث قال عن الآية في بيان استعمال (قروء) وهو جمع كثرة مع وجود (أقراء) وهو جمع قلة ، قال : (بأنّها جاءت على غير الأكثر) (٥) .

وفي رأيه هذا تجانف عن الموازنة والاتساق في الكلام .

وأمّا العلة في مجيء (أبحر) وهو بناء قلة مع العدد (سبعة) في قوله تعالى : «والبحرُ يمدُّهُ من بعدهِ سبعةُ أبحرٍ»(٦) ولم يقل (بحور) فلأنّ المراد من السبعة الدلالةُ على الكثرة فلا مفهوم للعدد ههنا ؛ وإذا كان دالاً على الكثرة ناسب أن يجيء المعدود من أبنية القلة للتناسق والتوازن بين القلّة والكثرة .

الموازنة بين التذكير والتأنيث

بعد ان عرضنا للموازنة بين مايدل على القلة والكثرة في الجموع والأعداد نستطيع أن نحتج في تقرير مسألة الموازنة بين التذكير والتأنيث. ومسائل هذه الظاهرة غير معزوة الى مافيها من توازن وتناسق، وانما تقرر حالتها على ماهي عليه. ولو أنها جمعت لكانت

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦١).
(٢) سورة القدر: الآية (٣) .
(٣) سورة النمل: الآية (٤٨)
(٤) سورة البقرة: الآية (٢٢٨) .
(٥) شرح ابن عقيل: ٤٠٦/٢
(٦) سورة لقمان: الآية (٢٧) .

باباً واسعاً متميزاً، ومن هذه المسائل قولهم: (هذا شاة): وقال الخليل «قولك: هذا شاة بمنزلة قوله تعالى: «هذا رحمة من ربي»(١)، قال سيبويه: «وقال بعض العرب: (قال فلانة) وكلما طال الكلام فهو أحسن نحو قولك: حضر القاضي امرأة) لأنه اذا طال الكلام كان الحذف اجمل»(٢). وقد علل سيبويه هذه الظاهرة تعليلا متفقاً مع مايدل على الموازنة والاتساق فقال: «وانما حذفوا التاء لانهم صار عندهم المؤنث يكفيهم عن ذكر التاء كما كفاهم الجميع والاثنان حين اظهروهم عن الواو والألف»(٣)

وقريب من هذا التعليل قول ابن الحاجب عن هذه الظاهرة: «واذا أسند الى الظاهر فالظاهر نفسه يدل على التأنيث فاستغنى عنها» (٤)؛ وكذا عن قوله تعالى: «وجُمِعَ الشمسُ والقمرُ»(٥) قال: «اذا تأخر عَلَمٌ أنه فاعله برفعه (٦)

ومن ذلك (من) الموصولة في نحو قوله تعالى: «ومَنْ يَقْنُتْ منكنَّ لله ورسوله وتَعْمَل صالحاً نُؤْتها أجْرَها مرَّتين»(٧) فقال: (يَقْنُتْ) بالياء، وإنما اختير التذكير مع (مَنْ) الدالة على التأنيث ههنا لما حصل من الاعتضاد الذي قوى جانبه في قوله «منكن»، ولو لم يكن في الكلام ((منكن) لامتنع ان يقال (ومن يقنت) اذ لادليل على التأنيث آنذاك. (٨)

ومما جاء في قمة الانسجام والتناسق بين التذكير والتأنيث قوله تعالى: «وقالوا ما في بُطُون هذه الأنعام خالصةٌ لذكورنا، ومحرَّمٌ على أزواجنا وإنْ يكنْ ميتةً فهُمْ فيه شركاءُ» (٩) فإنّه أنّث (خالصةٌ) مع قوله (لذكورنا)، وأتى بالتذكير في قوله (محرّم) مع ما يدل على التأنيث وهو قوله (أزواجنا)، وكذلك تظهر الموازنة في تتمة الآية في قوله «وإنْ يكنْ ميتةً» بالياء في (يكن) ويدل على ان اسم (يكن) مذكر قوله تعالى «فهُمْ فيه شُركاءُ».

---

(١) سورة الكهف: الآية (٩٨)، الكتاب ١٧٣/٢

(٢) كتاب سيبويه: ٢٣٥/١

(٣) كتاب سيبويه: ٢٣٥/١

(٤) الايضاح في شرح المفصل: ٥٥٤/١.

(٥) سورة القيامة: الآية (٩).

(٦) الايضاح في شرح المفصل: ٥٥٤/١.

(٧) سورة الاحزاب: الآية (٣١).

(٨) ينظر حاشية (يس) على الفاكهي/١ ٢٤٣.

(٩) سورة الأنعام: الآية (١٣٩).

ومما روعي فيه الموازنة بين التذكير والتأنيث مسألة : (نعم وبئس) ، قال سيبويه : «واعلم أن (نعم) تؤنث وتذكر ، ذلك قولك : (نعمَتِ المرأةُ) وإن شئت قلت : (نعمَ المرأة) كما قالوا : (ذهب المرأةُ) ، والحذف في (نعمت) أكثر (١) ، فهذه المسائل تؤيد بناء الحكم في تقرير ظاهرة الموازنة بين التذكير والتأنيث في الغالب من الكلام .

مسألة : «ما قام إلا هند»

هذه مسألة مبنية كذلك على الموازنة بين التذكير والتأنيث وفي الراجح أن تبقى على صورتها هذه مع جواز التأنيث فيها عند من لم يلحظ الموازنة ، إلا أن الغالب من النحاة قد أوجبوا الالتزام بالتذكير وعللوا ذلك بأنّ الفاعل مذكر محذوف ، قال ابن هشام : «لأنّ ما بعد (إلاّ) ليس الفاعل في الحقيقة وإنما هو بدل من فاعل مقدّر قبل (إلاّ) وذلك المقدّر مذكّر ، فلذلك ذُكّر العامل ، والتقدير : (ما قام أحدٌ إلاّ هندُ) (٢) .

وقال ابن عقيل عن هذه المسألة : «وإذا فصل بين الفعل والفاعل المؤنث بـ (إلاّ) لم يجز إثبات التاء عند الجمهور» (٣) وفي هذه المقولة نظر ، فقد نقدها الشيخ محيي الدين عبد الحميد في حاشيته على شرح ابن عقيل إذ قال : «إنّ الذي ذكره الشارح تجنٍّ على الناظم ، وإلزام بمذهب معين قد لا يكون ذهب اليه في هذا الكتاب ، وذلك بأن هذه المسألة خلافية بين النحاة» (وفي الأخير قال : «على أن لنا في هذا التعليل وفي ترتيب الحكم عليه كلاماً لا تتسع له هذه العجالة» (٤) .

وإذا كان قد أوجز في الرد والنقد ففي المسألة مايزيدها توضيحاً ، فالمسألة هذه تسمى بالاستثناء المفرغ ، قال ابو بكر الزبيدي: «فإن كان الفعل فارغاً لما بعد (إلا) وقع الفعل الذي قبلها على الاسم الذي بعدها ، وعمل فيها على حسب عمله في سائر الأسماء ، تقول (ماجاء الاعمرو) فـ(عمرو) فاعل وليس ببدل، لأنه لا اسم قبله يبدل منه، وكذلك (مارأيت الا أخاك) فـ(أخاك) نصب بوقوع (رأيت عليه) (٥) ، فاذا ثبت هذا فليس من داع لما ذهب

---

(١) كتاب سيبويه: ٣٠١/١ .

(٢) قطر الندى : ذيل الصدى: ١٨٧

(٣) شرح ابن عقيل: ٤٧٩/١ .

(٤) حاشية سرح ابن عقيل : ٧٩/١ ٤

(٥) الواضح في علم العربية: ٧٤ .

اليه القائلون من وجوب تذكير العامل لما يترتب على رأيهم التقدير ، وعدم التقدير أولى من التقدير.

وممن ذهب الى جواز الوجهين في المسألة (الأشموني) ولكنه بين ان الأجود الحذف فيقال: (مازكا إلافتاة ابن العلا) ويجوز (مازكت) (١)، وقرىء «فاصبحوا لاترى الا مساكنهم» (٢) بالتاء في (ترى) قال ابن جني عن هذه القراءة: (انها ضعيفة في العربية) (٣) ولكنه لم يكشف لنا عن جانب الضعف هذا، ولانرى هذا الضعف الا عدم التوازن بين التذكير والتأنيث، فـ(مساكن) جمع تكسير وهو يعامل معاملة المفرد في قراءة «لايرى الا مَساكنُهم» للتوازن. وممن عرض لهذه المسألة من المحدثين (عباس حسن) اذ حكم عليها بجواز الوجهين، ثم قال: (وعدم التأنيث هو الأفصح حين يكون الفاصل كلمة (إلا) (٤)

الموازنة في الجموع :

تظهر الموازنة بين التذكير والتأنيث مع الجموع بصورة واضحة ولما كانت الجموع مختلفة لذلك فقد اختلفت احكامها بحسب نوع الجمع.

فأما الجمع السالم للمؤنث او المذكر فالكوفيون يجيزون فيه التذكير والتأنيث، واما البصريون فقد اوجبوا التذكير مع المذكر، والتأنيث مع المؤنث، ولكنهم اتفقوا جميعاً على جواز الوجهين مع الجمع المكسر بدلالاته المختلفة، تقول: (الأيام والجمال والنسوة وكذلك الرجال فعلت)، او تقول: (الأيام والجمال والنسوة فعلن) (٥) ولم نجد تفسيراً شافياً لترجيح أحد الوجهين، ولكنا نجد أن الفصيح من الكلام قد ورد بالموازنة بين التذكير والتأنيث، كقوله تعالى: «من بعدِ ماكادَ يزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم» (٦) بالياء التحتية في (يزيغ)، ونستطيع ان نتلمس في اثناء مقولات القوم مايمكننا ان نجعله حجة لتأييد هذه الموازنة جاء في شرح المفصل: «وتأنيث الجمع ليس بحقيقي سواء كان مفرداته بتأنيث

---

(١) حاشية الصبان على الاشموني : ٤٩/٢ .

(٢) سورة الاحقاف: الآية (٢٥) .

(٣) المحتسب: ٢٦٦/٢ وينظر التصريح : ٣٠٦/١

(٤) النحو الوافي: ٦٧/٢ .

(٥) ينظر شرح المفصل لابن يعيش: ١٠٣/٥ ، وحاشية (يس) على التصريح : ٣٠٧/١، وحاشية الصبان: ٥٠/٢

(٦) سورة التوبة: الآية (١١٧) .

حقيقي اولا، لأن التأنيث الحقيقي انما يعتبر عند الإفراد وأما في الجمع لم تقصد الا النسبة الى الجمع، والجمع ليس فيه تأنيث حقيقي) (١).

وحاول ابن يعيش ان يعلل المسألة ايضاً فقال: (فما كان من الجمع مكسراً فأنت مخير في تذكيره وتأنيثه، نحو: قام الرجال، وقامت الرجال من غير ترجيح لأن لفظ الواحد قد زال بالتكسير وصارت المعاملة مع لفظ الجمع، فان قدرته بالجمع ذكرته وان قدرته بالجماعة أنثته) (٢). وقال في موضع آخر «اذا اسند اليه فعل جاز في فعله التذكير والتأنيث، فالتأنيث لما ذكرنا من ارادة الجماعة، والتذكير على ارادة الجمع، ولا أعتبار بتأنيث واحده او تذكيره» (٣)؛ وقال الاشموني مثل قول ابن يعيش: «تقول: قامت الرجال، وقام الرجال، وقامت الهنود وقام الهنود، وقامت الطلحات وقام الطلحات فأثبات التاء لتأوله بالجماعة، وحذفها لتأوله بالجمع» (٤)

هذه بعض تعليلات القوم في مقولاتهم وهي لاتقفنا على حكم فصل في الوجه الأولى بل ترك الامر تبعاً لذوي التقدير، فمن اراد به (الجماعة) أنث، ومن اراد به (الجمع) ذكر، ولكننا نجد الفصيح من الكلام قد جاء بالتوازن بين التذكير والتأنيث، فان دل الجمع على مذكر جاء فعله مؤنثاً نحو قوله تعالى: «قالت الأعراب آمنا» (٥)، وان دل الجمع على مؤنث جاء فعله مذكراً نحو قوله تعالى: «وقال نسوةٌ في المدينة» (٦) وعكس هذا الاستعمال ضعيف لاتباع غير الأولى. وأما ما دل على غير العاقل فدلالته بمعنى التأنيث ثابتة له لذا جاء التعبير بالتذكير معه للموازنة بين التذكير والتأنيث نحو قوله تعالى «مختلف ألوانه» (٧) ونقول هذا في الفعل (أختلف الوانه).

جمع المذكر السالم والملحق به:

مذهب البصريين في جمع المذكر للسالم التذكير، وبه قال ابو علي النحوي ايضاً نحو (الزيدون قاموا) لأن لفظ الواحد موجود في للجمع بخلاف المكسر، وقال الفاكهي في

(١) الايضاح شرح المفصل: ٥٦٠/١.
(٢) شرح المفصل لابن يعيش: ١٠٣/٥.
(٣) شرح المفصل لابن يعيش: ١٠٣/٥.
(٤) الصبان على الاشموني: ٥٠/٢.
(٥) سورة الحجرات: الآية (١٤).
(٦) سورة يوسف: الاية (٢٠).
(٧) سورة النحل: الآية (٦٩).

مسألة تأنيث العامل مع الجموع: «الاجمعي التصحيح فكمفرديهما، أي في التذكير والتأنيث فيجب التذكير على الأصح في نحو: (قام الزيدون) مما هو جمع لمذكر سالم كما يجب في نحو: (قام زيد) لان سلامة نظمه تدل على التذكير» (١).

أما الكوفيون(٢) فقد ذهبوا الى جواز تأنيثه باعتبار الجماعة، وقياساً على (قامت الزيود) اما الملحق بجمع المذكر فالموازنة فيه غالبة، فكما قالوا: (مضت سنون) كذلك قالوا: (مضى سنون) (٣) ومع جواز الوجهين فأنا نجد أنه ورد في الغالب مؤنثاً.

ومن ذلك كلمة (بنين) كقوله تعالى: «حتى إذا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قال: آمنتُ أنه لاإله الا الذي آمنتْ به بنو إسرائيل» (٤) فقال (آمَنَتْ) والفاعل بنو (اسرائيل)، وورد التأنيث في الشعر كثيراً، نحو:

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحْ إبلي
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا (٥)

فقال (تستبح) بالتاء، وليس هذا إلا من دواعي الموازنة بين التذكير والتأنيث في الكلام العربي.

وفي الحاشية تعليل آخر قيل فيه: (كان من حقه أن يأتي به مذكراً غير أنه لما كان (بنو) قد جمع جمع المذكر السالم على غير المألوف في هذا الجمع فان المعروف فيه أن تسلم بنية المفرد، لكن (بنو) قد حذفت لام مفردة في الجمع فأشبه في ذلك جمع التكسير جاز فيه تأنيث فعله حملاً على جمع التكسير) (٦)، ولكن هذه المقولات إنما جاءت لتعليل جواز الوجهين، ومرادنا هنا بيان المرجع منهما وهو التأنيث وليست العلة فيه غير الموازنة) وأما جمع المؤنث السالم فالالتزام بمراعاة التأنيث معه قليل، وقد ورد في فصيح الكلام معاملته معاملة المذكر سواء دل على عاقل كقوله تعالى: «إذا جاءَكَ المؤمناتُ يُبايعنك» (٧).

---

(١) حاشية (يس) على الفاكهي: ٦٨/٢ .
(٢) الصبان على الأشموني: ٥٠/٢ .
(٣) حاشية (يس) على الفاكهي: ٥٩/٢ .
(٤) سورة يونس: الآية (٩٠) .
(٥) شرح المفصل لابن يعيش: ١٠٤/٥ .
(٦) شرح الفصل لابن يعيش: ١٠٤/٥
(٧) سورة الممتحنة: الآية (١٢)

أو دل على غير العاقل نحو : «ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءَهم البيّنات» (١) .

فالتناسق والموازنة بين التذكير والتأنيث اولى .

العدد

إن أوضح مثال تتجلى فيه ظاهرة الموازنة بين التذكير والتأنيث هو العدد (فتثبت التاء في ثلاثة وأربعة وما بعدهما إلى عشرة إن كان المعدود بهما مذكراً ، وتسقط إن كان مؤنثاً ، كقوله تعالى : «سخّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام» وإن هذه المسألة قد أهمّت أناساً لم ينظروا إلى ما فيها من التناسق فحملوها على أنها خلاف الأصل ، لذلك راحوا يعللونها ، حتى إنهم سلكوها في باب الأحاجي فقالوا : «وهذا القسم من المواضع التي لبس فيها الرجال براقع النساء ولبس فيها النساء عمائم الرجال» (٢) .

وأما تعليلهم من حيث الصناعة النحوية فلا يشفي ما في الصدور لبعده عن قريحة العربي ، فالعربي بصفاء نفسه يهتم بالمعنى اهتمامه بالمبنى ، ومن تلك التعليلات قولهم : «والحكمة أن ما زاد على الثلاثة فيه معنى الجماعة ، والجماعة مؤنث ، فاحتاج إلى علامة ، والمذكر سابق على المؤنث فأخذ العلامة فلو أتوا بها مع المؤنث لزم اللبس فاجتنبوه وأبقوه على التذكير» (٣) ، وفي شرح المفصل : «وإنما كان الأمر في العدد على ما ذكر للفرق بين المذكر والمؤنث وإنما اختص المذكر بالتاء لأن أصل العدد قبل تعليقه على معدوده أن يكون مؤنثاً بالتاء ، من نحو : ثلاثة وأربعة ونحوهما من أسماء العدد ، فاذا أردت تعليقه على معدود هو أصل وفرع جعل الأصلُ للأصل فأثبتت العلامة ، فمن أجل هذا قلت : ثلاثة رجال وأربع نسوة» (٤) .

ولعل الشارح لم يكن مقتنعاً بتعليله ففتش عن تعليل آخر فقال : «قيل لما أريد الفرق بين المذكر والمؤنث وكان المذكر أخف من المؤنث أسقطوا الهاء من المؤنث ليعتدلا ، وإنما كان أصل العدد التأنيث للمبالغة بالإشعار بقوة التضعيف وذلك لأنه لا شيء فيه من قوة التضعيف ما في العدد فيما يظهر للعقل ، فأشعر بالعلامة أن له المنزلة هذه» (٥) .

---

(١) سورة آل عمران: (١٠٥) .

(٢) حاشية شذور الذهب: ٢٦٢/٢ .

(٣) حاشية شذور الذهب ٢٦٢/٢ .

(٤) شرح المفصل لابن يعيش: ١٨/٦ .

(٥) شرح المفصل لابن يعيش: ١٩/٦ .

وفي حاشية يس على التصريح تعليل يقرب من هذا إذ قال : (وإنما حذفت التاء من عدد المؤنث واثبتت في عدد المذكر في هذا القسم لأن الثلاثة وأخواتها أسماء جماعات كـ(زمرة ، وأمّة ، وفرقة) فالأصل أن تكون بالتاء لتوافق نظائرها ، فاستصحب الأصل مع المذكر لتقدّم رتبته ، وحذفت مع المؤنث فرقاً لتأخر رتبته)[1] فهم قد أنزلوا المذكر مرتبةً متقدمةً على المؤنث ثم بنوا على ذلك حكماً ليلتمسوا فيه تحقيق العلة .

وإن تباين هذه التعليلات واختلافها ليدل على أن النظرة إلى هذه المسألة غير محددة بما قالوا فيها ، ولهذا نقرر بأنّه ليس يصح فيها إلا علة الاتساق والموازنة بين التذكير والتأنيث ، وإذا صح هذا فقد حددنا النظر من زاوية جديدة نلمح منها الكلام العربي فنتدبر قواعده وبلاغة ذويه .



(١) حاشية يس على التصريح: ٢/٣٠١ .

المراجع

١ — ابن جني : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات — تحقيق علي النجدي وغيره — القاهرة — ١٣٨٦هـ

٢ — ابن الحاجب: الايضاح في شرح المفصل — بغداد ١٩٨٢ .

٣ — الزبيدي ابو بكر الزبيدي: الواضح في علم العربية — تحقيق امين علي السيد — القاهرة .

٤ — سيبويه: الكتاب — طبعة بولاق — ١٣١٦هـ .

٥ — الصبان: حاشية الصبان على الأشموني — مطبعة الاستقامة ١٩٤٧ .

٦ — عباس حسن: النحو الوافي — دار المعارف — بمصر — ط٣

٧ — العدوي : حاشية العدوي على شرح شذور الذهب — المطبعة العامرة العثمانية — ١٣٠٣هـ .

٨ — ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك — القاهرة — ١٩٤٧ .

٩ — ابن هشام — شرح قطر الندى وبل الصدى — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة — ١٩٦٣

١٠ — يس: حاشية (يس) على التصريح — المطبعة المصرية ١٣٠٥هـ .

١١ — يس : حاشية (يس) على الفاكهي — شرح قطر الندى. بدون تاريخ .

١٢ — ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري — القاهرة — المطبعة المنيرية.

منهج البحث التاريخي عند الثعالبي

الدكتور
خضر جاسم محمد الدوري
استاذ مساعد
قسم التاريخ / كلية التربية
جامعة الموصل

السيد
ثائر حامد محمد
مدرس مساعد
قسم التاريخ / كلية التربية
جامعة الموصل

منذ اواخر القرن الثالث واوائل الرابع الهجري – العاشر الميلادي دخلت جمهرة من كتاب الدواوين وندماء البلاط مجال التدوين التاريخي، واصبح تدوين التاريخ من مهمات الموظفين والمقربين من البلاط. لقد اثر هذا التغيير في الهدف والمحتوى والاسلوب على السواء وغدت كتابة التاريخ للاحداث الجارية عملية سهلة مسلية لذوي الخبرة من الكتاب ورجال الدواوين (١). ونشأ ماعرف بأدب المرايا حيث اضحى التاريخ بمثابة المرجع النظري والعملي للحاكم يستقي منه مبادىء سياسته في تدبير شؤون المملكة، واصبح الهدف من الكتابة التاريخية تأكيد العبرة الاخلاقية (٢) فحل الهدف التعليمي والتربوي الخلقي محل الهدف الديني.. واضحى الغرض منه اما تعليم السياسة والحكم بالامثلة السابقة لأهل السياسة والحكم واما كشف القيمة الاخلاقية للافعال الصالحة والسيئة للاجيال، (٣).

ولقد كان الثعالبي(*) من جملة الكتاب الندماء الذين ينتمون لهذه الجمهرة حيث كان لمركزه بوصفه احد الكتاب الندماء الاثر الواضح في طبيعة التدوين التاريخي لديه، والبحث الحالي محاولة لبيان منهج هذا المؤرخ وما اضافه لعملية التدوين التاريخي.

* بحث مستل من رسالة الماجستير للسيد ثائر حامد محمد الموسومة بـ « منهج البحث التأريخي عند الثعالبي » باشراف الدكتور خضر جاسم محمد والمقدمة إلى كلية الآداب / جامعة الموصل سنة ١٩٨٦ وهي غير منشورة .

١ – البعد

كانت العبرة الاخلاقية، من الماضي واحداثه هي الهدف الاساسي الذي من اجله دون الثعالبي التاريخ ليضع الابعاد السياسية لتلك العبر بين ايدي رجال السياسة والحكم حيث ورد لديه مصطلح (العبرة) في العديد من النصوص فعند حديثه عن مقتل يزدجرد وانتهاء ملك آل ساسان على ايدي المحررين فعرب يقول «وصار قتله عبرة للتاريخ»(٤).

ولقد كان لفلسفة الاخلاق دورها البارز في توكيد هذا الهدف (العبرة الاخلاقية) لديه ذلك ان العبرة الاخلاقية عنده تعمل على تقويم السلوك الانساني نحو الأفضل من خلال استقراء اخبار الماضين من رجال الحكم والسياسة للاقتداء بالاعمال الصالحة التي قاموا بها واجتناب الأعمال السيئة التي وقعوا فيها ، وهذا مما سيجعل من يؤلف له يسوس المملكة سياسة فاضلة وتكون مملكته (مدينة فاضلة) .

وهذا في الحقيقة هو الأساس النفسي الذي قام عليه كتابه تأريخ غرر السير الذي الفه متقرباً به إلى الأمير ابا المظفر نصر بن ناصر الدين (٥) أحد رجالات السياسة في المشرق الاسلامي الذي طلب من مؤرخنا ان يؤلف له كتاباً يتحدث فيه عن اخبار الملوك وسياساتهم ورسومهم ومحاسنهم ومثالبهم وما كان لهم وماعليهم (٦) كي يكون له معينا في تصريف شؤونه السياسية والادارية .

فالتأريخ بعبرته الأخلاقية خادم للسياسة معين لرجالها ، فتدوين الغرر من السير عند مؤرخنا يعني تاشير الأفعال الجميلة والافعال القبيحة وبذلك تحصل السعادة الانسانية باشاعة الفعل الحسن .

وثمة اشارات اخرى وردت عند مؤرخنا تظهر لنا من خلالها كيفية تعامله مع الحدث والاعتبار منه ، وقد رأيناه يقول « كم من حادث كارث صعب زال في اقرب وقت وأيسر أمر ومن اطلع على تواريخ الدول وحوادث الفتن علم كثيراً من ذلك » (٧).

ولقد دون مؤرخنا التأريخ لرجالات عصره باسلوب ارشادي ينم عن فكر نيّر وعقلية ناضجة سواء بطلب منهم كما هو الحال مع كتابه تأريخ غرر السير. (٨) أو برغبته الذاتية في أن يؤلف لهم في هذا الجانب كتبا كالمبهج أو السياسة أو الملوكي الخ .

وقياساً على ذلك يتضح ان السير والاخبار لدى الثعالبي تعني جملة التجارب أو العبر المستخلصة من مجموع أحداث السيرة المعنية أو الخبر المعني ، فهو بذلك كمسكويه أحد

معاصريه من المؤرخين الكتاب (٩) قد اطمأن إلى أن احداث التأريخ تتكرر ، الا أن اسباب الحدث والسياسات التي تبنى عليه ليست ثابتة .

لذا فقد كان من الاهمية بمكان ان يكشف اسباب حدوث الفعل (الحدث) التاريخي بوصفه جزءاً من تفسيره اولا ، ولتجنب حدوثه بالابتعاد عن مسبباته اذ كان فعلا (حدثا) سيئا(قبيحاً) والعكس صحيح ان كان فعلا (حدثا) حسنا (جميلا) ثانيا.

فالتاريخ في نظر الثعالبي كما هو في نظر مسكويه ليس سردا او رواية للاحداث التاريخية بل هو نظر وتأمل وتحليل للحدث وتشخيص لاسبابه (١٠)

واستنباط العبر (الدلالات الاخلاقية) منه. فلا غرابة ان يهتم الثعالبي بتوضيح اسباب حدوث الفعل التاريخي(الحدث) مثال ذلك ماعرضه عن اسباب سقوط الدولة الساسانية(١١) واسباب الخلاف بين المنصور وابي مسلم (١٢)، وما تحدث به عن اسباب ضعف الدولة العباسية ايام الخليفة المقتدر. (١٣) موضحاً اسباب حدوث هذه الافعال التاريخية ، وفي بعض الاحيان يعجز عن تفسير اسباب حدوث الحدث فيرجع الامر الى الارادة الالهية في ذلك (١٤).

وبذلك يكشف الثعالبي عن قدرته وحسه التاريخي لاكما ذهب احد الباحثين الى ان الثعالبي لم يكن يمتلك هذا الحس كما هي الحال عند مسكويه.(١٥)

ولطالما تأثر الثعالبي «بالحكمة الابدية» التي سادت عصره، فالعبرة المستخلصة من سرد (تجارب) الانسان عموما تصبح هدفا اساسياً لديه ولهذا نجده يسمي كتابه: غرر السير وهو ليس سير محدودة مقتصرة على عصر اوجنس اومكان اومملكه، وهنا لابد من الانتباه الى مسألة مهمة ،فعلى الرغم من حصر التجزئة السياسية الذي عاشه مؤرخنا فانه قدم لنا تاريخاً (خيراً) متصلا من خلال سير الرجال .

وأخيراً فأن المدرسة الادبية التي كان مؤرخنا ينتمي اليها قد تركت بصماتها على تدوينه التاريخي حيث حوى هذا التدوين في ثناياه العديد من القصص الخرافية والاساطير تحقيقاً منه في ذكرها لهدف وضعه لهذا الجانب من التدوين يتمثل في كون التاريخ يهدف كذلك الى التسلية والملهاة لمن يؤلف له، فكان يقول مثلا: «ولا أخلي الكتاب على طوله وامتداد فصوله من قصة رائعة او حكاية ملهية او نادرة مسلية.» (١٦).

٢ ـ المحتوى :

جاء المحتوى التاريخي لدى الثعالبي مجسدا الهدف الذي وضعه لهذا التدوين كون التاريخ يقدم العبرة لرجال السياسة من استقراء احداث الماضي، فضلا عن كونه ملهاة وتسلية لمن يقرأه من علية القوم في الدرجة الثانية .

لذا اتخذ هذا التدوين مجالات واسعة من العناصر التاريخية اشتملت على السير والاخبار التاريخية المتعلقة التي عالجت السياسة والاقتصاد والنظم ومجالات اجتماعية اخرى لم تختص بعصر معين حونها كتبه التاريخية وكتب المختارات لديه.

ويأتي كتابه تأريخ غرر السير في المقام الأول بين كتبه التاريخية وقد اتخذ المحتوى التاريخي مجالا واسعاً فيه، اشتمل على جميع انشطة الحياة، ويبدأ فيه بتاريخ ملوك الفرس الى اخر ملوكهم ، ثم تحدث عن الملوك الانبياء وعن دول العرب قبل الاسلام، ومن ثم انتقل الى تواريخ الامم الاخرى ليعود فيتحدث عن تاريخ الدولة الاسلامية مبتدأ بسيرة المصطفى محمد (ص) ومنتهيا بعصر السلطان محمود الغزنوي (١٧) . متخذا في كتابه هذا التقسيم السيري حسب حكم الملوك والخلفاء تاركا التقسيم الحولي،ومن خلال المنهج السيري كان يثبت عناوين الاحداث التي يدونها ومن هذه العناوين على سبيل المثال: «ذكر ماجرى عليه احوال كيقباذ وما صار من اكلامه»(١٨) «ذكر ملوك الطوائف بعد الاسكندر»(١٩) «ذكر خروج سليمان بن هشام على مروان (بن محمد)»(٢٠)«استهلال الدعوة الهاشمية والدولة العباسية » (٢١) .

فالملوك والخلفاء لدى الثعالبي وأس الناس وغرتهم وحول اشخاصهم يدور الخبر المروي وفي بلاطاتهم تصنع الاحداث التاريخية، ومن خلال ذلك يعطي المؤرخ صورة متكاملة للعصر الذي يتحدث عنه مرجعاً الخبر التاريخي للذي فيه العبرة الاخلاقية التي تخدم الحاكم وتحقق الهدف الذي من اجله يدون التاريخ دون اغفال منه لباقي انشطة الحياة الاخرى.

وقد حرص الثعالبي على ان لايخلو كتابه من «قصة رائقة او خبرة واعظة او حكمة بالغة او حكاية ملهية او نادرة مسلية».(٢٢)

فنشر لنا آراءه وتصوراته عن الكثير من الامور التي تناولتهـا تلك الاخبار والسير والحكم والحكايات ، وسجل مادة واسعة عن السلطة الحاكمة ونظمها مبيناً لنا ايمانه المطلق بالحق الالهي في الحكم ، وهو يعني الايمان المطلق بسلطة الحاكم لان سلطته مستمدة من

سلطة الله وسياسته التي يحكم بها في الاغلب يجب عدم معارضتها بأي شكل من الاشكال ويعبر عن نظرته هذه بقوله «انما جرت العادة من المتقدمين بأن يعدوا اسلافنا الملوك ارباباً لان افعالهم اذا وافقت العدل وأدت إلى المصلحة تشابه افعال الله تعالى ... فالالوهية ربوبية سماوية والملوكية ربوبية ارضية ، ويجب لمستحق هذا الاسم ان يلتزم احكام تدبير الخالق فيما يجرى على يده ... من امور الخلق» (٢٣) .

ووضح في مكان آخر طبيعة العلاقة بين الله والسلطان والرعية بقوله : «الناس بالزمان والزمان بالسلطان والسلطان بعد الله للملوك الذي استرعاهم امور عباده وملكهم ازمة بلاده فلا دين الا بهم ولا دنيا الا معهم» (٢٤) .

وحين يكون هدف التاريخ لدى الثعالبي خدمة السياسة ، فمن الطبيعي ان يورد الكثير من النصح والارشاد فيما يجب ان يكون عليه الملك في سياسته لرعيته ومن ذلك» ان يكون الملك كالغيث يحمي اذا همى والسيل يروي اذا طمى والبدر يهدي اذا سما» (٢٥) .

ومن ذلك ايضاً «الملك خليفة الله في عباده وبلاده ولم تستقيم خلافته مع مخالفته ، اذا شحن الملك قلوب جنده بالشحناء ، فلا ينظرن منهم حسن البلاء ، ولا تغني قـوة الجيش مع ضعف الجياش ... امور الملك اصحاب الدراريع والاقلام وأرباب الدروع والاعلام ، فأولئك الكتب والاراء وهؤلاء الكتائب والرايات» (٢٦) .

لقد اتخذ مؤرخنا من الاسكندر ذي القرنين مثالا للحاكم الجيد الذي يمكن الاقتداء به والاخذ من سلوكه السياسي ، الجيد والابتعاد عن الاخطاء التي وقع بها في سياسته لرعيته (٢٧) .

ويتحدث مؤرخنا عن الاثر الذي يتركه ضعف الملوك وتفكك اوصال المملكة على بقائها واستمرار وجودها ويأتينا بمثال عن سقوط الدولة الساسانية ليوضح ذلك، ويصف لنا آخر ملوك آل ساسان يزدجرد بن شهريار بقوله : «ملك وهو مراهق ودولته لم يبق فيها الا رمق ، والاهواء مختلفة والجماعات متفرقة والامور مختلفة ودولة العرب بالنبي (صلى الله عليه وسلم) مقبلة ونور الاسلام ساطع ووعدالله تعالى باظهاره على الدين كله صادق فما زال يزدجرد يطير ويقع ويمشي في الارض على ضلع إلى ان انفذ امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سعد بن ابي وقاص في اخيار الصحابة والجيوش المنصورة إلى العراق فلما ورد التعذيب حل العذاب بالعجم» (٢٨) .

ويعطينا مثالاً على سوء عصر ملك من الملوك وما تركه سوء ادارته على المملكة مستشهداً

على ذلك بعهد الخليفة المقتدر (ت ٣٢٠هـ - ٩٣٢م) حيث يقول : «وهكذا كانت دولة المقتدر بالله كان في مبادئها من الفتن والوهن واختلال التدبير وفساد قواعد الملك مالاخفاء فيه وسببه انه ولي الخلافة وهو صغير وتصرفت والدته وخالته وقهرمانته في الملك وكان ماكان» (٢٨) .

ونظراً لاهمية منصب الوزير وخطورته ولكون الوزير على رأس السلطة السياسية بعد الخليفة ، فقد اولاه الثعالبي اهتماماً خاصاً لانه هو نفسه من طبقة الكتاب القريبة من مؤسسة الوزارة بالضرورة ، وقد كان على المام واسع بهذه المؤسسة ألف فيها كتباً متعددة ، ومنها تحفة الوزراء ، وسر الوزارة ، واعطانا معلومات واسعة عن هذه المؤسسة من حيث درجتها وابرز مجالاتها وطبيعة نظامها (٣٠) .

وتحدث كذلك عن استخدام الملوك ومن امم مختلفة منذ القديم للوزراء (٣١) ، وفي هذا دليل على اطلاعه على تاريخ تلك الامم ونظمها السياسية وما يتعلق بأصول الحكم فيها ، ومما يلفت النظر في هذا رفضه ان يكون في الدولة اكثر من وزير واحد ، «قد جرت عادة الملوك باستيزار الواحد والاثنين فصاعداً من الوزراء والجمع بينهم في زمان واحد ، وذلك خطل من الرأي وخطأ في التدبير ، وفيه خطر على المملكة ، اذ لايسع الغمد سيفين وكثرة الايدي في الصلاح فساده» (٣٢) .

ويحدثنا عن مراسيم تقليد الوزراء مناصبهم في الدولة العباسية وما كان يدور بين الوزير والخليفة من عبارات التقليد وما يزود به من شارات متحدثاً عن وزارتي التفويض والتنفيذ (٣٣) .

ويحرص على تحديد الصفات التي ينبغي ان يتحلى بها الوزير من شرف الاصل والفضل (٣٤) . ويضيف «فاذا اجتمع الملك الفاضل والوزير الصالح الناصح ، فاعلم ان المملكة تكون ساكنة هادئة واحوالها واعمالها على النظام جارية» (٣٥) وهنا يسدي مؤرخنا النصح للملك في كيفية اختيار وزيره وما ستكون عليه مملكته من حال طيب اذا تم اختيار مثل هذا الوزير الصالح .

ويؤكد لنا استيزار وزير ليس اهلاً للوزارة يكون فيه خراب الدولة ويستعين بالتاريخ فيضرب لنا مثلاً استيزار فخر الدولة البويهي لصاحب مطبخه ابن بقيه الذي اصبح اضحوكة وموضع تندرهم (٣٦) .

اما واجبات الوزير تجاه المملكة من حيث الاعمار والاصلاح ورعاية الجند (٣٧) فيحددها ويرفض ان يكون للوزير سلطة على عمال البريد ، اذ قد يقوم بعزل الاخبار عن الحاكم ويستعين بالتاريخ ثانية ليثبت صحة رأيه فيورد حادثة «عبرة» وقعت للخليفة المأمون (ت ٢١٨هـ - ٨٣٣م) ويكشف وجه الاتعاظ «الاعتبار» منها وذلك حين بايع المأمون علي بن موسى الرضا بمرو ، فنشبت ثورة اهل بغداد عليه واخفى الفضل بن سهل خبر الثورة عنه ، وعلم المأمون بذلك عن طريق احدى جواريه فدبر الامر ورفع سلطة الوزير عن عمال البريد (٣٨) ،ونجد في مدونات الثعالبي اخباراً عما كان بين الوزراء من تحاسد مقيت وسلوك غير مقبول (٣٩) احياناً .

ولقد ادرك الثعالبي كغيره من المؤرخين - الكتاب اهمية المال والثروة (الاقتصاد) في بناء الدول واستتباب الاحوال ، ومن اجل ان يقدم تلك المواد التاريخية للحاكم ليستعين بها في سياسة دولته ، فقد اورد اخباره الاقتصادية التي اتخذت مجالاً واسعاً في مدوناته ، اشتملت على وصف للاحوال الاقتصادية للدول على عهد حكامها مع التحدث بشكل مسهب عن اقتصاديات الاقاليم والمدن العربية والاسلامية في عصره ، فضلاً عن اعطاء جانب من الاهمية لما تركه خلفاء بني العباس من اموال ومتاع عند وفاتهم وما حدث لهذه التركات في ايام ضعف الخلافة .

ولقد كان الطابع الارشادي هو الغالب على مدوناته الاقتصادية في كتابه تاريخ غرر السير تحقيقاً للهدف الذي وضعه في كون التاريخ يقرأ للعبرة ، وهو خادم لسياسة من يؤلف له ويكتب . ومن هذه الاخبار التي فيها طابع النصح والارشاد ماتحدث به عن حركة العملة على عهد احد الملوك والسياسة المالية التي كانت على عهده (٤٠) .

ويأتينا بخبر تاريخي اقتصادي من خلال وصية ملك لابنه يظهر من خلاله مايجب على الحاكم القيام به تجاه مملكته في وقت الازمات، ان حالات الخصب والجدب تختلف في البلدان ، فاذا تخلفت الغلات وقلت الانزال في سنة من السنين وتخوف الملك العوز والقحط فينبغي ان يأمر باحراز المرتفع من الحبوب ويمنع من حمل المتاجرين شيئاً منها الى ناحية اخرى وان من شأن التجار وطلاب الأرض جلب الامتعة والمير من بعض النواحي الى بعض ... والآفات التي تأتي على الحيوانات والعمارات ترجع الى ثلاثة اصناف من القحوط العامة والفتن المبيرة والأوباء الشاملة والقحوط اصعبها ... فكم من مدينة قد هلكت بتقصير من سائسها والمدبر لأمرها» (٤١) .

وتأتينا اخبار اقتصادية كثيرة على مدى عصور الدولة العربية الاسلامية (٤٢) لكنه يركز في اخباره هذه على الدولة العباسية لقرب عهده بها ولتوفر المصادر والسجلات عنها اكثر من غيرها من الدول التي سبقتها .

فقد تحدث عن عطايا المنصور لأهله وعمومته في اطار السياسة التي اتبعها لتثبيت اركان الدولة (٤٣). وحالات الصرف والبذخ التي عاشتها قصور بعض الخلفاء عند اقامة بعض الحفلات فيها كتكاليف زفاف بوران بنت الحسن على الخليفة المأمون (٤٤) وحفلة ختان المعتز (٤٥) ويعطينا الثعالبي احصاءات عن تركات خلفاء بني العباس من الاموال والآثاث منذ عصر المنصور حتى ايام المستكفي (٤٦) معتمداً في ذكر قسم من اخباره على الصولي (٤٧) والقسم الآخر ربما يكون قد اطلع عليه من خلال رؤيته لبعض سجلات دولة بني العباس وهو يزودنا بمعلومات قيمة عن جرادر الخلافة وخزائنها وما انتهى بها الامر في عصر الخليفة المقتدر بالله (٤٨) . ويقول في ذهابها على يد المقتدر ومن جاء بعده : «ولقد امتدت الى جوهر الخلافة ايدي الخونة وأتى عليه سوء السياسة فلم يبق منه شيء فكأنه ذهب مع ذهاب الخلافة وتلاشي المملكة والله سبحانه الفاعل لما يريده» (٤٩) .

وتحدث مؤرخنا من خلال رواية أبي المظفر نصر بن ناصر الدين عن اخيه محمود وما كان يقوم به السلطان محمود الغزنوي من مهام لاجل تثبيت اقتصاديات الدولة الغزنوية لاسيما في وقت الازمات (٥٠) .

ونظراً لكون الثعالبي احد رجالات طبقة الكتاب ، لذا نراه يأتينا ببعض الاخبار التي لها مساس بالجانب الاقتصادي لهذه الطبقة ، فقد اورد ذكراً لرواتب طبقة الكتاب ايام بني امية وبني العباس حتى عصر المأمون حين زيدت رواتبهم فتحسنت مكانتهم داخل الدولة والمجتمع (٥١) .

ولقد اولى بأقاليم الدولة العربية الاسلامية ومدنها من الناحية الاقتصادية اهتماماً خاصاً نأفرد لها باباً في كتابيه ثمار القلوب ولطائف المعارف . وذكر مايختص به كل اقليم من منتجات زراعية وصناعية وما كان يصل دار الخلافة منها مع ذكر لكمياتها مرقومة (٥٢)

وأعطانا أوصافاً لبعض هذه الأقاليم والمدن من ذلك وصفه لمدينة بغداد التي كان لها مكانة خاصة لديه وقدسيه لكونها عاصمة الدولة ومركز الخلافة ، وكان يتمنى ان تعود اليها هيبتها التي انتهكت في عصره (٥٣) .

وجاء عرضه لاقتصاد الاقاليم في الحقيقة مكملاً لما قام به الجاحظ عند تأليفه كتاب البلدان (٥٤) .

ولقد كان لشيوع الفرق والمذاهب المختلفة داخل كيان الدولة الواحدة الاثر البالغ على استقرار وسلامة هذا الكيان،ونظراً لما كان للفرق والمذاهب المختلفة من دور بارز في تفكيك وحدة الدولة العربية الاسلامية سياسياً واجتماعياً ، لاسيما في المشرق الاسلامي الذي هو موطن الثعالبي لذا نراه لايهمل هذا الجانب ، بل يتحدث عنه باسهاب ووضوح ومن ذلك كلامه عن بدايات المذاهب عبر التاريخ البشري . .

اذ يتكلم عن زرادشت وديانته وما اتى به من آراء وتعاليم (٥٥) . ولم يخف موقفه منها منتقداً زرادشت وتعاليمه بقوله واورد تخاليط وخرافات كثيرة (٥٦) . ويضيف «تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وله الحمد على نعمة الاسلام الذي هو احسن الاديان واصحها واظهرها وصلواته على المصطفى محمد خير من ارسل بخير ماانزل»(٥٧)

ثم يتحدث عن مانيّ والمنوية ويقول : «ان ماني الزنديق المتنبي لعنه الله وان الزندقة اول ماظهرت كانت مع ظهوره بدينه المزخرف المبهرج» (٥٨) . ويفصل لنا عن تعاليم مزدك والمزدكية (٥٩) ايضاً .

وقد اعطانا تفصيلات عن بعض المذاهب الاسلامية كالمرجئة (٦٠) فضلاً في حديثه عن الفرق الشعوبية التي ظهرت في العصور الاسلامية وبعض ثورات الخوارج (٦١)

ويعد عصر الثعالبي عصرَ الرحلات الجغرافية ، حيث جاب العديد من العلماء المسلمين الاقاليم المعروفة من الأرض على عهدهم واستطاعوا الوصول اليه وتحدثوا عما شاهدوه فيها ، لذا جاءنا عنهم ماعرف بذكر العجائب لاسيما مايتعلق بالمنشآت العمرانية ، فكان على الثعالبي ألا يغفل هذا الجانب الحضاري المهم ، وقد صرح بأن العجائب العمرانية في عصره اربع وهي منارة الاسكندرية وكنيسة الرها ومسجد دمشق وقنطرة طنجة (٦٢) . وقدم وصفاً دقيقاً عن منارة الاسكندرية (٦٣) فيه خلاف عما ورد عند المسعودي عنها(٦٤) ولم يقنع بالروايات التي اخذها عن ابي معشر المنجم حول بناء الاهرامات وكان يصدرها بقوله «زعم ابو معشر» (٦٥) .

اما الحكم والامثال ، فقد اخذت حيزاً لابأس به من المحتوى التاريخي عند الثعالبي منطلقاً في كون هذا النوع من النصوص يخدم من يؤلف له لان فيه العظة والارشاد، فضلا عن خدمته لنظرية «الحكمة الابدية» والتي كان مؤرخنا من المتأثرين بها واشتملت نصوصه

على مساحة واسعة من الزمن عبر تاريخ ماقبل الاسلام والتاريخ العربي الاسلامي فقد اورد حكماً واقوالا لعدد كبير من الملوك والفلاسفة لامم مختلفة (٦٦) ويأتينا بالعديد من الخطب والاقوال التي قالها الخلفاء المسلمون (٦٧) .

ومن ناحية اخرى نجد في مدونات الثعالبي عدداً من اقوال وحكم الفلاسفة اليونان ومنها ماتحدث به الحكماء عند تابوت الاسكندر (٦٨) ضمن النظر والتصور الاسلامي لهؤلاء الفلاسفة وحكمهم . كما نجد للثعالبي بعض الامثال يرويها ويقول عنها انه اخذهـا من الكتب المقدسة وهي التوراة والانجيل والزبور (٦٩) .

لقد اشتمل المحتوى التدويني لمؤرخنا على مساحة واسعة من المراسلات والمكاتبات حيث اورد الكثير عنها نتيجة لاتصالاته ببيوت الحكم في نيسابور وبخارى وخوارزم وغزنة فضلاً عن علاقاته الواسعة مع الكتاب في تلك البلاطات ناهيك عن كونه هو نفسه احد الكتاب الندماء للبلاط المقربين الى دواوينه وقد تنوعت الكتب التي اوردها فشملت عـلى الكتب الرسمية والمراسلات الاخوانية والادبية(٧٠) وكان المحتوى اللغوي لبعض الكتب احد عوامل أهتمام الثعالبي بها ، ولكن المحتوى التاريخي لهذه النصوص هو الغالب عليه وهنا تظهر طبيعة العلاقة المتلازمة بين الادب والتاريخ لديه .

وبعد ذكر المراسلات والمكاتبات سمة لكتاب هذا العصر ممن اتصل بالبلاطات او من كان كاتباً للديوان وثمة كتب مهمة نجدها عند الثعالبي تبين لنا من خلالها حالة عصـره السياسية والاجتماعية ومنها مااورده الثعالبي عن العصور التي سبقته من غير ان يذكر لنا مصدرها وربما يكون قد اطلع عليها في دواوين الرسائل وسجلاتها التي صارت تحت يده عبر تجواله في اقاليم المشرق الاسلامي او من كتب مفقودة لم تصل الينا ، ولم يذكرهـا لنا مؤرخنا ، ومنها مايختص بكتب العصر الراشدي والاموي كالذي اورده من وصيـة ابي بكر للجيش المتوجه نحو الشام (٧١) وكتاب استخلاف ابي بكر لعمر (٧٢) ، وغيرهمـا من النصوص التي اوردها الثعالبي فيكتابه : الاقتباس من القرآن الكريم الذي ألفه قاصداً به التعابير اللغوية التي اخذت من القرآن الكريم ، ولكن المحتوى التاريخي في نصوصه هو الطاغي على محتوى الكتاب ، وهنا يمكن ان نلاحظ التلازم بين الادب والتاريخ لـدى مؤرخنا .

ويورد لنا كتباً كثيرة من العصر العباسي (٧٣) . ومن عصره ومنها كتب ذات قيمة تاريخية كبيرة ككتاب كتبه نوح بن منصور الساماني الى قائده ابي علي بن سيمجور

عندما هاجم الاتراك بخارى عام ٣٨٣هـ- ٩٩٣م وفيه يطلب نوح من قائده المساعدة ، ويذكر لنا الثعالبي نصاً مقتطعاً من الكتاب «وانما تحتاج الدولة الى عمادها اذ قصدها من يزعزع من اوتادها فالله الله في هذه الدولة ، فقد جاءتك مستغيثة بل مستعينة اياك لاجنبة اليك» (٧٤) كما يورد كتباً لكتاب الرسائل الذين خدموا آل بويه يظهر لنا من خلالها العلاقة بين الخلافة وآل بويه في هذه الفترة (٧٥) .

ومن هذه الكتب ما كتب على لسان الخليفة العباسي الطائع لله (ت٣٨١هـ - ٩٩١م) الى ركن الدولة البويهي عند مجيء عضد الدولة الى العراق «فانت وعضد الدولة كلاكما الله يدا امير المؤمنين فيما يأخذ وينذر وناظراه فيما يقرب ويبعد بكما افترش مهاد الملك بعد انخفاضه ورفع منار الدين بعد انخفاضه» (٧٦) وفي هذه الكتب اخبار عن بعض الاحداث كفتح عمان على عهد عضد الدولة بعد ان سيطر عليها الزنوج الافارقة (٧٧) .

واخيراً ومن خلال استقرائنا للمحتوى التدويني لدى الثعالبي نراه ينفرد في ذكر بعض الاحداث التي عاشها عصره ولم يأت بذكرها سواه من معاصريه ومنها على سبيل المثال ما قدمه من وصف لاحدى سيدات بني حمدان (جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني) وما قامت به من اعمال البر في حجتها إلى بيت الله الحرام وما آل اليه امرها بعد ذلك على يد عضد الدولة البويهي (٧٨) .

وينفرد الثعالبي في ايراد اخبار محاولة اثنين من اولاد خلفاء بني العباس من تكوين جيوش لهم في المشرق للتوجه نحو بغداد والقضاء على سلطة البويهين واعادة الهيبة للخلافة العباسية وهما ابو طالب عبدالسلام بن الحسين المأموني (٧٩) . وابو محمد الواثقي ونجاح الاخير في استقطاب قائد الترك لاسقاط الحكم في بخارى عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م وقد انتهى امر الواثقي بموت قائد الترك ورجوع نوح بن منصور الساماني إلى بخارى وعودة الواثقي بعدها إلى العراق قبل ان يحقق اماله (٨٠) .

وبعد فالمحتوى التاريخي عند الثعالبي واسع ومتشعب ، فقد رأيناه مثابة المادة الاولية التي تشكل منها الهيكل البنائي للهدف الذي وضعه لهذا التدوين معبراً في الوقت نفسه عن سعة افق في كيفية عرضه للاحداث جعلته بعد بحق «جاحظ نيسابور وراس المؤلفين وامام المصنفين في عصره» (٨١) .

٣ – الأسلوب

جاء الاسلوب التدويني للذي اتبعه الثعالبي في تعامله مع النصوص معبراً عن الهدف الموضوع لهذا التدوين ومتخذاً اتجاهين واضحين حددا معالمه ،تمثل الاتجاه الاول في كيفية التعامل مع النص وطريقة معالجته بينما تمثل الاتجاه الثاني بالاسلوب اللغوي الذي اتبعه في عرضه للنصوص وربطه فيما بينها .

لقد طغى المنهج السيري على اسلوب عرض الحدث التاريخي عند الثعالبي متخذاً مسارين بني الأول على اتخاذ شخصية الحاكم محركاً للتاريخ وقام الثاني على استخدام التراجم اطاراً يحوي النصوص الادبية التي يصبو إلى عرضها ، وهنا برزت الصلة الوثيقة بين الادب والتاريخ في تدوينه التاريخي وتمثل هذا المسار في كتابيه اليتيمة والتتمة .

وكان المسار الأول واضحاً في كتابه تاريخ غرر السير الذي يعد منهجه امتداداً لكتب الطبقات الأولى بشكل او بآخر مختطاً الطريق الذي وضعه الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم دليلا له (٨٢) فقد تأثر الثعالبي بهذا المنهج بشكل كبير ، وتمثل اسلوب عرضه التاريخي ضمن هذا المسار في كون المترجم له هو التاريخ نفسه وبوفاته ينتهي عهد وتاريخ ويبدأ تاريخ جديد ، وهذا الاسلوب «يضع الكتابة التاريخية المستندة اليه في خانة مغايرة لتلك التي تنظم الكتابة الحولية . هذا مع ان تنظيم التاريخ على الملوك يبقى تنظيماً زمانياً يتخذ فيه الملوك مكان السنوات كوحدات التنظيم والبناء الاساسية ليس بالمحاكاة بل بالمطابقة البنيوية والمماثلة من حيث المضمون» (٨٣) واشتمل هذا الاسلوب التدويني عنده ثلاثة خطوط «الكلام في شخص الملك من نسب ومولد ووفاة ومناقب وزوجات واولاد. والكلام في الأفعال كالحروب والفتوح والوزراء والحجاب ، واخيراً الكلام فيما جرى في زمانه من الاحداث الجسام والحوادث العجيبة والامور الغريبة» (٨٤) فضلا عن ايراد بعض الاقوال الحكيمة وما جرى من كلامه مجرى الامثال (٨٥) . فالملك عنده هو عقدة التاريخ «وهو اساس تنظيم التسلسل وسياقة الاخبار» (٨٦) .

اما اسلوب عرض الترجمة الذي سار عليه في اليتيمة والتتمة فقد اتسم بوحدة الموضوع للمترجم عنه فقول الشعر هو الهدف الاساس لذكر الترجمة فقد وجه الكتابين عنايتهما الى جمع اشعار عصر المؤلف . فالترجمة عولجت من حيث ذكر الاسم والنسب والعمل الذي يقوم به المترجم له ومكان مولده والاقليم الذي يعيش فيه مع ذكر لأبرز قصائده (٨٧) وذكر وفاته مع السنة في بعض الاحيان (٨٨) وفي كثير من الاحيان لايذكر السنة بل يكتفي

بعبارة «رحمه الله» (٨٩) اما اذا كان المترجم عنه من عليه القوم او من اعلام العصر فتراه يسهب في الحديث عنه. وأذا كان كاتباً اورد عدداً من نصوص كتبه (٩٠) ، وفي بعض الاحيان لايذكر لنا من الترجمة غير الاسم وما يقوم به المترجم له من عمل بشكل مختصر جداً (٩١) وهذا أت في أعتقادنا من قلة ما يعرفه المؤلف عن هذا الشخص اوالى ان المترجم له ليس بذي مكانة كبيرة في المجتمع تستحق التفصيل عنه ، لاسيما وأن الثعالبي ينشد اسلوب الاختصار في عرضه لتراجمه (٩٢) او لربما يكون المترجم له شخصاً معروفاً بشكل واضح وجلي في ذلك العصر او يكون قريباً منه . لذا لايرى ضرورة لذكره بشكل مفصل . ولقد أتسم مؤرخنا بالدقة في عرضه لتراجمه (٩٣) واتبع منهجاً جديداً في تقسيم تراجمه لم يسبقه اليه احد قبله ، وهو المنهج الاقليمي . حيث ابتعد عن المنهج الطبقي الذي يقسم الشعراء على حسب مكانتهم الفنية كما هي الحال عند ابن سلام الجمحي (ت٢٣٢هـ/٨٤٢م) ، واتجه الى تقسيم المترجم لهم في مجموعات بحسب الاقليم الذي يعيشون فيه او البلد الذي يضمهم او البلاط الذي يجمعهم او الاسرة التي ينتمون اليها (٩٤) . من الاقليم الواحد ، وهو في الحقيقة منهج مبتكر املته عليه ظروف عصره ، ولقد حاول احد الباحثين ان يقلل من قيمة منهج الثعالبي هذا ، وقال عنه : انه طريقة سهلة وجدها لذكر تراجمه ، ولم يكن للاقليم والبيئة دور في تفضيله لاسبقية عرض تراجمه (٩٥) ولكن الحقيقة تقول ان البيئة اللغوية وطبيعة الاقليم هما الاساسان اللذان قام عليهما منهج الثعالبي ، ويؤكد ذلك مؤرخنا عند بداية الحديث عن أهل الشام وسبب ذلك (٩٦)

ولقد كانت النظرة التي تعامل بها الثعالبي مع النصوص واسلوب عرضه للاحداث وطريقة استخدامه للمصطلح التدويني متشعبة المظاهر تظهر من خلالها بصمات المنهج الخاص الذي اتبعه في عرضه للحدث المروي له او الذي عاصره ، وذلك انه كان يؤكد على ان مايقدمه من روايات قد درست من قبله وحقق سند خبرها محاولا اعطاء اصح الروايات عن مروياته ، ويقول «وأنا اسوق اتم الروايات واحسنها ، وعند الفقهاء ان الخبر لمن زاد فكيف عند اصحاب التواريخ الذين لايخلون من التخاليط والاغاليط» (٩٧)

فالزيادة في ذكر ما يروى عن الخبر واجبة كما ان الدقة في نقلة مطلوبة ويصف لنا معاناته في البحث عن النصوص واسلوب روايتها «ومن يقدر على حصر الانفاس وضبط بنات الافكار وفي الزوايا خفايا ولانهاية للخواطر ولامنقطع لمواد المحاسن وما على المؤلف الا جهده» (٩٨) .

ومن جانب اخر تراه لايقف موقف الناقل للرواية دون مناقشتها وابداء رأيه فيها، مثال ذلك ما اورده من اقوال للفرس في أساطيرهم عن اول ملك لهم وهو كيومرث وقولهم فيه انه ادم (ع) (٩٩) ونراه يرد عليهم بعد عرض لارائهم بقوله: وكيف يصح ذلك وفي التواريخ ان أدم عليه السلام عمر بعدما هبط الى الارض الف سنة وكيومرث ملك ثلاثين سنة، (١٠٠) وعن رواية اخرى للفرس وقولهم في أحد ملوكهم : انه سليمان (ع) يقول: «ذلك محال كبير وغلط عظيم» (١٠١) وفي كثير من الروايات التي كان لايقتنع بصحتها ينتهي بعبارة «والله اعلم» (١٠٢) بعد ذكرها اويقول: «فيما يحكي» (١٠٣) اوحسب زعم شخص او فئة من الفئات (١٠٤) ويترك الرواية على عهدة المصدر الذي اخذ عنه .

ولاحظنا كذلك انه كان يحاول تفسير النص من خلال اسلوب عرضه ويبدي رأيه فيه (١٠٥) ورأيناه عند رواياته لبعض الاحداث يتدخل في سرد الحدث باسلوب ينم عن نصح وارشادات لمن يؤلف له وذلك باضافة عبارات في تقويم، الحدث من خلالها مستلخصاً منه العبرة الاخلاقية، ومثال ذلك ماتحدث به من تقسيم احد الملوك لمملكته بين ابنائه . فقد اورد بعد ان اتى على تفاصيل الحدث «وزلة اللبيب، وأخطأ خطأ الاديب وعثر عثار الملوك في العمل بالهوى لابالرأي» (١٠٦) .

ولديه مواقف اخرى، ومنها ما اورده من حكم ملكين الاول صالح والثاني فاسد ومدة حكم كل منهما، وحكم الاول خمس سنين، والثاني اربعمائة سنة، ، وقال «فسبحان الله الذي له في كل قضية ألطاف نعرفها فنشبتها في فضله ونعمته ونجهلها فنردها الى عدله وحكمته وله الخلق واليه الامر سواء عنده السر والجهر» (١٠٧) وهنا حاول ان يقدم العبرة المستخلصة من الحدث، ولما لم يستطيع تحليل اسباب الحدث حتى يربط بين الحدث واسبابه من خلال العبرة، اقول عندما لم يستطع ذلك ارجعه الى الارادة الالهية في حدوثه . وله نصوص اخرى في هذا الجانب (١٠٨) .

ويتسم عمله بالدقة في تعامله مع تراجمه فعند عدم يقينه من كون الذي يترجم عنه ميتاً أو حياً كان يقول «اغلب الظن» (١٠٩) .

وثمة عبارات يذكرها عند عدم ثقته بصحة الروايات التي ينقلها ومنها اظن (١١٠) «اشك» (١١١) «اما» (١١٢) «طعن في صحة الخبر» (١١٣) «لست من صحة بعضه على يقين» (١١٤).

ونجد المقارنة بين الاحداث شائعة لديه . فقد يذكر اقوالا واحداثاً قد قيلت او وقعت قبل الاسلام ويقارنها مع اقوال وافعال حدثت من قبل الساسة والعلماء في الاسلام (١١٥) وهذا ربما يكون متاتياً من تأثره بفلسفة الحكمة الابدية التي كانت شائعة في عصره .

ولقد كان امر شائعاً بين علمائنا اختصار النصوص التي يروونها (١١٦) ومورخنا ممن سار على هذا النهج ، فقد كان يختصر بعض النصوص لطولها كاختصاره للرسائل التي تبودلت بين المنصور ومحمد ذي النفس الزكية ، وقوله عنها «وجرت بينهما مراسلات ومراجعات يطول الكتاب باقتصاصها » (١١٧) واختصاره لقصة الاسكندر عند خروجه نحو المغرب بقوله : «ولو فصلت هذه الجملة واستتممت هاتيك القصص لاستغرقت الصحائف وخرجت عن رسم هذا الكتاب المبني على اللمع والنكت » (١١٨) وهناك اشارة الى أنه كان يحدد منهج كتابه كتبه قبل البدء بها ويضع ما يحويه الكتاب في المقدمة . ولم يحدثنا بالشيء الكثير عن الاخبار المشهورة والقصص السائرة حسب رايه ، لانها مشهورة معروفة بل كان يطرح للقارىء الاخبار الاقل شهرة ، ويكتفي من الاخبار المشهورة ، بالاشارة اليها فقط (١١٩)

وللثعالبي اسلوب واضح في عدم تكرار نصوصه وفي حالة تكرار النص لديه يكون ذلك لسبب مقنع يوجب ذلك وهو بدوره يحيل الى النص الذي ذكره سابقاً او الذي سياتي فيما بعد ، ففي ذكره بصورة عرضية لاحد ملوك اليمن في نص له قال : «وانا اعيد ذكره في الاذواء من ملوك اليمن » (١٢٠) وفي حدث آخر ، قال «يجيء ذكرها في مكانه من هذا الكتاب» (١٢١) كما انه اذا اراد التفصيل في الحدث يذكر انه سوف يفصل فيه في مكانة (١٢٢).

وكان عند الاحالة الى اماكن النص لاينسى فضل غيره فيما دونه عن الموضوع مثال ذلك ما دونه عن قريش مضافاً لما دونه الجاحظ اذ يقول «سيمر بك في هذا الكتاب من نكت فضائلهم وغرر غرائبهم ما تكثر فائدته وتطيب ثمرته وأن كان لاتزيد على وصف الجاحظ لهم ومدائحه اياهم» (١٢٣) وكذا في اليتيمة عند تعامله مع تراجمه «(١٢٤) .

ومن العبارات التي تدخل ضمن المصطلح التدويني التي أستخدمها عند احالة القارىء الى نص قد ذكره سابقاً ويطلب منه مراجعته «قوله فليرجع» (١٢٥) كما انه كان يحيل القارىء الى المصادر التي تمكنه من الاستزادة في المعلومات عن الموضوع الذي يتحدث عنه (١٢٦) مع اعطائه تقويماً لبعضها، مثال ذلك موقفه من كتاب التاجي للصابي ، فقد قال عنه «من اراد أن ينظر في أخبار عضد الدولة ويقف على محاسن اثارة فليتامل الكتاب التاجي من تأليف ابي اسحاق الصابي » (١٢٧) .

ولقد كان حين يسهب في موضوع ويتجاوز الحد الذي وضعه له نراه يعتذر الى القارىء بمثل قوله : «وارجع الى المتن فقد طال الاسناد ولا يكاد الكلام ينتهي حتى ينهى منه»(١٢٨) وهنا نجد الخبر المركب واضحاً في نصوصه .

وثمة عبارات ترد عنده عند تداخل الروايات في النص الواحد وعدم استطاعته تمييز قول كل راو عن النص ، كقوله : «قد دخل حديث بعضهم في بعض» (١٢٩) ، وكان يؤكد بعض الروايات بالدراسة والتمحيص ، ومنها مثلاً ماقيل عن اسلام السرى الرفاء «بلغني انه اسلم صبياً .. ومما يدل على ذلك ماقرأته بخطه» (١٣٠) .

كما انه يوجه بعض الانتقادات الى بعض اخطاء عظماء الكتاب لديه ، بما لم يقبله منهم مثال ذلك ماذكره عن الجاحظ وروايته عن التماسيح «زعم الجاحظ إن التماسيح لاتكون الا في وادي النيل والقرود لاتكون الا باليمن ، وقد غلط فان في وادي كنك من ارض الهند تماسيح وفي بعض بلادها قروداً كثيرة» (١٣١) . كما انه ينتقد بعض الكتاب في تعصبهم للفرس ويرفض هذا التعصب ويصحح اخطاءهم حباً منه لصحة المعلومة المروية وتفانياً منه للعربية والاخلاص للعروبة (١٣٢) .

وقلما نجد التحديد الزمني للحدث في تدوينه بالسنين المرقومة (١٣٣) الاما جاء منها في كتابه تأريخ غرر السر ، فقد وجدناها واضحة عند حديثه عن الحاكم وسني حكمه (١٣٤) .

ولما كان احد اهداف تدوينه للتاريخ للسلطة الحاكمة (التسلية والملهاة) فقد كان احياناً يستجيب لرغباتها فيورد بعض الاساطير والخرافات في مدوناته مما لايقتنع به ، ومنها على سبيل المثال قصة رستم التي يقول عنها بعد ايرادها «وانا بريء من عهدة هذه الرواية ولولا شهرتها بكل مكان وفي كل زمان وعلى كل لسان وجريها مجرى مايستطاب ويلهىء به الملوك عند الارق لما كتبتها» (١٣٥) ويعود ويؤكد رايه فيها بقوله : «وهذه القصة الى منتهاها من بقية قصة رستم مما لايقبله العقل ، ولا يصدقه الرأي ، ولكني اوثر ان لايخلو كتابي هذا منها مع شهرتها وتداول الناس اياها وميلهم اليها واستطابة الملوك عجائبها .... وقد سبق القول في الاعتذار من امثالها ... ولنا من الاحاديث طيبها» (١٣٦) وله في هذا الجانب امثلة أخرى (١٣٧) .

ولذلك لا نستغرب اذا ما احتوت مدوناته على قصص من (الاسرائيليات) ومنها على سبيل المثال رواية المرأة التي ذكرها في كتابه تأريخ غرر السر ، وقال عنها : «هذا مكان حديث يجري مجرى الخرافة ، ولكن الطبري قد اورده في كتابه التاريخ باسناد له وقراته في غيره من الكتب فكتبته وانا بريء من عهدته» (١٣٨) . وقد ذكر لنا في هذا الجانب

العديد من الروايات عن وهب بن منبه وبعض اقاصيص الفرس (١٣٩) . وفي احيان قليلة كان يذكر الرواية والآراء التي قيلت فيها دون ترجيح (١٤٠) .

اما فيما يتعلق بالجانب الثاني ، اي كيفية كتابة النصوص وربط الاحداث التاريخية باساليب كتابية لغوية وتعبيرية فان اسلوب (السجع) قد غلب على الطريقة التدوينية لديه، لاسيما في كتبه تاريخ غرر السير ، واليتيمة والتتمة ، وكانت هذه الطريقة هي المتبعة في الكتابة سواء الادبية منها ام التاريخية في عصره ، لا سيما اذا كان المدون إلى الملوك ومن هم من علية القوم .

واصبح هذا الاسلوب احد الاساليب المميزة لكتاب الرسائل وكتاب البلاط في هذا العصر ووصل في بعض الاحيان إلى الغاية من حيث التعقيد والزخرفة اللفظية للكلمات عند بعض الكتاب بحيث طغى اسلوب السجع والزخرفة اللفظية على الحدث المروي بعد ان كان يرد عند الكتاب في العصور السابقة باسلوب سردي مبسط . وربما يكون الصابي هو اول من ادخل هذا الاسلوب على التدوين التاريخي في كتابه المفقود : التاجي (١٤١) .

وعلى الرغم من هذا فإن اسلوب السجع لم يؤثر كثيراً على معالجة الحدث المروى في كتبه التي استخدم فيها هذا النوع من الصيغ البلاغية في التدوين ويؤكد لنا استخدام هذا الاسلوب في كتابه تاريخ غرر السير ، في طريقة عرضه للروايات «واكسوها شعاراً انيقاً من الفاظ كتاب الرسائل واسلاك بها في طرقهم وانسجها على طرازهم اذ كلامهم سحر العقول ورقى القلوب ومن نمط الملوك» (١٤٢) . ولكن السجع لم يطغ على جميع مؤلفاته ، فقد رأينا الاسلوب المرسل السهل واضحاً في كتاباته في اغلب كتبه مما يجعلنا امام نمط كتابي سار عليه ، اذ انه جمع بين الكتابة المنمقة او ما عرف بالادب الرفيع لطبقة من الناس واسلوب الاختيارات التي تكتب لاغلب فئات المجتمع (١٤٣) . ومن الاساليب الكتابية لديه ادخال الحكميات واقوال الفلاسفة والاشخاص البارزين عبر العصور ضمن باب (العبرة الاخلاقية) وما عرف بمصطلح (الحكمة الابدية) الذي ساد عصره في محاولة للتعبير عن امكانية التشابه الفكري للعقل الانساني على الرغم من تباعد الازمان والامكنة ، وخلق جو من الحوار بين التيارات الفكرية المختلفة داخل المجتمع العربي الاسلامي .

وثمة ملاحظات اخرى يمكن الاشارة اليها في اسلوبه الكتابي ، فالاقتباس من القرآن

الكريم واضح لديه نتيجة تعلقه الشديد بالاسلام ، وكان يقول : «من اراد ان يعرف جوامع الكلم ويتنبه على فضل الاعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الايماء ويفطن لكفاية الايجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على سائر الكلام» (١٤٤) .

واخيراً لعبت المقطوعات الشعرية والامثال العربية دوراً في اسلوبه الكتابي ، فقد أدخلها في مناقشته أو نقده للاحداث أو تعليقه عليها (١٤٥) .



الهوامش :

*- أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، الأديب المؤرخ ولد في نيسابور عام ٣٥٠ هـ-٩٦١ قضى حياته المبكرة طالبا في كتاتيب مدينته ليصبح بعدها مؤدب صبيان ومن ثم صوب بصره نحو بلاطات المشرق فعمل فيها كاتبا ونديما في آن معاً متنقلا بين مدينة نيسابور وبخارى وجرجان فخوارزم ومن ثم غزنه وعاد بعدها إلى مدينة نيسابور لتكون وفاته عام ٤٢٩هـ- ١٠٣٧ م .

(١) جب : هاملتون ، دراسات في حضارة الأسلام ، ترجمة ، احسان عباس واخرون (بيروت ١٩٧٤) ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) نفسه ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٣) حمدون عبدالستار ، أثر كتاب الدواوين في التدوين التاريخي، رسالة ماجستير غير منشورة (الموصل : ١٩٨٣) ص ٦١ .

(٤) الثعالبي : أبو منصور ، تأريخ غرر السير ، تحقيق ، زوتنبرك (طهران : ١٩٦٣) ص ٧٤٨، وينظر كذلك حول مصطلح العبرة ، لطائف المعارف ، تحقيق ، ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي (القاهرة: ١٩٦٠) ص ١٤٢- ١٤٧ .

(٥) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، المقدمة ، ١ .

(٦) نفسه ، ٧١١

(٧) الثعالبي : أبو منصور تحفة الوزراء ، تحقيق ، ابتسام الصفار وحبيب الراوي (بغداد : ١٩٧٧) ص ٨١ .

(٨) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، المقدمة ، ١ .

(٩) حمدون ، ص ٨٦ .

(١٠) نفسه

(١١) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .

(١٢) الثعالبي : أبو منصور ، غرر السير ، مخطوطة ، البودليان ، تحت رقم (٥٤٢) ورقة ١٦٧ .

(١٣) الثعالبي ، تحفه الوزراء ، ص ٥٤ .

(١٤) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، ص ١٣٧ .

(١٥) روزنثال : فرانز علم التأريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي (بغداد : ١٩٦٣) ص . ١٩٧ .

(١٦) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، المقدمة ، ص ١ .

(١٧) نفسه : ص ا - ١١١ X
(١٨) نفسه ص ١٤٧ .
(١٩) نفسه ص ٤٢٤ .
(٢٠) الثعالبي ، غرر السير ، ورقة ١١٧ .
(٢١) نفسه ، ورقة ١٢٢ .
(٢٢) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، المقدمة ١ .
(٢٣) نفسه ، ص ٢٣٩ .
(٢٤) نفسه ، المقدمة ١ .
(٢٥) الثعالبي : أبو منصور ، احسن ماسمعت ، شرح وتعليق ، محمد صالح عنبر (القاهرة : ١٣٢٤هـ) ص ٢٣
(٢٦) الثعالبي : أبو منصور ، المبهج (مصر ١٩٠٤) من ١٦ - ١٧ .
(٢٧) الثعالبي : تأريخ غرر السير ص ٣٩٩ - ٤٥٦ .
(٢٨) نفسه ص ٧٣٧ - ٧٣٨ .
(٢٩) الثعالبي ، تحفة الوزراء ، ص ٩٣ .
(٣٠) نفسه ، ص ١٣ .
(٣١) نفسه ، ص ٤١ - ٤٢ .
(٣٢) نفسه ، ص ٥٣ .
(٣٣) نفسه ص ٧٥ - ٧٦ .
(٣٤) نفسه ص ٥٠ .
(٣٥) نفسه .
(٣٦) نفسه ص ٥١ .
(٣٧) نفسه ص ٥٢ .
(٣٨) نفسه ص ٩٧ - ٩٨ .
(٣٩) الثعالبي : أبو منصور ، يتيمة الدهر ، تحقيق ، محمد محي الدين عبدالحميد (بيروت : ١٩٧٣) ج٣ ، ص ٨٧ ، ١٨٦ - ١٨٧ .
(٤٠) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ص ١٤٨ .
(٤١) نفسه ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .
(٤٢) الثعالبي ، أبو منصور ، الكناية والتعريض ، تقديم علي الخاقاني(بيروت دون تأريخ ص ٥٣ ، ثمار القلوب ، تحقيق ، محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة : ١٩٦٥) ص ٤٤٠ على سبيل المثال .
(٤٣) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٢ .

(٤٤) نفسه ، ص ١٢٠ – ١٢١ ثمار القلوب ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٤٥) الثعالبي الطائف المعارف ، ص ١٢٢ – ١٢٣ .

(٤٦) نفسه ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٤٧) الثعالبي : ثمار القلوب ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(٤٨) نفسه ، ص ١٩٥ .

(٤٩) نفسه ، ص ١٩٥ .

(٥٠) الثعالبي : أبـو منصـور ، اللطف واللطائـف ، تحقيـق ، محمـود عبد الله الجـادر (الكويت : ١٩٨٤) ، ص ٢٤ .

(٥١) الثعالبي : لطائف المعارف ، ص ٢٢ – ٢٣ .

(٥٢) الثعالبي : ثمار القلوب ، ص ٥٣٠ – ٥٤٥ ،لطائف المعارف ، ص ١٦٠–٢٢٨ .

(٥٣) الثعالبي / ثمار القلوب ص ٥١٢ .

(٥٤) ينظـر الجاحظ : عمـر بـن بحـر ، كتاب البلدان ، تحقيق ، صالح احمـد العـلي (بغداد: ١٩٦٧) مجلة كلية الاداب ، العدد العاشر .

(٥٥) الثعالبي / تاريخ غرر السير ، ص ٥٢ – ٢٦١.

(٥٦) نفسه ، ص ٢٥٨.

(٥٧) نفسه ، ص ٢٦١ .

(٥٨) نفسه ص ٥٠١ .

(٥٩) نفسه ، ص ٥٩٥ – ٦٠٥ .

(٦٠) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٨٢ .

(٦١) نفسه ، ص ٩٠ – ٩٢ ، ١٥٩ – ٦٥٣ .

(٦٢) نفسه ص ٥٢٤ .

(٦٣) نفسه ص ٥٢٣ .

(٦٤) المسعودي : علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق ، اسعد داغر (بيروت /١٩٧٣) ج١ ، ص ٤١٦ .

(٦٥) الثعالبي : ثمار القلوب ، ص ٥٢٢ لطائف المعارف ، ص ١٦٤ – ١٦٥ .

(٦٦) الثعالبي : أبو منصور ، خاص الخاص ، تقديم ، حسن الأمين (بيروت : ١٩٦٦) ص ٨٤ – ٨٥ الاعجاز والايجاز، تحقيق ، اسكندر اصاف (بيروت : دون تأريخ) ص ٣٨ – ٦٣ .

(٦٧) الثعالبي : ثمـار القلوب ص ١١٧، ٥٩٤ . الأقتباس مـن القـرآن الكريم ، تحقيق ، ابتسام الصفار (بغداد: ١٩٧٥) ج١، ص ٩٦ – ١٠٠، ص ١٢٤ – ١٢٧. الاعجاز والايجاز ، ص ٨٥ – ٩٤ .

(٦٨) نفسه ، ص ١٢٥ – ١٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ، تحقيق ، عبد الفتاح الحلو (القاهرة: ١٩٦١) ص١٥٥ – ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ٣٩٦، ٤٢١، تأريخ غرر السير ص ٤٥٠ – ٤٥٢ .

(٦٩) الثعالبي : التمثيل والمحاضرة ، ص ١٤ .

(٧٠) الثعالبي : اليتيمة ج ١ ، ص ٢١٦، ج ٢ ، ٢٩٤ ، ٤٠٢ – ثمار القلوب ٤٢، ٤٣ ، ٥٢ ، ٨٢ ، ١٥٤ ...... الأعجاز والايجاز ، ١١٥، ١١٦، ١١٨ .... وفي كتب اخرى .

(٧١) الثعالبي ، الأقتباس من القرآن الكريم ،ص ٩٩ والنص يختلف عما في الطبري (المحققة)

(٧٢) نفسه ، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٧٣) الثعالبي ، خاص الخاص ، ص ٨ .

(٧٤) نفسه ، ص ١٥ .

(٧٥) الثعالبي ، اليتيمة ج٢ ، ص ٣١٢ والتي تليها .

(٧٦) نفسه ، ص ٣١٢ .

(٧٧) نفسه ، ص ٣١٩ – ٣٢٠ .

(٧٨) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٨٢ – ٨٧ ، ثمار القلوب ، ص ٢٠٥ .

(٧٩) الثعالبي ، اليتيمة ج٤ ، ص ١٦١ – ١٦٢ .

(٨٠) نفسه ، ص ١٩٢ – ١٩٣ .

(٨١) ابن بسام : أبو الحسن علي ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق، احسان عباس (بيروت : ١٩٧٩) القسم الرابع ، الجلد الثاني ، ص ٥٦٠ – ٥٦١ .

(٨٢) الخوارزمي : أبو عبدالله محمد مفاتيح العلوم (مصر: ١٣٤٢هـ) ص ٦٢ – ٧٨ .

(٨٣) العظمة . عزيز ، الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية (بيروت : ١٩٨٣) ص ٥٩.

(٨٤) نفسه ص ٧٢ .

(٨٥) انظر اماكن متفرقة من كتاب تأريخ غرر السير .

(٨٦) العظمة ، ص ٧٦ .

(٨٧) الثعالبي ، اليتيمة ج ٣ ، ص ١٣١ .

(٨٨) نفسه ، ج٢ ، ص ٣٠٦ ج٣ ، ص ١٤٤ ، ٢٧٩ .

(٨٩) نفسه، ج ٢، ص ١٤ ، ٢٥، ٢٢٢، ٣٧٦ ، ج ٤ ، ص ١٢٦ .

(٩٠) نفسه ، ج١ ، ص ٩ وماورد في الكتاب في اماكن متفرقة منه من نصوص الكتب والمراسلات

(٩١) نفسه ، ج٣ ، ص ٦٧، ١٠٧ ، ١١٧ . ج٤ ص ٤٧ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٣ .... تتمة اليتيمة ، تحقيق عباس اقبال (طهران : ١٣٥٣ هـ) ، ج ١ ، ص ، ١١ ، ١٤ ، ١٩، ٢٠ ، ٢٩ .... ج ٢ ص ٩٠ ، ٢٠ ، ٢٣، ٢٥ ، ٣٤، ٤٤ ......

(٩٢) الثعالبي : اليتيمة ج ١ ص ٧ .

(٩٣) عبد الرحمن : منصور ، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري (القاهرة ١٩٧٧) ص ٥١ .

(٩٤) نفسه ، ص ٤٦ .

(٩٥) عباس : احسان ، تأريخ النقد الأدبي عند العرب (بيروت : ١٩٧١) ص ٣٧٥ .

(٩٦) الثعالبي : اليتيمة ج ١ ص ١٢ .

(٩٧) الثعالبي / تأريخ غرر السير ، ص ١٠٨ .

(٩٨) الثعالبي : اليتيمة ج ١ ، ص ٩ .

(٩٩) الثعالبي : تأريخ غرر السير ص ١ — ٣ .

(١٠٠) نفسه : ص ٣ .

(١٠١) نفسه ، ص ١١١ .

(١٠٢) نفسه : ص ١٠٤—١٣١ ، ٤٠٠ ، ٤٤٢ ، ٤٥٦ ، لطائف المعارف ، ص ١٩٧ ، ثمار القلوب ص ٦٤ ، ٧٧، ٩٥، ٤٤١ ، ٦٢٨ كمثال لورود هذه العبارة في مؤلفاته لاحصر لها .

(١٠٣) الثعالبي : ، تاريخ غرر السير ، ص ٢٤ ، ١٢٣ ، ١٣٣، ٤٦٩ ، ٤٧١، ٦٤١، ٧٤١ لطائف المعارف ، ٧ ، ٣٦، ١٠٨، ١٢٠، ١٦٩، ١٨١ ....) ثمار القلوب ص ١٣٥، ١٥٧، ١٦٥، ١٨٣، ١٨٨ ..... .

(١٠٤) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، ص ٧ ، ٨ ، ١٠، ٣٠، ٢٥٩، ٢٩٨، ٤٧٣ ، ٧٠١ ، لطائف المعارف ، ٤٥، ٩٩، ٦٤، ثمار القلوب ، ٧١، ٨١، ١٢٨، ١٣٦، ٢٥٩، ٢٨٩، ٣١٤.

(١٠٥) الثعالبي ، اليتيمة ، ج٣ ، ص ٢٣٧، حول سيطر الصاحب ، ثمار القلوب ١٢٤ عن حكمة لقمان ، ٤٩٢ حول احد امثال العرب .

(١٠٦) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، ص ٤٢.

(١٠٧) نفسه ، ص ١٣٧ .

(١٠٨) الثعالبي اليتيمة ، ج١، ص ٩٢ حول قتل فخر الدولة البويهي لاخيه حيث قال مؤرخنا : المكر السئي لايحيق الا باهلـه ونصوص اخرى له ، ج٣ ، ص ١٥٥ ثمار القلوب ص ، ٢١١ .

(١٠٩) الثعالبي ، اليتيمة ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(١١٠) نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٧ ، ٣٠١ ، الاعجاز والايجاز ، ص ١٥٣.

(١١١) الثعالبي ، اليتيمة ، ج ٢ ، ص ١٧ ، ج٣ ، ١٠٨ ..

(١١٢) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، ص ٢١٩ .

(١١٣) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٦١ .

(١١٤) الثعالبي/ أبو منصور فقه اللغة وسر العربية (بيروت / دون تأريخ) مكتبة الحياة ص ١٩١ .

(١١٥) الثعالبي، تأريخ غرر السير، ص ١٥٣، ١٧١، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٦٣، ٤٩٥، ٦٨٩، اليتيمة، ج ٤، ص ١٣٥، خاص الخاص، ص ٤٩ – ٥٠، التمثيل والمحاضرة، ص ١٤٢.

(١١٦) روزشال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص ١٢٤ .

(١١٧) الثعالبي ، غرر السير ، ورقة ، ١٩٣ .

(١١٨) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، ص ٤٣٠ .

(١١٩) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٥٥، ٥٧، ٢٨٨، ٣٠١، ٦٨٤ .

(١٢٠) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، ص ١٥٥ .

(١٢١) نفسه ، ص ٢٤٤ .

(١٢٢) نفسه ، ص ٧٤٢ .

(١٢٣) نفسه ، ص ١٣٠! .

(١٢٤) الثعالبي ، اليتيمـة ، ج ١ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ج ٢، ٣٥٣ ، ج ٣ ، ١٢٠، ١٢١، ٤١٧.

(١٢٥) نفسه ، ج٢، ص ٣٤٦.

(١٢٦) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٦٢ .

(١٢٧) الثعالبي ، اليتيمة ، ج٢، ص ٢١٧.

(١٢٨) نفسه ، ج١، ص ٢٩٦.

(١٢٩) نفسه ، ج٢، ص ٢٢٣.

(١٣٠) نفسه ، ص ١١٧ .

(١٣١) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٦٤ .

(١٣٢) الثعالبي ، فقه اللغة ، ص ١٥٦ .

(١٣٣) مثال ذكر سنة وفاة بعض تراجمه ، اليتيمة ، ج٢، ص ٣٠٦؛ ج٣، ص ١٤٤ ، ٢٧٨، وعن بعض السنين المرقومة ، ثمار القلوب ، ص ١٩٠، ٥١٣، ٦٣٦.

(١٣٤) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، ص ١٧، ١٦٢، ٢٦٩، ٤٦٦، ٤٨٦، كمثال .

(١٣٥) نفسه ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(١٣٦) نفسه ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

(١٣٧) الثعالبي ، فقه اللغة ، ص ٥٠.

(١٣٨) الثعالبي ، غرر السير ، ورقة ، ١٧٩.

(١٣٩) الثعالبي ، تأريخ غرر السير ، ص ٣، ١٨، ٢٠، ٣٠، ٣٤٧، ٤٦٣،ثمار القلوب ص ٤٣، ١٢٥ .

(١٤٠) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٥٥، ٥٦٨ .

(١٤١) حمدون ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(١٤٢) الثعالبي ، تأريخ غرر السير XLx II

(١٤٣) روزنتال ، فرانز ، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ترجمة ، انيس فريحة (بيروت : ١٩٨) ، ص ١١٤.

(١٤٤) الثعالبي ، الاعجاز والايجاز ، ص ١٠ .

(١٤٥) نفسه ، ص ٢٦، ٤٦، ٢٢٥، ٣٤٧.

تقويم برنامج خدمات المعلومات في المكتبة المركزية لجامعة الموصل

سعد احمد اسماعيل

جامعة الموصل / المكتبة المركزية

المقدمة :

تطورت المكتبات الاكاديمية وتغيرت اهدافها واصبحت محور اساسياً من محاور النشاط الاكاديمي والبحث العلمي وتستهدف اسناد هذا النشاط الاكاديمي بتأثير وفاعلية . واصبحت المكتبات الان ذات اهداف واضحة تسعى نحو تحقيقها ترتبط باهداف الجامعة وغدا محور عملية التعليم / التعلم أحد اهدافها . فهي تساند الطالب في تهيئة المواد التي تساعد على التعلم . كما تعمل الان كمراكز للمعلومات تؤمن الاستجابة الفاعلة للاحتياجات المعلوماتية للمستفيدين ، بل والتأثير فيها ولم يعد المكتبيون قانعون بالمكتبة الحديثة الكفؤة Efficient والتي تستجيب لاحتياجات المستفيدين المعلوماتية وتسهيل خدماتها بل يطمحون ان تكون مكتباتهم فاعلة Effective تعمل اضافة الى ماذكر على فهم دقيق لاحتياجات المستفيدين وبرامج الجامعة . فهي لاتعني باعارة موادها فحسب بل بالمحصلة القرائية للمستفيدين والتأثير فيها وتنميتها (١) . وتعتمد كفاءة وفاعلية المكتبة على البرامج التي توضع لها بما يؤمن تحقيق اهدافها ، فلقد اخذت مؤشرات المكتبات السابقة من حجم المجموعة وعدد موجوداتها بالانسحاب لصالح مؤشرات جديدة هي خدمات المكتبة حتى غدت المكتبات اليوم « خدمات » ولتحقيق الخدمات لابد من اعتماد برامج واضحة محددة تؤمن لها ذلك ونتيجة التطور الكبير في معالجة المعلومات واستخدامات تقنية المعلومات الحديثة اصبح بامكان المكتبات الجامعية ذات الخدمات الاكثر انبساطا

من المكتبات المتخصصة تقديم خدمات مشابهة لتلك التي تقدمها المكتبات المتخصصة مثل البث الانتقائي للمعلومات SDI الفردي بعد ان كان ذلك مقصوراً اساساً على المكتبات المتخصصة حين كانت مثل هذه الخدمات تقدم يدوياً واعتماداً على مسح المكتبي للمواد الثقافية .

واصبح دور المكتبي المتخصص Subject Librarian او متخصص المادة Subject Specialist او مسؤول المعلومات Information officer من الادوار المألوفة في المكتبات الجامعة (٢) وتبدو الضرورة . لها بشكل اكبر في البلدان النامية حيث تستقطب المكتبات الجامعية أفضل العناصر المكتبية .

وتعمل المكتبة الجامعية على تيسير سبل الانتفاع بموجوداتها من المواد الثقافية معتمدة أحياناً مفاهيم جديدة مثل (تسويق) خدماتها وهذا الانتفاع والتسويق يقود الى مايعرف عند المكتبيين بخدمات المعلومات Information Services فخدمات المعلومات هي تقديم المعرفة بشكل منظم ليستفيد منها الناس في تطوير افكارهم ومعرفتهم العلمية والثقافية والاجتماعية (٣) . كما انه من الضروري ان تتطور هذة الخدمات مستفيدة من التطور الهائل في تكنولوجيا المعلومات وان تتشكل لتؤدي دورها ضمن النشاط الاكاديمي في الجامعة ولاشك ان حركة البحث العلمي وتقدم البحوث والاكتشافات العلمية مرهون بما توفره المكتبة من معلومات وماتقدمه من خدمات .

ولتقويم فاعلية برامج خدمات المعلومات ، هل تكون المؤشرات التالية هي المعيار ؟

عدد المستفيدين من المكتبة
عدد الخدمات المقدمة واتساعها
عدد ومقدار مقتنيات المكتبة
عدد الاعارات
عدد نشاطات المستفيدين من المكتبة
نسبة الاستخدام الكلي للمكتبة وكلفة القارىء
سرعة الاستجابة لحاجات القارىء
قناعة المستفيد بخدمات المكتبة

الا أن هذه يمكن ان تكون مدخلات للوصول الى معيار وليس معايير بحد ذاتها ويمكن القول ان مقارنة انجاز المكتبة المستمر بالاهداف المرسومة لها ومقدار استجابة تلك الاهداف مع تحديد طريقة عملها واعادة صياغتها بعد المراجعة هي المعيار الافضل .

يهدف هذا البحث الى دراسة برنامج ه خدمات المعلومات للمكتبة المركزية لجامعة الموصل الذي بدأ كبرنامج متكامل اعتباراً من ١٩٨٢ وتحديد معالم برنامج يمكن تطبيقه في المكتبات الجامعية في القطر .

فهي دراسة كشفية exploratory study تهدف الى فتح المجال امام دراسات أخرى كدراسة الحالة المركزة لخدمات المعلومات في مكتبات القطر الجامعية . وهي ليست دراسة مسحية وصفية مستفيضة أو دراسة حالة . بل مؤشراً لدراسة اودراسات في هذا الاتجاه ، ودراسات أخرى لبرامج ارشاد القراء بصورة دقيقة لبيان مدى فاعليتها على غرار :

1. Crowley, T. The effectiveness of Information services in Medium size public libraries unpublished doctoral dissertation, Rutgers University 1981.
2. Thomas C.A telephone Information service in public libraries: A Comparision of performance & the descriptive statisties Collected by the state of the New Jersey (unpublished doctoral dissertation, Rutgers Universit y 1970.

أهمية البحث :

ان انفجار وتشتت المعلومات وصعوبة المعاصرة والاستغلال الأمثل لمجموعة المكتبة جعل من الضروري وضع برامج كفيلة بتعليمهم خدماتها وتقويم برنامج خدمات المعلومات ومدى امكانية تطبيقية في مكتبات جامعية أخرى في القطر بعد تعديله للاستفادة من ايجابياته وتجنب معوقاته والحصول على تغذية راجعة حديثة لقناعة المستفيد به.

مشكلة البحث :

يهدف البحث الى دراسة برنامج خدمات المعلومات ومدى الاستفادة من البرنامج وأجابة الاسئلة التالية :

الى اي مدى استطاع برنامج المعلومات من تأمين احتياجات المعلومات للتدريسيين والباحثين ؟ ماهي الاطر التي يجب على البرنامج استثمارها او التركيز عليها ومايجب تعديله ؟

امكانية التطبيق في مكتبات جامعية أخرى ؟

خطة البحث

استخدام الاسلوب الوصفي القائم على التحليل والملاحظة الميدانية ثم تجميع البيانات بواسطة استبيانين

الاول للتدريسيين وطلبة الدراسات العليا والثاني لطلبة الدراسات الاولية اضافة الى الوثائق الخاصة بالمكتبة والنشريات حول الموضوع واللقاء المباشر بالمستفيدين والمكتبيين والتقارير المقدمة من وثائق المكتبة والخبرة الشخصية في الموضوع .



القسم الاول

برنامج خدمات المعلومات للمكتبة المركزية لجامعة الموصل :

قامت المكتبة المركزية لجامعة الموصل عام ١٩٨٢ بمراجعة شاملة لخدماتها وطبيعة استخدام الكادر العامل فيها وحددت لها الاهداف التالية والمستمدة من اهداف الجامعة :

(آ) اسناد حركة البحث العلمي في الجامعة

(ب) اسناد عملية التعليم / التعليم القائمة فيها

(ه) المشاركة في تحقيق اهداف

- حملة محو الامية
- التعليم المستمر
- التنمية البشرية

وقد شكلت في حينه فريقا من العاملين المؤهلين في المكتبة وحصلت على معلومات تفصلية من اعداد الطلبة والتدريسيين والدراسات العليا وقام الفريق بدراسة مستفيضة للاحتياجات المعلوماتية للمستفيدين عن خدمات المكتبة وتم مقارنتها مع الخدمات المقدمة ومدى استجابة المكتبة لتلك الاحتياجات ومدى اضطلاع المكتبة بدورها ضمن الاهداف المرسومة لها في الاعلام عن خدماتها ونشر معلوماتها و(تسويق) خدماتها ووضع الفريق على ضوء الاهداف المرسومة وواقع الخدمات واحتياجات المستفيدين برنامجاً اطلق عليه (برنامج خدمات المعلومات للمكتبة المركزية لجامعة الموصل) اشتمل على مايلي :

(آ) برنامج لارشاد القراء لطلبة الدراسات الاولية (سمعي بصري) يشاهده جميع طلبة الجامعة عند التحاقهم في السنة الاولى للتعريف بكيفية استخدام المكتبة والخدمات التي تقدمها وكيفية الوصول الى المعلومات .

(ب) برامج سمعية وبصرية لارشاد طلبة الدراسات العليا في كيفية البحث المباشر Online لبحث ملفات مراكز المعلومات العالمية .

(ج) برامج سمعية وبصرية ومحاضرات وارشاد مباشر لطلبة الدراسات العليا على كيفية استخدام الكشافات والمستخلصات في معظم حقول المعرفة ؛

(د) كراسات متخصصة لارشاد الباحثين في كيفية الوصول الى المعلومات وتسمى بسلسلة Sources In....

(هـ) نشرات بيلوغرافيا بالكتب التي تصل حديثاً للمكتبة .

(و) نشرات متخصصة بالاطروحات والمستخلصات والكشافات والدوريات .

(ز) اخراج خدمات اعلامية Current Contents بتصوير صفحة المحتويات من دوريات في حقل معين وتدويرها، واعادة استنساخ الخدمات العالمية من Current Contents وتدويرها توفيراً للكلفة وتعميقاً للفائدة .

(ح) شراء قوائم رغبات من مركز عالمية مثل BLAISE للحصول على احدث مانشر في العلوم الطبية ومفاتحه الجمعية الكيميائية الملكية البريطانية والمكتبة الزراعية . وتمثل هذه الخدمات درجة متقدمة من خدمات المعلومات كما ان الخبرة المتراكمة في هذا المجال ساعدت على تطوير العاملين بما يؤمن الاستخدام الامثل للحاسبة للطرفية عندما ترتبط جامعة الموصل مباشرة مع المراكز العالمية عن طريق حاسبة طرفية .

(ط) توفير المقالات والبحوث والفصول غير المتوفرة في المكتبة المركزية عن طريق التعاون مع بعض المكتبات المحلية والوطنية والعربية وباتباع نظام مكتبة الاعارة البريطانية BLL ومؤسسة ISI وبعض المؤسسات العربية العلمية .

(ي) توفير الاطروحات على المايكروفلم من UMI والاطروحات الانكليزية من BLL واستحدث ضمن الفريق موقع مسؤولي المعلومات ، الاول العلوم الاجتماعية والانسانية والثاني للعلوم البحتة والتطبيقية من افضل المكتبيين المؤهلين تأهيلا عالياً اضافة الى خبرتهم الطويلة المتراكمة في المكتبة،وحددت واجبات مسؤول المعلومات كما يلي:-

١ ـ الاشراف على برنامج ارشاد القراء لطلبة الدراسات الاولية والعليا ويقوم عملياً بارشاد المستفيدين في كيفية استخدام الكشافات والمستخلصات والوصول الى المعلومات .

٢ ـ التوسط والارشاد في الحصول على المعلومات الممكنة من مراكز المعلومات المحلية العالمية والعربية ومركز التوثيق العلمي في القطر .

٣ ـ الاشراف على الاعمال الفنية المتعلقة في الحقول العلمية التي يخدمها مسؤول المعلومات بما يؤمن بناء مجموعة متوازنة من المواد الثقافية بالتعاون مع السادة التدريسيين المتخصصين حيث يشترك الطرفان كل بخبرته ، مسؤول المعلومات بخبرته المكتبية ، وبمعرفته بمصادر المعلومات والتدريسي بتخصصه .

٤ — يحتفظ باستمارات تفصيلية عن كل طالب دراسات عليا يدرج فيه المعلومات المطلوبة عن الطالب ومدى الخدمات المقدمة له ويمكن ان تكون هذه مؤشراً للسادة المشرفين على طلبة الدراسات العليا لمعرفة مدى الخدمات التي تقدمها المكتبة للباحث .

٥ — القيام بتحليل الاسئلة التي توجه لقسم المراجع لمعرفة طبيعة المعلومات التي ، يحتاجها الباحثون او المساحات الغامضة في خدمات المكتبة لكي يصار الى الاعلام عنها وتطويرها .

٦ — المشاركة في تحليل اتجاهات الاعارة في المكتبة .

وقد استطاعت المكتبة اصدار (١٥٠) مطبوعاً و(٢٠٤) وحدة تعليمية ضمن برنامج ارشاد القراء لطلبة الدراسات العليا وخصصت بطاقات لتحديد مدى الخدمات المقدمة لطلبة الدراسات العليا والقيت (٨٠) محاضرة لطلبة الدراسات العليا ضمن البرنامج واطلع جميع الطلبة الوافدين الى الجامعة منذ عام ١٩٨٢ ولحد الآن على البرنامج السمعي والبصري الذي هيئته المكتبة وكيفية الوصول إلى المعلومات فيها والخدمات المقدمة في هذا الاطار واستحدثت وحدة اطلق عليها (وحدة البحوث) لتوفير المقالات والاطروحات وفصول الكتب غير المتوفرة وكذلك النشريات التي يصعب الحصول عليها .

وقد جاء البرنامج بشكل متماسك بحيث يعمل كل جزء منه على اكمال الجزء الاخر بما يؤمن الاحاطة والمعاصرة للمستفيدين والاستجابة لاحتياجاتهم وشد انتباههم إلى الخدمات الجديدة ومصادر المعلومات المتاحة . وقد وضع نظام للحصول على تغذية راجعة باستمرار لتعديل الخدمة كما يحصل مسؤولي المعومات وباستمرار على تغذية راجعة عند لقائهم اليومي بالطلبة والتدريسيين .

وتهدف الدراسة إلى تقويم خدمات المكتبة ضمن البرنامج وتحديد مدى قناعة المستفيدين منها وقناعة كادر المكتبة بذلك .

وقد قامت المكتبة بتهيئة البرنامج وتصحيحه حسب حاجات المستفيدين من المكتبة اضافة إلى الاهتداء بالاهداف التي رسمتها المكتبة والتي تسعى نحو تحقيقها بما يؤمن النجاح للبرنامج ، وتم التهيء لذلك على النحو التالي :

أ: تشكيل فريق العمل من

— أمين المكتبة المركزية

- مسؤولي المعلومات

- اضافة إلى مسؤولي الاقسام الفنية في المكتبة المركزية

ب: تمت دراسة مستفيضة لاعداد الطلبة والتدريسيين وطلبة الدراسات العليا مع مسح شامل للمناهج والدراسات وطبيعة البحوث للدراسات العليا وتوجهات الجامعة وتطلب الأمر الحصول على معلومات مباشرة باللقاء الشخصي اضافة للقنوات الأخرى وتم تحديد احتياجات المستفيدين على النحو التالي :

١. التدريسيون : الحاجة إلى المعاصرة والالمام بما يصدر حديثا في حقل اهتمامه .

الحاجة إلى معرفة مانشر في حقل معين

الحاجة إلى معرفة مايصل المكتبة حديثا من أوعية المعلومات التي تتعلق بحقل اهتمامه .

الحاجة إلى معرفة مايتوفر في المكتبة من معلومات ضمن وسائل النشر المختلفة والأوعية المختلفة تتعلق باهتمامه .

الحاجة إلى معرفة امكانيات الخدمات المقروءة الياوكيفية الحصول على المعلومات منها بعد ان اصبح لها بريقاً لايقاوم في الوسط الأكاديمي والخدمات المساندة .

الحاجة إلى التعرف على الكشافات والمستخلصات التي تؤدي إلى الوصول إلى المعلومات .

وهذه الأحتياجات نابعة من ضرورة المعاصرة للتدريسي كمتخصص في حقل من حقول المعرفة . وحاجته لاجراء البحوث والدراسات اللازمة وحاجته لتخطيط قراءات طلبته كما ان ازدواجية البحث والتدريس تؤدي به عادة للحصول على معلومات اكبر باتجاه البحث .

٢ - حاجة طلبة الدراسات العليا مشابهة لحاجة التدريسيين .

٣ - أما حاجة طلبة الدراسات الأولية فكانت معرفة ماهو متوفر في المكتبة من الدراسات المتعلقة بالأقسام التي يدرسون فيها خاصة منها تلك الكتب المساندة للمناهج القائمة وما يصل المكتبة ضمن ذلك الأطار مع التدريب على كيفية استخدام المكتبة والوصول للمعلومات . فقد قدر ان الباحث المتوسط يقضي ٢٠ - ٢٥ ٪ من وقته المخصص

للبحث في البحث عن المعلومات(٤) كما بينت دراسات أخرى أن ٥٨ ٪ من طلبة الدراسات العليا و٦٥ ٪ من طلبة الدراسات الأولية قد فشلوا في استخدام الفهارس أو أدوات الاستخلاص والتكشيف المتوفرة او الاتصال بكادر المكتبة (٥) .

وهكذا جاء البرنامج استجابة لهذه الاحتياجات اضافة لما تريد ان تحققه المكتبة باتجاه التأثير في الحاجات القرائية للمستفيدين ، وتحدد قوس الخدمات على أن يكون باتجاه المستفيدين وكما ذكرناه سابقاً .

ووضع نظام للحصول على تغذية راجعة بما يؤمن التعديل المستمر للخدمة ضمن استمارات التغذية واللقاء المباشر في كثير من الأحيان ، كما قام مسؤولا المعلومات بالاحتفاظ بسجلات واضحة على شكل استمارات محتفظة بمعلومات دقيقة جدا عن الوسط الذي يخدمه امتدت إلى حد التأكيد على الجامعات التي تخرج منها تدريسيوا الجامعة للاستفادة منها في توجيه الباحثين للاستفادة من اللغات التي يتقنها التدريسيون في حالة وصول مقالات بلغات غير اللغة الأنكليزية . وامتد ذلك إلى تحليل الاسئلة التي ترد إلى قسم المراجع يومياً واللقاء المحاضرات والتدريب المباشر ، وارشاد القراء ضمن برامج المكتبة واذا ما ادركنا أن عدد طلبة الجامعة الحالي هو حوالي ١٧/٥٤٠ طالباً وان عدد طلبة الدراسات العليا هو (٢٥٠) وعدد التدريسيين هو ١٠٥٠ ادركنا الضغط الكبير الذي يعمل تحته مسؤولو المعلومات اضافة إلى المهام التدريسية الأخرى وهذا أدى إلى تعديل بعض فقرات البرنامج في مواجهة تضخم وتفجر الأنتاج الفكري حيث ينشر الاف المقالات والكتب وتعقد مئات المؤتمرات العلمية سنوياً في العالم اضافة إلى الاف الرسائل الجامعية والتقارير الفنية وبراءات الأختراع وغيرها من المنشورات ، ويزحف الآن الكشاف الكيميائي نحو السجل المليون سنوياً ، وتعددت لغات النشر لتشمل اكثر من ثلاثين لغة (٦) وتعقد الأرتباطات الموضوعية حيث تنشأ كل يوم علاقات متشابكة جديدة بين العلوم وتأثر المحتوى الموضوعي وطرق الافادة منها ، وهكذا نجد ان هذه العوامل ومتغيرات حاجات المستفيد جعلت من المستحيل على المتخصص الفرد الوصول إلى المعلومات بجهوده الذاتية البحتة وعدم قدرة الأساليب التقليدية لخدمات المكتبات للايفاء بهذه الأحتياجات ضمن النقاط الواردة اعلاه .

كما قام الفريق بدراسة واقع الخدمات المقدمة ومدى تفهم المستفيد منها وقد تبين من استبيان وزع بهذا الشأن وجود ثلاث فئات من المستفيدين مختلفة التصور عن خدمات البحث المباشر للمعلومات Online منها :

١ - فئة لها تصور أولي هيلامي عن مراكز المعلومات وامكانيات البحث المباشر .

٢ - فئة لها تصور مبالغ فيه كثيراً عن نظام معجزة يستطيع الباحث فيه الضغط على مجموعة ازرار ويقوم بعدها الحاسب باعلامه بكل مانشر في حقل المعرفة الذي يخصه .

٣ - فئة لم تسمع بهذه الخدمات تخلط بينها وبين استخدامات الحاسبات في البحوث العلمية .

كما يبين الأستبيان عدم وجود صورة واضحة لامكانيات وتصور هذه الخدمات وانها نسخة من الكشافات والمستخلصات الورقية ، وانه ليس من الضروري الأتجاه كليا نحو هذه الخدمة وترك الأستخدام اليدوي للكشافات في جميع الحالات كما ان هذه القواعد تمتاز بتفاصيلها المشتركة في كثير من الحقول وعدم امكانية الرجوع إلى سنوات بعيدة في كثير منها وضعف التغطية في بعض الحقول اضافة إلى الكلفة وتبدو ميزة هذه الخدمات حين يكون البحث متعمقاً كثير التفريعات وان الوقت عنصر حاسم في الموضوع كي يحتاج إلى خبرة كبيرة من قبل الوسيط (المكتبي) وثقافة طيبة عن قواعد المعلومات من قبل المستفيد ، لذا فقد اتجه البرنامج نحو اخراج وحدات ونشريات لارشاد القراء والتعريف بالخدمات وتدريب العاملين قبل المباشرة بتقديم الخدمات .

أهم الخدمات التي قدمت ضمن برنامج خدمات المعلومات في المكتبة المركزية لجامعة الموصل :

البحث المباشر :

عند تصميم البرنامج بدأت الحاجة إلى الأستفادة من خدمات قواعد المعلومات العالمية في مختلف العلوم وكانت المصادر المتاحة للمكتبة هي :

أ - الخدمات الخارجية من معدى المعلومات مثل BRS, SDC, Dialog وغيرهم ثم امكانيات الأتصالات العربية المتاحة كمركز البحوث العلمية في الكويت والمنظمة العربية للاستشارات الصناعية في قطر ومركز التوثيق العلمي في بغداد. مع الأخذ بنظر الأعتبار ان تكون هذه الخدمات مكملة للخدمات التي تقدمها المكتبة وقد برزت عدة اسئلة لابد من اجابتها قبل التوجه إلى الخدمة مثل أي قاعدة من قواعد المعلومات نحتاج في هذه التجربة الرائدة وعلى أي نظام ؟ كيف سيتم اختيار المستفيدين ؟ إلى أي مدى تنطلق في الخدمة من زاوية الكلفة. وقد تقرر أن تبدأ التجربة على MEDLINE على نظام BLAISE الذي تقدمه المكتبة البريطانية بسبب الخبرة الجيدة للعاملين على النظام وسرعة

الأستجابة للاتصالات التي تجريها المكتبة ونظام الاسناد الممتاز الذي تقدمه المكتبة البريطانية في توفير الوثيقة الاصلية مع امكانية استخدام التلكس للحالات المستعجلة كما تم تحديد قاعدة المعلومات الطبية نظرا للحاجة الملحة في هذا المضمار والملء بالجديد والاهتمام الجدي الذي أبدته كليتا الطب والطب البيطري في جامعة الموصل وخطط لشراء عدد من قوائم الرغبات الموسعة MACRO Profiles لعلوم الكيمياء من الجمعية الكيميائية الملكية وتهدف الخدمة اضافة الى المحور الاساسي لها وهو تقديم المعلومات للمستفيدين الى خلق خبرات مناسبة في المقابلة والمداولة وخلق استراتيجية البحث بما يؤمن خبرة متراكمة ذات فائدة قصوى عند توفر البحث المباشر للمكتبة مع خلق وعي عند المستفيد يؤمن الاستفادة القصوى من الخدمات اضافة الى هدف يتعلق بالمكتبة بالذات وهو خلق ثقة بخدمات المكتبة والمعاصرة بما تقلل وقع المفاجئة حينما يتعرض الباحث الى خدمات متقدمة تقدمها مكتبات خارج القطر . وقد رشحت الكليات المعينة عدداً من تدريسيها من القائمين فعلا بابحاث او المشرفين على طلبة دراسات عليا للاستفادة من هذه الخدمة ضمن :

(آ) البحث الراجع Retrospective Search

(ب) البحث الانتقائي للمعلومات SDI Selective Dissimination of Information

(ج) البحث الراجع والمستمر كبث انتقائي

و وفرت المكتبة الكتب اليدوية اللازمة والمكائن كما درب عدداً من منتسبيها اضافة الى خبراتهم التخصصية في مجال البحث المباشر وبلغ عدد المستفيدين كما يلي : —

بحث راجع	بحث راجع يسمى انتقائياً	بحث انتقائي
١١	٤	٨

وأخذت تصل المكتبة وبشكل منظم جميع هذه البحوث بعد ان رمزت لما يؤمن وصولها من خلال مكتبي في المكتبة المركزية وترسل الى المستفيد الذي يعيدها بدوره بعد تأشير المقالات المطلوبة والتي يتم طلبها بعد التأكد من عدم توفرها وكانت معدلات توفير الوثيقة الاصلية تتراوح مابين ٨ أيام و١٥ يوماً حيث ان المكتبة كانت قد وضعت عدداً من الطوابع كايداع في المكتبة البريطانية واحتفظت برقم رمزي يؤمن طلب المقالات المستعجلة بالتلكس .

وجرى تقويم مستمر لهذه الخدمة بواسطة نموذج استمارة يرفق مع كل وجبة ومقابلات شخصية ـ مطولة واستبيان ويذهب البعض مثل (Bourns 1977) (٧) الى ان استخدام البحث المباشر لمكتبات الدول النامية ربما يكون اقل كلفة من محاولة بناء مجموعة دوريات متكاملة في مواضيع متعددة. وكانت التغذية الراجعة مشجعة جداً حيث اشار الجميع الى كفاءة الخدمة وفاعليتها وقناعتهم بالتعديلات التي يراها المستفيد ضرورية لقائمة اهتماماته نتيجة تطور بحثه او تبدل اهتمامه وقد اشارت دراسات أخرى لتجربة مماثلة بين مكتبة معهد جورجي للتكنولوجيا في الولايات المتحدة والمشتركة في مركز Dialog بمركز المعلومات والتوثيق القومي في مصر (٨) يتم بموجبه وضع استرتيجيات البحث في القاهرة ويجري البحث في معهد جورجي وحظيت التجربة بنجاح طيب .

وتكون خدمة البحث المباشر :

١ ــ داخلياً In-house

ويكون يدوياً -manual

او محسوباً -Automated

٢ ــ خارجياً External

ويكون ممكننا اعتيادياً Automated

وتتكون الخدمة من العناصر التالية :

ــ المستفيد الذي يريد المعاصرة للمواد التي تصدر حديثاً دون بذل الكثير من الجهد والوقت .

ــ قائمة مفصلة باهتمامات المستفيد Profile

ــ وقد تقوم الالة بمقارنة اهتمامات المستفيد بما يدخل من سجلات مع طبع تلك المواد التي تلتقي مع اهتمامات المستفيد .

ــ او ان يقوم شخص مفراس "Scanner" بمقارنة تسجيلات المكتبة مع قائمة اهتمامات المستفيد في حالة الخدمة اليدوية .

ــ نشريات بالمواد التي تتطابق مع اهتمام المستفيد :

ــ خدمة اسنادية لتوفير الوثيقة عند الحاجة للمقالة .

ــ تغذية راجعة تمثل رد فعل المستفيد للمواد المرسلة له ؛

وللبحث المباشر محاسن كثيرة نخص منها بالذكر :

١ - تنفيذ البحث التفصيلي الشامل للفايلات المتوفرة على الحاسبة والتي قد تتضمن ملايين السجلات الباوغرافية بسرعة لاتضاهيها أي مقدرة بشرية .

٢ - ان المستخدم مشارك فعال في عملية البحث ، وبامكانه تغيير استراتيجية بحثه لما هو متوفر فعلا في ملفات المعلومات المتوفرة على الحاسبة والتي قد تكون مختلفة تماماً عما كان يتوقعه ، وبهذا يستطيع تجاوز المطبات التي تصادفه في صياغة طلبه .

٣ - يمكن اعادة البحث في قواعد المعلومات لمرات عديدة باستخدام اساليب جديدة اما في البحث اليدوي فان الوقت المتوفر لايسمح باعادة البحث بصورة كاملة .

٤ - ان بامكان المستخدم الوصول الى اعداد كبيرة جداً من اوعية المعلومات والتي لايتوفر العديد منها من خلال مصادر المعلومات المحلية .

٥ - ان قواعد المعلومات المتوفرة للبحث المباشر غالباً ماتوفر طرقاً عديدة للاسترجاع أكثر بكثير من تلك التي توفرها مصادر المعلومات المطبوعة المناظرة .

٦ - ليست هناك أي حاجة لعملية تسجيل الملاحظات المزعجة التي تتصف بها طرق البحث التقليدية (٤٩) .

وبالرغم من فائدة خدمات البحث المباشر الخارجية الممكنة الا أن من مشاكلها مايلي :

١ - الكلفة (١٠)

٢ - تشابك التغطية ، على سبيل المثال وجود قاعدة Compendex وDialog و SDC وInfoline (١١) ؛وكذلك تغطية الدوريات المشترك بين نفس القواعد مثل مجلة Drug Intelligence & Clinical pharmacy والتي تكشف في عدد كبير من الكشافات والمستخلصات منها :

Biological Abst.
Chemical Abst.
Exerpta Medicus.
Inpharma.
International pharmaceutical Abst.
Science Citation Index.-

٣ – تفاوت التغطية الزمنية بين هذه القواعد .
٤ – تفاوت الكلفة بين قواعد المعلومات .
٥ – تفاوت حقول البحث بين الأنظمة المختلفة . Searchability Fields
٦ – ضعف تغطية بعض الحقول كالادارة والاعمال .

هذا اضافة لما تشكله مصاعب صياغة ستراتيجيات البحث وتكوين قوائم الأهتمامات (profiles) من مترادفات متعددة وطرق تكشيف متباينة من اختلاف منهجي الكلمات والجمع والمفرد ومشاكل اللغة والمفاهيم الجديدة التي تتطلب ان يدرج التعبير مثل :

Management by Objectives.

والتي هي الان مدرسة حيث يتطلب الأمر الأنتباه إلى ان by تعتبر Stopword ومن الضروري صياغة المشكلة بالشكل الذي يؤمن الأستفادة من الالة . وبالرغم من التسجيلات التي نجدها الان في معظم الأنظمة والتي تنحو نحو تسهيل مهمة الباحث بحيث تصبح انظمة صديقة User friendly Systems الا أنها وبالرغم من كل شيء تبقى خدمات ذات جاذبية عظيمة في البحث وللباحثين .

وبالرغم من ان عددا من قواعد المعلومات الحالية تخرج خارج نطاق مقالات الدوريات الا انها لاتشمل جميع انواع اوعية المعلومات الأخرى والتي يحتاجها المستفيد .

وهناك عنصران اساسيان هما مدى مطابقة المادة المستعادة لحاجة الباحث Relevance وشمولية الأستعادة Recall ويحتاج لقاء هذين العنصرين إلى كوادر عاملة ذات تأهيل عال (١٢) .

ويتم بث أوتسوق هذه الخدمات عن طريق مايلي :

١ – الأتصال الشخصي بمسؤول المعلومات في المكتبة .
٢ – نشرات المكتبة .
٣ – برنامج ارشاد القراء لطلبة الدراسات العليا والباحثين .
٤ – المحاضرات والحلقات الدراسية التي تعد لطلبة الدراسات العليا والباحثين .
٥ – رؤساء الأقسام ، ومسؤولي الدراسات العليا في الجامعة ، كما هو معمول به في المكتبة المركزية لجامعة الموصل .

وللحصول على هذه الخدمات يجب اتباع الخطوات التالية :

١ – المقابلة والمناقشة ووضع المكنز (Thesaurus) والكشاف بين يدي المستفيد مع قائمة تغطية القواعد المطلوبة .

٢ – ملأ استمارة رؤوس المواضيع – المترادفات – المقالات المشابهة – الموضوع تفصيلياً ومناقشة الموضوع وتحديد اللغة والمستخلص والفترة الزمنية .

٣ – استلام القائمة وتسلم التغذية الراجعة .

٤ – تهيئة نظام الأسناد .

٢– خدمات البث الانتقائي للمعلومات

Selective Dissimination of Information

وهي خدمة جذابة جدا للمستفيدين تؤمن لهم خدمة شخصية وتوفر لهم في أفضل حالاتها معلومات انتقائية ذات مساس مباشر بحقل تخصصهم او اهتمامهم ضمن ذلك التناثر للمعلومات وقد تؤدي بالنتيجة إلى تحسين استخدام المعلومات في عملهم ، أو قد تكون خدمة لفريق متجهة نحو المشروع الذي يقوم الفريق بالعمل فيه حيث توفر المعلومات الحديثة المعاصرة ، كما تحصل المكتبة والفريق العامل على العرفان الذي يؤدي بالنتيجة إلى الثقة بالمكتبة وخدماتها ويؤدي بالنتيجة إلى زيادة الأستفادة في خدماتها وهو من الأمور التي تسعى المكتبة نحو تحقيقها وقد يؤدي إلى توجه المؤسسة الام نحو زيادة دعمها للمكتبة باتجاه خدمات المعلومات .

تحدد ادبيات المكتبات وتقصرها بصورة رئيسية على المكتبات المتخصصة نظرا لمحدودية المستفيدين في مثل هذه المكتبات وقلة الحقول التي تهم المستفيد مقارنة بشمولية المكتبة الجامعية وعدد المستفيدين من خدماتها الا أنه وعلى ضوء الأمكانيات الحالية للانظمة الخارجية المكننة اصبح بالامكان تقديم مثل هذه الخدمات في المكتبات الجامعية كما اصبح بالامكان تقديم قوائم موسعة Macro Profiles للاقسام العلمية ، ويمكن أن تكون قوائم الأهتمامات ضمن :

١ – الأهتمامات الشخصية Individual Profiles

٢ – الأهتمامات الموسعة لقسم او فريق Macro Profiles

٣ – اهتمامات تخص المشروع Project Profiles

ويمكن القول ان الأهتمامات التي تخص المشروع اكثر سهولة في التشخيص والتحديد ويعرف المستخدمين الجدد باهتمامات سابقة لان معظم العاملين في المشاريع خريج من

اختصاصات مختلفة كالهندسة والادارة وبقية العلوم . ويستخدم البث الانتقائي اساساً في مساحات حيث يفتقر موضوع البحث الأستقرارية ويصعب او يتعذر ايجاد كلمات دالة Key Words لوصف مفاهيم وافكار السؤال الموجه او حيث يكون التكشيف عميقاً Indepth Indexing

وقد مكن تراكم الوثائق إلى خلق قاعدة معلومات متواضعة في المكتبة باستخدام حاسبة صغيرة تؤمن استعادة المعلومات عن المقالات والبحوث التي سبق وان طلبت ضمن خدمات البث الانتقائي بما يؤمن خدمة مساندة طبية .

وقد وجد فريق المعلومات نفسه امام الواقع التالي : —

أ: البث الانتقائي للمعلومات من داخل المكتبة ولما يصل المكتبة ، ولما كان ذلك من الأمور الصعبة مع محدودية عدد العاملين في البرنامج ومحدودية مايصل المكتبة شهريا، فقد اخذ الأتجاه نحو تقديم القوائم الموسعة للاقسام وليس للافراد مثل قائمة الدوريات المتوفرة في حقل علوم الكيمياء ، واخراج نشرة المقتنيات الجديدة والمراجع والاطروحات بنفس النطاق .

ب— اما الخدمات التي يمكن ان تؤمن خارج القطر مثل خدمات Medline على نظام BLAISE وخدمات الجمعية الكيمياوية الملكية البريطانية وغيرها فقد جاءت ضمن البث الفردي للمعلومات .

٣ — خدمات اخرى :

وتكمل خدمات المعلومات كل واحد منها الاخر كما تكمل تلك الخدمات اليدوية الممكنة وهكذا ، وحين نستعرض هذه الخدمات لانجد أي منها كاملا بحد ذاته بل لابد من الأستعانة بالخدمات الأخرى نظرا لكثرة المعلومات وتناثرها وطبيعة وقصورات تلك الخدمات (١٣) . ومن القنوات التي تشارك البث الأنتقائي للمعلومات SDI هي قوائم المقتنيات :

— قوائم المواد الجديدة . Accession Lists
— النشريات . Selection Journals, Bulletins
— دوريات الأستخلاص Abstracting Journals
— صفحة المحتويات . Contents Pages Journals

ـ لوحة الاعلان. Display or circulation Library masticboard وغيرها .

وتخرج نشريات عادة تحتوي على عناوين او مستخلصات لمقالات وتقارير واوراق المؤتمرات

٤ ـ برنامج ارشاد القراء :

يهدف البرنامج اساسا إلى التعريف بالمكتبة وخدماتها ووسائل الحصول على المعلومات من داخل وخارج المكتبة وهو موجه نحو الفئات المتباينة من المستفيدين فهو يهدف نحو تمكين طالب الدراسات الأولية من الأستفادة القصوى من مواد المكتبة وخدماتها خلال دراسته وان يستخدم المكتبة بكفاءة وفاعلية وتقدم المكتبة المركزية لجامعة الموصل برنامجها السمعي والبصري المصحوب بجولة في المكتبة بعد مايقرب من مضي شهرين على وجود الطالب في الجامعة بغرض تمكينه من الأستقرار النفسي والتكيف للمحيط الجديد ، ويقدم لطلبة الدراسات العليا وحدات تعليمية Packages عن استخدام ادوات معينة مثل Engineer ing Index Chemical Abst وغيرها مع محاضرات ولقاءات مباشرة بمسؤولي المعلومات مع تواصل ذلك ضمن (ملف الطالب) عند مسؤول المعلومات وتقدم المكتبة البرامج التعريفية بالخدمات الجديدة ومصادر المعلومات الخارجية لطلبة الدراسات العليا والتدريسيين مثل برنامج Online Searching على الفيديو ، ويقع تقويم برامج ارشاد القراء ضمن هيلامية صعوبة تحديد فايل المكتبة ، فليس بامكانك تقويم غروب الشمس . (١٤) ولابد من الأخذ بالتغذية العكسية غير المكتوبة من المستفيد خاصة ذلك التكنيك الذي اطلق عليه Parlett, & Hamilton بتقويم .. Illuminative evaluation (١٥)

القسم الثاني

الاستبيانات وتحليلها

تم القيام باعداد استبيانين الاول للتدريسيين وطلبة الدراسات العليا والثاني لطلبة الدراسات، الاولية استهدفاً استطلاع آراء المستفيدين عن خدمات المكتبة بشكل عام وخدمات المعلومات بشكل خاص.

استبيان التدريسيين وطلبة الدراسات العليا

لقد تم توزيع الاستبيان على عينة من التدريسيين وطلبة الدراسات العليا اختيرت بشكل عشوائي بحيث تخطت كافة الاختصاصات الموجودة في الجامعة . وقد بلغ عدد الذين وزع – عليهم الاستبيان ٦٠٠ تدريسي وطالب دراسات عليا ، وقد استجاب منهم ٥٥٠ وبذا اعتبرت العينة مؤلفة من ٥٥٠ شخصاً .

السؤال الاول

طلب من المستفيدين في السؤال الاول تقدير اهمية الخدمات الاعلامية المدرجة التي تقدمها المكتبة المركزية لجامعة الموصل وترتيبها حسب اهميتها وذلك بوضع رقم (١) أمام اهم خدمة حسب اعتقادهم ووضع رقم (٢) على الخدمة التي تهمهم بالدرجة الثانية وهكذا فكانت الاجابات :

يظهر من الجدول ان البحث المباشر يحتل المرتبة الاولى من حيث الاهمية بالنسبة للمستفيدين حيث اجاب ٤٠ ٪ منهم بذلك بينما اجاب ٢٥ ٪ منهم انها تأتي في المرتبة الثانية من حيث الاهمية وأجاب ١٠ ٪ منهم انها تحتل المرتبة الثالثة من حيث اهميتها . كما اجابت نسبة ٢٢,٥ ٪ من المستفيدين ان صفحة المحتويات الجارية Current Contents تأتي في المرتبة الاولى من حيث اهميتها . ومن ذلك تبين ان ٦٢,٥ ٪ من المستفيدين اعتبرت خدمتي البحث الالي المباشر وصفحة المحتويات الجارية التي تصدر عن مؤسسة (ISI) ذات أهمية قصوى لهم لما فيها من عناصر الحداثة والسرعة في توفير المعلومات التي يحتاجونها اضافة الى المميزات الاخرى التي تتميزان بها

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
الاضافات الجديدة	٪ ٢,٥	٪ ٢,٥	٪ ٢,٥	٪ ١٠	٪ ١٢,٥	٪ ١٧,٥	٪ ٧,٥	٪ ١	٪ ٢,٥
الاطروحات	٪ ٢,٥	٪ ٢٢,٥	٪ ٢٠	٪ ٧,٥	٪ ١٠	٪ ٧,٥	٪ ٥	٪ ٧,٥	٪ ٢,٥
المراجع	٪ ١٧,٥	٪ ١٥	٪ ١٢,٥	٪ ١٧,٥	٪ ٢,٥	٪ ١٠	٪ ١٠	٪ ١٠	—
البحث المباشر	٪ ٤٠	٪ ٢٥	٪ ١٠	٪ ٧,٥	٪ ٢,٥	٪ ٥	—	—	٪ ٥
صفحة المحتويات (/S/)	٪ ٢٢,٥	٪ ١٧,٥	٪ ٢٢,٥	٪ ٥	٪ ٢,٥	٪ ١٥	٪ ٧,٥	٪ ٢,٥	٪ ٢,٥
صفحة المحتويات (دوريات المكتبة المركزية)	٪ ٥	٪ ١٧,٥	٪ ٥	٪ ٥	٪ ٢,	٪ ٥	٪ ١٢,٥	٪ ١٢,٥	٪ ٧,٥
مصادر المعلومات المختصة	٪ ٧,٥	٪ ١٥	٪ ٢,٥	٪ ٢٠	٪ ١٧,٥	٪ ٧,٥	٪ ١,٥	٪ ,٥	—
قائمة الدوريات	٪ ١٢,٥	٪ ١٥	٪ ٧,٥	٪ ٧,٥	٪ ١٧,٥	٪ ١٥	٪ ,٥	٪ ١٠	—

السؤال الثاني :

استهدف السؤال الثاني استطلاع رأى المستفيدين حول خدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة المركزية لهم وكانت الاجابات:

٢,٥ ٪ اجاب بان خدمات المعلومات ممتازة

٣٧,٥ ٪ اجاب بان خدمات المعلومات جيدة جدا .

٤٥ ٪ اجاب ان خدمات المعلومات جيدة .

٨ ٪ اجاب بان خدمات المعلومات متوسطة.

٧ ٪ اجاب بان خدمات المعلومات ضعيفة.

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان خدمات المعلومات التي تقدمها المكتبة المركزية استطاعت ان ترضي معظم الباحثين والتدريسيين في الجامعة اذ ان نسبة من اجاب بانها جيدة جدا وممتازة تبلغ ٨٥٪ من العينة .

اما السؤال الثالث

فقد استهدف استطلاع رأى العينة فيما اذا كان لديهم معلومات سابقة عن البحث المباشر Online Searching ام لا وقد حصلنا على نسبة ٤٥٪ من العينة ممن اجابوا بنعم بينما بلغت نسبة الذين ليست لديهم معلومات عن البحث المباشر ٥٥٪ والسبب في ذلك يعود الى كون البحث المباشر من الخدمات الحديثة في المكتبات وضمن الاتجاهات التي دخلتها مؤخراً .

وعن مدى مالديهم من معلومات عن البحث المباشر الذي استهدفه السؤال الرابع جاءت اجابات الذين اجابوا بان لديهم معلومات عن البحث المباشر في السؤال السابق (٤٥٪) بالنسب التالية :

٢,٥٪ لديهم معلومات تفصيليه جدا .

٣٧,٥٪ لديهم معلومات اولية عامة ولكن واضحة .

٥٥٪ لديهم معلومات اولية غير واضحة

٥٪ ليس لديهم اي معلومات.

اما السؤال الخامس :

فقد استهدف استطلاع اراء العينة التي اجابت بالايجاب عن السؤال الثالث عن مصادر معلوماتهم عن خدمات البحث المباشر فكانت اجابتهم :

٥١,٤٪ بانها قد جاءت عن طريق برنامج ارشاد القراء ونشريات المكتبة.

٥,٢٨٪ اللقاء المباشر مع مسؤولي المعلومات.
٦,١٧٪ عن طريق قراءاتهم الشخصية.
٥,٢٪ عن طريق تجاربهم السابقة.

وعن الخدمة الأسنادية وهي توفير المقالة المطلوبة للباحث والتي استهدفها السؤال السادس اجاب :

١٢,٥ ٪ منهم بانهم يحصلون عليها بسهولة .
٦٤,٥ ٪ منهم يحصلون عليها بعد انتظار طويل .
٩ ٪ منهم يحصلون عليها بصعوبة .
١٤ ٪ يتعذر عليهم الحصول عليها .

هذا علما ان المكتبة كانت قد وضعت كية من طوابع المكتبة البريطانية كابداع في المكتبة المذكورة ويمكن الحصول على المقالات المستعجلة بواسطة التلكس ، أما المدة التي يستغرقها طلب المقالة فيتراوح بين ١٤ – ٢١ يوماً في حالة عدم توفرها في المكتبة، وهذا مايبرر النسبة العالية ممن اشار إلى الانتظار الطويل في الحصول على المقالات ، كما أن انظمة الأتصال داخل الكلية الواحدة تشكل عقبة احياناً حيث ان تجربة وحـــدة المعلومات في المكتبة تشير إلى تأخير تبليغ طالب المادة العلمية تبلغ احياناً اسبوعاً او اكثر مابين ارسال الأشعار إلى القسم المعني بوصول المقالة لو للبحث وتسلم الباحث له . وتقوم المكتبة باعارة المقالة او استنساخها في حالات معينة وتحتفظ بملف كامل لهذه المقالات يمكن ان يؤدي إلى قاعدة معلومات مناسبة .

واستهدف السؤال السابع استطلاع اراء العينة فيما اذا كانوا يفاجئون بمواد ومعلومات منشورة في حقل تخصصهم لاتصل اليهم معلوماتها عنها عن طريق برنامج خدمات المعلومات فأجاب :

١٥ ٪ منهم بانهم كثيراً مايفاجأون بمثل هذه المعلومات .
٤٧,٥ ٪ منهم إلى حد ما .
٣٧,٥ ٪ منهم بانهم لايفاجأون .

وجاء السؤال الثامن استكمالا للسؤال السابع لمعرفة مدى انقطاع او اتصال المستفيد بالنتاج الفكري في حقل تخصصه فكانت الأجابة :

١٠ ٪ بانهم متصلون تماماً
٦٥ ٪ متصلون لحد ما

بينما اجاب
٢٠ ٪ منهم بانهم منقطعون
٥ ٪ بانهم منقطعون تماما

وتشير نسبة الاجابات إلى ان الغالبية تقع في الوسط وهي المعاصرة إلى حد ما ويمكن تفسير ذلك بمحدودية الخدمات ذات الكلفة من جهة وتحديد عدد النسخ المعدة للتوزيع من النشريات .

وحول معرفتهم بوجود مسؤول المعلومات في المكتبة المركزية ودوره المرسوم والاستفادة من دوره اجاب :

٥ ,٦٣ ٪ منهم بأنهم مطلعون مطلعون وعلى اتصال بمسؤول المعلومات :
٥ ,٣٦ ٪ منهم اجاب بالنفي

ومن المجموعة الأولى اجاب ٥٠ ٪ منهم انهم استفادوا بشكل كبير من خدمات مسؤول المعلومات بينما اشار ٣٠ ٪ بان الفائدة كانت قليلة كما اشار ٢٠ ٪ بعدم الفائدة.

ويشير ذلك إلى نقص واضح في ابراز دور مسؤول المعلومات للمستفيدين والعبء الكبير الذي تضطلع به اتجاه العدد الكبير من التدريسيين وطلبة الدراسات العليا والاولية وهذا يستلزم معالجة هذه الثغرات بفتح قنوات أخرى للاتصال بالمستفيدين وتهيئة كادر اضافي للعمل كمسؤولي معلومات في تخصصات ضيقة وليس ضمن الاطار الواسع كمسؤول المعلومات للعلوم البحتة والتطبيقية ومسؤول المعلومات للعلوم الأنسانية والعلوم الأجتماعية .

(استبيان طلبة الدراسات الجامعية الاولية)

لقد تم توزيع الأستبيان الملحق على عينة من طلبة الدراسات الجامعية الأولية اختيرت بشكل عشوائي بحيث غطت كافة الكليات الموجودة داخل المركز الجامعي والتي تقوم المكتبة المركزية بخدمة طلبتها بشكل مباشر وتم استبعاد طلبة الكليات خارج المركز الجامعي لكونهم يستخدمون مكتبات كلياتهم بصورة مباشرة ونادرا مايستخدمون المكتبة المركزية لبعدها عنهم . واستهدف الأستبيان الحصول على تغذية راجعة عن معرفة الطلبة باستخدام المكتبة وفهارسها والخدمات التي تقدمها واستجابتها لاحتياجاتهم

لقد بلغ عدد الذين وزعت عليهم الأستبيانات (١٠٠٠) طالب وقد استجاب منهم ٩٠٠ ولذا فقد اعتبرت العينة ٩٠٠ طالب .

استهدف السؤال الأول مدى معرفة الطلبة باستخدام فهارس المكتبة فاجاب :

٦٨ ٪ منهم بانهم يجيدون استخدام الفهارس .

١٥ ٪ منهم فقط بالنفي

بينما لم تجب بقية العينة على هذا السؤال .

وحين سئلت المجموعة الأولى التي اجابت على للسؤال الأول بالايجاب عن كيفية ايجاد كتاب معين يعرفون عنوانه في الفهارس كانت اجابة :

٥ / ٥٧ ٪ منهم صحيحة .

٥/ ٢٢ ٪ منهم خاطئة .

وهذا يعني ان ١ /٣٩ ٪ فقط من الذين اجابو بانهم يجيدون استخدام الفهارس هم الذين يستطيعون استخدام الفهارس بشكل صحيح فعلا .

اما السؤال الثالث : فكان عن مصدر معلومات هؤلاء الطلبة عن كيفية استخدام فهارس المكتبة اجاب

٢٥ ٪ منهم بان ذلك يمتد إلى مرحلة ماقبل الجامعة .

١٣ ٪ منهم من تدريسي الجامعة .

١٧ ٪ منهم بعد مشاهدتهم برنامج ارشاد القراء السمعي والبصري الذي اعدته المكتبة المركزية .

١٢ ٪ منهم عن طريق مسؤول المعلومات في المكتبة المركزية .

٢٩ ٪ منهم عن طريق زملائهم الطلبة .

٣ ٪ منهم عن طريق مسؤول مكتبة الكلية .

أما السؤال الرابع الذي طلب منهم فيه تأشير الفقرات التي يجب ادراجها في بطاقة الاعارة من فهرس المكتبة فقد اجاب

٨٥ ٪ منهم الأجابة الصحيحة .

١٥ ٪ منهم اجابوا اجابات خاطئة لاتدل على انهم قد استخدموا فهارس المكتبة واستفادوا من خدماتها .

وحين سئل الطلبة في السؤال الخامس عن معرفتهم بالرفوف التي تحوي المجاميع التي تخص دراساتهم وكيفية الوصول إلى الكتب على الرفوف مباشرة – حيث طبقت المكتبة نظام الرفوف المفتوحة الذي يمكن الطلبة من الدخول إلى رفوف الكتب مباشرة واختيار ما يناسبهم منها – اجاب .

٣٤ ٪ بانهم يستطيعون ذلك

٤١ ٪ بانهم يستطيعون ذلك إلى حد ما

٧ ٪ بانهم لايستطيعون ذلك .

ويمكن ان يعزى ذلك الى الالواح الأرشادية الموجودة في كل قاعة وتوجيهات مسؤول القاعة اضافة إلى برنامج ارشاد القراء ، ولم تجب بقية العينة على هذا السؤال .

اما السؤال السادس : الذي استفهم منهم عن عدة امور تتعلق بعدد الكتب المسموح باعارتها للطالب كل مرة وعن مدة الاعارة وعن الغرامات المترتبة وتأخير الكتب والتاريخ المحدد حيث انها مدرجة في تعليمات الاعارة المعلنة في لوحة اعلانات قسم الاعارة والموضحة ضمن برنامج ارشاد القراء ومع ذلك اجاب :

٣٧ ٪ اجابات صحيحة

٣٤ ٪ اجابات مربكة لاتدل على انهم مطلعون على هذه التعليمات ولا يعرفون مالهم من حقوق في المكتبة.

ولم تجب بقية العينة على هذا السؤال .

واستهدف السؤال السابع معرفة فهم الطلبة لخدمات المكتبة المرجعية والمعلوماتية ، حيث وجهت اليهم مجموعة من الاسئلة عن مواد توجد في اقسام مختلفة وطلب اليهم تحديد القسم الذي يجدون فيه كل مادة من هذه المواد فكانت الاجابات :

٦٢ ٪ اجابات صحيحة .

٣٢ ٪ اجابات خاطئة .

اما السؤال الثامن : الذي استهدف معرفة ما اذا شاهد الطلبة برنامج ارشاد القراء ام لا علماً ان المكتبة المركزية دأبت ومنذ عام ١٩٨٢ على تنظيم جدول للاقسام العلمية يتم بموجبه عرض البرنامج على الطلبة الجدد واخذهم في جولة داخل المكتبة لاطلاعهم على قاعات واقسام المكتبة التي سبق عرضها عليهم في البرنامج. وغالباً ماتتم هذه الجولات بمصاحبة عدد من المكتبيين المتخصصين حيث تقسم مجاميع الطلبة الى مجاميع صغيرة

تتكون كل مجموعة من ١٠ – ١٥ طالب تكون بصحبة مكتبي متخصص . يضاف الى ذلك ان المكتبة تعد هذه الجداول بالتنسيق مع اعضاء الهيئة التدريسية وتقوم بارسالها الكليات والاقسام العلمية قبل موعدها بفترات مناسبة كي يتسنى لهم تهيئة الطلبة واحضارهم بالموعد المحدد بمصاحبة مرشد الصف الذي يكون احد اعضاء الهيئة التدريسية ورغم كل ذلك اجاب :

٣٤ ٪ بانهم شاهدوا البرنامج.

٤٩ ٪ بانهم لم يشاهدوه .

بينما لم تجب بقية العينة على ذلك.

وحين سئل الطلبة في السؤال التاسع عن معرفتهم بهذا البرنامج ومدى الفائدة التي حصلوا عليها من خلال مشاهدتهم له اجاب :

٢٠ ٪ بانهم استفادوا منه فائدة كبيرة جدا .

٢٥ ٪ بانهم استفادوا منه فائدة كبيرة .

٣٠ ٪ بانهم استفادوا منه فائدة متوسطة .

١٠ ٪ بانهم استفادوا منه فائدة قليلة .

ولم يجب بقية الطلبة على هذا السؤال :

اما السؤال العاشر فقد استهدف معرفة الطلبة بالخدمات التي تقدمها المكتبة من خلال ادراج مجموعة من النشاطات التي تقدم في المكتبات والبعض الاخر مما ليس له علاقة بالمكتبة فكانت الاجابة :

٨٠ ٪ اجابات صحيحة.

٢٠ ٪ اجابات خاطئة ومشوشة .

التوصيات

١ – ضرورة قيام دراسة لاحقة للمكتبات الاكاديمية في القطر على ان تكون دراسة حالة مركزة عن خدمات المعلومات والخدمات المرجعية وان تكون ايضاً دراسة مسحية لتجارب تلك المكتبات في خدمات المعلومات وخدمات القراء .

٢ – نظراً للزخم الهائل من الخدمات الملقى على عاتق مسؤولي المعلومات في المكتبة المركزية بسبب مضاعفة عدد طلبة الدراسات الجامعية الاولية والاستمرار بفتح دراسات عليا في الاقسام العلمية وزيادة عدد المقبولين اضافة إلى نمو عدد اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة بسبب نمو الجامعة وتطورها نرى من الضروري زيادة عدد مسؤولي المعلومات لتغطية الاختصاصات الموجودة في الجامعة وعلى ضوء ذلك نقترح ان يكون هناك مسؤولي معلومات على النحو التالي :

(آ) مسؤول معلومات للعلوم الطبية . ويفضل ان يكون ذو خلفية علمية طبية .

(ب) مسؤول معلومات للعلوم الهندسة . ويفضل إن يكون ذو خلفية علمية هندسية .

(ج) مسؤول معلومات للعلوم البحته . للاختصاصات الموجودة في كلية العلوم من كيمياء وفيزياء ورياضيات وعلوم ارض والاختصاصات الاخرى ويفضل ان يكون ذو خلفية علمية في احد هذه الاختصاصات .

(د) مسؤول معلومات في العلوم الزراعية . ويفضل ان يكون ذو خلفية في العلوم الزراعية .

(ه) مسؤول معلومات في العلوم الاجتماعية . ويفضل ان يكون ذو خلفية في العلوم الاجتماعية .

(و) مسؤول معلومات في الدراسات الانسانية . ويفضل ان يكون ذو خلفية في احد الاختصاصات الانسانية .

٣ – اعادة النظر في نظام الاتصال داخل الجامعة وخصوصاً بين المكتبة والكليات ومراكز البحوث والعمل على اقرار نظام شامل ومتكامل بما يؤمن الاتصال السريع والفعال بالباحثين من اجل ايصال المعلومات اليهم في الوقت المناسب .

٤ – تكثيف الاستفادة من خدمات المعلومات الخارجية بايجاد قنوات جديدة بالعمل على توثيق اواصر التعاون مع مكتبات دول الخليج العربي وخاصة في مجالات للعلوم الإنسانية

والاجتماعية التي اثبتت كفائتها في برنامج مكتبتنا . كما ينبغي اللجوء إلى ايداع المزيد من طوابع الاعارة البريطانية وطوابع مؤسسة المعلومات العلمية ISI في الولايات المتحدة من اجل سرعة الحصول على المقالات المطلوبة بواسطة التلكس . كما ينبغي العمل بالاسراع على ربط المكتبة بمركز التوثيق العلمي بواسطة حاسب طرفي للبحث في قواعد المعلومات المتوفرة لديهم وهي INSPEC BIOSIS وتكثيف الجهود من اجل ربط المكتبة المباشر باحد انظمة المعلومات العالمية ويفضل ان يكون مع Dialog للحصول على احدث المعلومات في معظم حقول المعرفة .

٥ — وضع الخطط الكفيلة لتدريب وتطوير الكادر المتخصص في المكتبة على اسس وكيفية البحث المباشر Online وكيفية تحليل الاستفسارات الموجهة من قبل الباحثين وصياغة استراتيجيات البحث واستعادة المعلومات .

٦ — الاستمرار في برنامج ارشاد القراء لطلبة الدراسات الاولية والعمل على تطويره وتنقيحه باستمرار من اجل تلبية حاجات الطلبة وكذلك العمل على ايجاد طريقة توضح للطلبة كيفية استخدام فهارس المكتبة سواء كان عن طريق البرنامج او المحاضرات او النماذج التوضيحية .

٧ — بالنظر لمحدودية عدد نسخ مطبوعات الخدمات الاعلامية التي تصدرها المكتبة المركزية ، نوصي بزيادة اعداد النسخ المطبوعة منها مستقبلاً بما يتناسب وعدد الباحثين في الجامعة .

٨ — نظراً لكفاءة وفاعلية برنامج خدمات المعلومات في المكتبة المركزية لجامعة الموصل والتي ظهرت من خلال نتائج الاستبيانات لذا نوصي بتعميمه على بقية المكتبات الجامعية في القطر والتي ليست لها برامج مماثلة بعد تعديله بموجب التوصيات المذكوره اعلاه وبما يلائم ظروف كل مكتبة على حدة .

الخاتمة :

تقدم المكتبات الجامعية العراقية تشيكلة من خدمات المعلومات التي تهدف الى خدمة الباحثين وتوفير المعلومات والاعلام عما هو متوفر في المكتبة وقامت المكتبة المركزية بجامعة الموصل واعتباراً من ٢ / ٥ / ١٩٨٢ بتشكيل. فريق عمل للتخطيط والتنفيذ لبرنامج بشكل حزمة من الخدمات يستهدف دراسة حاجات المستفيدين المعلوماتية والعمل على ترجمة الاهداف المرسومة للمكتبة بما يؤمن لها الاضطلاع بدورها المرسوم .

وبالرغم من وجود نظام تغذية عكسية راجعة والاتصال المباشر مع المستفيدين وقيام دراسة حول خدمات مكتبات الجامعة بصورة عامة الا أنه لم تجر دراسة شاملة ودقيقة لهذا البرنامج. ولما كانت المكتبة اساسا هي خدمات قبل اى اعتبار آخر لذا فان الحاجة ماسة الى تقويم هذا البرنامج بما يؤمن نظرة خاصة موضوعية للبرنامج واداءه وتحديد نقاط القوة والضعف فيه لصياغة برنامج نموذجي للمكتبات الجامعية في القطر.

كانت المكتبة قد قامت عام ١٩٧٦ بنشر ببيلوغرافيات متخصصة تشمل مجاميعها من الكتب لغرض تقويم مجموعتها من قبل السادة تدريسي جامعة الموصل وقد استلمت استمارة التغذية الراجعة على حقول تترك للمستفيد حرية ابداء الرأى في المجموعة التي بين يديه ووضع المقترحات التي يرتأيها بشان المكتبة وخدمات المكتبة ووصلت الى المكتبة العديد من هذه الاستمارات وقام احد خبراء المكتبات – في حينه بالرد والكتابة المباشرة للسادة التدريسيين موضحاً بعض الامور معلقاً على الاخرى الا أنها بالرغم من كونها بداية طيبة فقد كانت تفتقر الى المنهج وفريق العمل اللازم والاستجابة الفعالة ثم قدم السيد سايمون فرانسيس خبير اليونسكو المكلف تقريرا مفصلا عن مكتبات الجامعة ومجموعتها والهيكل الاداري المقترح الا أنه لم يرسم اطارا محددا لما يجب ان تكون عليه خدمات المكتبة ولم يحدد مقترحا بذلك الشأن. ثم قدم مجموعة من المتخصيصين بحثا الى الندوة العلمية لجامعة الموصل المنعقدة للفترة من ٨ – ١٠ / ٥/ ٩٨٥ بعنوان : (مكتبات جامعة الموصل ودورها في الجامعة والمجتمع). بهدف تقوي يرة مكتبات

الجامعة تحديدا منذ عام ١٩٨١. ورسم صورة لما يجب ان تكون عليه خدمات المعلومات في المكتبات الاكاديمية وتعرض لبعض الخدمات التي تقدمها مكتبات الجامعة.

ثم جاءت الدراسة الحالية لتلقي مزيدا من الضوء على خدمات المكتبة المركزية لجامعة الموصل ودورها في خدمة الباحثين والبحث العلمي وفي خدمة المناهج والمقررات الدراسية للجامعة.



ملحق رقم (١)

جامعة الموصل في سطور

جامعة الموصل مؤسسة رسمية لها شخصيتها المعنوية واستقلالها الاداري والمالي وميزانية خاصة بها في سبيل تحقيق اغراضها المحددة في قانون التعليم العالي والبحث العلمي.

وتتكون الجامعة حالياً من احدى عشرة كلية بالاضافة الى العديد من المراكز التعليمية والتطبيقية ومراكز البحوث.

١ ــ كلية الطب: استحدثت عام ١٩٥٨ وتعد اللبنة الاولى للجامعة وتقع خارج المركز الجامعي قرب المستشفى الجمهوري وتضم حالياً الفروع التالية: فرع الطب، فرع الجراحة، فرع الفسلجة ووظائف الاعضاء، فرع التشريح والانسجة والاجنة، فرع النسائية والتوليد، فرع علم الامراض، فرع الكيمياء الحياتية، فرع الصحة العامة، فرع الاشعة، فرع الاحياء المجهرية، فرع علم الادوية، وفيها دراسات عليا في: الفسلجة ــ الاحياء المجهرية ــ الكيمياء الحياتية ــ التشريح والاجنة.

٢ ــ كلية الهندسة: تاسست عام ١٩٦٣ وتقع داخل المركز الجامعي وتشتمل حالياً على:

قسم الهندسة المدنية، قسم الهندسة الكهربائية، قسم الهندسة الميكانيكية قسم هندسة الري والبزل، قسم الهندسة المعمارية.

وتتوفر فيها دراسات عليا في:

الهندسة المدنية ــ الهندسة الكهربائية ــ الهندسة الميكانيكية ــ هندسة الري والمكائن.

٣ ــ كلية العلوم: تأسست عام ١٩٦٣ وتقع داخل المركز الجامعي وتشتمل حالياً على الاقسام التالية:

قسم الفيزياء، قسم الكيمياء، قسم الرياضيات والاحصاء، قسم علوم الارض، قسم علوم الحياة.

اما الدراسات العليا فتتوفر في الاختصاصات التالية:

الفيزياء ــ الكيمياء (ماجستير + دكتوراه) علوم الارض. علوم الحياة، رياضيات.

٤ ــ كلية الزراعة والغابات: تاسست عام ١٩٦٤ وتقع خارج المركز الجامعي في منطقة

حمام العليل على بعد ٢٥ كم جنوبي الموصل . تتكون من الاقسام التالية :
قسم الثروة الحيوانية، قسم الغابات ، قسم المحاصيل الحقلية، قسم الصناعات الغذائية، قسم الاقتصاد الزراعي، قسم وقاية النبات، قسم علوم التربية، قسم البستنة ، قسم الارشاد الزراعي واعداد المدرسيين الزراعيين ، قسم والمكائن والالات الزراعية.
اما الدراسات العليا فتتوفر في الاختصاصات التالية:

الثروة الحيوانية، المحاصيل الحقلية، الغابات، الصناعات الغذائية ، البستنة، علوم التربية، وقاية النبات، الاقتصاد الزراعي، الارشاد الزراعي واعداد المدرسين الزراعيين.

٥ – كلية الاداب: تاسست عام ١٩٦٦ وتقع داخل المركز الجامعي وتتكون حالياً من: قسم اللغة العربية ، قسم اللغات الاوربية (انكليزية + فرنسية) قسم التاريخ ، قسم الخدمات الاجتماعية .
وتتوفر الدراسات العليا في الاختصاصات :

اللغة العربية، اللغة الاوربية، (لغة انكليزية) التاريخ.

٦ – كلية الادارة والاقتصاد : تاسست عام ١٩٦٨ وتقع على بعد ١٢ كم من المركز الجامعي وتتكون من:
قسم الاقتصاد، قسم الادارة، قسم الاحصاء .
وفيها دراسات عليا في:

الاقتصاد، الادارة .

٧ – كلية التربية: تاسست عام ١٩٧٥ وتقع داخل المركز الجامعي وتتكون من :
قسم اللغة العربية، قسم اللغة الانكليزية، قسم التاريخ، قسم الجغرافية ، قسم الرياضيات قسم الفيزياء، قسم الكيمياء، قسم علوم الحياة ؛ قسم العلوم التربوية والنفسية.

٨ – كلية الطب البيطري تاسست عام ١٩٧٥ وتقع داخل المركز الجامعي : وتتكون من
فرع علم الامراض والطب العدلي ، فرع الفسلجة والكيمياء الحياتية والفسلجة ، فرع التشريح والانسجة والاجنة ، فرع الطب والجراحة والولادة البيطرية ، فرع الصحة العامة البيطرية .

وتمنح شهادة الماجستير اضافة الى البكالوريوس .

٩ – كلية التربية الرياضية: تاسست عام ١٩٧٧ وتقع داخل المركز الجامعي .

١٠ – كلية طب الاسنان: تاسست عام ١٩٨١ وتقع داخل المركز الجامعي.

١١ – كلية القانون والسياسة: تاسست عام ١٩٨٣ وتقع داخل المركز الجامعي وتتكون من قسمين.

القانون ، السياسة .

هذا ويبلغ عدد طلبة الدراسات الجامعية الاولية المستمرين على الدراسة للعام الدراسي ١٩٨٥ – ١٩٨٦ حوالي ١٥,٠٠٠ طالب.

اضافة الى (٢٥٠) طالبا من طلبة الدراسات العليا .

اما عدد اعضاء هيئتها التدريسية فقد بلغ (١٠٥٠) لغاية العام الدراسي ٩٨٤ – ٩٨٥

المكتبة المركزية لجامعة الموصل :

تقع المكتبة المركزية لجامعة الموصل وسط المركز الجامعي وتبلغ مجاميعها حوالي ٣٠٠,٠٠٠ مطبوعا باللغة العربية والانكليزية واللغات الاجنبية الاخرى في مختلف الاختصاصات التي تدرس في الجامعة.

يبلغ عدد مشاركاتها من الدوريات ٢٣٠٠ دورية اجنبية وعربية.

ويبلغ عدد العاملين في المكتبة ٨٣ منهم:

٤ من حملة الماجستير في علم المكتبات وادارة المعلومات

١ بكالوريوس مكتبات.

١ دبلوم عال مكتبات

٨ دبلوم مكتبات.

References

1 . Lancaster, .W.F The Measurement and evaluation of Library services. Virginia: Information Resource press. 1977 pp. vii-19

2 . Galvin, J. Thomas and others. "The New role of Librarians as professionals: A literature review". The Information society: Issues and answers. ALA'S presidential commission for the 1977 Detroit Annua-conference. London: ORYX press, 1978, pp. 80-82.

3 . Foskitt. D.J. "Information Services in Libraries" London: Crosby. 1962. pp. 1-3.

4 . Lufkin, J. Reading habit of engineers. IEEE Trans. Education. E. q. 1966 p. 179.

5 . Vickery, D.C. Report by Birmingham University Library . University Grants Commission. Report of the Committion on Libraries. London : HMSO. 1967.

6 . Dickman T. John and others. Chemical Abstracts: An Introduction to its effective use. Washington D.C.: American chemical Society, 1979 203p.

7 . Bourne, C. Computer based reference services as an alternative means to improving resource-poor local Libraries in developing countries-Library Review, 9 (1), 1977. pp. 43-50.

8 . El-Hadidy, B. "Delayed on line search: an alternative access mode for developing countries". J. of Information Science, 5 (5), 1983, pp. 173-185.

9 . Hall, James L. Online Bibliographic Databases: an International Directory. 2nd ed. ASLIB, London, 1981. p. XV–XVI

10. Curda, A. Carles. Commercially funded on–Line retrieval services–past, present, and future. ASLIB proceedings, 30 (1) Jan 1978. pp: 2–15.

11. Weiss, Susan. Online Bibliographic services: A comparison. Special Libraries 72 (4), 1981.

12. Van Rijsbergen C.J. Information retrieval–2nd ed. London: Butter worths. 1979 pp. 144–150.

13. Vickery, B.C. Pradford's Law of scattering. J. of Documentation, 4 (3) 1948.

14. Urqutlart, D. Looking Backwards & Forwards, "ASLIB proceedings, 27 (6), 1975 pp. 230–238.

15. Parlett, M. & Hamilton, D. "Evaluation as illumination: A new approach to the study of innovating programmes". Center for Research in Education Sciences. University of Edinburgh Occassional paper Oct, 1972.

خدمات المعلومات

اسم الطالب / الباحث :

الكلية والقسم : CURRENT CONTENTS

عنوان البحث :

المشرف :

تاريخ بدء الدراسة :

التاريخ المتوقع لانتهاء الدراسة :

الخدمات

قوائم ببليوغرافية : Central Library

محاضرات



تصوير داخلي : Sources in Chemistry

طلب مقالات من خارج المكتبة :

طلب كتب ومواد اخرى : Central Library

استمارة المعلومات التي يستخدمها مسؤولي المعلومات في المكتبة المركزية لجامعة الموصل

نماذج من المطبوعات الاعلامية التي تصدرها المكتبة المركزية لجامعة الموصل

INFORMATION SERVICES PROGRAMME NEW ACCESSION LIST THESIS	وزارة التعليم العالي جامعة الموصل المكتبة المركزية برنامج خدمات المعلومات المقتنيات الجديدة العدد البيبلوغرافيات التاريخ	وزارة التعليم العالي جامعة الموصل المكتبة المركزية برنامج خدمات المعلومات المقتنيات الجديدة العدد المراجع التاريخ
Sources in English Language & Literature	Sources in Business Administration	Sources in English Language & Literature
Central Library	Central Library	Central Library

البذور التاريخية لعلم المكتبات في حضارة وادي الرافدين

امير الرواس
جامعة الموصل / المكتبة المركزية

المقدمة

قد يبدو غريباً حقاً ان نقارن او نحاول المقارنة بين عصرين مختلفين يفصل بينهم الاف من السنين ، بين عصر الأنسان في بدايات حضارته وتكوينه المجتمعات والأمم وبين عصر الأنسان في أوج عظمته وابداعه العقلي والفكري ، بين الأنسان الذي كان يعبد القمر خوفاً منه او تقرباً اليه وبين الأنسان الذي وطئت قدمه ارض القمر وغزا عالمه بل تجاوزه لما هو ابعد منه .

وقد يبدو للبعض غريباً ان نقارن بين مكتبات انسان العصور الأولى ومكتبات انسان هذا العصر الذي ادخل التكنولوجيا الحديثة والمكننة والحاسبات الألكترونية في كل عمل من اعمال المكتبة مهما كان بسيطاً .

الا اننا اذا ماايقنا ان انسان العقد الرابع من القرن العشرين يعود باصول حضارته الحالية إلى انسان ماقبل الميلاد بثلاثة الاف سنة . وان جذور هذه الحضارة نمت وترعرعت في ذلك الزمان حيث وضع انسان تلك العصور اللبنات الأولى والمباديء الأولى لاغلب العلوم الحالية ، كالرياضيات بفروعها والطب والهندسة والكيمياء والعلوم الزراعية وان من اوضح المظاهر الحضارية التي اكتسبها انسان العصر الحالي من انسان العصور القديمة

الكتابة التي اخترعها انسان وادي الرافدين ووادي النيل ، عند ذلك سوف لن يكون غريباً ان نقارن بين هذين العصرين في أي مجال من مجالات المعرفة ، وصولا لمعرفة أسس ومباديء العلوم الحالية والعناصر المشتركة بينهما .

ويهدف هذا البحث إلى تحديد العناصر المشتركة بين المكتبة بمفهومها الحديث واسلوب عملها والمكتبة التي اوجدتها حضارة وادي الرافدين ووضعت اسسها وغايتها شأنها في ذلك شأن بقية العلوم الحديثة التي جنى الأنسان ثمارها من تلك الجذور التي بذرت من قبل انسان تلك الحضارة العريقة .

وسوف اتناول في البحث مفهوم المكتبة قديماً وحديثاً وطبيعة المواد المكتبة وطريقة تصنيفها وتقديمها على شكل خدمات قرائية او خدمات معلومات مع دراسة اثر كل منها على نشاطات المكتبة الحالية ونظمها ، تاركاً بقية المجالات التي يمكن تناولها في دراسة أخرى كبناء المكتبات القديمة وادارتها وطرق المحافظة عليها ووقاية محتوياتها.



مفهوم المكتبة :

لعل ابسط تعريف للمكتبة هو انها المؤسسة التي تقوم بتدبير وتيسير الكتب والمواد المكتبية الأخرى للقراء والمنتفعين منها .

وقد عرف J. Brazun المكتبة انها « بيت الثقافة» او « بيت العقول » house of Intelligens والمحل الذي تلتقي فيه العقول وتجمع فيها الكتب التي يرتادها الباحثون بحثاً عن الحقيقة من خلال التجارب السابقة المعرضة للزوال السريع ولكن بها تخلد إلى الابد . (١)

وعرفها قاموس Webester انها « غرفة او قسم او سلسلة اقسام من مبنى او مبنى خاص بها تحوي داخلها كتب مخطوطات لفائف وغيرها تحفظ احياناً حسب نسق خاص بها » .

وكما يقول B.C.W. Sayers « بدون مؤلفات لايمكن ان يكون تأريخ وبدون مكتبات لاتوجد مؤلفات باقية » (٢) .

وان حاولنا تحديد اكثر لمفهوم المكتبة ووظيفتها بشكل مبسط من أجل أن تكون ناجحة في اداء رسالتها التي وجدت من اجلها قديماً او حديثاً يمكن ان نلخص ذلك بما يلي : —

أ — المكتبة مؤسسة تقتني الكتب والمطبوعات والمواد المكتبية الأخرى بشتى الوسائل من شراء او اشتراك او تبادل او ايداع ... الخ مما ينطبق عليه مفهوم التزويد بمصطلح علم المكتبات Collection .

ب — المكتبة تعد المواد التي تقتنيها بحيث تؤمن ملكيتها اولا ثم تجمعها في مجاميع وفق معايير متفق عليها تيسر استخدامها والرجوع اليها من قبل المنتفعين ، وهو مايطلق عليه بالتعبير المكتبي الحديث « الأعمال الفنية (Technical work

جـ — توفر المكتبة للقاريء كل مايعينه على استعمالها من تعريف بموجوداتها وارشادات للوصول اليها وطرق الأستدلال على محتويات المواد المتوفرة فيها ، او اجابة لاشكالات الباحثين في هذه الموارد وطرق استرجاعها وهو مايطلق عليه بالخدمات القرائية او خدمات المعلومات Reader service or Information service .

اذا كانت وظيفة المكتبة مهما كان حجمها او نوعها لاتتعدى الوظائف الأساسية الثلاث التي ذكرناها . اذا لنعد إلى مكتبات وادي الرافدين القديمة ونقارن هذه الوظائف والمقومات مع وظائف ومقومات تلك المكتبات .

ورد في تعريف المكتبة انها غرفة او عدة غرف من مبنى او بناية خاصة تحوى داخلها كتب ، لفائف ، مخطوطات وغيرها .

ان هذا مما ينطبق تماماً على واقع مكتبات وادي الرافدين ايام السومريين والبابليين والاشوريين والاقوام الاخرى التي سكنت هذه المنطقة . فقد كانت المكتبات لديهم غرفة او عدة غرف تكون عادة جزء من المعبد او القصر الملكي او قصور الامراء والحكام او أنها ملحقة بالمدرسة التي يطلق عليها (بيت الالواح) فقد كشف مثلاً في تل حرمل عن معبد وقصر ومدرسة ومعابد اصغر من المعبد الاول وجملة بيوت لعلها كانت مدرسة حيث وجد فيها نماذج من النصوص والمؤلفات المدرسية (٣).

ويقول صموئيل كريمر (وعلى الارجح ان وايلوباء (المدرسة) تمتلك مكتبة ، ولو ان المعبد والقصر ربما كانا يمتلكان ايضاً نسخاً من تلك التأليف التي كانت ذات علاقة باحتياجاتها الخاصة . (٤)

وقد كانت الحاجة هي التي اضطرت المدرسة لانشاء المكتبة فيها حيث كان الهدف الاساسي للمدرسة السومرية مايصح ان نسميه بالتخصص او التدريب المهني ، أي انها اسست لغرض تدريب الكتبه الذين كانوا يحتاجون اليهم لسد المتطلبات والحاجات الاقتصادية وقد استمر هذا الغرض هدفاً اساسيا للمدرسة السومرية في جميع عهود وجودها وعلى أي حال اصبحت المدرسة خلال نموها وتطورها ونتيجة للازدياد المستمر في التوسع في مناهجها مركز التعلم والثقافة في بلاد سومر . فقد عاش وازدهر بين جدرانها العالم الباحث ذلك الرجل الذي كان يتزود بجميع فروع المعرفة المعروفة في زمانه ... اضف الى ذلك ان المدرسة السومرية كانت على خلاف مؤسسات التعليم الان مركزاً لما يمكن تسميته بالتأليف الابداعي .. (٤)

وعلى هذا تكون المكتبات الملحقة بالمدرسة قد قامت مقام المكتبة الجامعية او الاكاديمية الآن University Library والمكتبة المدرسية معاً School Library

اما المكتبات الملكية التي أنشئت في قصور الملوك والحكام وعلى مختلف العصور فقد كانت اشبه ماتكون بالمكتبات القومية او الوطنية National Library ذلك

لانها كانت تحرص ان تضم ضمن مجاميعها كافة الوثائق او المعاهدات التي تخص الدولة اضافة الى حسابات الخزينة مصروفاتها وتفاصيل الحروب التي يخوضها الملوك والحكام مما يشكل فيها ارشيف الدولة ولكونها مفتوحة امام جمهور القراء كما نستشف من العبارة المكتوبة على مدخل مكتبة نينوى او مكتبة اشور بانيبال التي يقول فيها «قصر الملك اشور بانيبال ملك العالم ، ملك اشور المتوكل على اشور وبعل الذي أعاره نبو Nebo أذناً صاغية ليسمع وعيناً ليرى والذي ليس من الملوك من اسلافه من استطاع ان يتعلم حكمة الاله نبو التي دونت بالالواح هذه لقد دونت على هذه الالواح ماشئت قراءته؟ وتعلمه ووضعتها في قصري وكل من يأخذها من مكانها ويزيل ماعليها من كتابة او يضع اسمه بمحل اسمي عسى ان تلعنه الالهة وتستاصل ذريته من على وجه الارض» (٥)

مما يدل على انها كانت تستخدم من اناس من غير اهل القصر التي فيه . لذا يمكن القول انها مكتبة عامة Public Library

وعلى كل حال فقد ارتبط نشوء المكتبات وتواجدها وعلى اختلاف انواعها بالطبقة المثقفة من الناس واماكن تمركزهم حيث كان يقع على عاتقهم مهمة تزويد المكتبة بالمؤلفات الجديدة وتغذيتها بما يستجد من الالواح .

وهذه ظاهرة لازالت قائمة لحد الان فلا زالت المكتبة الحديثة مرتبطة بالطبقة المثقفة من الناس او المجتمع المثقف . وحديثاً يقال ان كثرة مكتبات الأمم يدل على رقيها وتقدمها العلمي والثقافي (٦) وهذا يتضح بازدياد عدد المكتبات في الدول الأسكندنافيه مثلا وهي من البلدان التي تأتي في المرتبة الأولى بين بلدان العالم في ارتفاع نسبة الثقافة بين سكانها . وكذلك الحال في الولايات المتحدة او الاتحاد السوفيتي او انكلترة وفرنسا.

فاذا كانت هذه الدول تعتبر من المراكز الحضارية والثقافية لعصرنا الحاضر فان دول وادي الرافدين كانت مركزاً حضارياً لحضارة مايزيد عن ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد .

مكونات المكتبة :

ذكرنا ان المكتبة تحوى مجموعات الكتب والمواد الثقافية الأخرى ، وواضح اننا نقصد بالمواد الثقافية تلك المواد التي لاينطبق عليها تعريف « الكتاب » مما اضافته حضارة انسان العصر الحديث . مثل الدوريات والمجلات والصحف والنشرات والمواد السمعية والبصرية .

الا أن الكتاب لازال يشكل العنصر الأساس في بناء مجاميع المكتبات لذا لابد لنا من ان نحدد ماذا نعني بالكتاب .

يعتمد تعريف الكتاب صفتان الشكل Phisical والوظيفة Function فهو عبارة عن مجموعة اوراق مترابطة مع بعضها يحويها عادة غلاف وهو من الناحية الوظيفية اداة نقل للمعلومات ومن الناحية التأريخية مجموعة الكتابات التي لها فائدة لمدة طويلة»(٧).

كما عرف قاموس Webestar الكتاب بانه « وثيقة مكتوبة او مجموعة صحائف مكتوبة على جلد او ألواح او خشب او عاج او لفائف متسلسلة من رق او مخطوطات مجموعة مع بعضها ، والكتاب هو المادة المكتوبة ايا كان نوعها بغض النظر عن طبيعة محتواها (٨) .

فالكتاب اذا هو اداة الأتصال الحضاري وهو اساس مكونات المكتبة وأهم موادها وهذه صفة اكتسبها الكتاب ليس في العصر الحديث فقط . انما ترجع في اصولها الى بداية نشوء المكتبات وترامن مع اختراع الكتابة وان كان الأختلاف واضحاً في الشكل التركيبي الذي عليه كتاب اليوم .

ولعل هذا هو أهم اختلاف بين مكتبة العصور القديمة في وادي الرافدين ومكتبات العصر الحاضر ، حيث كانت الالواح الطينية هي أهم مكونات المكتبة والتي اتخذت اشكالا هندسية مختلفة منتظمة وغير منتظمة .

فقد وصف كريمر أحد الالواح الطينية كمايلي : —

«اما هيئة اللوح فمربع الشكل نحو (٩ × ٩) انج فيكون في مساحته أقل من صفحة الطباعة المألوفة . ومع صغر اللوح استطاع الكاتب الذي دونه ان يقسمه الى اثني عشر حقلا واستطاع باستعماله خطاً دقيقاً ان يدون في هذا المقدار اكثر من ستمائة سطر من قصيدة سومرية في اعمال البطولة » (٩) .

ورتب مايسمى بـ« ثبت الملوك المتعاصرين» في لوح واحد بعمودين من الكتابة احدهما بجانب الاخر . يذكر في العمود الاول اسماء (٨٢) ملكاً اشورياً ويذكر في العمود الثاني (٩٨) ملكاً من الملوك البابليين المعاصرين للملوك الاشوريين . (١٠)

كما وصلت الينا وثائق أدبية سومرية تتراوح في احجامها بين الواح كبيرة ذات اثني عشر حقلا (عموداً) كتبت عليها نصوص تضم مئات السطور المتلاحقة وكسر الواح ، صغيرة جدا لاتحتوي على اكثر من بضعة سطور مكسورة ،وتصل التآليف الادبية المدونه على هذه الالواح والكسر الى مئات وتختلف اطوالها فمنها تراتيل ذات أقل من خمسين سطراً ومنها اساطير مؤلفة مما يقرب من الف سطر . (١١)

ولم تقتصر كتابة النصوص القديمة على الواح الطين بل استخدمت مواد أخرى للكتابة عليها منها الحجر بانواعه والمعادن على اختلافها والعاج . ولعل اكثر المواد التي استخدمت للكتابة عليها شبهاً بالكتاب في بداياته هي تلك الالواح الخشبية المستطيلة المترابطة بعضها بواسطة احزمة من الجلد لتكون مايشبه الكتاب ويبدو ان الاشوريين الذين استخدموا تلك الالواح قاموا باكساء وجه الالواح الخشبية بطبقة رقيقة من الشمع ثم طبعوا على تلك الطبقة العلامات المسمارية المكونة للنص غير ان عوامل المناخ قد حالت دون بقاء تلك النصوص والالواح (١٢) وقد تمكن المنقبون الانكليز في مدينة النمرود (كلخو) من التعرف على بقاياها كما اشارت اليها بعض النصوص المسمارية المعاصرة الاخرى .

من هذا يمكن لنا ان نتصور الانقلاب الذي أحدثه الورق بعد اختراعه في تطور المكتبة الحديثة بعد ان كانت معتمدة في محتوياتها على الالواح الطينية الصعبة الاستعمال والتسجيل او الحجر او الخشب .

واذا ماحاولنا المقارنة بين مكونات مكتبات وادي الرافدين مع مكونات المكتبة الحديثة كان لزاماً علينا ان نتصور الصعوبات التي يواجهها الكاتب القديم عند كتابته والوقت الذي يستغرقه كتابة لوح واحد مما يعادل حالياً كتابة كتاب كامل مما تنتجه المطابع الحديثة . ومع ذلك فأن مراجعة اعداد كتب « الواح » بعض المكتبات المشهورة تعطينا فكرة عن مقدار ثروة المواد الثقافية في تلك الازمان الغابرة مما يحملنا على القول انها كانت توازي ماينتجه انسان العصر الحديث تقريباً .

ففي مدينة سبار وهي من المدن السومرية المشهورة عثر في معبدها على ١٠,٠٠٠ لوح مصنفة ومرتبة على رفوف من الحجر بينما قدر هرمز رسام الذي نقب في هذه المدينة عدد الواح مكتبة هذه المدينة بـ٤٠,٠٠٠ ــ ٥٠,٠٠٠ لوح «كتاب» وزاد هذا الرقم عند Budge, W.C في كتابه Rise and Progrese of Assyriology الى اكثر من ١٣٠,٠٠٠ لوح . (١٣) ومن مدينة لكش وصل الينا ٣٥,٠٠٠ ــ ٤٠,٠٠٠ لوح من مكتبة معبدها . (١٤)

ومن مكتبة مدينة نفر عثر على مايقرب من ٣٠,٠٠٠ لوح كانت اغلبها في علوم ذلك العصر من كتب تختص بالرياضيات وعلم الفلك والطب والتاريخ واللغة والتسابيح والادعية والنصوص الاسطورية . (١٦)

ومن نفس المدينة من معبد الاله انليل فيها وصل الينا ٢٣,٠٠٠ لوح (١٧) . ومن مكتبة اور حصلنا على ٣٠٠ لوح ومنها حصلنا على اسم اول مكتبي في العالم وهو Amil Anlu حافظ الالواح (١٨) ، ومن مكتبة كلخو «النمرود الحالية» . وصل الينا ٢٥,٠٠٠ لوح كانت تحت اشراف المكتبي NABU – ZUQUB – GINA أبن المكتبي MAMDAK–MUBAGAR (١٩) .

ومن مكتبة اكد التي نقلت الى نينوى وصلت الواح مختومة بختم المكتبي Ibsiarru الذي اشار انه وضع فهرس مع تعليمات لارشاد القراء في مكتبته . (٢٠)

ومن مكتبة نينوى المشهورة بمكتبة اشور بانيبال وصل الينا ٢٦,٠٠٠ لوح كانت باحجام متفاوته وكانت تحت اشراف المكتبي NEBO–ZUQUB–YUKIN الذي عمل على تنظيمها ووضع فهارسها . (٢١)

ولعل فيما ذكرت من ارقام لعدد ألواح بعض المكتبات تضعنا امام فرضية لازمة لها وهي انه لابد لهذه الاعداد الهائلة من الالواح من نظم خاصة وضعت لها لترتيبها واستعادة او استذكار مافيها من معلومات . وهو ماسوف نتطرق اليه فيما بعد .

عناصر مشتركة لمكونات المكتبة :

بعد ان استعرضنا مفهوم المكتبة قديماً وحديثاً والمحنا الى ضخامة بعض مكتبات وادي الرافدين ، سوف نحاول دراسة العناصر المشتركة بين الالواح الطينية Cuneiform التي تمثل مكونات تلك المكتبات والكتاب الحديث الذي يمثل اهم مكونات المكتبة الحديثة بمقارنة النواحي التالية : —

(آ) كان الكاتب في العصور القديمة يستعمل احياناً طريقة الكتابة بالاعمده "Columon" في ترتيب كتابة النص الذي يرغب بتدوينه خاصة تلك النصوص التي يعتبرها ذات أهمية خاصة كالقوانين والمعاجم .

وهذه الطريقة مازالت مستخدمة في طبع الكتب الحديثة كدوائر المعارف او الكتب المرجعية والمعاجم اما في كتابة النصوص الاعتيادية فقد رتبها الكاتب القديم باسطر متتالية من اليسار الى اليمين على وجه اللوح وقفاه تماما كما يفعل كاتب النص الحديث في طبع كتابه.

(ب) وضع كاتب العصور القديمة مايستعين به لتوضيح كتاباتـه من رسـوم Illstrations وخطوط Graphs وخطط Plans مع ختم وتوقيع الكاتب في نهاية اللوح او الالواح التي تكون النص .

يقول كريمر «... ونجد اسفل منتصف الحقل الايسر من اللوح الكاتب القديم وقد دون اسمه بهيئة — ارا — ايميني — الذي يرجع ان يكون المؤلف الاصلي لذلك الكتاب ، ولكن لعله ليس المؤلف الاصلي بل احد النساخ ويعد هذا التوقيع من اقدم الامثلة على اسماء المؤلفين في تاريخ الكتابة . وعلاوة على ذلك فان المؤلف بمقتضى الاراء الدينية الشائعة راى لزاماً عليه ان يذكر اسماء مؤلفين اخرين بالاشتراك معه وهم الالهة...». (٢٣)

ان هذه المعلومات مع عنوان النص الذي سجله الكاتب يمكن ان تقوم مقام مانسميه اليوم : Colophon (٢٤) التي اتبعت بشكل خاص ايام كتابة المخطوطات Incunabula .

(ج) ويستمر الكاتب في كتابة نص الرقم الطيني على شكل اعمدة لحين الانتهاء من صفحة الرقم ثم يقوم بتدوير الرقم الى الوراء بدرجة ٩٠ ثم يستمر بالكتابة (٢٥) مما يشكل لدينا بمصطلح الكتاب الحديث Verso او Filos .

(د) خصص الكاتب القديم اعلى اللوح الاول الذي يستخدمه لكتابة النص للكلمات الافتتاحية او عنوان مايرد تسجيله ثم يترك مسافة واضحة ليسجل بعد ذلك النص بعد ان يكون قد سجل العنوان واحياناً التاريخ واسم صاحب اللوح (٢٦) ان ذلك يشكل بمفهوم الكتاب الحديث صفحة العنوان Title Page .

(هـ) اذا احتوى النص على اكثر من لوح كانت الالواح ترقم ويعطي له رقم تسلسل وتوضع مربوطة مع بعضها على الرفوف (٢٧) مما يمكن ان يمثل لدينا بيانات التوريق Pagination ، وللتاكيد كانت الصفحة التالية تبدا باخر كلمة من الصفحة التي سبقتها او بالسطر الاخير منه وبهذه الطريقة استطاعوا ان يضعوا على الرفوف رقم الطين الواحد بعد الاخر التي تمثل نص الالواح (٢٨) واحيانا يذكر الكاتب مجموع الخطوط التي احتوى النص عليها ليرشد القارىء الى بداية ونهاية اللوح. ان هذه الطريقة مستعملة حديثاً بما يعرف Catch Line او Catch Word .

(و) وقد يظهر لدينا في الواح المكتبات القديمة نظامين للترقيم في حالة كون اللوح مقسم الى فصول او اقسام يكون الترقيم الاول للنص الكامل والثاني للسلسلة او

الفصل او اقسام الكتاب (٢٩) ولازالت هذه الطريقة متبعة في ترقيم بعض الكتب الحديثة خاصة في دوائر المعارف.

(ز) يغلب على نصوص الالواح انها مجهولة المؤلف تماما كما هي حال الكثير من كتب او مخطوطات العصور الوسطى.

(ح) ان وظيفة الكتاب في كلا العصرين القديم والحديث لم يطرأ عليها اى تغيير حيث مثل ويمثل الكتاب قديماً وحديثاً مادة الاتصال Communication والمعلومات Information وبقي كوسيلة نقل وايصال العلوم والاداب من حضارة الى حضارة ومن شعب الى شعب.

الفهرسة والتصنيف

للكشف عن العناصر المشتركة في نظم الفهرسة والتصنيف بين مكتبات وادي الرافدين القديمة والمكتبة الحديثة لابد لنا اولا من ان نتعرف على الاسس والقواعد المبسطة التي تقوم عليها نظم الفهرسة والتصنيف في العصر الحديث، وذلك لنتعرف على المشترك منها مع القديم.

وطبيعي اننا لانتوقع ان نجد تشابهاً واضحا بين النظامين نظراً للبعد الزمني بينهما، الا أننا سوف نحاول الكشف عن بعض المؤثرات للنظم القديمة استطاعت ان تطبع الحديث بطابعها.

الفهرس Cataloge ((قائمة تسجيل او هو عبارة عن تعداد تام في معناه المبسط، وفي معناه الحديث يعرف عادة بانه قائمة تعداد بنظام او بموجب مبدأ خاص بالترتيب قد يكون هجائياً او اى شكل اخر مع اعطاء الصفات الخاصة ووصف او تحديد المكان)) (٣٠).

والفهرس نوعان:

(أ) ذلك الذي هو عبارة عن قائمة جرد Invontry List

(ب) ذلك الذي هو عبارة عن اداة استرجاع Ritrivial aid

ومع ان الفهرس الحديث قد تغير قليلا عن كونه قائمة رفوف او قائمة جرد لمجموعات المكتبة، فالمهم فيه هو كيف يمكن استعادة المعلومات بترتيب منظم للمخازن استناداً

الى موضوعاتها مع التركيز على سهولة هذا النظام وفهمه بصورة جيدة من قبل المكتبي الذي يستخدمه .(٣١)

وبعبارة اخرى انه اعداد المواد الثقافية التي تحتويها المكتبة بشكل يجعل هذه المواد في متناول القارىء بايسر السبل وباقل وقت ممكن، وتعد هذه العملية من اهم العمليات واكثرها تعقيدا وتحتاج الى المكتبي المؤهل اذ ان احكامها ودقة بياناتها سيعطي المردود الحسن في تقديم الخدمات المكتبة . (٣٢)

وقد لخص راتكاناثان صاحب تصنف كولون الاهداف التي يمكن للفهرس ان يحققها بما يلي : —

(أ) ان يظهر لكل قارىء كتابه.

(ب) ان يكون لكل كتاب قارئه.

(ج) ان يحافظ على وقت القارىء (٣٣)

والفهرسة نوعان : —

(أ) الوصفية التي يقصد بها وصف ملامح المادة من حيث الشكل .

(ب) الموضوعية التي يقصد بها تحديد الموضوع الذي تعالجه تلك المادة من حيث النص والمضمون وهو ما يعرف بالتصنيف Classification

ومن المعلومات التي وصلتنا عن فهارس مكتبات وادي الرافدين يمكن القول ان اغلب تلك المكتبات استخدمت مايعرف حديثاً بالفهرس المصنف Classified Catalogue

كما يقول G.Bushnell في كتابه The world Earlist Libraries «اننا يجب ان لانتصور ان فهرس مكتبات عصر سرجون في اكد هي اولى الفهارس الموضوعية انما كانت نتيجة عمل اجيال او تجارب سابقة، وليست لدينا صورة واضحة عن فهارس تلك الفترة، ولكن الشيء الاكيد الذي نعلمه عنها انها كانت مصنفة بالموضوع مع تعليمات للقراء عن كيفية الحصول على الكتب التي يرغبونها . وقد كانت اغلب المكتبات الامريكية لوقت قريب تتبع طريقة التصنيف بالموضوع المرتب هجائياً » .

لاشك ان هذه الطريقة تواجه صعوبتين اساسيتين:

(أ) مشكلة الترادف باسماء المواضيع.

(ب) مشكلة الترابط بين المواضيع حيث قد يشترك عنوان ليشمل اكثر من موضوع

وعلى كل حال فان هذه الصفة مشتركة بين المكتبات القديمة والحديثة حيث بدات كلا المكتبتين بقائمة الجرد او قائمة الرفوف Shelf List ثم تجاوزت كلا المكتبتين قائمة الجرد الى نوع من التصنيف الموضوعي ويمكن ان نحدد ميزات فهارس المكتبات القديمة بما يلي :

(أ) انها ذات افكار مرتبكة في طريقة تتابع المداخل .

(ب) انها تختص بعدد قليل نسبياً من الكتب (الالواح) .

(ج) انها ربما كانت نوع من انواع البيليوغرافيا الحديثة (٣٤).

وقد اعتمدت النظم الحديثة للتصنيف تقسيم المعرفة البشرية الى اقسام اختلفت اعدادها من نظام الى اخر كان الهدف منها تسهيل الوصول الى مواد المكتبة المخزونة في قاعاتها . فتصنيف جبريل نوديه Cabrial Nude الفرنسي قسم المعرفة الى (١٢) قسماً، كما قسم كونراد فون جسنر Kenrad Von Gasner الالماني المعرفة البشرية تقسيماً فلسفياً متاثرا بتصنيف فرانسيس بيكون F Becon ثم وضعت تصانيف اخرى منها تصنيف Harris Deort سنة ١٨٧٠ وغيرها الى ان ظهر تصنيف ديوي العشرى سنة١٨٧٦(٣٥) الواسع الانتشار حالياً في امريكا واوربا في المكتبات العامة والجامعية ، لذا سوف نحاول عقد مقارنة بينه وبين مايعرف بالتصنيف الملكي الذي كانت مكتبة نينوى قد رتبت بموجبه .

الا أننا قبل ذلك لابد ان نشير الى الجهود التي سبقت هذا التصنيف ومهدت له في مكتبات سبقت مكتبة نينوى كان لها تأثير على تصنيف مكتبة نينوى وبشكل مباشر مما يحملنا على القول ان هذا التصنيف كان شكلا متطوراً لتصانيف بدائية سبقته .

فقد وصف كريمر ماعتبره اول فهرس في العالم ضمن الواح مكتبة نفر بعد ان استطاع حل رموزه اتضح انه تسجيل لمؤلفات سومرية حسب عناوينها وقد عاش مصنف هذا الفهرس حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م. وكان معاصراً للمؤلفات الموجودة فيه.

يتألف هذا الفهرس من لوح بابعاد ٦٫٢٥سم + ٣٫٧٥ سم وقد قسم الى عمودين سجل فيه ٦٢ مؤلفاً سومرياً. فقد سجل اول ٤٠ عنواناً منها بخط دقيق في اربعة حقول وكل حقل مقسم الى عشرة اعمدة، وضع خطاً مستقيماً بين كل حقل، اما بقية العناوين البالغة (٢٢) مؤلفاً فقد قسمها الى مجموعتين غير متساويتين الاولى تضم (٩) مؤلفات

والثانية تضم (١٣) مؤلفاً (٣٦). وبين الالواح المنقولة من مكتبة اكد عثر على اول فهرس موضوعي مع ارشادات للقراء حول طريقة استخدامه . (٣٧)

اما فهرس مكتبة نينوى التي نقلت اليها اغلب المكتبات الموجودة في المدن السومرية والبابلية المعروفة انذاك فقد رتبت بشكل بحيث حددت لها عناوين ووضحت تسلسلاتها بواسطة ارقام (٣٨). وقد قسمت بشكل واضح الى المداخل الرئيسية التالية :

أ — التاريخ History
ب — القانون Law
ج — العلوم Science
د — السحر Magic
هـ — العقائد Dogma
و — الاساطير Lagenda (٣٩)

ان نظرة الى تقسيمات تصنيف ديوى العشرى العشرة التي جاءت حصيلة انظمة سابقة عديدة كما ذكرنا لاشك اننا سوف نجد ان روح واسس هذا النظام قد تأثرت بالتقسيمات التي ذكرناها لمكتبة نينوى بشكل غير مباشر ابتداء من فهرس مكتبة الاسكندرية الذي وضعه كاليماخوس متأثرا بنظام مكتبة نينوى والمعروف بـ Pinats الذي اعتبر او عمل بيليوغرافي للادب الاغريقي كذلك فهرس ارستوفان الذي وضع Grates of Malls ثم تصنيف ارسطو. فتصانيف العصور العربية التي انتقلت الى اوربا وصولا الى تصنيف ديوى العشري الذي صنف المعرفة البشرية الى تسعة اقسام من ١ — ٩ مضيفاً اليها قسما عاشراً للمواضيع العامة الذي اعطاه الرقم صفر «0» .

وبمقابلة التقسيمات التي ذكرناها لفهرس مكتبة نينوى مع تقسيمات تصنيف ديوى يمكننا عقد المقارنة التالية لنلاحظ اثر تقسيمات مكتبة نينوى فيه وكما يلي:

تصنيف مكتبة نينوى	مايقابلة في تصنيف ديوى العشري	
(أ) التاريخ	900	التاريخ والجغرافيا والتراجم
(ب) القانون	300	العلوم الإجتماعية
(ج) العلوم	500 – 600	العلوم البحتة والعلوم التطبيقية
(د) السحر		الفنون (اذا اعتبرنا السحر نوعاً من الفنون)

(هـ) العقائد 200 الديانات

(و) الاساطير 400 – 800 اللغات والاداب

ثم اضاف اليها كاليماخوس ماعرف بالمختارات او المتنوعات Miseellaneeus الذي يمثل عند ديوى الرقم (000) صفر .

وقد فرع كل من فهرس مكتبة نينوى ومكتبة الاسكندرية هذه المداخل الرئيسية الى مداخل فرعية Sub entry ويذكر Richardson في مقاله نشرها في مجلة Britsh Review Vol. 51. 1870. p. 168 ان الادب كان مقسماً في مكتبة نينوى الى شعر ونثر وان الشعر مقسم الى ملاحم وشعر هزلي وشعر درامي وشعر الحماسة.

وفي مكتبة اشورية اخرى كان الشعر مفصول عن بقية الاعمال. كما وجدت (٢٥) لوحا لمكتبة ثالثة كانت موزعة بالشكل التالي:

(أ) ١٤ لوحاً متعلقة بقضايا الأرض Terrestrial

(ب)١١ لوحاً متعلقة بعلوم الفضاء Astronomical

وهذه الاخيرة مقسمة الى تفريعات هي

A – فينوس Venus

B – الكواكب بصورة عامة The Planets in Genaral

C – القمر Moon

D – المذنبات : Comets (٤٠)

ان هذا هو مافعله ديوى في تصنيفه العشري حينما فرع من المدخل العام الى المدخل الخاص ثم الاخص. مع الفارق ان ديوى اتبع الدقة والمنطق في تقسيماته بشكل ادق مما ورد في تقسيمات مكتبات وادي الرافدين .

هذا كما اتبعت مكتبات وادي الرافدين طريقة ترتيب الالواح على الرفوف حسب احجامها، فكانت الالواح الكبيرة ترص على رفوف خاصة بينما توضع الصغيرة منها في جرار داخلها تقسيمات تشبه الرفوف ليسهل الرجوع اليها او أستعادتها مما يمكن ان نجد مايماثله حديثاً فيما يعرف بالملف القائم Vertical File (٤١) . ان هذه الطريقة اتبعت في كثير من المكتبات الحديثة الى وقت متأخر فقد كانت مكتبة الكونغرس الامريكي الى بداية القرن التاسع عشر ترتب مجلداتها بهذه الطريقة كما قسم "Jacob' Schawartz" مكتبة بروكلين العامة "Brekly Public Lib" الى

٤٤ مدخلاً .ثم قسم هذه الى (٤٠٠) فرعاً وأشار اليها برقم الرف الموجود عليها الكتاب.

واستخدمت كلا المكتبتين القديمة والحديثة طريقة كتابة عناوين النصوص او الكتب التي على الرف على قطعة توضع جانب الالواح او الكتب بداية الرف لتدل الباحث على ما يحمله الرف او مجموعة الرفوف من النصوص او المواضيع . (٤٢)

الخدمة المكتبية

يقصد بالخدمة المكتبية طريقة تقديم المعلومات المخزونة في المكتبة الى المستفيدين منها وبتعبير اخر انها وسيلة الاتصال بين محتويات المكتبة ومجاميعها وبين القراء والمراجعين.

وطبيعي ان لافائدة من وجود اية مكتبة اذا ما اقتصرت على تجميع وخزن الكتب فقط دون السماح باعارة ماحصلت عليه وتداوله لفائدة الجميع.

وحديثاً يحتل قسم الخدمة المكتبية او قسم الاعارة مكاناً خاصاً من مبنى المكتبـة الحديث ، ولكل مكتبة تعليمات خاصة بها حول اسلوب اعارة المواد المكتبية والافادة منها تضعها بما يتلاءم وطبيعتها وحسب نوعية المكتبة ونوعية القراء والمواد المكتبية المعارة .

وأغلب المكتبات الحديثة تفرض تعليمات انضباطية من اجل الحفاظ على مجاميعها او قد تضع اللافتات في قاعاتها لتنبه القارىء الى ضرورة المحافظة على المادة التي بين يديه التي أستعارها من التلف او العبث بها وأحياناً تلجأ المكتبة الى فرض الغرامات المالية على كل من ارتكب مخالفة لتعليماتها او تفرض الحرمان عليهم من الافادة من مجاميعها .

ورغم اختلاف الطرق الحديثة لاساليب الاعارة في المكتبات الا أن اغلبها يستعمل طريقة ملىء استمارة للمادة المعارة يثبت بها اسم المستعير وعنوانه مع اسم المادة المعارة او رقم تصنيفها.

وأذا ما قارنا هذه الاسس المبسطة لاساليب الخدمة المكتبية الحديثة مع ماكان متبع في مكتبات وادي الرافدين نستشف منها انها انتقلت الينا عبر العصور من تلك المكتبات وتعليماتها . وأن تلك المكتبات كانت تقوم بتقديم الخدمة المكتبة للمستفيدين منها.

يقول A.H.Sayec في كتابه Babylonian Litreture « المكتبات العامة وجدت ودعمت من قبل الملوك والأمراء وكانت مفتوحة لكل الجمهور والادباء وكانت هناك لفائف توضع للقارىء وتعليمات توضح كيف يمكن استخدام المكتبة وتحدد مواضيعها» (٤٣).

كما يقول كريمر «ويصعب علينا ان نقول أمفتوحة كانت المكتبات الاشورية للجمهور ام لا ؟ من المحتمل انها كانت توضع تحت تصرف العلماء والباحثين ولاسيما المحامين ورجال القانون انذاك ونسبة معينة من الناس ليدرسوا فيها ويراجعوا مختلف «الكتب» التي كانت تحفظ على رفوفها» (٤٤).

ومن مخطط مكتبة نينوى يمكننا ان نستنتج انها كانت مكتبة مفتوحة عامة حيث كانت مداخل المكتبة منفصلة عن القصر الملكي ومداخله مما يدل ان هذه المكتبة استخدمت من اناس غير العائلة المالكة من الباحثين.

ولعل العبارة التي وضعت في مكتبة اشور بانيبال التي ورد ذكرها والتي انزل فيها اشد العقوبات على المتلاعبين بمحتويات المكتبة او السارقين منها تدلنا على ان هذه المكتبة كانت تستخدم من اناس غير عائلة الملك بل الجمهور العام عندما يقول «لقد دونت على هذه الالواح ماشئت قراءته وتعلمه ووضعتها في قصري وكل من ياخذها من مكانها او يزيل ماعليها من كتابة او يضع اسمه محل اسمي عسى ان تلعنه الالهة وتستأصل ذريته من على وجه الارض» (٤٥).

اليس هذا دليلاً على ان هذه المكتبة استخدمت وسائل رادعة للمستعيرين كما هي حال المكتبات الحديثة التي تفرض الغرامات المالية كوسيلة رادعة في العصر المادي الحالي بينما كان انزال لعنة الالهة في عصر كان للالهة تأثيرها الروحي الكبير على نفوس وعقلية ذلك المجتمع خير رادع للالتزام بتعليمات المكتبة والمحافظة على مجاميعها.

كما ان وضع تماثيل الالهة وتوزيعها على قاعات مكتبة نينوى كان متعمداً من ادارة المكتبة كوسيلة اخرى رادعة ذلك لاعطاء شيء من الهيبة والاحترام لها ولتشعر المستفيدين ان الواحها بحماية هذه الالهة ، وأن لعنتهم سوف تحل بكل من يحاول الاساءة اليها او التلاعب بها . وهي من العقوبات التي كان لايتجرأ أي شخص ان يجازف بتحملها او تقبلها .

الخلاصة

مما سبق يتضح ان علم المكتبات الذي يعتبر هذا اليوم من العلوم الحديثة والنشطة للمتغيرات والاضافات الكثيرة والمتلاحقة التي تطرأ عليه نتيجة دخول المكننة الحديثة والحاسبات الالكترونية في تقنياته وكافة مجالاته ، يتضح ان جذور هذا العلم يعود الى حضارة وادي الرافدين شأنها في ذلك شأن بقية العلوم العصرية التي اعتمدت في تطورها على ماوصل اليها من اسس وضعها انسان حضارة هذا البلد .

فكرة خزن المعلومات والمحافظة عليها وتسجيلها باستمرار فكر بها انسان وادي الرافدين فخزنها ودونها وأنشأ لها المكتبات ، ثم فتحها للجمهور العام لاعمام الفائدة منها . ووضع لها نظماً ليسهل بها استرجاع المعلومات المخزونة ووضع تعليمات للمحافظة عليها ، ان مانطبقه اليوم في مكتباتنا وما يفعله العالم في مكتباته ماهي الا افكاراً وابتكارات وجدت جذورها في مكتبات هذا البلد .



الهوامش

(1) Shera, Jesse H.: The complete Librarian and Other essays selected from the columns published in Wilson Library Bulletin; London The Press of case western reserve, 1971 p. 18.

(2) Shera, Jesse H.: Librarian and Organization of knowledge ; edited with an introduction by Foskett, D.J.; London Gros by Lockwood and Son., 1965. p. 20.

(3) كريمر، صموئيل
من الواح سومر، ترجمة طه باقر، مراجعة احمد فخري، بغداد، مكتبة المثنى،١٩٥٦
ص ٤١٣ .

(4) نفس المصدر ص ٤٥ – ٤٦.

(5) كريمر، صموئيل: السومريون،تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة فيصل الوائلي، الكويت ، وكالة المطبوعات، ١٩٧٣، ص ٢٤١ .

(6) Shera, Jesse H.: Labrarian and Organization of knowledge, p. 18.

(7) Encyelopeadia of Library and information Science, N.Y Marcell Dekker, 1970. Vol III. p. 73.

(8) Ibid Vol II. p. 659.

(9) كريمر، صموئيل: من الواح سومر ص ٦٢ .

(10) باقر، طه:مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. ج ١.بغداد.دار البيان، ١٩٧٣.
ص ١٤٨ .

(11) كريمر، صموئيل: السومريون ص ٢٢٦ .

(12) Oppenheim, A, Leo, Ancient ;Mesopotamia: Revised Edition Completed by Erica Reiner, Chicago, The University of Chicaga Press,1977 .P.18.

(13) Bushnell, George H.: The world's Earliest Libraries, London, Grafton and Co. 1931. P. 12

(14) Jastrow, M.D: Did Babylonian Temples have Libraries Journal of the American Oriantal Society, Vol. 27. 1906. P. 159.

(15) Bushnell, G.H.: op. cit. P. 15.

(16) عواد كوركيس:
خزائن الكتب القديمة في العراق ، منذ اقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة، بغداد مطبعة المعارف ، ١٩٤٨. ص ٤٦ – ٤٧ .

(17) عواد ، كوركيس: نفس المصدر ص ٤٧ .

(18) Woolley C. Leonard: Ur of chaldes; Record of seven years of Excavation, 2nd. ed. London, Ernest Benn, 1950. pp. 94–111.

(19) Bushnell, G. H.: op. cit. pp. 21–22.

(20) Jastrow, M.D.: op. cit. P. 152.

(21) Norris; Dorothy May: A History of Cataloging Methods 1100–1850, with an Introductry of Survey of ancient time, London, Grafton and Co. 1939. pp. 3–4.

(22) Oppenheim, A. L. op. cit. p. 241.

(23) كريمر ، صموئيل: من الواح سومر ص ٤١٢ . –

(24) Oppenheim, A.L.: op. cit. P. 241.

(25) Ibid P. 24.

(26) Wiseman, D. J.: Books in Ancient world. The Cambridged History of Bible from Begining to Jerome, Ed. by Sckroyd, P.E. and C.F. Evan's. London, Cambridged University Press. 1975. P. 33.

(27) Oppenheim, A. L.: op. cit. P, 241.

(28) كيبرا، ادوارد: كتبوا على الطين: ط ٢
ترجمة وتعليق محمود حسين الامين، بغداد مكتبة المثنى . ١٩٦٤. ص ١٣١ .

(29) Wiseman, D.J.: op. cit. p. 3, Oppenheim, A.L. P. 241.

(30) Encylopeadia of Library and information Science.Vol II.P659

(31) Shera, J sse H: The Classified catalag; Basia princip-les and precties chi ago American Library Assosation 956 P.8 .

(32) الامين، عبد الكريم وآخرون : مبادىء الفهرسة والتصنيف ج١ ،بغداد الجامعة المستنصرية ١٩٧٩. ص ١٨ .

(33) الامين، عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٢٠ .

(34) Dunkin, paul S.: Cataloging USA., Chicago. American Lib ary Assocation, 1969-P. 23.

(35) الامين، عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٢٦ – ٢٧.

(36) كريمر، صموئيل: من الواح سومر ص ٤٢٠ .

(37) Taylor, Kanadry: Subject Catalog VS Classified catalog Newyork, Columbia University, 1953, P. 102.

(38) Oppenheim, A. Leo, op. cit. P. 18.

(39) Sayers, W.C. Berwick: Introduction ɪo Library Class-fication; Theoratical and practical: 8thed London. Grafton Co., 1950. P. 78.

(40) Ibid. 73.

(41) Oppenhiem, A. Leo.: op. cit. p. 242.

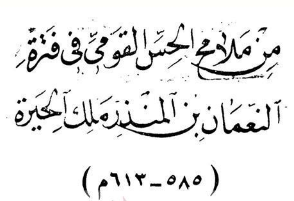
(42) ibid. P. 16.

(43) Norris, D.M.: op. cit. pp. 2 –

(44) كريمر، صموئيل: كتبوا على الطين ص ١٩١ .

(45) Bushnell, G.H.: op. cit. pp. 13 – 14.

كريمر، صموئيل: السومريون ص ٢٣١ .



(٥٨٥-٦١٣م)

ابراهيم محمد علي
جامعة الموصل /كلية التربية

المقدمة :

ليس البحث في جانب من جوانب التاريخ العربي في فترة ماقبل الاسلام من الامور السهلة ، وذلك لقلة المصادر الاساسية المعاصرة وقلة البحث الاثاري عن هذه الفترة بالذات . —

ان ماجاءنا من روايات قد تناقلت عبر أجيال مختلفة قد لعبت بها الاهواء والتحيز ، حسب ميول الرواة ، لذلك على الباحث ان يتوخى الدقة والحذر عند اخذه لهذه الرواية او تلك في كتابة أي بحث .

ان الذي شجعني لتناول هذا الموضوع — مؤشرات في الحس القومي عند النعمان بن المنذر — هو انه من خلال الروايات الادبية والتاريخية قد انتهج سياسة مستقلة تختلف عن سابقيه من ملوك الحيرة تجاه الدولة الساسانية التي كانت تحتل العراق ، كما انه حاول جمع جهود القبائل العربية ودعاها الى انهاء خلافاتها لانه يرى انه في استمرارها خدمة للعدو ، كما انه اعترف لها ان وجوده مرتبط بوحدتهم ومايتخوف من ناحيتهم، فهو بذلك اراد مواجهة الفرس بفعل جماعي منظم متكامل ، لكنه مالبث ان دفع حياته ثمناً لحسه القومي .

ان قتل النعمان من قبل الفرس قد احدث ردود فعل قوية لدى القبائل العربية، ويبرز لنا ذلك من خلال قيادة بني شيبان لجموع القبائل العربية في العراق وجعلها امام قدرها الحقيقي ، وهو لابد من مواجهة الفرس وكسر هذه المنهجية العدوانية والتي مالبثت تريد السيطرة وقتل العرب وقد تناول البحث ثلاثة مباحث اساسية هي :

١ — المبحث الاول : طبيعة العلاقة بين الدولة الساسانية والقبائل العربية قبل حكم النعمان بن المنذر .

٢ — المبحث الثاني : طبيعة العلاقة بين الحيرة والدولة الساسانية في عهد النعمان بن المنذر .

٣ — المبحث الثالث : اغتيال النعمان بن المنذر وردود الفعل لدى القبائل العربية واخيراً لابد من القول ان هذا البحث يعد محاولة متواضعة لدراسة جانب مهم من تاريخنا العربي ومما لاشك فيه ان من طبيعة أية محاولة انها قد لاتتصف بالكمال ، لذا ارجو المعذرة ان لم اصب الهدف المطلوب .

المبحث الاول

— طبيعة العلاقة بين الحيرة والدولة الساسانية في عهد النعمان بن المنذر

انتهى الحكم الفرثي عام ٢٢٦م بظهور سلالة فارسية حاكمة جديدة في ايران هي السلالة الساسانية (٢٢٦ — ٦٣٧م) نسبة إلى جدها ساسان الذي كان خادماً لاحد بيوت النار في اصطخر في زمن الحكم الفرثي (١) وتولى اردشير بن بابك (٢٢٦ — ٢٤١م) حكمه بقتل اخوته خشية ان ينافسوه على العرش ، ثم قام بمهاجمة القبائل العربية على سواحل الخليج العربي ، كما اسقط مملكة ميسان التي كان يحكمها العرب الوافدون من عمان سابقين في ذلك القبائل العربية التي وفدت واستقرت في الحيرة غربي الفرات في نفس الوقت الذي قامت فيه الدولة الساسانية (٢) كما ان اردشير ابدى تخوفه وامتعاضه من كثرة نزوح القبائل العربية إلى العراق ونزولهم في الحيرة فأخذ يضيق عليهم الخناق ويجبرهم على الخضوع لسياسته لذلك كره كثير من قبائل تنوخ من الرضوخ والاذعان له فتركوا العراق واتجهوا إلى بلاد الشام وانضموا هناك إلى من سبقهم من قبائل قضاعه .

وفي هذه الاثناء كانت مملكة الحضر (٤) لم تقبل بالولاء لاردشير وهذا ما اغاضه كثيراً (٥) فقد تقدم لمهاجمة الحضر ونشبت معركة كبيرة دارت رحاها بين الجانبين في منطقة شهرزور ، وقد وحد اهل شهرزور جهودهم مع اهل الحضر لمجابهة العدو

المشترك وكانت نتيجة هذه المعركة هزيمة اردشير وانتصار القبائل العراقية وفي ذلك يقول عمر بن الجدي بن حمران .. بن قضاعة : (٦) .

لقيناهم بجمـع مـن عـلاف وبالخيـل الصـلادمة الذكـور
فلاقت فارس منـا نكـالا وقتلنـا هرابـذ شهـرزور
دلفـنا للاعاجـم من بعـيد بجمـع كالجزيرة في السعـير

وكانت الحضر في هذه الفترة تتمتع باستقلال تام وقد امتد نفوذها الى بلاد الشام وخاصة في دور الملوكية(يبدأ بعد منتصف القرن الثاني الميلادي وينتهي عام٢٤١م) ،وكانت تأخذ الجباية من هذه المناطق اي من الخابور الى اعالي دجلة، ويتبين ذلك في قصيدة تنسب الى عدي بن زيد كتبها الى النعمان بن المنذر جاء فيها:

واخـو الحضـر اذ بنـاه واذ دجلـة تجبى اليـه والخـابور (٧)

لذلك شعر الفرس بوجود خصم قوي في العراق متمثلا بمملكة الحضر واستمرارها في هذا النهج يشكل خطرا على الوجود الفارسي في العراق كما انها قد بدأت تدخل في المحنة التي اودت بحياتها الى الابد فقد حاصرها الملك سابور الاول قبل تسلمه الحكم سنة كاملة ابتدأت من ١٢ نيسان ٢٤٠م الى ١ نيسان ٢٤١م على ماتذكر وثيقة اكتشفت حديثا في مصر واضطرت اخيرا للاستسلام.(٨) وبذلك يكون سابور الاول (٢٤١ – ٢٧٢م) قد تخلص من خصم او منافس كبير من ملوك العرب الذين لم يعترفوا بسيادة الفرس واحتلالهم للعراق. وقد سار ملوك الفرس في نفس النهج الذي بدأه اسلافهم ، وهذا سابور الثاني بن هرمز (٣٠٩ – ٣٧٩م) والذي لقبه العرب بسابور ذي الاكتاف لانه امر جنوده بقتل كل الاسرى العرب (من وجدتموه منهم فاقطعوا يديه وانزعوا كتفيه) (٩) وقصد بلاد العرب الساكنة على سواحل الخليج العربي حيث انزل فيهم السيف ثم هاجم القبائل العربية الساكنة في البحرين بعد ان عبر الخليج واتجه بعد ذلك الى هجر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب.. فقتل من وقع في الاسر وكان يثقب اكتاف رؤسائهم(١٠).

لقد كان لهذه الاعمال العدوانية ردود فعل قوية لدى القبائل العربية ، كما كان للمرأة العربية دور بارز في التصدي لهذه المذابح التي يشنها الفرس ضد العرب ، فتبرز ام عربية من بين الجموع وتصيح على سابور ذي الاكتاف (٣٠٩ – ٣٧٩م) وتنذره بشر اعماله وتقول له:

(ايها الملك ان كنت تطلب ثارا فقد ادركت وزدت، وان كنت تعم قبائل العرب بالقتل فاعلم ان لهذا قصاصا ولو بعد حين) (١١) .

مما سبق يبدو ان الاعمال التخريبية والهجمات المتكررة على القبائل العربية التي قام بها الفرس وما رافقها من سفك للدماء العربية كان نتيجة لحقد فارسي على القبائل العربية ويظهر جليا ذلك من خلال الحوار الذي دار بين شيخ طاعن في السن من تميم والذي بقي في ديار قبيلته بعد نزوحها وحين سأل سابور ذا الاكتاف عن افعاله فأجابه سابور : (انما اقتلكم معاشر العرب لانكم تزعمون ان لكم دولة ، فأجابه شيخ تميم ان قتلك للعرب ليس بدافع عنك ذلك) . (١٢) وفي هذا تعبير عن الثقة العالية بالنفس الناجمة عن البعد الحضاري لتاريخ العرب وعن قدرتهم الفائقة في أحتواء المصاعب والمحن ، وذلك مما تحقق فعلاً في النتائج النهائية للصراع العراقي – الفارسي ، كذلك يعبر قول ملك الفرس عن مدى تخوفه من قوة القبائل العربية المتنامية والقضاء على أي تجمع او أية وحدة بين هذه القبائل لأن في ذلك خطراً على الوجود الفارسي في الارض العربية ونهاية له (١٣) .

ومن خلال تتبع الاحداث التاريخية يبدو ان الفرس كانوا عاجزين عن اخضاع القبائل العربية لارادتهم بالقوة ، لهذا نرى أنهم غيروا من سياستهم ولو ببعض الشيء وعمدوا الى مصالحة العرب ، فقد اسكنوا قبائل بكر وتغلب في كرمان والاحواز (١٤) وقبيلة أياد في تكريت والجزيرة والموصل (١٥) .

ويظهر انهم ارادوا من ذلك اسكانهم في مناطق لم يتعودوها ولكي يشلوا حركتهم ويأمنوا جانب غاراتهم . (١٦) لكن ثورة القبائل لم تهدأ وحشية الفرس لم تنس من قبلهم كيف تنسى ؟ وقد اثرت فيهم عدوانية الفرس تأثير النار في يبس الشجر (١٧) . حيث لم تكن غايتهم الحرب بحد ذاتها ، الابقدر رفع الاذى عن وجودهم وكانت تسعى من اجل العيش بسلام على اراضيها مستقلة مطمئنة ، ولكون الفرس قد احتلوا بلادهم فمن الطبيعي ان يشنوا الغارات المتكررة ضد المحتل لكي يرجع عن غيه ، خاصة وان الفرس قد احتلوا الجزء الخصب من اراضيهم ، فهم احق من غيرهم بخيرات بلادهم .

لذا فان العلاقات بين الجانبين قد تأثرت بالمد والجزر ، فكل جانب كان ينتهز الفرصة لالحاق أكبر الاذى في الجانب الاخر ، فالقبائل العربية تدافع عن وجودها وعدم خضوعها لارادة اجنبية والفرس يريدون اخضاع المنطقة وسكانها لارادتهم والقضاء على قوة القبائل العربية وكبح جماحها وشل حركتها . (١٨) ويروي ابن الاثير جانباً من همجية

الفرس وعدوانيتهم في التصفية الجسدية لكل مايسمى عربي حيث أمر انوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٩م) عامله على البحرين ازاد فيروز بن جشيش الذي سمته العرب المكعبر لانه كان يقطع الايدي والارجل ، فأمره بقتل بني تميم ، ـــ (وكانت تميم تصبر الى هجر للميرة واللقاط ، فأمر المكعبر منادياً ينادي : ليحضر من كان هنا من بني تميم ، فان الملك امر لهم بميرة وطعام ، فحضروا فدخلوا المشقر وهو حصن ، فلما دخلوا ، قتل المكعبر رجالهم واستبقى غلمانهم .. وجعل الغلمان في السفن وعبر بهم الى فارس (١٩) .

ويضيف الطبري : ان عامله على البحرين قتل الرجال وخصي الصبيان (٢٠) .

من ذلك نرى ان مجازر الفرس الدموية ضد القبائل العربية لم تتوقف وهذه الوحشية التي سلكها الفرس ضد العرب لم تغير من موقفهم تجاه الفرس ، فقام بنو بكر وتميم بالاستيلاء على قافلة تجارية فارسية ارسلها كسرى انوشروان الى اليمن ، فقام بارسال جيش فارسي لضرب هذه القبائل التي استولت على القافلة التجارية الا أنه هزم شرهزيمة حتى انهم باعوا احد فرسان الفرس كما تباع العبيد ، ويذكر ان هذا كان صاحب صنعة فارتفع ثمنه ، وبعملهم هذا افهموا الفرس انهم ليس بمقدورهم اخضاع القبائل العربية لمشيئتهم (٢١) .

ويبدو ان هزيمة الجيش الفارسي في هذه المعركة لم يشف غليلهم اذ قامت قبيلة اياد بالاغارة على المقاطعات الفارسية الحدودية واوقعوا بالفرس خسائر كبيرة ، وقد اثارت حفيظة ملك الفرس ضدهم ، وقد سير اليهم ملك الفرس جيشاً كبيراً لكن قبيلة اياد قامت بعمل عسكري قد الحق هزيمة وخسائر فادحة في الجانب الفارسي ، حيث عبروا نهر الفرات وتبعهم الجيش الفارسي وقد التحموا في معركة رهيبة اسفرت عن قتل اعداد كبيرة من الفرس لم ينجوا منهم الامن اعانته رجلاه ، وبعد هذه المعركة جمعت جماجم قتلى الفرس ، وكانت كوماً فسميت هذه بمعركة « دير الجماجم» (٢٢) .

في هذه المعركة برز مفهوم الامة والحس القومي والنخوة العربية ، اذ قال رجل منهم لشاب يقال له ثواب : هل لك ان تهب لقومك نفسك ؟ فخرج بابله يعارضهم ويعرقل سيرهم فهجموا عليه فقتلوه . (٢٣) كما لاننسى ماقامت به المرأة ، العربية في هذه المعركة وكما في كل المعارك التي خاضتها العرب ضد الغزاة تشجع المقاتلين وتعالج جرحاهم ، وتثير حماسهم ، وتزيد من نخوتهم فقد برزت هند بنت بياضة إبن رباح بن طارق الايادي زعيم تميم تنشد في المقاتلين وتزيد من حماسهم في التصدي للاعاجم وقتلهم فتقول : (٢٤) .

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق
والمسك في المفارق ... مشي القطا النوامق
ان تقبلوا نعانق ... ونفرش النمارق
او تدبروا نفارق ... فراق غير وامق

وهكذا نرى ان العلاقات بين الفرس والقبائل العربية لم تستقر اوتتخذ منهجاً واحداً في علاقاتها ، وكيف تكون العلاقات طبيعية بين من سلبت ارضه ويريد تحريرها ، وبين محتل غاصب كما ان ملوك الحيرة الذين سبقوا النعمان بن المنذر لم يكن موقفهم في كثير من الاحيان ايجابياً مع القبائل العربية ضد الفرس ، بل نرى انهم في اغلب الاوقات موالين للفرس ، وعندما اسقط الفرس حكم المناذرة نراهم يفقدون السيطرة على الوضع في العراق. (٢٥) لكنه على الرغم من ذلك نرى ان العلاقات بين القبائل العربية والنعمان بن المنذر قد اتخذت مساراً ايجابياً جديداً هو وحدة القبائل العربية ضد الفرس (٢٦) .

المبحث الثاني

٢- طبيعة العلاقات بين الحيرة والدولة الساسانية في عهد النعمان بن المنذر :

يلاحظ ان العلاقة بين الحيرة والدولة الساسانية قد سلكت طابعاً ومنحنى جديداً في عهد النعمان بن المنذر عما كانت عليه في فترة من سبقه من ملوك الحيرة الذين كانوا يمثلون القوة التي كانت توجهها فارس في السيطرة على القبائل العربية وخاصة القبائل المتنقلة والتي لم تخضع لسلطان ملك الحيرة ، وأنه لم يكن بمقدور الفرس الحد من هجماتهم على المقاطعات الفارسية خاصة وانهم كانوا يتخذون من الصحراء عمقاً دفاعياً وهجومياً في ان واحد بحيث يستحيل على الفرس متابعتهم في الصحراء .

لقد كان النصف الثاني من القرن السادس الميلادي عصر تبدل اساسي في العلاقات بين القبائل العربية في شمال شرق الجزيرة وبين الفرس فكثيراً ماكانت تنهزم الحاميات الفارسية في المعارك التي تخوضها ضد القبائل العربية . (٢٧) لذلك أخذ النعمان بن المنذر بالسعي الى التقرب من القبائل العربية وتوثيق علاقاته معها حيث دعا رؤساءها للاجتماع به من أجل التوحد والتخلص من السيطرة الفارسية حيث شعر النعمان باضمحلال الامبراطورية الفارسية وتدهورها في القرن السادس الميلادي : حيث الفوضى الداخلية والذي كان يتمثل في النزاع على السلطة ، ثم الحروب بينها وبين بيزنطة وثم بينها وبين الترك

وكان لهذه اللقاءات مع رؤساء القبائل العربية السبب المباشر في قتل النعمان بن المنذر ويؤكد بعض المستشرقين وهو على حق ان امراء الحيرة صاروا اكثر استقلالاً في موقفهم تجاه كسرى (٢٩) .

وفي ذلك يذكر الدينوري في محاورة مع كسرى ابرويز (٥٩٠ — ٦٢٨م) عن سبب قتله للنعمان بن المنذر قال :

«ان النعمان واهل بيته واطئوا العرب واعلموهم خروج الملك عنا اليهم وقد وقعت اليهم في ذلك كتب » (٣٠) — كما ان هناك اسباباً أخرى في الخلاف بين الحيرة والامبراطورية الساسانية هو ان كسرى ابرويز كان يحمل حقداً على النعمان بن المنذر الذي رفض مساعدة ابرويز في الدخول في حلبة الصراع بينه وبين غريمه بهرام جوبين ، وقد اتخذ موقفاً محايداً ولم يتدخل لصالح أي منهما (٣١) كما يورد بعض المؤرخين رأياً اخر حول توتر العلاقات بين الجانبين : هو ان النعمان رفض تزويج احدى بناته لكسرى لان العرب كانت تأنف من تزويج بناتها للاعاجم (٣٢) .

ومما يدلل على السياسة الجديدة للنعمان انه لم يأبه لكسرى او يتخوف منه ، بل كان يرد عليه دون خوف اووجل وخاصة بما يتعلق بامر العرب والقبائل العربية ، وقد برز هذا الحس القومي عند النعمان حين حضوره مع وفود الامم الى بلاط كسرى ، وقد جرت العادة ان يقوم رئيس كل وفد بالتكلم باسم بلده وحضارته ، وعندما جاء دور النعمان للتحدث ، أخذت كسرى العزة بالاثم ، واستذكاره لمواقف النعمان السابقة منه وقال للنعمان :

انه لم ير للعرب شيئاً من خصال الخير في امر دين ولادنيا ولاحزم ولاقوة .... مما يدلل على مهانتها وذلها وصغر همتها ... فرد عليه النعمان وقال له : أي أمة تقرنها بالعرب الافضلتها . قال كسرى : بماذا ؟ قال النعمان : بعزها ومنعتها وحسن وجودها وبأسها وسخائها وحكمة السنتها وشدة عقولها وانفتها ووفائها .فأما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لابائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، فلم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادهم الارض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر (٣٣) . لقد سكت كسرى على جواب النعمان الذي اشعل نار الحقد في قلبه من جديد .

اننا نلمس في موقف النعمان هذا مايمثل الحياة الجديدة والحس القومي كما انه يمثل انعطافاً خطيراً في تاريخ العلاقات العربية الساسانية حين تحدى ملكهم وامته ووضع العرب ومايتصفون به من الكرامة واباء النفس وعفتها في موقعها الحقيقي (٣٤) .

وعند عودة النعمان الى الحيرة اخذ يفكر بما قاله كسرى بحق العرب ، وقد اعتبر النعمان ان المسألة لاتعنيه وحده فكان لابد من اطلاع رؤساء القبائل وتوضيح ما يدور في عقلية كسرى ابرويز تجاه العرب وانه لابد من اتخاذ جانب الحيطة والحذر تجاه الحالة الجديدة . وهذا الوفد الذي ارسل اليه النعمان للاجتماع بهم في الحيرة مايمثل قوة الصلات مابين وادي الفرات وبين داخل الجزيرة العربية واطرافها.وكان يبدو ان لامراء الحيرة نفوذ على هذه القبائل وقد امتد نفوذهم الى اليمن بعد اضمحلال دولة حمير (٣٥) . وكان رؤساء هذه الوفود خيرة من عرف بالخطابة وحسن الكلام ورجاحة العقل (٣٦).

ان هذا الجمع من رؤساء القبائل العربية يمثل خطوة جديدة سلكها النعمان بن المنذر في توحيد القبائل العربية تحت زعامته او على الاقل للقضاء على الخلافات التي كثيراً ما تحدث فيما بينها والتي لايستفيد منها سوى الاعداء ، لذلك عمد النعمان الى اصلاح ما خربته الايام بين المناذرة والقبائل العربية ، وربما كان النعمان يعتقد ان وجوده مرتهن بوجود العرب وقوتهم ، وهذا ما اعترف به امام رؤساء القبائل العربية واخبرهم بما كان يدور في عقل ابرويز من افكار وقتل للعرب فقال :

(انما انا رجل منكم ، وانما ملكت وعززت بمكانتكم ، ومايتخوف من ناحيتكم ، وليس شيء أحب الي مما سدّد الله به امركم واصلح به شأنكم ، وادام به عزكم ، والرأي ان تسيروا بجماعتكم ، أيها الرهط وتنطلقوا الى كسرى فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ، ليعلم ان العرب على غير ماظن اوحدثته نفسه .... ولاتتخذلوا له انخذال الخاضع الذليل .) (٣٧) وقد ارسل النعمان كتاباً الى كسرى يشرح له فيه طبيعة الوفد المرسل اليه وقد جاء في الكتاب مانصه :

(..فأن الملك القى اليّ من امر العرب ماقد علم ، واجبته بما قدفهم بما احببت ان يكون منه على علم ، ولايتلجلج في نفسه ان امة من الامم التي احتجزت دونه بمملكتها وحمت مايليها بفضل قوتها ، ... ، وقد اوفدت اليك أيها الملك رهطا من العرب لهم فضل في احسابهم وانسابهم وعقولهم وادابهم فليسمع الملك ... وقد نسبتهم في اسفل كتابي هذا الى عشائرهم) (٣٨) .

توجه الوفد الذي ارسله النعمان من رؤساء القبائل العربية الى المدائن، واجتمعوا بكسرى ابرويز وتحدث كل منهم بما هي عليه العرب من العزو والاباء بما كانوا يتمتعون به من الفصاحة والبيان والمنطق حتى جن جنونه.(٣٩) وقال لمن حوله من مرازبته ووزرائه بعد عودة الوفد :(ماخفت من العرب كخوفي قط منهم كاليوم ، (بما) كنا نتوكفه من افضاء الملك لهم لهم قد دنا) (٤٠) وفي هذا المجال مايؤكده نولدكه وهو على حق ان النعمان صار اكثر استقلالية في موقفه تجاه كسرى ابرويز وذلك ان كسرى قال حينما سئل عن سبب قتله للنعمان ، أنه انما قتل النعمان ، لان النعمان واسرته وحدوا سياستهم واهدافهم مع القبائل العربية ، كما ان النعمان اختط لنفسه سياسة لاتنسجم والمصالح الفارسية ، حيث لم يعمل على تأمين سلامة طرق التجارة . كذلك لم يمنع القبائل العربية من غزو ممتلكات الامبراطورية الساسانية . (٤١)

وخلاصة القول عن طبيعة العلاقة بين النعمان بن المنذر والامبراطورية الساسانية انها قد اصابها الفتور ونزوع النعمان الى انتهاج سياسة اكثر استقلالية وبدأ يتقرب الى العرب ويعتبر قوته من قوتهم ، فشكل من خلال لقاءاته الواسعة مع القبائل العربية مايشبه قاعدة لتحالف واسع اوعلى الاقل تفاهم واسع على امور كثيرة منها نبذ الخلافات الجانبية وتوحيد جهودهم والتخلص من السيطرة الاجنبية (٤٢) .

علاقته بالشعراء :

استمرت الحيرة في تطورها ونموها واتساع شأنها بين العرب ، واصبح بلاطها موئل الشعراء والحكماء العرب (٤٣) مما جعلها ان يكون على صلة بالرأي العام ، حيث كان الشعراء ابرز أدوات صنعه في تلك الفترة . (٤٤) وذلك لان الملوك كانت (تعظم الشعراء وترفع اقدارهم لمايبقرن لهم من المدح والذكر) (٤٥) بين القبائل فالشاعر هو لسان القبيلة وهو المعبر عنها في افراحها واتراحها وهو بمثابة السفير لقبيلته عند الملك ، وفي كثير من الاحيان يعبر عن رأي قبيلته ، كيف لاوهو احد اعضاء مجلس القبيلة ، فتشكيله لهذا المناخ الثقافي ورعايته للشعراء والخطباء ماهي الادليل ورغبة في توحيد القبائل والقضاء على الخلافات الجانبية (٤٦) . والشعراء الذين اتصل بهم النعمان كثيرون ولكن اشهرهم النابغة الذبياني (وهو من المقربين جداً لملك الحيرة) وحسان بن ثابت ، المنخل اليشكري لبيد بن ربيعة ، الاسود بن يعفر ، المثقب العبدي ، حاتم الطائي والمثقب العبدي الذي يقول في النعمان :

فـأن يـك مـنـافي عـمـان قـبيـلة
تـواصـت بـاجـاب وطـال عنودها
وقـد ادركـت المـدركـات فـاصبحت
الى خيـر من تحـت الـسـمـاء وفودها
الى مـلـك بـذ الملوك فلم يـسـع
افاعيلـه حـزم الملـوك وجـودهـا (٤٧)

ويذكر اهل الاخبار : ان النعمان بن المنذر كان في بداية حكمه يستقبل الناس وفي مقدمتهم الشعراء ، فعندما توج واطمأن به سريره دخل عليه الناس وفيهم اعرابي قد وجه للنعمان نصائح وتوجيهات تقبلها شاكراً فانشأ يقول :

اذا مـسـت قـومـاً فـاجعـل الجـود بينـهـم
وبينـك تـأمـن كـل مـاتـخـوف
فـأن كـشـفـت عـنـد الملمات عورة
كفـاك لبـاس الجـود مـايـتـكـشف

فقال مقبول منك نصحك ، ممن انت؟ ؟ قال انا من جرم ، فأمر له بمائة ناقة ، وقد اعتبرت هذه فاتحة عهد النعمان بن المنذر (٤٨) .

كما كان للشعراء حظوة عند النعمان وطلبهم لايرد ، وكانوا يرسلون قصائدهم اذا لم يكن باستطاعتهم الشخوص اليه ؛ وقد روي الاخباريون ان في مدح النعمان وال لخم كما انهم في نفس الوقت رووا شعراً في هجائه ، ورووا بعض ماقيل في حضرته من حديث وبعض ماصادفه الشعراء حين كانوا يقصدون لنيل مايبتغون ، فحسان بن ثابت (الشاعر المخضرم) رغم ان ميله الى الغساسنه لكنه زار المناذرة وافتخربهم ونال جوائزهم فقد أتى الى النعمان يلتمس فك قيد بعض الاسرى من بني النجار والخزرج فكان له مااراد (٤٩)

وتذكر الروايات الادبية ان النابغة الذبياني كان من اكثر الشعراء صلة بالنعمان بن المنذر ، وكان يفضله على غيره ، وصادف ان حسان بن ثابت ، كان قد وفد على النعمان فمدحه فاكرمه النعمان على ذلك وبينما هو جالس ذات يوم عند النعمان اذ بالنابغة الذبياني يدخل على النعمان وكان يوم تردفيه الابل السود ، حيث لم يكن بارض العرب جمال سود الاله ، فانشده قصيدته التي يقول فيها :

فـأنـك شـمـس والمـلـوك كـواكب
اذ طلعت لم يـبـدُ منـهـن كـوكـب

فاكرمه بمائة من الابل السود فيها رعاتها ، فقال حسان : ماحسدت احداً حسدي النابغة ، فلم ادر على ماأحسده ؟ على جودة شعره ، ام على جزيل هديته (٥٠) .

مما مر بنا نرى ان النعمان بن المنذر كان يقرب الى الشعراء ويجزل لهم العطايا من أجل كسب ود قبائلهم وجعلهم تحت نفوذه السياسي وبذلك يستطيع بسط سيطرته على مناطق واسعة من الجزيرة العربية .

علاقات النعمان بن المنذر التجارية :

لقد عمل على توثيق صلاته التجارية باليمن والحجاز وكرم كبار رجالاتها حين وفودهم اليه وهذا كجزء من سياسته في كسب القبائل العربية اليه ، فيذكر الهمداني (٥١) ان عمر بن الخطاب جاء الى الحيرة مع مجموعة من رفاقه تجارمكة ولما صاروا الى العذيب (٥٢) حبسهم جند النعمان وكتبوا اليه بخبرهم وانسابهم ، فأجابهم فبعثوا معهم فرساناً حتى انتهوا الى الحيرة فاكرم الملك مثواهم واجزل عليهم عطاياه .

وتشير كتب الاخباريين الى اهتمام النعمان بوفود العرب وكبار رجالاتها ، ووجه اهتمامه بشكل خاص الى تلك القبائل التي تقع بالقرب من الطرق التجارية فكان يجعل قوافله التجارية اولطائمه في حماية هذه القبائل ، وكانت هذه اللطائم (٥٣) ترسل الى الاسواق التجارية التي تقام في الجزيرة العربية وخاصة (سوق عكاظ) والذي كان يقام اثناء وقبل موسم الحج (ـ) فكان يكرم هذه الوفود ويقضي حوائجها ، وكان يتخذ لها مجلساً عند انصرافها حيث تقام لهم موائد الطعام والشراب ، ويتذاكر الشعراء بقصائدهم امام هذا المجلس وكان اذا وضع الشراب سقي النعمان ، فمن بدأ به على أثره فهو افضل الوفد ، فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر الى النعمان من الذي يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد فنظر في وجهها ساعة ثم اطرق ثم رفع رأسه وهو يقول : (٥٤)

اسقي وفودك مما انت ساقيني	فابدي بكأس بني ذي الجدين بسطام
اغر ينميه من شيبان ذوائف	حامي الذمار وعن اعراضها رامي
قد كان قيس بن مسعود ووالده	تبدأ الملوك بهم أيام أيامي
فارضوا بما فعل النعمان في مضر	وفي ربيعة من تعظيم اقوام
هم الجماجم والاذناب وغيرهم	فارضوا بذلك اويوموا بارغام

المبحث الثالث

٣ ـ اغتيال النعمان بن المنذر وردود الفعل لدى القبائل العربية :

مما لاشك فيه ان حملات الفرس المستمرة لابادة القبائل العربية وتشتيتها، كانت تهدف الى منع القبائل العربية من الاستقرار وامتلاك عوامل القوة ، ومن ثم اعادة توزيعها حسب مايلائم مصلحة الفرس.

ولم يكتفوا بضرب القبائل الموجودة في العراق والجزيرة وانما شملت حملتهم القبائل الموجودة في جنوب وشرق الجزيرة العربية، لانهم اعتبروها مصدر الغذاء البشري لهذه المناطق والعراق. وكانت مملكة الحيرة قد مثلت الجانب الكبير من هذا الصراع في اواخر القرن السادس الميلادي والذي تطور بشكل كبير الى نوع من الحس القومي في عهد النعمان إبن المنذر الذي بدأ يجمع العرب ويوعيهم ويشوق عوامل التقائهم ضد السيطرة الفارسية(٥٥).

لقد شعر النعمان باضمحلال الامبراطورية الفارسية وتدهورها في القرن السادس الميلادي حيث بدأ يتعاطف مع القبائل العربية محاولة منه لايجاد اسباب مشتركة مع القبائل القوية للتخلص من النفوذ الفارسي. (٥٦) فبروز قوة النعمان في هذه الفترة يبدو انها اثارت مخاوف الفرس وقلقهم بشكل كبير، لذا اخذوا يفكرون في القضاء على الرأس المدبر ونتائج سياسته في المنطقة كما ان الفرس كانوا يتوارثون الحقد جيلا عن جيل في القضاء على اية قوة او التقاء عربي موحد في هذه المنطقة، وكانت اجابة احد ملوك الفرس (والذي لايذكر المؤرخون اسمه) في شنه الحملات العسكرية ضد القبائل العربية والتي كان لها دور ايجابي في صد هجمات البيزنطيين عن الفرس قال : (انني لأجاور سلطانا هو اقوى مني) (٥٧) وكما قال باحث معاصر : ان صراع سلطة الاحتلال الفارسي الدائم في العراق مع القبائل العربية تكشف عن سياسة فارسية كانت تهدف الى توزيع العرب في العراق وتحديد انتشارهم الجغرافي بشكل لايهدد السيطرة الفارسية(٥٨). واكثر الروايات في هذا الصدد تتحدث عن الجهود التي بذلها الفرس لاخراج قبيلة اياد من تكريت والجزيرة (علماً انه سبق وان اسكنوهم في هذه المناطق) وعزل آل المنذر من الحيرة، وابعاد بني شيبان عن السواد(٥٩).

لقد احس النعمان بتآمر كسرى ابرويز ضده فأخذ يتجول بين القبائل العربية ليوحد مواقفها، وكان بداية ترحاله الى الحجاز حيث كانت تسكن قبيلة بني عبس والتي اعلنت

عن مساندتها الى النعمان في حالة حربه مع الفرس (٦٠) الا أنه أثناء تجواله بين القبائل العربية القي عليه القبض من قبل عملاء الفرس واخذ مقيدا الى المدائن وقتل هناك (٦١).

ان مقتل النعمان بن المنذر كانت له ردود فعل قوية عند العرب فقامت بكر بن وائل بعد مقتل النعمان بالهجوم على المدن التي يسكنها الفرس في العراق (٦٢) وهذا ماشجع القبائل العربية الاخرى بالقيام بمثل هذه الهجمات ضد الحاميات الفارسية، فقد ولى الفرس أياس بن قبيصة الطائي(٦٣) لكي يوقف هذه الاعمال (٦٤) لكنهم فشلوا لان المسألة اصبحت اكبر مما كانوا يتوقعون، وهكذا كان مقتل النعمان بن المنذر بمثابة سقوط الحاجز الذي يقف بين العرب والفرس وهكذا صار الباب مفتوحاً للغارات العربية ويعود ذلك كما يقول كستر: انه بسبب انحطاط الامبراطورية الفارسية وتصدي القبائل العربية حيث لم يكن بمقدور الحاميات الفارسية منع هجمات القبائل، خاصة وان القبائل العربية بدأت تتطلع الى كيان سياسي ذي قيادة كفوءة خاص بها، وتم خلق هذا فكرة تحالف سياسي يرتكز على المساواة والمصالح المشتركة ذلك هو التحالف السياسي الموحد لمكة(٦٥).

وقام الفرس بمحاولة لضبط الوضع في العراق فعينوا حاكما فارسيا يدعى النخيرجان لمساعدة اياس لكن هذه المحاولة لم تحقق مايتوخاه لذلك اعترفوا بوضعهم الحرج في العراق واية كارثة تنتظرهم حين قال:

«وليت اعرابياً لم يعقل من الامور شيئاً»(٦٦)

وهكذا ولّد مقتل النعمان بن المنذر ردود فعل قوية عند العرب حيث فتح سجل الكفاح ضد الوجود الفارسي، فكانت معركة «ذي قار» (٦٧) والذي يعد انتصار العرب فيها ضد الفرس بمثابة بداية لانهاء التبعية السياسية للفرس وان الخضوع لسلطة أجنبية غير مقبول بعد الان (٦٨).

لقد اصبح انتصار عرب العراق في هذه المعركة محط انظار واعجاب العرب جميعاً فهي تعتبر من اجمل احاديث سمرهم وافتخارهم بدحر الاعاجم (٦٩). كما ان يوم «ذي قار» مازال حتى هذا اليوم خالداً في ذاكرة العرب (٧٠) وكان لهذا الانتصار العظيم رنة سرور ومجلبة مفخره وحبور عند العرب (٧١) فكانت معركة ذي قار مثلت بداية الضربة القوية في القضاء على النفوذ الفارسي في العراق، حيث لم يتجاسر أي ملك فارسي في الحد او التأثير على قوة القبائل العربية المنتصرة (٧٢).

ان الشعر الجاهلي يعكس لنا بوضوح مقاومة القبائل العربية للحكم الاجنبي ومدى افتخارهم واعتزازهم بهذا الانتصار فقال اعشى قيس مفتخراً بيوم ذي قار

فدى لذهل بن شيبان ناقتي ... وراكبها يوم اللقاء وقلت

كفوا اذا اتى الهامرز تخيف فوقه ... كظل العقاب اذا هوت فتدلت

فصبحهم بالحنو حنو قراقر ... وذي قارها منها الجنود فقلت

على كل مجبول السراة كأنه ... عقاب سرت من مرقب اذ تدلت

فجادت على الهامرز وسط بيوتهم ... شآبيب موت ، اسبلت فاستهلت

تناهت بنو الاحزاب اذا صبرت لهم ... فوارس من شيبان غلب فولت

كما ينتقد في قصيدة أخرى الذين لم يشاركوا في هذه المعركة وكان يتمنى مشاركتهم فقال

مافي الخدود صدود عن وجوههم

ولاعن الطعن في اللبات منحرف

عودا على بدء كر مايلينهم

كر الصقور بنات الماء تختطف

لما امالوا الى النشاب ايديهم

ملنا ببيض فظل الهام يقتطف

وخيل بكر فما تنفك تطحنهم

حتى تولوا وكاد اليوم ينتصف(٧٣)

ومما لاشك فيه ان الصراع مع الفرس لم يكن عسكرياً وحسب ؛ بل انه ارتكز على موقف فكري أدى الى حالة وعي قومي عبر عن نفسه بالقتال ، والاشارات ، التي تتحدث عن عهد النعمان وتحسس العرب للعنصرية الفارسية وتشكيل موقف ثقافي عربي ضدها يعطي انطباعاً عن هذا الوعي . (٧٤) وفي هذا الصدد يبرز الشاعر عمرو بن صريم ، اليشكري محرضاً العرب على حرب الفرس فقال :

ياقوم لا تغرنكم هذه الخرق

ولا وميض البيض في الشمس برق

من لم يقاتل منكم هذه العنق

فجنبوه الراح واسقوه المرق

وكأني ارى الروح القومية المتغلغلة في هذين البيتين روح التشجيع على القتال والازدراء بالجبان المنهزم من الموت بلهجة السخرية (٧٥) «وهي نفس الروح المتجلية في «هوسات» و«أهازيج» العراقيين في انتصارهم على الخمينيين الفرس في هذه المرحلة» ، كما ان الوعي القومي والمد العربي بلغ ذروته في هذه المعركة فتناسى العرب خلافاتهم امام العدو المشترك

فقد عاشت تميم بجوار بني شيبان وكانت علاقاتهم غير طبيعية ، ولكنهم تناسوا .. خلافاتهم حينما أخذت حشود العرب تأخذ مكانها استعداداً للقاء الفرس ، فطلب اسرى بني تميم عند بني شيبان القتال الى جانبهم ضد الفرس «نقاتل معكم فانا نذب عن انفسنا» (٧١) وهذا مايصور لنا المصير المشترك للعرب في دفاعهم عن الهوية القومية ارضاً وشعباً يضاف الى ذلك تحسس الكنيسة النسطورية والتي جاء موقف النصارى العرب في العراق متوافقاً مع النهوض القومي العربي ، ويذكر البيروني : ان العذارى النصرانيات من العرب صمن شكرا لله حين انتصرت العرب على العجم يوم ذي قار . (٧٨) وكان لانتصار العرب صداه الواسع في انحاء الجزيرة العربية والتي قال عنها الرسول الكريم محمد (ص) باستبشار : (هذا اول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا» (٧٩)

ان انتصار العرب في ذي‌قار يمثل حالة جديدة في النهوض العربي ، بل كان بداية لنشاط بؤر ثورية عديدة في المنطقة (٨٠) حيث ازدادت هجمات القبائل العربية على المواقع وقرى الدهاقين (٨١) الفرس في المنطقة فقد استمر بنو شيبان بقيادة المثنى تقاتل الفرس في منطقة الحيرة الى السماوة ومذار (٨٢) وكسكر (٨٣) وقطبة السدوسي في منطقة الأبلة ، وبنو العم (قبيلة من تميم) في الاحواز ؛ بل اراد المثنى ان تكون معركة التحرير معركة حاسمة لذلك كتب الى ابي بكر الصديق (رض) يعلمه ضرواته بفارس ، و يعرفه وهنهم ويسأله ان يمده بجيش . (٨٤)

لقد كانت السياسة الفارسية الخاطئة والتي سرعان ماتكشفت عن عواقب وخيمة احلت بالفرس ، عندما ارادت وضع حد لهجمات قبائل بكر الساكنين على حدود الحيرة فقد باءت محاولاتهم بفشل ذريع وبكارثة حلت بالجيش الفارسي المكون من الاف المقاتلين والذين تم ابادتهم من قبل العرب ،حيث انعكس هذا النصر العظيم في جميع المناطق العربية وازال الشعور بالخوف المخيم على النفوس تجاه أبهة وعظمة ملوك فارس (٨٥) .

لقد بقي يوم ذي قار خالداً في ذاكرة العرب وقد أكثر الشعراء من التغني بهذا الانتصار القومي العظيم واشعارهم الرنانة وفي ذلك يقول ابو تمام بمدح أبادلف العجلي . (٨٦) .

اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها
وزادت على ماوطدت من مناقب
فأنتم بذي قار امالت سيوفكم
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب (٨٧)

وقال ايضاً في مدح خالد بن مزيد بن مزيد الشيباني : (٨٨)

ألاك بنو الأفضال لولا فعالهم
درجن فلم يوجد لمكرمة عقب
لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد ..
وحيد من الاشباه ليس له صحب
به علمت صهب الاعاجم انه
به اعربت عن ذات انفسها العرب .
هو المشهد الفرد الذي ماانجابه
لكسرى بن كسرى لاسنام ولاصلب

مما سبق يتبين ان من اهم النتائج التي حققتها معركة «ذي قار» هي زرع الثقة في النفوس واستعادت الهمم ، وتوحيد الصفوف وكان صدى ذلك بعد هذه المعركة ، من خلال الهجمات الموفقة التي نفذتها القبائل العربية على المقاطعات الفارسية ومعسكراتهم ، وكان بنو شيبان رأس الرمح في حركة التحرير العربية في التحرر من سلطة الحكم الفارسي .

وأخذت القبائل العربية في العراق تنسق وتوحد مواقفها وبلغ ذلك ذروته في العمل العربي المشترك تحت راية الاسلام ، وبقي العراقيون دائما في الخط الامامي لمواجهة الفرس حتى هبوب العاصفة العربية الكبرى في معركة القادسية ١٦هـ ٦٣٧م وتحرير العراق بشكل تام من السيطرة الفارسية .

الخلاصة

من خلال ما سبق ذكره نلاحظ ان العلاقات التي تكونت خلال عهد النعمان بن المنذر قد اسفرت عن الامور التالية : ـ

الاتجاه الاول :ـ

مع الساسانيين والتي أتسمت بالبرود واتخاذ جانب الحيطة والحذر ، حيث اخذ كل طرف يتخوف من الاخر واختلفت عما كانت عليه في عهد من سبقه في حكم الحيرة ، لذى نرى ان كسرى ابرويز بدأ يخطط لاغتيال النعمان بن المنذر والتخلص منه لان وجوده في حكم الحيرة سيخلق له مشاكل وهو في غنى عنها مع القبائل العربية .

الاتجاه الثاني :

يتجلى في توثيق علاقاته السياسية والتجارية والثقافية مع القبائل العربية حيث اخذ يلتقي بكبار شعراء العربية ويجزل لهم العطايا ، لانهم كانوا يمثلون الجانب الاعلامي للقبيلة ولسانها المتحدث ومن المساهمين في صنع القرار السياسي للقبيلة في ذلك الوقت ، كذلك يساعدوه في تقريب وجهات النظر بين النعمان والقبيلة التي ينتمي اليها الشاعر .

الاتجاه الثالث :

كذلك نراه منهمكاً في تعزيز علاقاته مع رؤوساء القبائل العربية ويدعوهم للاجتماع به للتشاور معهم في الامور الهامة والمصيرية والتي تتعلق بالجميع ، وهذه الحالة في رأيي تمثل تكوين قاعدة واسعة للتحالف او التفاهم واصلاح ماخربته الايام السابقة ، وتوحيد جهودهم نحو العدو المشترك ، لكننا نلاحظ انه رغم كثرة رؤساء القبائل من الذين اجتمع بهم لم يحقق اغلبهم ماكان يبغيه النعمان منهم عندما شعر ان الساسانيين بدأو يتربصون به ويريدون اغتياله ، حيث لم تنهض الا قبائل قلة في العراق تقودها بنو شيبان في الاخذ بثأر النعمان وكان ذلك في معركة «ذي قار» التي بقيت ذكراها خالدة في ذاكرة العرب الى اليوم .

الاتجاه الرابع :

وقد تمثل في أنتصار عرب العراق في ذي قار والذي ازال الخوف المرسوم في نفوس القبائل العربية وتخوفهم من الفرس ، حيث دعا بنو شيبان القبائل العربية الاخرى الى مساعدتهم وتعزيز جهودهم في طرد الساسانيين من ارض العراق ، وقد اجابهم ابو بكر (رض) حيث ارسلت الجيوش العربية الاسلامية الى العراق وتحريره من السيطرة الفارسية.

الهوامش والمصادر :

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد، ١٩٨٦م ١/١١؛ أرثر كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، مراجعة عبد الوهاب عزام القاهرة ١٩٥٧م ص ٧٤ .

(٢) والفرثيون: هم من القبائل الهندية الاوربية ظهروا على المسرح السياسي في حدود سنة ٢٥٠ق.م.وقد ظهر من بينهم زعيمهم ارشاق Arsaces فقاد جموع قومه مع اخيه تيريداتس واستولى على اقليم خراسان من الحاكم السلوقي ، حيث كانت ايران تابعة الى الامبراطورية السلوقية وعد عام ٢٤٧ ق.م.بداية الحكم الفرثي الرسمي في بلاد ايران اما اسمهم الفرثيون ، او البارثيون فمشتق من اسم الاقليم الذي استولوا عليه في ايران المسمى (بارتوا) وهو اقليم خراسان تقريباً انظر: طه: باقر نفس المرجع ص ٦٠١ – ٦٠٢.

٢) كريستنسن: نفس المرجع ص ٧٥ – ٧٦.
ومملكة ميسان: لازالت الاراء متضاربة حول موقع هذه المدينة فيعتقد كريستنسن انها تقع عند ملتقى دجلة بشط العرب، اما د.منذر البكر فيعتقد انها مدينة المحمرة الحالية. وللمزيد انظر :
منذر البكر : لمحات من الصراع العربي الفارسي قبل الاسلام – دولة ميسان العربية مجلة المؤرخ العربي العدد ٢٩ لسنة ١٩٨٥م ص ١٣٤ – ١٣٥.
J. Hansman "Charx and The Karkheh". Iranica Antiqva, Vol,VII, 1967 P. P. 21-58 .
حيث قام الباحث بدراسة ميدانية للمناطق التي كانت فيها مدينة ميسان القديمة ويعتبر ادق بحث عن هذه المنطقة.

(٣) محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل، دار المعارف القاهرة ١٩٦٨م ٤٢/٢؛حمزة الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ): تاريخ سني ملوك الارض والانبيا برلين ١٣٧٤هـ، ص ٦٥– ٦٦. علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد : نشوة الطرب في اخبار جاهلية العرب، مخطوطه مصورة بالمكروفلم في المكتبة المركزية لجامعة الموصل ورقة رقم ٦٧، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) : معجم البلدان: دار صادر بيروت ، ١٩٥٧م، ٣٣١/٢.

(٤) تقع مدينة الحضر في الجنوب الغربي من مدينة الموصل بحدود ١٢٥ كم.وشيدت في حدود القرن الثاني او الثالث قبل الميلاد ومن اشهر ملوكها سنطرق الذي كان يلقب«بملك العرب» وللمزيد انظر طه باقر: المرجع السابق ص ٦٠٩ – ٦١٠ ق.م فؤاد سفر : الحضر مدينة الشمس بغداد ١٩٧٦م،ص ١٧ .وما بعدها .

(٥) فؤاد سفر: نفس المرجع ص ٣٤ .

(٦) الطبري: تاريخ ٤٨/٢. وشهرزور. كورة واسعة بين اربل وهمذان و اهل هذه النواحي كلهم اكراد .. وللمزيد انظر: ياقوت : ٢٦٨/٢ – ٢٢٧
فؤاد سفر: ص ٣٤ .

(٧) الطبري: ٤٧/٢. عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي /ت ٥٨١هـ): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لا بن هشام: تحقيق عبد الرحمن الوكيل القاهرة ، ٣٢٦/١. عز الدين ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت ١٩٥٦م، ٣٨٧/١.
فؤاد سفر: ص ٣١، ٣٤.

(٨) فؤاد سفر : ص ٣٤ .

(٩) ابو القاسم منصور بن فخر الدين الفردوسي (ت ٤١١هـ): الشاهنامة، جزءان: ترجمة الفتح بن خاقان تحقيق عبد الوهاب عزام، القاهرة ١٩٣٢م، القسم الرابع حـ ٢/ص ٦٤.

(١٠) ابومنصور الثعالبي (ت ٤٢٩) ،تاريخ غرر السير ، طهران ١٩٦٣م ص ٥١٧–٥٢٠. ويذكر الثعالبي انه قام بنزع أكتاف خمسين الفا من العرب . ويذكر الطبري ٦٠/٢انه قام بنزع اكتاف رؤسائهم وربما هذه ارجح من رواية الثعالبي. ويذكر. كايتاني ان سابور هذا قام بقتل ٨ آلاف مسيحي خلال اربعين سنة من حكمه،
كايتاني : اسلام تاريخي ، ترجمة من الايطالية الى التركية حسين حامد فنين، مطبعة سي استانبول ١٩٢٧ ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(١١) غرر السير : ٥٢٠ – ٥٢١.

(١٢) الطبري : ٥٣/٢. الثعلبي – ٥٥٤ – ٥٥٥.

(١٣) رضا جواد الهاشمي الصراع في زمن حكم الفرثيين والساسانيين (بحث ضمن الصراع العراقي – الفارسي) دار الحرية ، بغداد ١٩٨٣م ص ١٠٦ وما بعدها.

(١٤) الطبري : ٦١/١ .

(١٥) عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ): معجم ما استعجم، تحقيق وضبط مصطفى السقاء القاهرة ١٩٥٤م/ ٧٠/١ – ٧١.

(١٦) محمود عبد الله ابراهيم العبيدي: بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي الاسلامي ، بغداد ، ١٩٨٤ ص ١٢٣ هامش ٤٥ .

(١٧) الثعالبي: ص ٥٢٠ .

(١٨) رينيه ديسو: العرب في سوريا قبل الاسلام ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي القاهرة ص ٣٣، جرجي زيدان، العرب قبل الاسلام ، القاهرة ص ٢٢٧ – ٢٢٨.

(١٩) الكامل في التاريخ : ١/٤٦٨ – ٤٦٩ .

(٢٠) الطبري: ٢/١٦٩ – ١٧٠ .

(٢١) محمود العبيدي: المرجع السابق ص ١٢٧ .

(٢٢) البكري : ١/٦٩ – ٧٠. ودير الجماجم كما يصفه الحموي: معجم البلدان ٢/٥٠٥ انه يقع بين الكوفة والبصرة، حيث نصبت رؤوس قتلى الفرس عند الدير. فسمي بدير الجماجم وهناك رأي يقول: ان كسرى اغتم حين سمع بقتلى الفرس. وامر ان يبني لهم دير..

(٢٣) البكري: ١/٧٠ .

(٢٤) نفس المرجع ١/٧٠ .

(٢٥) صالح احمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب ط ٤ .بغداد ١٩٦٤م ص ٧٠ – ٧١.

(٢٦) عن طبيعة العلاقة بين المناذرة والساسانيين: . انظر بحثنا الموسوم : العلاقات السياسية بين المناذرة وكل من الساسانيين والبيزنطيين. والقبائل العربية. مجلة رسالة الخليج العربي العدد السابع عشر لسنة ١٩٨٦ ص ١٥٣ وما بعدها. محمود العبيدي : المرجع السابق ص١١٥ وما بعدها.

(٢٧) م.ج. كستر: الحيرة ومكه وصلتهما بالقبائل العربية، .ترجمة يحيى الجبوري، .بغداد ١٩٧٦م ص ٤٠ – ٤١.

(٢٨) كريستنس: ص ٤٢٧ .وما بعدها . .كستر ص ٤٠ .

(٢٩) كستر: ص ٤١ .

(٣٠) احمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ) : الاخبار الطوال، .تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة ١٩٦٠م ص ١١٠.

(٣١) الدينوري: ص ٤٣. احمد بن يحيى البلاذري (ت ٣٧٩هـ): انساب الاشراف تحقيق محمد حميد الله، القاهرة ١٩٥٩م، ١/٩٠. كريستنسن : ص ٤٢٦ وما بعدها علما ان المناذرة سابقاً قد تدخلوا في تنصيب بدام جور على العرش الفارسي بعد ان كاد يخلع عنه وقد وصف موكب بهرام وقدومه إلى المدائن بأنه جاء تحت ظل الرماح العربية: محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) المحبر ، تصحيح ايلزه ليختن ، المكتب التجاري بيروت . ١٣٦١هـ ص ٣٥٩ .

(٣٢) الدينوري: ص ١١٠ .

(٣٣) احمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٧هـ): العقد الفريد، شرح وضبط احمد امين واخرين ط ٢ القاهرة ١٩٥٦م/٥/٢ – ٩ محمود شكري الالوسي : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، بغداد ١٣١٤هـ ، ٣/١٤٧ .

(٣٤) محمود العبيدي : المرجع السابق ص ١٣١ .

(٣٥) عن هذه الوفود واسماء رؤسائها انظر: العقد الفريد ٢/٩ وما بعدها.

(٣٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بغداد مكتبة النهضة ١٩٧٨، ٣/٢٧٩.

(٣٧) العقد الفريد: ٢/٩ – ١٠ .

(٣٨) نفس المصدر : ٢/١٠ – ١١.

(٣٩) عن كلام رؤساء القبائل وما قالوه لكسرى ابرويز انظر ذلك مفصلا في العقد الفريد ٢/ ١٢ – ١٩.

(٤٠) عبد الملك بن قريب الاصمعي (ت ٢١٥هـ) : نهاية الارب في اخبار الفرس والعرب مخطوطة ورقة رقم ٢٤٥أ.ب. نقلا عن محمود العبيدي بنوشيبان ص ١٣٣ .

(٤١) كستر ص ٤١ – ٤٢.

(٤٢) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ص ١١٠

(٤٣) مؤيد سعيد : العراق خلال عصور الاحتلال (العراق في التاريخ) دار الحرية بغداد ١٩٨٣، ص ٢٥٩–٢٦٠.

(٤٤) احمد بن ابي يعقوب اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبيين: تقديم محمد صادق بحر العلوم الطبعة الرابعة، النجف ، ١٩٧٤، ١/ ١٨٣.

(٤٥) مجلس القبيلة

لكل قبيلة مجلس هو ندوة لهم،يستطيع كل فرد من افراد القبيلة حضوره والتحدث فيه متى كان مجتمعاً ، وليس هناك اوقات معينة لاجتماعه،والغالب انه يجتمع يومياً في المساء في بيت شيخ القبيلة،او قد يرسل منادي وينادي الناس للاجتماع فهو لهم كالبرلمان ويتحدث الناس في المجلس في مختلف الشؤون الخاصة ويبحثون في الامور والمسائل التي تخص القبيلة ويناقشون الامور السياسية والخارجية فيه ،ويسود في المجلس القوياء التفكير والمنطق والحجة في المناقشات وذلك بحكم مواهبهم لا بحكم القانون،ومن مصادر الفخر ان يكون اشخص من المتحدثين في المجلس. وفيه ينشد الشعراء اشعارهم، ويظهر الخطباء مواهبهم ويسمع الناس الاراء الطريفة والاحاديث الطيبة، فهو اذا مدرسة ادبية تربي الافراد على قوة البيان واللغة وتكشف المواهب الادبية والسياسية ويتخذ قرارات بعد المناقشات بالاغلبية ، وتذعن المعارضة (الاقلية) لهذه القرارات .
صالح العلي : نفس المرجع ص ١٥٥ – ١٥٦.

(٤٦) رضا جواد الهاشمي: نفس المرجع السابق ص ١١١ .

(٤٧) لويس شيخو : شعراء النصرانية قبل الاسلام: ط ٢ بيروت ١٩٦٧م ص ٤١٠ – ٤١١

(٤٨) جواد علي: المفصل ٣/ ٢٧٨

(٤٩) العقد الفريد: ٢/٢٢.نولدكه: امراء غسان، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق، بيروت ١٩٢٨م ص ٤٧. جواد علي: المفصل ٣/٢٨٠ – ٨٩) .

(٥٠) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، ط ٢ دار المعارف القاهرة ١٩٦٧م، ١/١٥٩، ١٦٤ - ١٦٥ العقد الفريد ، ٢/٢٢

(٥١) يوسف رزق الله غنيمة : الحيرة ، المدينة والمملكة العربية ، مطبعة دنكور بغداد : ١٩٣٦ م ص ٢١٤ .

(٥٢) العذيب: هو الماء الطيب، وقيل هو وادي لبني تميم وللمزيد انظر : معجم البلدان ٢/٤.

(٥٣) اللطائم:
وهي قافلة تجارية كان يرسلها ملوك الحيرة ولا سيما النعمان بن المنذر الى سوق عكاظ ليبيعها هناك، وكانت تعود محملة بما تشتريه من تجارة اليمن والحجاز وما يأتي به سائر التجار إلى السوق اثناء موسم الحج . جواد علي: المفصل ٣/٢٧٧

(٥٤) الحسن بن رشيق (ت ٤٥٦هـ): العمدة ،حققه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٤ دار الجيل، بيروت ١٩٧٢، ٢/٢٢٠ .

(٥٥) نزار الحديثي: العراق عند مجيء الاسلام : موسوعة حضارة العراق، بغداد ١٩٨٥م ٥/١١.

(٥٦) كستر : ص ٤١ .

(٥٧) الكامل في التاريخ ١/٤٧٢ .

(٥٨) نزار الحديثي : المرجع السابق ، ٥/٩ .

(٥٩) البكري: معجم مااستعجم ، ١/٧٠ - ٧١، وكذلك نزار الحديثي نفس المرجع السابق ٥/٩.

(٦٠) ياقوت : ٤/٢٩٣ .

(٦١) اوردت المصادر العربية اراء مختلفة حول سبب قتل ابرويز للنعمان بن المنذر انظر: الدينوري: الاخبار الطوال: ص ١١٠ وما بعدها العقد الفريد ٢/٩-١٩. روتشتاين : تاريخ السلالة اللخمية ، ترجمة منذر البكر ، مجلة كلية التربية جامعة البصرة ، العدد ١٦ لسنة ١٩٨٠ ص ٢٤٧ وما بعدها. صالح العلي ، محاضرات ص ٧٠ .

(٦٢)

Rothstien:

Die Dynastie der Lakhmiden in al – Hira Berlain, 1968. P. 121

(٦٣) اياس بن قبيصة:
لم تحدد المصادر العربية تاريخا معينا لحكم اياس للحيرة واستنادا الى الروايات وحديث الرسول (ص) حول ابتهاجه بانتصار العرب بذي قار ، ان اياس حكم بين ٦١٣ - ٦٢٣م واياس هذا رجل من طي لم يكن محبوبا من اهل الحيرة، ولهذا اتى به الفرس ليتولى مقاليد

الامور لكنه لم يستطع ان يحقق اماني الفرس حيث كثرت الاضطرابات وزيادة هجمات القبائل العربية على المقاطعات الفارسية ولذلك قال عنه ابرويز، وليت اعرابياً لم يعقل من الأمور شيئا، لذلك اضطر (الفرس) الى اسناده كان سبب لشد ازره لكنها فشلت في ذلك صالح العلي: ص٧: وكذلك ابي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ): الاغاني، نسخة مصورة عن طبعة بولاق، بيروت ١٩٧٠، المجلد العاشر ج٢٠/ ١٣٤ محمود العبيدي نفس المرجع السابق ص ١٥١ وما بعدها.

(٦٤) حمزة الاصفهاني نفس المصدر السابق، ص ٧٤ .

(٦٥) كستر: ص ٤٣: كايتاني: اسلام تاريخي (بالتركية) ص ٤٥ – ٤٦.

(٦٦) الدينوري: ص ١١١

(٦٧) ذي قار:

لم يتفق المؤرخون حول تحديد تاريخ معين لزمن معركة ذي قار، وقد اوردوا تواريخ مختلفة فمنهم من يعتقد انها حدثت بعد معركة بدر باشهر. والاخر يعتقد انها حدثت يوم مبعث الرسول (ص). ومنهم من يعتقد نها حدثت قبل الهجرة انظر: الاغاني ٢٠/١٣٨ المحبر ص٣٦٠ وللمزيد انظر:

محمود العبيدي: نفس المرجع السابق ص ١٥١ – ١٥٢.

(٦٨) Rothstien: Op-Cit. P. 23.)

(٦٩) هبة الله ابو البقاء: المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية، مخطوطة مصورة بالمكروفلم المكتبة المركزية لجامعة الموصل ورقة رقم ٧٤ أ.

(٧٠) (70) Rothstien: Op. Cit P. 1?3

(٧١) يوسف رزق الله: غنيمة الحيرة ص ٢١٨ .

(٧٢) كايتاني: المرجع السابق ص٤٥ – ٤٦ .

(٧٣) لويس شيخو: نفس المرجع السابق ص ٣٨٥ ٣٨٦.

(٧٤) يوسف غنيمة: المرجع السابق ص ٢١٩ .

(٧٥) الاغاني: ١٣٧/١١ (طبع بيروت) .

(٧٦) يوسف غنيمة: ص ٢٢٠.

(٧٧) الاصمعي: ورقة رقم ٢٥٢أ. نقلا عن العبيدي في المرجع السابق ص ١٤٢ .

(٧٨) محمد بن احمد البيروني/(ت ٤٤٠هـ): الاثار الباقية عن القرون الخالية، لايبزك، ١٩٢٣ ص٤.

(٧٩) ابن حبيب: ص ٣٦٠. اليعقوبي ١٨٦/١ .الطبري: ١٩٣/٢ ، علي بن الحسن المسعود (ت ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وضبط يوسف داغر، ط ٢ دار الأندية، بيروت ١٩٧٣، ٣٠٧/١ .

(٨٠) محمود العبيدي: نفس المرجع السابق ص ١٤٣ .

(٨١) نزار الحديثي : نفس المرجع السابق ١١/٥ – ١٢.

(٨٢) الدهاقين : وهم طبقة النبلاء في المجتمع الفارسي وكانت لهم اهمية كبرى في البلاط الساساني وكانوا منقسمين الى خمسة اقسام كل قسم يتميز عن الاخر بملابس مختلفة، ويعتبرون ممثلي الحكومة امام الفلاحين حيث يقوموا بجمع الضرائب من السكان في المناطق التابعة لهم. كريستنسن: ص ٩٩.

(٨٣) مذار :

مدينة تقع بين واسط والبصرة فتحها عتبة بن غزوان في عهد عمر بن الخطاب) بعد فتحه للابله ... انظر معجم البلدان، ٨٨/٥ .

(٨٤) :

معناه عامل الزرع ، كورة واسعة تشتهر بانتاج الفراريج الكسكرية حيث كانت تباع بها اربعة وعشرون فروجا كبار بدرهم واحد.. وتقع بين الكوفة والبصرة . وتعني ايضاً بلد الشعير وفيها ينتج بكميات كبيرة وللمزيد انظر: معجم البلدان ٤٦١/٤ .

(٨٥) الدينوري: المصدر السابق ص ١١١ .

(٨٦) كايتاني : المرجع السابق ص ٢٢٧ – ٢٢٨.

(٨٧) معجم البلدان ٢٩٤/٤ .

(٨٨) قوس حاجب:

ويذكر ان حاجب بن زرارة زعيم تميم قد رهن قوسه عند كسرى ليضمن عدم اغارة عرب العراق على المناطق الفارسية انظر:

ابن حبيب: المحبر ص ٣٦٠، الثعالبي ص ٦٩٠ .

عكاظ في حياة العرب قبل الاسلام

د. عبدالحسين مهدي الرحيم
جامعة بغداد / كلية التربية

من يستقريء عكاظ في كتب الأدب والتاريخ والبلدان واللغة وغيرها من موارد المعرفة المختلفة ، ويسبر أبعادها الحياتية ، الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية يجدهـا صورة مشرقة للمجتمع العربي قبل الاسلام .

وقد ظلت عكاظ — في بعض صورها — عبر مسيرة وجودها تعمق جوانب البلاغة والمروءة والعدل والسلام بين القبائل العربية ، فضلاً عن تهذيب السلوك في التعامل التجاري وصولا الى تنقية العقائد الدينية والدعوة الى التوحيد والتبشير بالاسلام ، فيما اشتهر عن خطبة قس بن ساعدة الأيادي ، والتي شهدها الرسول العظيم (ص) وباركها قبل البعثة النبوية الشريفة وبعدها .

عكاظ بين اللغة والاصطلاح

قال البكري في لغته :

عُكاظ : بضم أوله وفتح ثانيه وبالظاء المعجمة........

مشتق من قولك عكظت الرجل عكظاً اذا قهرته بحجتك (١)، وقال غيره : «سمي عكاظ لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالفخار» (٢)

---

(١) البكري : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع ٣/ ٩٥٩ - ٩٦٠ ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٩ م / ١٣٦٨ هـ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤/ ١٤٢ ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٧/ ١٣٩٧ .

وقيل «عكظ الرجل دابته يعكظها عكظاً اذا حبسها ، وتعكظ القوم تعكظاً اذا تحبسوا ينظرون في امورهم ، قال وبه سميت عكاظ» (٣)

وأذا كانت الاراء تتعدد في الأصل الذي اشتقت منه عكاظ ، فأن من المعاني مانسب اليهافيما روى الزبيدي عن الزمخشري قوله : «وتعكظوا في موضع كذا اجتمعوا وازدحموا ... قال هو مأخوذ من عكاظ » (٤)

وعرفت عكاظ اصطلاحاً ، بأنها من اعظم اسواق العرب الموسمية (٥) قبل الأسلام ، وأنها ملتقى (٦) القبائل العربية لأغراض شتى ومن مختلف الجهات ، منها قريش ، هوازن ، غطفان ، أسلم ، الأحابيش، عضل ، الديش من بني الهون من خزيمة ، الحيامن خزاعة والمصطلق وغيرهم .

موقع عكاظ الجغرافي

بالرغم من شهرة عكاظ وكثرة من تناولها من القدامى والمحدثين في مؤلفاتهم ، فأنه لم يجمع على موقعها بالدقة وأن اتفق عليه في عموم ماورد ، أنها تقع في أعلى (٧) نجد

---

(٣) ق . م .

(٤) الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة عكظ ط ١ ، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦

(٥) روي ان لها سوقاً اسبوعية يوم الجمعة ، يقصده الناس بأنواع التجارات ، فاذا أمسى المساء انـ ف كل أحد الى موضعه، الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار ص ٤١١ تحقيق د. أحسان عباس ، دار القلم للطباعة، لبنان ١٩٧٥

(٦) محمد بن حبيب البغدادي : المحبر ص ٢٦٧ ، تصحيح شتيتر ، مطبعة دار المعارف حيدر آباد ١٩٤٢ / ١٩٦١ ، المرزوقي : الأزمنة والامكنة ١٦٥/٢ مطبعة دار المعارف حيدر آباد ١٩٦٢ هـ .

(٧) اليعقوبي : التاريخ ٢٤٠/١، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف ١٩٦٤ / ١٣٩٤ ، الازرقي: اخبار مكة : ١٩/١ تحقيق رشدي الصالح ط ٢ مطابع دار الكتب، مكة المكرمة ١٩٦٥/ ١٣٨٥ ، ابو الفرج الاصفهاني : الأغاني ٥٧/٢٢ ، تحقيق علي السباعي وجماعته ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر. بيروت ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٥٣/٥ ، شرحه أحمد أمين وجماعته ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٢/١٩٥٢ ، معجم مااستعجم ٩٥٩/٣ معجم البلدان ١٤٢/٤ ، وهب بن منبة : التيجان في ملوك حمير ص ٢١٠ ط دار المعارف حيدر آباد ١٣٤٧ هـ ، الفيومي : المصباح المنير ٥٨٠/٢١ تصحيح الشيخ حمزة فتح الله ط ٦ المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٢٦ ، الناسي : اتقاء

على طريق مكة من اليمن في واد بين نخلة والطائف عند موضع منه يقال له الاثيداء وأنها سوق لقيس عيلان وثقيف وأرضها لبني نصر ، فهي على العموم يمكن (٨) هوازن وبه كانت أيام الفجار

وهي بهذا العموم من الموقع تشتمل على مسافة طويلة تزيد على الخمسين (٩) ميلاً مما تسبب في اختلاف الباحثين المحدثين على تعيين موقعها على الدقة في زياراتهم الميدانيــة لها ، وأتجهوا في ذلك مناهج شتى وصل في رأي بعضهم الاحتمال الى أنها كانت متنقلة(١٠) وغير ثابتة بين هذه المسافة . وتصورها البعض بين خمسة (١١) مواقع ، بينما يحددنا أخرون فأنها تقع(١٢) الى الجنوب الشرقي من مكة تبعد عنها بنحو ثلاثين ميلاً وعن الطئف

الغرام باخبار البلد الحرام ٢٨٤/٢ دار أحياء الكتب العربية ١٩٥٦ ، تاج العروس : مادة تكظ ٢٥٤/٥ ، الالوسي : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ٢٦٧/١ نشرة محمد بهجت الاثري ط ٢ المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٤ / ١٣٤٢ الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٢٦٣ ليدن ١٨٨٤ ، سعيد الافغاني : اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٨٦ ط ٢ مطابع دار الفكر دمشق ١٩٦٠ / ١٣٧٩ .

ولا سبيل لمن اعتقدها قريباً من عرفات لأنه لاقرينة الموقع بين أعل غير وعرفات كما ذكر ذلك محمد بن حبيب البغدادي بقوله : عكاظ بأعل غير قريباً من عرفات » ونقل عنه البكري بكتابه معجم مااستعجم ٩٥٩/٣ ، والمرزوقي بكتابه الازمنة والامكنة ١٦٥/٢ والحميري بكتابه الروض المعطار في خبر الاقطار ص ٤١١ .

فقد فسر الشيخ محمد الجاسر هذا التناقض بالنص الذي اورده « محمد بن حبيب البغدادي» بأحتمال ان مقط منه أو من الأصل الذي نقل عنه البغدادي عبارة « ذو المجاز » بعد كلمة «نجده» انظر بذلك مقالته الملحقة بكر اس عبدالوهاب عزام الموسوم«موقع عكاظ »ص٤٧ دار المعارف بمصر ١٩٥٠ / ١٣٦٩ .

(٨) المكنة كمجلس الملجأ ، تاج العروس مادة عكد ٤٢٩/٢ .
(٩) محمد حسين هيكل : في منزل الوحي ص ٣٨٨ ط ٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٢ .
(١٠) الأمير شكيب ارسلان : الارتسامات اللطاف ص ١١٠ صممها محمد رشيد رضا مطبعة المنار مصر ١٣٥٠ ﻫ نقلا عن الزركلي في كتابه ، مارأيت وما سمعت » ص ٧٩ .
(١١) في منزل الوحي ص ٣٨٨ ، ٣٩٨ - ٤٠٦ في تفاصيل ذلك ، والمواقع الخمسة هي وادي عقرب ، حدود وادي ركبة عند اتصاله بوادي عشيرة ، جنوب الطائف السيل الصغير (المعروف أثيرية والمقهاوي عند العامة) ، السيل الكبير .
(١٢) أحمد أمين : عكاظ والمربد ص ٢٤ ، مجلة الرسالة العدد (١٢) القاهرة ١٩٣٣ /٢و١٣ السنة الأولى .

بعشرة أميال ، أو أنها شرقي الطائف بانحراف نحو الشمال بمسافة (٣٥) كم تقريباً يحدها من الغرب جبال بلاد عدوان (العقرب) ، شرب ، العبيلاء) ومن الشرق صحراء ركبة ومن الشمال طرف ركبة والجبال الواقعة شرق وادي قران ومن الجنوب أبرق العبيلاء وضلع الخلص .

وحيث تختلف الاراء في تحديد موقع عكاظ ، فأن أسباب قيامها تنحصر –فيما ارى– بالاسباب التالية :

١ – دينية تعبدية

فقد روي عن عكاظ أنها كانت من الاماكن التي عبدت فيها أحد الاصنام عند بعض القبائل العربية قبل الاسلام . قال محمد بن حبيب البغدادي(١٤) :– «كان جهار لهوازن بعكاظ وكان سدنتها ال عوف النصريون وكانت محارب معهم فيه وكان في سفح أطحل» . وفضلاً عن وجود صنم جهار في عكاظ ، فأن قدسيته تعود من جهة أخرى الى توفر النصب(١٥) التي كانت بها من دماء البدن والهدي الشيء الكثير ، كما تتوفر فيها صخور للطواف والحج . وكان قدوم القبائل لهذه الاماكن المقدسة في مواسم معينة هي مواسم حجها ، فتتحول تلك المواسم الى اسواق للبيع والشراء ، ولهذا استغل شريعة الأشهر (١٧) الحرم التي لايحل فيها القتال للحث على ارتياد الاسواق .

---

(١٣) في تفاصيل استنتاج هذا الموقع ينظر مقالة الشيخ حمد الجاسر الملحقة بكراس موقع عكاظ الأنف الذكر ص ٥٤ – ٦٢ .

(١٤) المحبر ص ٣١٥ .

(١٥) معجم ما استعجم ٩٥٩/٣، الروض المعطار ص ٤١١ .

(١٦) معجم البلدان ١٤٢/٤ ، بلوغ الارب ٢٦٧/١ ، الدكتور جواد علي : المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام ٣٨٢/٧ – ٣٨٣ ، طابيروت ١٩٧٠ .

(١٧) الأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، العقد الفريد ٢٥٣/٥ ، الازمنة والادمكنة ٢٢١/٢ .

٢ — اقتصادية:

وتشتمل على توفر المياه من الآبار أوفي الوديان (١٨) التي تلتقي عند عكاظ ، وهما وادي شرب ووادي الاخيضر بل ذهب بعضهم الى زيادة القول بأهميتها الاقتصادية كما رواها الحميري (١٩) بقوله

«سوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة ، لها مزارع ونخيل ومياه كثيرة» . وقد أشير إلى ملكية (٢٠) النخيل والأموال بأنها تعود الى ثقيف .

وخلاصة القول في موقع عكاظ أنها تمثل ملتقى (٢١) قبائل الشمال والجنوب في سهل فسيح تتفرع فيه الطرق الذاهبة الى اليمن والشام والعراق والخليج العربي مما جعلها أكثر الاماكن صلاحية للتجارة واكسبها اهمية في ذلك .

البداية والنهاية التاريخية لسوق عكاظ

اذا كانت مجلة اراء قد وردت في تعيين مكان سوق عكاظ ، فأن البداية الزمنية المحدودة لهذه السوق اكثر صعوبة وأقل يسراً ، فلم يحقق أحد الزمن الذي بدأت فيه .

ويعتبر البكري من أسبق الذين أرخوا بدايتها فقال :

«اتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة» (٢٢)

وحيث ان المتفق عليه ان عام الفيل يقع في سنة ٥٧٠ — ٥٧١م فيما دلت عليه نسبته الى الولادة الشريفة للرسول الكريم (ص) وهذا يعني ان قيامها يتأخر بسنة واحدة عن حرب

---

(١٨) أنظر مقالة الشيخ محمد بن بليهد الملحقة بكراس موقع عكاظ ص٣١ ، وأنظر كذلك مقالة الشيخ حمد الجاسر الملحقة بنفس الكراس ص٦٢

(١٩) الروض المعطار ص٤١١

(٢٠) الاغاني ٥٧/٢٢، معجم مااستعجم ٩٥٩/٣

(٢١) دائرة المعارف الاسلامية ، النسخة العربية ٣٨/١٢"

(٢٢) معجم مااستعجم ٩٥٩/٣، وأنظر كذلك بلوغ الادب ٢٧٠/١، محمد فريد جبري ، دائرة معارف القرن العشرين ٢٣٥/٦، ط٢ سنة "٩"، الاسكندري وعناني: الوسيط في الادب العربي وتاريخه ص١٢ ط٢ مطبعة المعارف مصر "١٩"١٣٣٩/

الفجار الثاني ، وذلك ان المشهور في هذا الحدث انه وقع وكان عمر (٢٣) الرسول الكريم أربع عشرة سنة .

وفيما يعتقد انه ليس من المعقول ان تكون حرب الفجار الثاني قد وقعت قبل ان تقام عكاظ وقد وقعت فيها ، وهذا يدعونا الى عدم ترجيح هذه الرواية .

والظاهر ان سوق عكاظ تتقدم على هذا التاريخ بوقت طويل للأسباب التالية :

١ — ماتواتر في الرواية والقول بأن ملك الحيرة «النعمان يوجه في كل سنة بلطيمة الى عكاظ للتجارة» (٢٣) ، مما جعل هذه العادة عرفاً عند القبائل العربية ليتنافس افرادها بشأن اجاراتها حتى كانت سبباً لحرب الفجار الثاني ، وهذا يعني أنها بدأت منذ زمن سابق .

٢ — كانت سوق عكاظ مكاناً (٢٥) لحرب الفجار الأول في أيامها الثلاثة ، وهذه الحرب لاشك أنها تتقدم على حرب الفجار الثاني بوقت يقتضي ان يكون منشأ عكاظ متقدماً على هذا الاعتقاد .

٣ — ماذكره المرزوقي (٢٦) من اسماء عشرة من الاشخاص ممن تولى القضاء في عكاظ قبل الاسلام أولهم عامر بن الظرب العدواني وآخرهم سفيان بن مجاشع بن دارم وهذا العدد يقتضي ان يكون سوق عكاظ قد أقيم قبل الاسلام بوقت طويل ، لكي تمر مدة كافية لتغطية عشرة أشخاص يتعاقبون على ولاية القضاء .

٤ — مايروى من الاحداث المشهورة التي وقعت في عكاظ ، وكانت تتقدم على هذا الاعتقاد بوقت طويل ، منها ان عمرو بن كلثوم أنشد (٢٧) قصيدته في عكاظ

---

(٢٣) الاغاني ٧٣،٥٦/٢٢ ، العقد الفريد ٢٥٣/٥ ، وقيل ان عمره الشريف (١٧—٢٠سنة) اليعقوبي: التاريخ ١٢/٢ ، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢٩٠/٢ تحقيق محمد ابو الفضل ، دار المعارف مصر ١٩٦٠ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤٤/٢ ، دار ،صادر الطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥/١٩٦٥ وقيل ان عمره الشريف (٢٨) سنة ، الاغاني ٥٦/٢٢

(٢٤) اليعقوبي: التاريخ ١٢/٢ ، الاغاني ٥٧/٢٢ ، العقد الفريد ٢٥٣/٥

(٢٥) الاغاني ٥٤/٢٢ — ٥٦ ، العقد الفريد ٢٥١/٥ — ٢٥٢

(٢٦) الازمنة والامكنة ١٦٧/٢ ، عكاظ والمربد ص٢٥ مجلة الرسالة العدد (١٣) السنة الاولى ١٩٣٣

(٢٧) الاغاني ٥٤/١١

والراجح انه عاش بحدود بداية القرن السادس الميلادي ، ومنها ماأورده صاحب الاغاني بخصوص عبلة بنت عبيد شمس التي اشتهرت بقصتها (٢٨) في عكاظ وماكان من طلاقها من زوجها ، ثم تزوجها بن عبد شمس بن عبد مناف .

وبناء على ماتقدم من الاسباب ، فأن التاريخ الذي يضعه «البكري» في روايته وغيره ممن اعتمد عليه في ذلك لاتعززها الاحداث في عكاظ التي تتقدم عليها وتسبقها بزمن طويل ، لذا فاننا نميل الى ماذكره بعض (٢٩) الباحثين من الاحتمال في تحديد اقامة عكاظ يعود الى ماقبل سنة ٥٠٠ م .

وحيث ورد الاختلاف في السنة التي بدأت فيها عكاظ ، فإن موعد اقامتها السنوي افترق فيه كذلك بين ثلاثة آراء وهي :

١ – منهم من يعتقد بأقامتها في الأول (٣٠) من ذي القعدة وتستمر لغاية العشرين منه ثم يبرحونه إلى سوق مجنة (٣١) ، الذي يستمر إلى نهاية ذي القعدة . ومع هلال ذي الحجة يقوم سوق ذي (٣٢) المجاز لمدة ثمانية أيام حتى تبدأ شعائر الحج

٢ – منهم من يقول أنها تبدأ في منتصف (٣٣) ذي القعدة من كل عام متفقة بذلك مع سوق الرابية بحضرموت وتستمر إلى نهاية الشهر المذكور

(٢٨) تقول القصة : كانت عبلة بنت عبيد بن خالد بن حازل بن قيس بن حنظلة عند رجل من بني جشم بن معاوية ، فبعثها بأنحاء سمن تبيعها له بعكاظ ، فباعت السمن وراحلتين كان عليهما وشربت بثمنها الخمر . فلما نفد ثمنها رهنت أبن اخيه وهربت فطلقها وقالت في شربها الخمر

شربت براحلتي معجن فيا ويلتي ، معجن قاتلي
وبأبن اخيه على لذة ولم أحتفل عذل العاذل

قال: فتزوجها عبد شمس بن عبد مناف فولدت له امية الاصغر وعبد امية ونوفلا وهم العبلات ، انظر الاغاني ٢٠٩/١ – ٢١٠

(٢٩) أسواق العرب ص٣٤٢ وحاشية رقم (١) من ص٣٤٣

(٣٠) اخبار مكة ١٨٧/١ – ١٨٨ الاغاني ٥٧/٢٢ ، العقد الفريد ٥٣/٥، معجم مااستعجم ٩٥٩/٣، بلوغ الارب ٢٧٠/١

(٣١) مجنة بمر الظهران قرب جبل يقال له الاصفر بأسفل مكة، معجم البلدان ٥٨/٥، اسواق العرب ص٣٤٤، في منزل الوحي ص٤٠٨

(٣٢) ذو المجاز : سوق بعرفة على ناحية كبكب ، معجم البلدان ٥٥/٥، ٥٩، اسواق العرب ص٣٤٧، في منزل الوحي ص٤٠٨

(٣٣) المحبر ص٢٦٦، الازمنة والامكنة ١٦٥/٢، الروض المعطار ص٤١١

٣ – ويرى فريق ثالث – وهو أقل شهرة – أنها تبدأ في (٣٤) شوال من كل عام .

غير ان الراجح من هذه الروايات لدى (٣٥) المحدثين هي الأولى ، اذ بنهاية سوق عكاظ يبدأ سوق مجنة إلى نهاية شهر ذي القعدة ، وبحلول شهر ذي الحجة يبدأ سوق ذي المجاز قرب عرفة التي تستمر حتى يوم التروية لتبدأ شعائر الحج .

والظاهر ان ترجيح هذه الرواية يعود إلى تواترها من جهة ، وان وقتها مناسب لأستيفاء الأسواق الثلاثة خلال الأشهر الحرم وموسم الحج من جهة أخرى ، لتتزامن التجارة مع الحج عند القبائل العربية .

أما من يظن ان سوق عكاظ تقام في شوال ، فقد توهم في هذا ، لأن شوال ليس من الأشهر الحرم ، والمعروف عن عكاظ كانت تقام (٣٦) في الأشهر الحرم ، ذلك ان الحروب التي وقعت فيها عدت في حروب الفجار لأنها وقعت في شهر حرام ، وليست (٣٧) عكاظ من أرض الحرم وانما كانت حرمتها لوقوعها في الأشهر الحرم ، وهذا يعني ان حرمتها زمانية لا مكانية .

ويفسر الاستاذ الآلوسي (٣٨) هذه الاقوال المختلفة في موعد اقامة عكاظ بأنها تعود إلى اختلاف العادة في السنين ، او لاختلاف القبائل في الاقامة في هذا الموسم . والظاهر انه يقصد ما كان معروفاً عند بعض القبائل العربية من النسيء (٣٩) .

(٣٤) معجم البلدان ٤/١٤٢، السهيلي: الروض الانف ٤/٢٤ تحقيق عبدالرحمن الوكيل طبع دار النصر، القاهرة ١٩٦٩/١٩٨٩

(٣٥) بلوغ الارب ١/٢٧٠ ، اسواق العرب ص٢٨٩، في منزل الوحي ص٣٨٩

(٣٦) قدلا له على اقامة عكاظ في الاشهر الحرم يراجع الاغاني ١٥/٨٨ في خروج معاوية إبن عمرو بن الشديد غازياً بعد الانتهاء من موسم عكاظ ، ٢٢/٢٤١ في مشورة والد الشاعر عبد الله بن العجلان النهري لأبنه للاجتماع بحبيبته في الشهر الحرام بعكاظ ، ٢٢/٥٨ – ٥٩ في اعلام قريش بأن البراض قد قتل عروة الرحال وهم في موسم التجارة والحج بعكاظ ، ٢٠/٣٧٨ في خروج السليك بن السلكة في الشهر الحرام الى مكة .

(٣٧) انظر حدود الحرم : ابن خرداذبة المسالك والممالك ص١٣٢ ليدن ١٨٨٩

(٣٨) بلوغ الارب ١/٢٧٠

(٣٩) نسأ الشيء أخره ، والنسيء : شهر كانت تؤخره العرب في الجاهلية نهى الله عز وجل عنه قوله وأنما النسيء زيادة في الكفر، تاج العروس ١/١٢٤

واذا كان هناك اكثر من رواية أو رأي في السنة التي قامت فيها سوق عكاظ أو الوقت الذي تبدأ فيه من كل عام ، فإن الاتفاق متواتر (٤٠) في السبب المباشر لتركها واهمالها واندثارها ، وذلك حينما ظهر الخوارج في مكة بزعامة أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي الأباضي في سنة تسع وعشرين ومائة للهجرة (١٢٩هـ) فنهبت وأفل نجمها من وقتها .

وربما كانت هي السوق الأولى التي اضمحلت من بين الاسواق الموسمية العربية الأخرى ، قال الازرقي :

«كانت هذه الأسواق بعكاظ ومجنة وذي المجاز قائمة في الاسلام حتى كان حديثاً من الدهر ، فأما عكاظ فإنما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي الأباضي في سنة تسع وعشرين ومائة ، خاف الناس أن ينهبوا وخافوا الفتنة فتركت حتى الآن ، ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك واستغنوا بالأسواق بمكة ومنى وبعرفة» (٤١) .

مركزه الاقتصادي وأهميته التجارية

مثلت عكاظ سوق العرب ومعرضهم الكبير في الجزيرة العربية ، وشهرتها تكمن في صلاتها الواسعة في التجارة والصناعة مع أطراف (٤٢) الجزيرة العربية والبلاد المجاورة . فمن الشام كان يردها الزيت والزبيب (٤٣) والسلاح والخمر ، ومن اليمن (٤٤) كان يجلب اليها السمن والبرود (٤٥) الموشاة والادم (٤٦) ومن العراق كانت تقصدها تجارة البز

---

(٤٠) اخبار مكة ١٩٠/١ ، معجم مااستعجم ٩٥٩/٣، شفاء الغرام ٢٨٣/٢، بلوغ الأرب ٢٧٠/١

(٤١) اخبار مكة ١٩٠/١، وأنظر كذلك بنفس النص شفاء الغرام ٢٨٢/٢ – ٢٨٣

(٤٢) موقع عكاظ ص٨

(٤٣) تاريخ الرسل والملوك ٥٣٦/٢، الاغاني ٢٠٧/١٥ في سيرة الزبيب بعكاظ، اسواق العرب ص٢٧٧ – ٢٧٨

(٤٤) التوحيدي الامتاع والمؤانسة ٨٥/١

(٤٥) البرود جمع برد بالضم ثوب مخطط وقيل البرد معروف من برود العصب والوشي ، تاج العروس مادة برد ٢٩٧/٢

(٤٦) معجم البلدان ١٤٢/٤

(٤٧) الاغاني ٦٢/٢٤

والعطر والالطاف ، ومن عدن كان مصدر الطيب وانواع الغالية وفوق ذلك كله كان يباع فيها الحرير والوكاء والبرود من القصب والوشي والحذاء والمسير (٥٠) والعدني (٥١) وغيرها من انواع التجارات .

ومن عموم مشاركة القبائل في عكاظ بسبب توافق موسمها مع مواسم الحج وشيوع الأمن بينها ، قال ابن عبد ربه (٥٢) «كانت العرب تجتمع فيها للتجارة والتهيء للحج من أول ذي القعدة الى وقت الحج ويأمن بعضها بعضاً ، بل كان يحضرها التجار (٥٣) في تجارتهم وكذلك من لم يكن ذو تجارة ولابيع .

وبسبب أثر عكاظ التجاري في حياة العرب الاقتصادية قبل الاسلام بصفته متجراً لهم(٥٤)فقد كرهوا (٥٥) وتأثموا بعد ظهور الاسلام من تعاطي التجارة في مواسم الحج من سوق عكاظ وغيرها من الاسواق ، حتى تبين لهم عدم تعارض تعاليم الاسلام وهذا الاتجاه بقوله تعالى :

«ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فاذا افضتم من عرفات» (٥٦) .

ويرى البعض من المحدثين (٥٧) في سعة تجارة عكاظ وتنوعها مالم يتوفر في غيرها من الاسواق كسوق مجنة أوذي المجاز ، بسبب قربها من مكة التي عرف أهلها بالتجارة ، ولأنها تقع خارج حدود الحرم ، فضلا عن انعقادها في ذي القعدة وهو في حرمته لا يصل الى ذي الحجة شهر المناسك .

---

(٤٨) الامتاع والمؤانسة ٨٤/١، صححه أحمد أمين وأحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف ، والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٢/١٩٥٣

(٤٩) الأغاني ٥٧/٢٢

(٥٠) المسير : ثوب به خطوط من القز والحرير ونحو ذلك ، تاج العروس مادة سير ٢٨٧/٣

(٥١) العدني : نوع من الثياب تنسج بنيسابور ، تاج العروس مادة عدن ٣٧٥/٩

(٥٢) العقد الفريد ٢٥٣/٥

(٥٣) اخبار مكة ١٨٨/١ ، وبنفس المعنى شفاء الغرام ٢٨٢/٢

(٥٤) معجم ماستعجم ٩٦٠/٣

(٥٥) معجم ماستعجم ٩٦٠/٣

(٥٦) سورة البقرة الآية (١٩٨) وقد قرأها ابن عباس : «ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج ورضوانا» (معجم ماستعجم ٩١/٣

(٥٧) في منزل الوحي ص٣٩١

أما بخصوص صلات عكاظ التجارية مع أطراف الجزيرة العربية والوطن العربي الأخرى ، فإن الموارد التاريخية تتحدث عن ذلك بشكل تتميز فيها عكاظ عن غيرها من (٥٨) الأسواق الموسمية العربية .

فمن اهتمامات ملوك الأطراف بسوق عكاظ ، ان ملك اليمن كان يبعث (٥٩) بالسيف الجيد والحلة الحسنة لمن تميز بالعز من سادات العرب ، زيادة في شرفه حتى يفد عليه ليحسن صلته وجائزته . وتأكيداً لصلة ملوك اليمن بسوق عكاظ أن صلةً (٦٠) لأحدهم قد بيعت فيه ، وان حكيم بن (٦١) حزام إشتراها واهداها إلى الرسول الكريم (ص)

بل أن رواية فيها من الدلالة باهتمام اهل اليمن عامة – فضلاً عن ملوكهم – بسوق عكاظ وتجارته ، لأنه سبيلهم في بيع بضائعهم وشراء سلع العراق والشام ومصر ، قال المرزوقي (٦٢)

«فلما دخلت خمس وثلاثين من عام الفيل حضر السوق من نزار واليمن ما لم يروا انه حضر مثله في سائر السنين ، فباع الناس ما كان معهم من إبل وبقر ونقد وابتاعوا امتعة مصر والعراق والشام» .

---

(٥٨) بلغ مجموع الاسواق الموسمية العربية المشهورة ستة وعشرون سوقاً ، للتفاصيل يراجع يراجع أسواق العرب ص٢١٧ – ٢٢٧

(٥٩) الأزمنة والامكنة ١٦٥/٢

(٦٠) قيل ان صاحب الحلة الملك ذي يزن للتفاصيل يراجع ابن عساكر : تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤١٤/٤ – ٤١٥ المثنى بترتيبه وتصحيحه الشيخ عبد القادر افندي بدران مطبعة روضة الشام ١٣٣٢هـ

(٦١) هو حكيم بن حزام بن خويلد وهو ابن أخي خديجة زوجة الرسول (ص) اشتهر بالتجارة ومعرفة الانساب وعمل البر ومساعدة الفقراء قيل أنه توفي سنة ٥٠،٥٤،٦٠هـ انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤١٣/٤،أبن عبد البر : الاستيعاب في اسماء الاصحاب ٣٢٠/١، ابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ٣٤٩/١ط١الكشيخانة الخديوية مصر ١٣٢٨هـ وبهامشه الاستيعاب

(٦٢) الأزمنة والامكنة ١٦٨/٢

أما ملوك الحيرة في العراق فقد حفلوا بتجارة عكاظ بشكل خاص ، حيث عرف عن النعمان بن المنذر انه (٦٣) يبعث إلى سوق عكاظ في كل سنة بلطيمة (٦٤) في جوار رجل من أشراف العرب ، يجيرها له حتى هناك ويشتري له بثمنها من أدم الطائف مما كان يحمل إلى عكاظ ليباع فيها حتى قيل «اديم عكاظي» (٦٥) فضلاً عن غيره من السلع الأخرى.

وفيما نعتقد انه بسبب اهمية اللطيمة الاقتصادية والاجتماعية لمن يجيرها في حياة العرب كانت (٦٦) سبباً في حرب الفجار الثاني بين كنانة وهوازن حينما تنافس عليها البراض بن قيس التمري من كنانة مع عروة الرحال من هوازن .

ومما تميزت به عكاظ في تجارتها أنها لم يكن فيها عشور أومكس كما لم تكن فيها خفارة كالذي عرفته بعض الاسواق العربية الاخرى، فعدم توفر المكس(الجباية وهو مايأخذه العشار) يعني أنها كانت في ملك أهلها وبذمتهم ،فليس لاصحابها(٦٧)من هوازن وحلفائها أو حكومتها (٦٨) من بني تميم شأن أو حاجة في جباية الضرائب من الباعة ، ولعل مرد ذلك – فيما نرى – يعود الى قدرتهم المالية ورغبتهم في المحافظة على قيمة سوقهم ، التجارية وتعزيز مكانتها بين القبائل ليزداد روادها مما يكسبها الأمن والاستقرار لتتضاعف الارباح .

ولعل عدم وجود الخفارة في هذه السوق يمكن تفسيره بأن اصحاب السوق من قبيلة هوازن وحلفائها عرفوا من بين القبائل العربية بشدة بأسهم وشجاعتهم فمن المعروف ان هوازن كانت الطرف (٧٠) المستديم لحروب الفجار الأول والثاني بل

(٦٣) الاغاني ٥٧/٢٢، العقد الفريد ٢٥٣/٥
(٦٤) اللطيمة : عير كانت تخرج من العراق فيها البز والعطر والالطاف (الهدايا والتحف)وغيرها وغيرها من أموال التجارة ، الاغاني ٦٢/٢٤
(٦٥) معجم البلدان ١٤٢/٤
(٦٦) المحبر ص ١٩٥ – ١٩٦، الاغاني ٥١/٢٢ وما بعدها العقدالفريد ٢٥٣/٥ ومابعدها
(٦٧) المحبر ص٢٦٧، الازمنة والامكنة ١٦٥/٢ – ١٦٦
(٦٨) صفة جزيرة العرب ص٢٦٣
(٦٩) الازمنة والامكنة ١٦٧/٢، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦٥٣/٥ – ٦٥٤
(٧٠) التفاصيل في ذلك يراجع الاغاني ٥٤/٢٢ ومابعدها ، العقد الفريد ٢٥١/٥ ومابعدها

أنها وحلفاءها كانت من اكثر القبائل تعنتاً (٧١) في مواجهة الاسلام حتى بعد الفتح لكل ذلك كانت سوقهم في عكاظ حمىً لم تخشاها وتهابها القبائل الأخرى ، فلم تعد – والحالة هذه – حاجة لخفارة السوق وحراستها بسبب حالة الأمن المتوفرة فيها ، مما جعلها تمثل – في مواصفاتها هذه ان صح التعبير – سوقاً حرة للقبائل العربية .

ويروي لنا وهب بن منبه في هذا الجانب عن سطوة هوازن وهيبتها ،حينما طرد عبدالله بن جدعان التيمي القرشي(٧٢)مائة ناقة لكلاب بن ربيعة من هوازن أرسل هذا الى قريش يقول :

«ان سفيهكم اغار علي فطردنا (٧٣) مئة ناقة فليس لكم أن تشهدوا عكاظ ولي لديكم وترة » (٧٤) .

ولأ همية عكاظ في حياة قريش الاقتصادية والتجارية فكرت بقتل ابن جدعان ، لأنها لاتستطيع ان تستغني عن حضور عكاظ ، وبسبب ذلك هرب ابن جدعان مختفياً ولم يمر حتى اعاد ما أخذه من النوق لكلاب بن ربيعة .

والبيع في عكاظ بالسرار ، قال محمد بن حبيب البغدادي :

«كان يهمهم بها السرار ، فإذا وجب البيع وعند التاجر الف رجل فمن يريد الشراء ولا يريده فله الشركة في الربح» (٧٥) .

ويوضح المطرزي هذا النوع من البيع بقوله : «وفي المنتقى بيع السرار أن تقول : أخرج يدي ويدك فإن اخرجت خاتمي قبلك فهو بيع بكذا ، وان اخرجت خاتمك قبلي فبكذا ، فإن أخرجا معاً أو لم يخرجا جميعاً عادا في الأخراج» (٧٦) .

(٧١) ابن هشام : السيرة النبوية ٦٠/٤ تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ١٩٧٤ ، تاريخ الرسل والملوك ٧٠/٣ ، ابن كثير :مختصر السيرة النبوية ص٣٨٩ ، اختصار وشرح محمد علي قطب ط١ دار المسيرة للطباعة، بيروت ١٩٨٢ /١٤٠٣

(٧٢) ترجم له بالاغاني ٣٢٧/٨

(٧٣) لعلها لطرد لنا

(٧٤) التيجان في ملوك حمير ص٢١٠ وبنفس الفصل انظر ابن الحائك الهمداني : الاكليل ٦٢/٨ تحقيق نبيه امين فارس ، برنستن ١٩٤٠

(٧٥) المحبر : ص٢٦٧ ، وكذلك الازمنة والامكنة ١٦٥/٢

(٧٦) المطرزي : المغرب في ترتيب المعرب ٢٤٩/١ ط٢ دائرة المعارف النظامية الحند ١٣٢٨هـ أسواق العرب ص٥٤

بينما يظن المستشرق كرنكو (٧٧) في تفسيره لهذا البيع ، ان أمر البيع والشراء كان سراً لاجتماع القبائل التي بينهم عداوات ودماء في هذه السوق ، والراجح ان المعنى اللغوي (٧٨) لهذا البيع هو طريقه في التفسير .

ولعل شيوع عادة القناع (٧٩) بين معظم أشراف القبائل القادمين إلى عكاظ مخافة الأسر يشير إلى هذا الاتجاه من الكتمان والسر في البيع .

ومهما يكن معنى بيع السرار في عكاظ ، فالظاهر ما اورده صاحب المحبر ، ان البيع يقع في الاتفاق بين الطرفين البائع والمشتري . وفي حالة توفر راغب آخر في الشراء ورجوع الطرف الثاني عن الشراء ، يشترك الطرف الأول (البائع) والثاني في اقتسام الارباح المتحققة من الطرف الثالث . وهي حالة تتمثل فيها منفعة متوازنة تدل على التعادل الاجتماعي في البيوع واخيراً نشير إلى مكانة عكاظ المتميزة في الحياة الاقتصادية العربية. بصفتها مكاناً تتمون منه القبائل حاجاتها من الغذاء ، فقد روي « ان ركباً من عبد القيس مر بأبي سفيان فقال لهم : اين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : فلم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها اليه وأحمل لكم ابلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ اذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم » (٨٠) .

وفي هذا النص اشارة واضحة إلى تكافؤ سوق عكاظ مع سوق المدينة المنورة في سد حاجة القبائل العربية في التزود بالميرة .

دوره الثقافي وأهميته الأدبية :

عرف عن عكاظ أنها كانت المنتدى الثقافي والادبي لدى الخطباء والشعراء والادباء والمحكمين ، الذين يرون فيها منبرهم ووسيلة اعلامهم بين القبائل العربية فيما تجود به قرائحهم من الشعر والأدب والحكمة للفخر بأيامهم ومآثرهم .

---

(٧٧) حاشية رقم (٢) من أسواق العرب ص٥٤

(٧٨) السدار : مصدر مسارته من السر ، الفراهيدي : كتاب ١٨٩/٧ مادة سر ، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي ، وزارة الاعلام ١٩٨٤

(٧٩) الازمنة والامكنة ١٦٦/٢ بلوغ الأرب ٢٦٧/١

(٨٠) تاريخ الرسل والملوك ٥٣٦/٢، وبنفس النص الاغاني ٢٠٧/١٥

قال المرزوقي في توضيح ذلك : «كانت بعكاظ منابر في الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد مآثره وأيام قومه من عام إلى عام ، فيما أخذت العرب أيامها وفخرها» (٨١) .

ومن الخطباء الحكماء في الموعظة الذين عرفت لهم عكاظ شواهد لن تنسى قس بن ساعدة بن عمرو الأيادي ، خطيب العرب وشاعرها وحليمها وحكيمها في عصره .

قال صاحب الاغاني : «ادركه رسول الله (ص) قبل النبوة ورآه بعكاظ ، فكان يأثر عنه كلاماً سمعه منه ، وسئل عنه فقال : «يحشر أمة واحدة» (٨٢) .

وقيل (٨٣) : «لما قدم وفد إياد على النبي (ص) قال : ما فعل قس بن ساعدة ؟

قالوا : مات يا رسول الله . قال : «كأني انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أورق (٨٤) وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة وما أجدني احفظه .

فقال رجل من القوم : أنا احفظه يا رسول الله قال : كيف سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول :

أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج وسماء ذات أبراج ، بحار تزخر ، ونجوم تزهر ، وضوء وظلام ، وبر وآثام ، ومطعم ومشرب وملبس ومركب ، مالي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا . وإله قس بن ساعدة ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد اظلكم زمانه وادرككم أوانه فطوبى لمن ادركه فأتبعه ، وويل لمن خالفه ، ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

---

(٨١) الازمنة والامكنة ٢/١٧٠
(٨٢) الاغاني ١٥/٢٤٦
(٨٣) الاغاني ١٥/٢٤٦ – ٢٤٧
(٨٤) الاورق من الأبل ما في لونه بياض الى سواد ، تاج العروس مادة ورق ٧/٨٧

فقال النبي (ص) : يرحم الله قساً ، اني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده ، (٨٥) أما الشعر فعكاظ مكان الجديد والرصين منه ، حيث يتفاخر (٨٦) الشعراء بشعرهم في أغراضه المختلفة ، ذلك انه لم يكن مجمع للعرب أحفل من عكاظ بل هي مما يضرب (٨٧) بها المثل بكثرة أهلها . ان الشعر فيها يقتضي شيوعه بين القبائل فلاسبيل — والحالة هذه — الا لأحسنه قولا ومعنى .

ومن هنا كانت سوق عكاظ ميداناً للمعلقات (٨٨)السبع افتخاراً بفصاحتها وجودتها مثلما افتخر (٨٩) بنو تغلب في معلقة عمرو بن كلثوم التي أنشدها في عكاظ ، بل أن المساجلة الشعرية بين حسان بن ثابت وامية بن خلف الخزاعي وجدت في عكاظ منبراً يكفل أشاعتها بين القبائل ، فاستنجد كلاهما بعكاظ في شعره :

قال أمية :

ألا مــن مبلــغ حسان عني مغلغلة تدب الى عكاظ

وقال حسان :

سأنشر ان بقيت لكم كلاماً ينشر في المجنة مع عكاظ
قوافي كالسلاح اذا استمرت من الصم المعجرفة الغلاظ

وفي أدب الحرب الذي شهدته أيام العرب في عكاظ أمثلة في الفخر والحماسة والتوثب

---

(٨٥) الأمة الامام وبه فسر ابوعبيدة الآية الكريمة وان ابراهيم كان أمة، وأيضاً الرجل الذي لانظير له ، وقال الفراء كان أمة أي معلماً للخير وبه فسر ابن مسعود ايضاً وأيضاً الرجل الجامع للخير ، تاج العروس مادة أمم ١٩٣/٨

(٨٦) الامتاع والمؤانسة ٨٥/١، تاج العروس ٢٥٤/٥، بلوغ الأرب ٢٦٧/١، دائرة معارف القرن العشرين ٥٣٥/٦، الوسيط في الادب العربي وتاريخه ص١٢–١٣، عكاظ، والمربد ص٢٣ – ٢٤ مجلة الرسالة العدد (١٣) شوقي ضيف: الادب العربي – العصر الجاهلي ص١٣٣ – ١٣٤،دار المعارف بمصر ١٩٦٠

(٨٧) أبو علي القالي: الامالي ٢٥٦/٢، دار الكتاب العربي بيروت

(٨٨) بلوغ الأرب ٢٦٧/١، محمد طلعت حرب: تاريخ دول العرب والاسلام ٩٨/١،ط مطبعة جريدة ترك القاهرة ١٣٢٢/١٩٠٥

(٨٩) الاغاني ٥٤/١١، موقع عكاظ ص١٠ ، أسواق العرب ص٣٤٠

(٩٠) للاستزادة من الشعر يراجع تاج العروس ٢٥٣/٥ – ٢٥٤ مادة عكظ

أنشدها (٩١) الشعراء من مختلف القبائل المتحاربة اشتهر منهم في حرب الفجار الأول بدر بن معشر الكناني والاجيمر بن مازن الهوازني وفي الفجار الثاني عرف خداش بن زهير الهوازني ولبيد بن ربيعة والبراض بن قيس الكناني وضرار بن الخطاب الفهري وعبد الله بن الزبعري والحارث بن كلدة الثقفي وجذل الطعان والشويعر الليثي (ربيعة بن علس) وأمية بنت عبد شمس وغيرهم .

ولاشك ان انعقاد مجالس تحكيم الشعر في عكاظ تعد من ابرز مزايا رعاية عكاظ للشعر والشعراء ، وقد أشارت الموارد التاريخية الى هذا الجانب من من خلال ماروي عن مجالس النابغة الذبياني التحكيمية (٩٢)

قال صاحب الاغاني : «كان يضرب للنابغة قبة من أدم بسوق عكاظ متأتية الشعراء فتعرض عليه أشعارها (٩٣) .

وقد اشتهر في هذا الجانب تحكيم (٩٤) النابغة الذبياني بين الأعشى (٩٥) وحسان(٩٦) بن ثابت والخنساء (٩٧)

كما شهدت سوق عكاظ لوناً أخر من الشعر يحكي مباراة (٩٨) الشعراء وفخرهم في مصائبهم ومراثيهم لأحبتهم وذويهم ، فيما عرفت العرب للخنساء هودجها وقد تسوم براية في عكاظ وهي تقول «أنا اعظم العرب مصيبة» (٩٩) بفقدها أبيها عمرو بن الشديد وأخويها صخر ومعاوية .

---

(٩١) يراجع الاغاني ٢٢/٥٤ – ٧٥، أنعقد الفريد ٥/٢٠١ – ٢٦٠ للاطلاع على ادب الحرب في أيام العرب

(٩٢) هو أبو أمامة زياد بن معاوية انظر بترجمته الاغاني ١١/٣ ومابعدها

(٩٣) الاغاني ١١/٦

(٩٤) الاغاني ١١/٦

(٩٥) وهو أبو بصير ميمون بن قيس في جندل انظر بترجمته الاغاني ٩/١٠٨ ومابعدها

(٩٦) يراجع بترجمته الاغاني ٤/١٣٤ ومابعدها

(٩٧) وهي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشديد يراجع بترجمتها الاغاني ١٥/٧٦ وما بعدها

(٩٨) الاغاني ٤/٢١٠ – ٢١٢

(٩٩) الاغاني ٤/٢١١

غير ان هند بنت عتبة فيما أصابها بعد معركة بدر طلبت ان يقرن جملها بجمل الخنساء في عكاظ لتتعاظم بمصيبتها بمقتل أبيها عتبة بن ربيعة وعمها شيبة بن ربيعة وأخيها الوليد وقد أنشدت كلتيهما فخراً بما أصابها فقالت الخنساء :

أبكي أبي عمراً بعين غزيـــرة … قليل إذا نام الخلي هجودهـــا
وصنوي لا أنسى معاويـــة الـذي … له من سراة الحرتين وفودها
وصخراً ومن ذا مثل صخر إذا غدا … بساهمة الآطال قُبّاً يقودهـــا
فذلك ياهند الرزيـــة فاعلمـــي … ونيران حَرب حين شبّ وقودها

فردت هند عليها بقولها:

أبكي عميد الابطحين كليهمـــا … وحاميهما من كل باغ يريدهـا
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمـي … وشيبة والحامي الذمار وليدهـا
اولئك ال المجد من ال غالب … وفي العز منها حين ينمى عديدها

وفي عكاظ تعقد مجالس الحوار والمناظرة الادبية واختبارات الذكاء في حسن الجواب ، وسرعة البديهة . فقد روى لنا ابن قتيبة مجلساً في الحوار دار بين رجل واحدى بنات الخس اللائي عرفن بذكائهن في معان مختلفة من الاسئلة المتقابلة قال السائل لابنة الخس : « اني اريد أن أسألك » ، قالت : هات ، قال : كاد ، فقالت المتعل يكون راكباً ـ قال كاد قالت : الفقر يكون كفراً . قال : كاد ، قالت : العروس تكون ملكاً ـ قال : كاد ، قالت : النعامة تكون طائراً ـ قال : كاد ، قالت : السرار سحراً .

ثم قالت للرجل : أسألك؟ قال : هاتي : قالت ، عجبت ، قال : للسباخ لاينبت كلؤهـا ولايجف ثراها، قالت، عجبت ، قال للحجارة لايكبر صغرها ولايهرم كبيرها ...» (١٠٠)
ويروي لنا طيفور مجلساً آخر بين الغلمس الكتابي وابنتي الخس جمعه وهند لاختبار قدرتهما في اللسان والبيان والمعرفة، وقد شملت اسئلته لهما عن الأبل والخيل والمعزى والسحاب والرجال والنساء ، وتحددت تلك الاسئلة فيما هو أحب اليهما وابغض هذه الامور

ابتدأ بقوله : « اني سائلكما لأعلم ايكما أبسط لساناً واظهر بياناً واحسن للصفة أتقاناً قالتا سلنا عما بدا لك فستجد عندنا عقولاً زكية وألسنة قوية وصفة جلية » ثم انشدتاه في الحكم وتجارب الحياة في حوار لطيف وحديث مسهب ختمه بقوله :

(١٠٠) ابن قتيبة : عيون الاخبار ٢/٢١٤، دار الكتاب العربي بيروت

وأحسنتما واجملتما فبارك الله فيكما ووصلهما وحياهما ، (١٠١)

وبالرغم من اهمية الدور الثقافي والادبي الذي نهضت به عكاظ ، فإن بعض الباحثين المحدثين يفترقون في ذلك ويقفون منه موقفاً مختلفاً .

فمنهم (١٠٢) من يرى ان ظهور عكاظ يقترن بدورها اللغوي والادبي ، حيث يجتمع فحول الشعراء والفصحاء والبلغاء من أهل العربية لابداء نتائج افكارهم واظهار محاسن فصاحتهم وبلاغتهم . بينما يعتقد (١٠٣) البعض الآخر من هؤلاء ان النشاط الادبي والشعري في عكاظ مرده التنافس التجاري ، الذي قد يدفع إلى الخلافات والخصومات و بين القبائل ، مما يثير الجدل والفخر والنزاع والحرب في كثير من الأحيان .

وحينما تنتهي الحرب يصلح الحكماء والشعراء بين المتخاصمين من القبائل بخطبهم شعرهم من أجل ان يعود الأمن والسلام إلى الجزيرة لتتصل التجارة ويعم الرخاء ، دون التقصد والتباهي باظهار بلاغتهم وفصاحتهم ، أو الاهتمام بأقامة سوق لها .

ولما كانت سوق عكاظ تنعقد في موعد معين من السنة فالخصومات تتصل في كثير من الاحيان على السنين . وحيث ان للدعاية امضى اسلحة الخصومة ، والشعر اقوى سلاح للدعاية عند العرب ، وفي عكاظ يذاع الشعر وتتناقله الناس .

واني لأرى انه اذا كان البعض من الباحثين قد أخذ على غيره من المعنيين تصورهم الواسع عن دور عكاظ الادبي واللغوي ، فإنهم وقعوا بنفس المنظور من الجانب الآخر ، حينما جردوا عكاظ عن مواسمها الادبية والشعرية ، موقفين هذه الحال على أوقات

---

(١٠١) زيادة في الاطلاع على مجلس الحوار يراجع ، طيفور : بلاغات النساء ص٥٨ – ٦٤، صححه احمد الألفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول القاهرة ١٩٠٨/١٣٢٦والخس بالضم هو بن حابس بن قريط الايادي وقال صاحب تاج العروس : الصواب أن الخس المشهورة بالفصاحة واحدة وهي من بني أياد واختلفت في اسمها فقيل هند وقيل جمعة مادة خس ١٣٧/٤، انظر بلوغ الأرب ٣٣٩/١، ٣٤٢ والقلمس تعني الرجل الخير المعطاء وهو ايضاً السيد العظيم وهو الرجل الداهية المفكر البعيد الغور والقلمس هو ابو ثمامة جنادة بن امية من بني المطلب كناني من نسأة الشهور ، تاج العروس ١٢٢/٤مادة «قلس» وأنظر بلوغ الأدب ٢٣٥/١

(١٠٢) تاريخ دول العرب والاسلام ٩٧/١، محمد رشدي : مدينة العرب في الجاهلية والاسلام ص٥٩، مطبعة السعادة مصر ١٩١١/١٣٢٩

(١٠٣) في منزل الوحي ص٣٩٢

الخصومة والحروب – فهم والحالة هذه – قد اصابوا من جانب واخفقوا من جانب آخر .

وفي العموم يمكن ان نستخلص مما تقدم من نشاطات عكاظ الادبية في مجالس التحكيم والمفاخرة في الشعر والحوار الادبي ، ان لعكاظ دوراً في اللغة والادب والشعر والحكمة يعانق دورها التجاري ويتوازن معه ، ذلك انه اذا كان اثر عكاظ في التجارة ينحصر في تنشيط وتنمية الحالة الاقتصادية للقبائل المشاركة فيها ، فإن اثرها الادبي أسهم إلى حد بعيد في توحيد لهجات القبائل العربية قبل نزول القرآن الكريم بأكثر من قرن وهيأت لقريش خاصة تلك الزعامة والتحكم في اللغة والانتقاء فسلمت من عيوب اللهجات . بل ان سوق عكاظ في مواسمها الادبية ساعدت في نماء (١٠٥) ونضوج لغة العرب وأدبهم وغذت افراد المجتمع العربي بتربية سليمة ونافعة من خلال تعدد القيم السلوكية في اغراض الشعر والادب وشيوعها بين القبائل عن طريق الرواية والحفظ التي طبع عليها العرب في جزيرتهم .

المعطيات الاجتماعية والدينية في عكاظ

اصطلح على سوق عكاظ بأنها المعرض العام للعرب قبل الاسلام يحتوي نتاجهم الاقتصادي في التجارة والصناعة ، وكذلك مجمعهم الادبي في اللغة والشعر والحكمة ، فضلاً عن كونها ملتقاهم في (١٠٦) فداء الأسرى والأغاثة لظلاماتهم .

كما كانت عكاظ مورد الميرة لمن أرادها، ومكان الضالة التي يلتمس صاحبها وجودها بين معروضاته . وفي عكاظ يلقى القاصد (١٠١) في ثأره مقصودة، والأسير محررة، وصاحب البر ثوابه ، وأهل المكارم خلودهم وشهرتهم ، وان بعدت مواطنهم وتناءت مساكنهم وحيث ان الصفحات المشرقة – وهي ماتهتم به – من عكاظ ترجح في كفتها على غيرها من السلبيات والمآخذ مما يتصل بالمجتمع العربي قبل الاسلام ، فسأضرب أمثلة في بعض ماشهدت عكاظ للدلالة والاعتبار .

---

(١٠٤) الوسيط في الادب العربي وتاريخه ص١٣، دائرة معارف القرن العشرين ٥٣٦/٦

(١٠٥) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي ٣٩/٣ مطابع دار مكتبة الحياة بيروت .

(١٠٦) الامتاع والمؤانسة ٨٥/١

(١٠٧) تاريخ التمدن الاسلامي ٣٨/٣، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ص١٢ – ١٣

١ – عتق الرقاب

يجد المستغيث من يغيثه في عكاظ والملهوف مبتغاه ، حيث يتبارى العرب في أسداء المعروف وعمل البر والصالحات ،ولعل الأسير هو من اكثر الناس شوقاً للحرية ورغبة في العودة للأهل والوطن.بقي ان نتصور مبلغ هذا الشعور لديه اذا انقطعت السبل به لغربة أولفقر أو الحاجة جاء في الاغاني ان قيساً بن(١٠٨)عاصم المنقري أغار على بني مرة بن عوف بن ذبيان ، فأصاب أسرى منهم ،ومن بينهم رجلاً من هوازن أسمه عامر كان في جوارهم ففدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم،وتركوا الموازني فأستغاث أخوه عمرو بوجوه بني مرة، فلم يغيثوه ، فركب الى موسم عكاظ فأتى منازل مذحج ليلاً فنادى

دعوت سناناً(١٠٩)وابن عوف وحارثاً(١١١) وعانيتُ دعوى بالحصين(١١٢) وهاشم(١١٣)
أعيرهم في كل يوم وليلة بترك أسير عند قيس بن عاصم
حليفهم الأدنى وجار بيوتهم ومن كان عما سرهم غير نائم
فصموا وأحداث الزمان كثيرة وكم في بني العلات (١١٤) من متصامم
فياليت شعري من لاطلاق علة ومن ذا الذي يحظى به في المواسم

وصادف قيس بن عبد يغوث المرادي الملقب بالمكشوح وقص عليه قصته ، فقال المكشوح:

«والله ان قيس بن عاصم لرجل ماقارضته معروفاً قط ، ولاهولي بجار ، ولكن اشتر أخاك منه وعليّ الثمن ، ولايمنعك غلاؤه » .

ثم التقى من بعده بعمرو بن معد يكرب فقال له مثل ذلك : ولما أخبرة بمقوله قيس المكشوح، أمره بمن بدأ به فتركه .

---

(١٠٨) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس التميمي ، الاغاني ٦٩/١٤

(١٠٩) هوسنان بن أبي حارثة

(١١٠) هوالحارث بن عوف من زعمابني مرة ، الاغاني ١٧/١٢

(١١١) هو الحارث بن ظالم

(١١٢) هو الحصين بن الحمام بن ربيعة (مانع الضيم) الاغاني ١/١٤

(١١٣) هو هاشم بن حرملة ، الاغاني ١٧/١٢

(١١٤) بنو العلات : بنو أمهات شتى ومن أب واحد

(١١٥) هو أبو ثور عمر وبن معد يكرب فارس اليمن ، الاغاني ٢٠٨/١٥

وانتهى به سعيه الى يزيد بن عبد المدان ، وبعد أن استمع لقصته قال له : « مرحباً بك وأهلا أبعث الى قيس بن عاصم ، فأن وهب لي أخاك شكرته . والا أغرت عليه حتى يتقيني بأخيك فأن نلتها والا دفعت اليك كل أسير من بني تميم بنجران فاشتريت بهم أخاك . » .

ثم بعث يزيد بن عبد المدان برسول وابيات من الشعر الى قيس بن عاصم يستحثه على أطلاق سراح الهوازني ويذكره بمعاناة أخيه ، فرحب قيس بن عاصم واستعد لتلبية طلب سيد مذحج . غير أن الحاضرين من بني تميم أبوا ذلك ورأوا فيها فرصتهم للابتزاز — وحال قيس بن عاصم شراء الأسير منهم فأغلوه عليه فتركه بين أيديهم وبعث الى يزيد يخبره ، وأعلمه أن الأسير الهوازني في يد رجل من بني سعد.وان ليس له عليه حيلة ، فأرسل يزيد الى السعدي : « أن سر الي بأسيرك ولك فيه حكمك » .

فأتى به السعدي يزيد بن عبد المدان ، فقال له : احتكم .

فقال : مائة ناقة ورعاؤها . فقال له يزيد : انك لقصير الهمة قريب الغنى جاهل بأخطار بني الحارث . أما والله لقد غبنتك يأخا بني سعد ، ولقد كنت أخاف أن يأتي ثمنه على جل أموالنا ... واعطاه ما احتكم .

فجاوره الاسير وأخوه حتى ماتا عنده بنجران . (١١٦) .

وفي رواية صاحب الاغاني هذه مايغني عن التعليق ، فهي صورة سامية من النخوة العربية والغوث والجود فيما ابدى زعماء مذحج أستعدادهم لفداء الأسير بالمال أو المقايضة أوالقتال ، وتلك سبل سامية في الشجاعة والاغاثة تحققت فيها قضية أنسانية .

٢ — مكارم الاخلاق

ترددت في عكاظ أصداء مواقف خالدة تنم عن فخر واعتزاز وشهامة ، منها ماروي عن الشاعر عامر بن الطفيل العامري ان له منادياً ينادي في عكاظ « هل من راحل فنحمله أوجائع فنطعمه ، أوخائف فنؤمنه » (١١٧) وهو واحد من منادين كثيرين قائمين وطوافين. وفي ذلك أبعاد أخلاقية تستحق كل تقدير كما تشير في الوقت ذاته الى شجاعة وكرم صاحبها. وفي جانب أخر يتخلى العربي في الصحراء من ضرورات حياته الاقتصادية القاسية في الثأر والاغارة ، ليستجيب الى نداء الوجدان والقيم العربية الانسانية ، فيما يروي من

(١١٦) يراجع تفاصيل الرواية الاغاني ١٢م١٦ — ١٩
(١١٧) تاريخ دول العرب والاسلام ٩٩/١

اجتماع (١١٨) نفر من العرب في عكاظ . منهم قرة بن هبيرة القشيري في سنين تتابعت في القحط على الناس فتواعدوا وتوافقوا ألايغير بعضهم على بعض حتى يخصب الناس .

وحينما تكثر جنايات الشخص وتجاوزاته ويخرج من العادة والتقليد والقيم تعمد قبيلته الى خلعه في عكاظ لتبرأ من اعماله وافعاله

قال صاحب الاغاني في ترجمته لقيس بن الحداديه :

«شاعر من شعراء الجاهلية وكان فاتكاً شجاعاً صعلوكاً خليعاً ، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعها إياه، فلاتحتمل جريرة له، ولاتطالب بجريرة يجرها أحد عليه»(١٢٠)

وفي هذا تحديد لمسؤولية الفرد والقبيلة وبراءة من أعمال للشر والسوء التي يقترفها الفرد بدافع شخصي وذاتي ، فليست لقبيلته ومجتمعه يدفي ذلك وهذا الحال يمثل صورة اجتماعية لحماية المصلحة العامة من الأثرة الفردية أما الخيانة والغدر فانها عار على الفرد مابعده عار وقد وقف العرب منها في عكاظ موقفاً مبدئاً رافضاً لاعودة عنه ، لأنها لاتنسجم مع طبيعة العربي في الوفاء والاخلاص والشجاعة والتسامح .

وقد روت لنا كتب التاريخ الشيء الكثير من صور الأمانة والوفاء (١٢١) بالعهد كان بعضها مسبباً في اقتحام اصحابها مصاعب ومحن لحمت بهم وبقبائلهم وسجلت بعض هذه المواقف(١٢٢) منعطفات تاريخية رسخت قيم المجد والسيادة والدفاع عن الوطن في مقاومة الغزاة الطامعين من الفرس .

وفي عكاظ كان الموقف من الغادر المقاطعة الشاملة، فلا بيع ولامصاهرة ولاالتقاء به بل يلعن ويرجم.قال المرزوقي(١٢٣) :«اذ غدر الرجل أوجنى جناية عظيمة انطلق احدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاظ ، فيقوم رجل يخطب بذلك الغدر فيقول : ألا أن فلان بن فلان

---

(١١٨) الاغاني ٢٤٠/١٥

(١١٩) هو قيس بن فنقذ بن عمرو الخزاعي والحدادية امة الاغاني ١٤٤/١٤ وما بعدها .

(١٢٠) الاغاني ١٤٥/١٤

(١٢١) في وفاء السموئل انظر الاغاني ١١٧/٢٢

(١٢٢) في وفاء بني شيبان للنعمان بن المنذر واعلانهم الحرب على الفرس وانتصارهم بمعركة ذي قار ومقالة الرسول الكريم (ص) فيها : «هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا» انظر التفاصيل تاريخ الرسل والملوك ١٩٣/٢ ، الأغاني ٥٣/٢٤

(١٢٣) الأزمنة والامكنة ١٧٠/٢

غـدر فأعـرفوا وجهة ولاتصاهـروه ولاتجالسوه ولاتسمعوا منه قولاً فإن اعتبروا لاجعل له مثل مثاله في رمح فنصب بعكاظ فلعن ورجم ، وهو قول الشماخ .

ذعـرت بـه القطـا ونفيت عنـه   مـقـام الـذئب كالرجـل اللعـين»

ومن الامثلة على ذلك، راية الغدر التي رفعتها كنده لعامر بن جوين بن عبد الرحمن عقاباً لفعلاته بامريء القيس في وجوده لقيصر الروم .

٣ — دعوة التوحيد :

استمعت القبائل العربية في عكاظ الى دعوات التوحيد ونبذ الشرك ، من خلال الخطب والمواعظ التي القاها قيس بن ساعدة الأيادي وغيره من الموحدين العرب . ثم تشرفت عكاظ بالرسول الكريم (ص) الذي شهدها في ثلاث مناسبات ، الأولى اثناء حرب (١٢٤) الفجار وعمره — على أرجح (١٢٥) الروايات — أربع عشرة سنة وكان يناول عمومته النبل . وشهدها في المرة الثانية (١٢٦) في العام الذي خطب فيه قس بن ساعدة خطبته المشهورة واعجب بها معنى ولفظاً .

وبعد البعثة النبوية الشريفة لم ينقطع الرسول الكريم (ص) عن عكاظ بل كان يعرض نفسه على القبائل في المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز بعد جهره بالدعوة الاسلامية لمدة عشر سنين وهو في مكة ، يسأل القبائل في منازلها ويقول يأيها الناس « قولوا لا إله إلا الله تفلحو وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجم » (١٢٧) ولكنه لم يؤمن بدعوته الا

---

(١٢٤) قال النبي (ص) «شهدت الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة ، وكنت انبل على عمومتي». يريد اجمع لهم النبل ، الجاحظ البيان والتبيين ٥/٤ دار الفكر بيروت ١٩٦٨ ، الأغاني ٥٦/٢٢

(١٢٥) قيل في بعض الروايات انه شهد حرب الفجار وعمره الشريف عشرون سنة أو ثمان وعشرون سنة ، الأغاني ٥٦/٢٢ ، ٧٣ .

(١٢٦) الاغاني ٢٤٦/١٥ ، معجم مااستعجم ٩٦٠/٣

(١٢٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٤٥/١ بعناية ادوارد سنحو ليدن ١٩١٧ ، المقدسي : البدو والتاريخ ١٦٤/٤ بعناية كلمات هور باريس ١٨٩٩ ، الروض المعطار ص ٤١١–٤١٢ ، أخبار مكة : ٢٠٥/٢–٢٠٦، أبو نعيم الاصفهاني : دلائل النبوة ١٠٠/١–١٠١ ط مطبعة دائرة المعارف الهند ١٣٢٠هـ .

القليل (١٢٨) ولم يجد من العرب في المواسم الا الصدود بفعل ملاحقة قريش وتأثيرها على القبائل .

هذا غيض من فيض مما شهدته عكاظ من المآثر والمواقف عبر سني وجودها قبل الاسلام وبعده .

واذا كان خلود عكاظ يعلل في قربها من مكة المكرمة وو رود الحجيج اليها قبل بدء شعائر الحج وتشرق اسمها بأخبار الرسول الكريم(ص)وكونها سوق مكة وتجارة قريش ، فضلا عن وقوعها في أرض يتكلم أهلها باللغة التي نزل بها الوحي ، هذه الاسباب وغيرها جعلت عكاظ بالغة الاهمية في الشؤون الدينية واللغوية والتجارية من حياة العرب قبل الاسلام لذلك فاختفاء هذه السوق وغيرها من الاسواق العربية الموسمية يحتاج الى تفسير يراه بعض الباحثين بالاسباب التالية :

١ — تحديد مواقيت الحج بعد ظهور الاسلام مما جعل الناس يذهبون الى مكة بالوقت المناسب ويتاجرون فيها دون الحاجة الى الذهاب لتلك الاسواق فضلا من ان قدسية عكاظ الدينية تضاءلت ازاء قدسية مكة المكرمة وانتهت بظهور الاسلام الذي أزال الاصنام والانصاب .

٢ — زيادة أهمية المدينة المنورة بهجرة الرسول (ص) اليها ووفاته بها واتخاذها عاصمة للدولة العربية الاسلامية وقاعدة لحركة التحرير والفتوح العربية وكل ذلك قلل من شأن مكة المكرمة التجارية .

٣ — هجرة المسلمين من مكة المكرمة الى المدينة المنورة في حياة الرسول الكريم (ص) ومن ثم أشتغالهم بعد وفاته الى المدن والامصار الاسلامية المختلفة واشتغالهم بمختلف المهن والاعمال، مما نشط كل مدينة بأسواقها ولم تعد الحاجة الى اقامة أسواق موسمية كما كانت عليه حال العرب قبل الاسلام .

٤ — أبطال الاسلام لشريعة الاشهر الحرم زادت من مخاطر الطرق مما جعل زوار هذه الاسواق يخشون على حياتهم واموالهم ، فضلا من ان استعمال الطريق المباشر للهند عبر الخليج العربي عوضاً عن الطريق المار عبر الصحراء العربية زاد من اضمحلال تلك الاسواق .

---

(١٢٨) تاريخ الرسل والملوك ٣١٥/٢ في ايمان عمرو بن عتبة ، دلائل النبوة ١٠١/١ في ايمان شيخ بني عامر بن صعصعة .

٥ — صعوبة الوصول الى تلك الأسواق بالطرق البرية بعد الانتشار الواسع للمسلمين في الجهات المختلفة كان هو الاخر من اسباب ضعف تلك الاسواق وقلة شأنها . (١٢٩) .
ومع انني ارى الوجاهة فيما تقدم من العوامل في تقليل ظاهرة اختفاء الاسواق الموسمية العربية ، لكنه مما يثير التساؤل ان تندثر سوق عكاظ بوقت معين أثر حدث طارىء يتمثل بظهور الخوارج الاباضية في مكة عام تسع وعشرين ومائة من الهجرة ، فتنحسر القبائل عنها ، وكأن احداث الخوارج في تلك السنة قد أقامت سداً منيعاً قطع الماء عن وديان عكاظ وحجب السامع والمال عن سوقها والبلاغة والادب عن مجالسها .

فكيف يفسر ذلك ؟ ونحن نعلم من صمود هذه السوق خلال حرب الفجار التي اتخذت من عكاظ واطرافها ساحة لها .

وعليه فاننا نخلص الى القول ، بأن تفسير نهاية هذه السوق بسبب ظهور الخوارج ، الاباضية يحتاج الى أدلة مقنعة ، ونعتقد بأن هناك جملة من الاسباب الاخرى تضاف الى هذا السبب تتعلق بالظروف العامة التي مرت بها الدولة الاموية وهي تجتاز أصعب مراحلها التاريخية قبل سقوطها في مواجهة الفتن والمشاكل والحركات منها الدعوة العباسية التي يتوافق اعلانها في ولاية المشرق مع زوال سوق عكاظ .

اضافة الى ذلك فأنه من الممكن ان نقول ان الاسواق الموسمية العربية مثلت مظهراً من مظاهر الحياة العربية لفترة تاريخية معينة ، انتهت (١٣٠) بزوال تلك المرحلة لتبدأ مرحلة اخرى من التاريخ العربي الاسلامي بظروف جديدة ، تختلف بأهتماماتها العامة عن الفترة السابقة ، حيث نشأت المدن والامصار الجديدة ، ومنها بغداد (١٣١) عاصمة الخلافة العباسية التي استقطبت سبل الحضارة العربية الاسلامية في المجالات المختلفة الاقتصادية والعلمية والأجتماعية .

---

(١٢٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٣٨٥/٧–٣٨٦ ، عكاظ والمربد ص٢٥ الرسالة عدد ١٣ دائرة المعارف الاسلامية / النسخة العربية ٣٨٣/١٢ .

(١٣٠) يستثنى من ذلك تمام سوق المربد في البصرة ، وهي السوق التي استطاعت ان تمزج فـين حضارة العرب قبل الاسلام وبعده ، معجم البلدان ٩٧/٥ ، عكاظ والمربدص٢٥–٢٦ مجلة الرسالة العدد ١٥ وص ٢١–٢٢ العدد ١٦ : السنة الأولى ١٩٣٣ .

(١٣١) في اسواق بغداد واصنافها ، انظر اليعقوبي : البلدان ص٢٤٦ ليدن ١٨٩١ .

(أ) – المصادر والمراجع من الكتاب

١ – ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٠م –١٣٨٥هـ .

٢ – ابن الحائك الهمداني: صفة جزيرة العرب ، ليدن، مطبعة برل ١٨٨٤ .
الاكليل ح٨ تحقيق نبيه امين فارس ، برنستن ١٩٤٠ .

٣ – ابن حجر العسقلاني: الاصابة في تمييز الصحابة، ط١ الكتبخانة ، الخديوية مصر ١٣٢٨هـ وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر.

٤ – ابن خرداذبة: المسالك والممالك ، ليدن برل ١٨٨٩ .

٥ – ابن سعد: الطبقات الكبرى ح١ بعناية ادوارد سنحو ليدن ١٩١٧ .

٦ – ابن عبد ربه :العقد الفريد، شرحه ،احمد امين وجماعته ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٢ – ١٣٧٢ .

٧ – ابن قتيبة الدينوري: عيون الاخبار، دار الكتاب العربي، بيروت .

٨ – ابن كثير، مختصر السيرة النبوية ، اختصار وشرح محمد علي قطب ط١ دار المسيرة للطباعة بيروت، ١٩٨٢ / ١٤٠٣ .

٩ – ابن هشام : السيرة النبوية ح٤، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة ١٩٧٤ .

١٠ – ابو علي القالي: الامالي دار الكتاب العربي بيروت.

١١ – ابو الطيب الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، دار أحياء الكتب العربية ١٩٥٦.

١٢ – ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني بتحقيق علي السباعي وجماعته وبأشراف محمد ابو الفضل ابراهيم، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.

١٣ – ابو نعيم الاصبهاني: دلائل النبوة ط١ مطبعة دائرة المعارف الهند ١٣٢٠هـ .

١٤ – ارسلان الأمير شكيب: الارتسامات اللطاف، صححها محمد رشيد رضا ط١ مطبعة المنار مصر ١٣٥٠هـ .

١٥ – الازرقي : اخبار مكة تحقيق رشيد الصالح ملحق ط٢ مطابع دار الكتب مكة المكرمة ١٩٦٥ – ١٣٨٥ .

١٦ ـ الاسكندري وعناني : الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ط٢ مطبعة المعارف مصر ١٩٢١ ـ ١٣٣٩ .

١٧ ـ الافغاني سعيد : أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ط٢ مطابع دار الفكر دمشق ١٩٦٠ / ١٩٧٩ .

١٨ ـ الألوسي: بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، نشرة محمد بهجت الأثري ط٢ المطبعة الرحمانية، مصر ١٩٢٤ ـ ١٣٤٢.

١٩ ـ البغدادي محمد بن حبيب : المحبر، تصحيح شتيتر مطبعة دائرة المعارف الهند ١٩٤٢ ـ ١٣٦١.

٢٠ ـ البكري : معجم مااستعجم تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٩ ـ ١٣٦٨.

٢١ ـ التوحيدي: الامتاع والمؤانسة: صححه: احمد أمين واحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر والقاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٧٣ .

٢٢ ـ الجاحظ : البيان والتبيين ، دار الفكر بيروت ١٩٦٨ .

٢٣ ـ حرب محمد طلعت : تاريخ دول العرب والاسلام ط٢ مطبعة جريدة الترك القاهرة ١٩٠٥ ـ ١٣٢٣.

٢٤ ـ الحميري: الروض المعطار في خير الاقطار ، تحقيق د. أحسان عباس ، دار القلم ، لبنان ١٩٧٥ .

٢٥ ـ رشدي محمد : مدينة العرب في الجاهلية والاسلام ، مطعة السعادة ، مصر ١٩١١/١٣٢٩ .

٢٦ ـ الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية مصر ١٣٠٦هـ

٢٧ ـ زيدان جرجي : تاريخ التمدن الاسلامي ، مطابع دار مكتبة الحياة بيروت

٢٨ ـ السهيلي : الروض الأنف ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل ، طبع دار النصر ، القاهرة ١٩٦٩/١٣٨٩

٢٩ ـ ضيف شوقي : تاريخ الادب العربي ـ العصر الجاهلي ـ دار المعارف مصر ١٩٦٠

٣٠ – الطبري : تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف مصر ١٩٦١

٣١ – طيفور : بلاغات النساء ، صححه احمد الالفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ، القاهرة ١٩٠٨/١٣٢٩

٣٢ – عزام د. عبدالوهاب : موقع عكاظ ، دار المعارف مصر : ١٩٥/١٣٦٩

٣٣ – علي د. جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط١ دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٠

٣٤ – القيومي : المصباح المنير ، تصحيح الشيخ حمزة فتح‌الله ومراجعة الشيخ محمد حسنين القمراوي ط٦ المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٢٦

٣٥ – المرزوقي : الازمنة والامكنة ، مطبعة دائرة المعارف الهند ١٣٦٢

٣٦ – المطرزي : المغرب في ترتيب المعرب ، ط١ دائرة المعارف الهند ١٣٢٨

٣٧ – المقدسي : البدء والتاريخ ، بعناية كلمان هور باريس ١٨٩٩

٣٨ – منبه وهب : التيجان في ملوك حمير ، ط١ دائرة المعارف الهند ١٣٤٧

٣٩ – هيكل محمد حسن : في منزل الوحي ، ط٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٢

٤٠ – اليعقوبي : التاريخ ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٩٦٤/١٣٨٤

——— البلدان ، ليدن ١٨٩١

(ب) المجلات ودوائر المعارف

١ – دائرة المعارف الاسلامية / النسخة العربية ج١٢

٢ – دائرة معارف القرن العشرين ط٢ لسنة ١٩٢١

٣ – مجلة الرسالة المصرية العدد ١٢ ، ١٣ ، ج١ ، ١٦ لسنة ١٩٣٣ السنة الأولى

الدكتور عبدالحسين مهدي الرحيم
كلية التربية
جامعة بغداد

دراسة تحليلية للاملاء في المدارس الشعبية

د. مجيد مهدي
جامعة الموصل / كلية التربية

الفصل الاول

أهمية البحث والحاجة اليه :

تأثرت حياة الانسان المعاصر بمختلف جوانبها بالثورة العلمية التكنولوجية التي نعيشها اليوم ، حتى صارت مصلحة المجتمع تقتضي نشر التعليم بين افراده وتخليصهم من الامية فأصبح من الواضح ان التعليم له دور فعال في عمليات التنمية لما يحققه من عائد كبير في عمليات نشر الافكار والمعرفة اللازمة للتقدم. فتعليم افراد المجتمع يؤدي الى زيادة فعاليتهم في عملية التواصل الانساني ويبصرهم بما يجري حولهم من تطورات واحداث ، فقد وجد ان هناك ارتباطا عالياً قدره (٠و٩١) بين عدد المتعلمين في المجتمع وبين التحضر والمشاركة السياسية واستلام المعلومات (٢٢ص: ١٥٣) .

وثمة امر ضروري لنمو وتطور الانسان الا وهو تكامل اشكال التعبير والتواصل المتنوعة في استلام المعلومات ، فالانسان باعتباره كائنا اجتماعيا يجب ان يكون قادرا على التواصل والتفاهم من جميع النواحي مع غيره من بني جنسه.

وتعتبر اللغة وسيلة مهمة واساسية في عملية التواصل الانساني ، فقد خدمت الانسان ووجوده حيث زودت الاجيال الانسانية بالمعرفة والتقدم والتطور وحفظت تراثه وحضارته وثقافته وحققت له المنزلة العليا بين الكائنات الاخرى ..

فاللغة لاتمثل الجانب المركزي للتواصل الانساني فحسب بل تعد عاملا اساسيا في تواصل الانسان مع ذاته فتطور النظام الرمزي للتفكير عند الانسان يعتمد الى حد بعيد على اللغة فقد اشار Hoyakawa على ان تسعة اعشار التفكير على الاقل هو حديث الى الذات (١٩ ص ٦).

والمتفق عليه ان اللغة تتألف من اربعة فنون، وهي أدوات مهمة في اتمام عملية التواصل والتفاهم من جميع نواحيها وتعتبر الكتابة واحداً من هذه الأدوات فاذا كانت القراءة احدى نوافذ المعرفة وفن من الفنون اللغوية التي يطل منها الانسان على نتائج الفكر البشري، فالكتابة تعتبر «مفخرة العقل الانساني»، بل اعظم ماانتجه العقل. وكثير من يعتبرها من اهم المخترعات التي توصل اليها الانسان لانها فتحت سبيلا تقدمياً وعلمياً وحضارياً في حياة البشرية حيث تعتبر وسيلة المجتمع الانساني في تسجيل تراثه وتدوين معارفه ونقل علومه وافكاره من جيل الى جيل (٨ص ١٢٧).

وازاء اهمية الكتابة في عملية الاتصال والتنمية الانسانية، فقد احتلت مركزا مهماً في اهداف الحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي في العراق، وهذا يتضح بجلاء من خلال تعريف المستوى الحضاري الذي تبنته الحملة والتي تسعى لتحقيقه والذي هو امتلاك الفرد مهارات القراءة والكتابة والحساب على ان تكون هذه المهارات وسيلة لتطوير مهنته ورفع مستوى حياته ثقافيا واجتماعياً من ناحية، ولتمكينه من ممارسة حقوق المواطنة والتزاماتها (٤).

ويعتبر الإملاء اساسا مهماً في عملية التعبير الكتابي، ذلك ان الهدف من الكتابة هو نقل الافكار من الكاتب إلى القارىء بصورة فعالة، فمن الممكن في بعض الاحيان احداث عملية اتصال بين الكاتب والقارىء بالرغم من احتواء بعض الكلمات على اخطاء املائية، الا أن مثل هذا التواصل يعد عملية في مستوى ضعيف من الفعالية، يشوبها شيء من الخلل والتعطيل.

فوجود بعض الاخطاء الاملائية يشوه الكتابة، ويذهب بصحة الكلمة وربما الجملة، فتسبب صعوبة القراءة فيضيع، الفهم، ويستعصي على القاريء ادراك المضمون بل قد يفهم المقروا فهما معاكساً اما اذا ماكتبت الكلمات والجمل كتابة سليمة خالية من الاخطاء الاملائية فعملية الكتابة في هذه الحالة تمثل تجربة ناجحة في اتمام عملية التواصل.

ومما يزيد من اهمية الاملاء، ان الكتابة الصحيحة الخالية من الاخطاء الاملائية تعطي الفرد الثقة بالنفس والاستقلالية، وتعتبر عاملا اساسياً في نجاح الفرد في حياته المهنية والاجتماعية

(١٤ص٣٩٢) لقد اشارت عدد من البحوث الى الارتباط العالي بين القدرة على الاملاء وكل من القراءة والخط والكلام فقد وجد في احدى الدراسات، ان معامل الارتباط بين درجات القراءة ودرجات الاملاء (٠,٦٣) (٢٠ص٦) وهذا يعني ان الطالب عندما يكون جيداً في القراءة يكون جيداً في الاملاء ايضاً كما وجد ايضاً ان التحسن بالقراءة يؤدي الى تحسن في الاملاء (٢١ص٣٢) . ذلك ان القراءة والكتابة عمليتان مترابطتان ومتصلتان معاً فالقراءة ترجمة رموز مكتوبة الى الفاظ والكتابة هي على العكس التعبير عن الالفاظ برموز مكتوبة .

وكثيراً ماذكر بان الخط يعتبر أحد العوامل المؤثرة في الاملاء ذلك ان الخط والاملاء مرتبطان ، فاذا كانت غاية الاملاء تدريب المتعلمين على الكتابة بصورة صحيحة فأن الخط يكمل هذه الناحية ويجعل الكتابة واضحة جميلة تسهل قراءتها وفهمها (٢ص١٧٣). كما لوحظ ان التحصيل في الاملاء يتأثر بصعوبات الكلام فقد وجد ان التحسن والتطور في استخدام اللغة الفصيحة يؤدي الى نمو القدرة في الاملاء (٢٠ص٦) .

لقد نال موضوع الاملاء اهتماماً كبيراً خاصة في البلاد المتقدمة ، فقد نشرت موسوعة البحث التربوي الصادرة في ١٩٦٠ عدداً من البحوث في الاملاء بلغت ٢١٧ بحثاً وهذا العدد من البحوث يعكس حجم الاهتمام حول هذا الموضوع (١٦ص١٣٣٧) كما نشرت موسوعة البحث التربوي الصادرة في ١٩٧٨ عدد آخر من البحوث التي جرت على الاملاء ، حيث بلغت ١٢١ بحثاً (١٧ص١٧٥٨) من هذه البحوث ، بحث يهدف للتعرف على الاخطاء الاملائية التي يقع فيها المتكلمون في اللغة الفرنسية . ويقوم البحث على اختبار للاملاء وهو عبارة عن قائمة تتألف من ١٩ كلمة ، قدمت الى مجموعة من الاطفال اختيروا من الصف الاول والثاني والثالث والرابع وقد اظهرت الدراسة والتي حللت وفقاً للتصنيف المطبق على اللغة الانكليزية ، ان الاخطاء الاملائية للاطفال الاصغر عمراً تختلف عن اخطاء الاطفال الاكبر عمراً (١٤ص٣٩٢٤) .

وفي دراسة أخرى والتي كانت تهدف الى تشخيص الاخطاء الاملائية في كتابة الاطفال في الولايات المتحدة ، أخذت عينة تتألف من ٧٥ طفلا من الصف الاول ، وقد قسمت الى ثلاث مجموعات وفقاً لثروتها اللغوية ، وقد اظهرت النتائج ان معظم الاخطاء الاملائية عند جميع المجموعات كانت من نمط الاضافة والحذف ، وان ٨٠٪ من هذه الاخطاء تتعلق بحروف العلة (١٣ص١٨٤٠) .

وقد لخص Patton انماط الاخطاء الاملائية الشائعة في اللغة الانكليزية في المرحلة الابتدائية من خلال مراجعته لعدد من الدراسات وقد اوضح، Patton انماط الاخطاء الاملائية والتي من بينها :

١ – اللفظ الخاطيء .

٢– عدم التميز بين الكلمات المتماثلة لفظاً

٣ – الاشتقاقات غير الدقيقة

٤ – عدم التمييز بين الكلمات المتماثلة في اللفظ والكتابة والمختلفة في المعنى

٥ – حذف اوادخال الحروف الصامتة

٦ – استخدام حروف خاطئة بدلا من اصوات حروف العلة (١٨ص٢١٦ – ١٩)

أما بحوث الاملاء في اللغة العربية فهي قليلة اذا ما قورنت بما نشر من بحوث في املاء اللغة الانكليزية . ومن الدراسات التي تناولت الاخطاء الاملائية في اللغة العربية دراسة يوسف في ١٩٧٦ في الاردن، حيث تهدف الى تحسين كتابة التلاميذ في موضوع الاملاء ومعرفة مقدار هذا التحسن من خلال مقارنة درجات تحصيل التلاميذ قبل التدريب وبعده. وقد اجريت الدراسة على تلاميذ الصف الثاني الابتدائي . وقد اظهرت نتائجها انماط الأخطاء الاملائية الاتية التي وقع فيها التلاميذ .

١ – ضعف التمييز بين بعض الحروف

٢ – ضعف التمييز بين الحركات من جهة وبين الحركات والحروف من الجهة الأخرى

٣ – حذف بعض الحروف اثناء الكتابة .

٤ – ضعف الاهتمام بترتيب الحروف اثناء الكتابة .

وقد اقترح الباحث عدداً من الحلول كوسائل علاجية لهذا النمط من الاخطاء الاملائية (١٠ص٤٣ – ٤٦) .

كما ان هناك دراسة ظهرت في العراق في ١٩٧٩ تناولت موضوع الاملاء في اللغة العربية لطلاب للصفوف الرابعة والخامسة والسادسة الابتدائية من البنين والبنات في بغداد وكانت الدراسة تهدف لمعرفة الاخطاء الاملائية الشائعة لدى تلاميذ الصفوف الثلاثة الاخيرة من المرحلة الابتدائية واسباب هذه الاخطاء والمقترحات اللازمة لعلاجها وقد استخدم الباحث

اختباراً عبارة عن قطعة املائية اشتقت كلماتها من الكتب المدرسية للتلاميذ وقد أظهرت الدراسة عدداً من الاخطاء الاملائية وقع فيها التلاميذ من بينها

١ – كتابة الهمزة باشكالها
٢ – كتابة التاء
٣ – الالف المقصورة والممدودة
٤ – كتابة الحركات
٥ – كتابة الظاد والضاد
٦ – اسقاط بعض الحروف من الكلمات

وقد ذكر الباحث عدداً من الاسباب والمقترحات لهذه الاخطاء الاملائية (٩) .

ان معرفة الاخطاء الاملائية للدارسين في الصف السادس في المدارس الشعبية كما ونوعا يعتبر امرا ضروريا وحاجة قائمة يجسدها شكوى العاملين العاملين في هذه المؤسسات التربوية من وجود هذه الظاهرة ، ولذلك فان هذا النمط من المشكلات بحاجة الى دراسات وبحوث متعمقة للوقوف على مسبباتها واقتراح الحلول اللازمة لعلاجها، وتقديمها للمعلمين لتكون اداة نافعة بيدهم في تحسين طرق تدريسهم في الاملاء ، ولرفع كفاءة وفاعلية الدارسين في عمليات التواصل من خلال مواجهة اخطائهم الاملائية وتحسين كتابتهم فضلا عن ذلك فان تشخيص الاخطاء الاملائية ومعرفتها تعد عملية مفيدة في انتقاء الكلمات الملائمة للدارسين عند تأليف الكتب المدرسية للصف السادس في المدارس الشعبية.

أهداف البحث :

يهدف البحث الاجابة على السؤالين الاتيين:

١س: ماهو تحصيل الدارسين في الاملاء في الصف السادس في المدارس الشعبية ؟وهل هناك فروق ذات دلالة احصائية في هذا التحصيل نتيجة للجنس والعمر؟

٢س: ماهي انماط الاخطاء الاملائية التي يقع فيها الدارسون في الصف السادس في المدارس الشعبية؟

حدود البحث :

يقتصر البحث على دراسة املاء الدارسين في الصف السادس في المدارس الشعبية في محافظة نينوى من النساء والرجال للسنة الدراسية ١٩٨٥ – ١٩٨٦.

تعريف المصطلحات :

١ ــ الاملاء :

الاملاء من المفاهيم التي عرفت كثيراً فقد عرفه Wyld بانه تدوين عدد من الحروف بشكل مرتب للتعبير كتابة عن كلمة معينة (٢٣) .. كما عرفه الغلاييني بانه تصوير اللفظ بحروف هجائه التي ينطق بها، وذلك بان يطابق المكتوب المنطوق من الحروف (٧ص ١٣٩).

٢ ــ الكلمة الصحيحة :

الكلمة الصحيحة هي الكلمة التي يكتبها الدارس كتابة صحيحة خالية من اى نمط من انماط الاخطاء الاملائية في اللغة العربية التي حددها الباحث في بحثه.

٣ ــ التحصيل :

التحصيل هو عدد الكلمات الصحيحة التي يكتبها الدارس نتيجة لاستجابته لاختبار الاملاء الذي اعده الباحث .



الفصل الثاني
منهجية البحث

العينة

استخدم الاسلوب العشوائي في اختيار اربعة مدارس شعبية الاولى هي المدرسة الشعبية لامرية موقع الموصل ، وقد اختيرت من مجموع مدرستين شعبيتين للرجال في مدينة الموصل يتواجد فيها عدد كاف من الدارسين وبصورة مستمرة ومما يجدر ذكره ان سبب اختيار مدرسة شعبية واحدة للرجال يعود الى ظروف الحرب التي يعيشها قطرنا ، والتي أدت الى صعوبة الحصول على عدد كاف من الدارسين ..

اما المدارس الشعبية الثلاث الباقية فهي مدارس شعبية للنساء والتي تتميز بانها كثيرة ومنتشرة في ارجاء محافظة نينوى لذلك اختار الباحث واحدة من مركز مدينة الموصل والثانية من ناحية حمام العليل والثالثة من قرية العريبج ..

لقد أخضع للدراسة جميع الدارسين والدارسات والبالغ عددهم ١٣١ في المدارس الشعبية الاربعة المارة الذكر والجدول رقم (١) يبين اسماء هذه المدارس الشعبية ونوعها وموقعها وخصائص العينة .

بناء اداة البحث :

لما كان البحث الحالي يهدف الى التعرف على تحصل الدارسين في الاملاء لذا فان استخدام الاختبار كأداة بحث يتلاءم مع هذا الغرض ونظراً لعدم توفر اختبار في الاملاء للدارسين في المدارس الشعبية فقد قام الباحث ببناء اختبار لاغراض هذا البحث يتألف من ٤٠ كلمة أخذت من كتاب القراءة العربية للصف السادس في المدارس الشعبية وهذا الاجراء يتماشى مع ماشار اليه عدد من المقتصدين لموضوع الاملاء حيث انه لامانع من اختيار كلمات الاختبار من الكتب المدرسية المقررة (٣ص٢٧٣) وقد استخدمت الخطوات الاتية في عملية الاختيار .

١ ــ قام الباحث بتقسيم كتاب القراءة العربية للصف السادس في المدارس الشعبية الى ثلاثة اجزاء متساوية تقريبا وفي ضوء الاخطاء الاملائية التي كثيرا مايقع فيها الطلاب والتي ظهرت في عدد من الأدبيات (١)، (٥)، (٦) ، (٩)، (١٠) أخذت من كل جزء احدى وعشرون كلمة وبذلك يكون مجموع الكلمات المأخوذة من كتاب القراءة وفق

جدول رقم (١)

يبين اسماء المدرس الشعبية ونوعها وموقعها وعدد الدارسين فيها واعمارهم

ت	اسم المدرسة الشعبية	نوع المركز	الموقع	عدد الدارسين	العمر	
					٢٥ سنة فأقل	أكثر من ٢٥
١	امرية موقع الموصل	رجالي	مدينة الموصل	٦٤	٤١	٢٣
٢	الجزائر	نسائي	مدينة الموصل	٣٩	٢٧	١٢
٣	حمام العليل	نسائي	حمام العليل	١٣	١٠	٣
٤	العريبج الثانية	نسائي	قرية العريبج	١٥	٦	٩
	المجموع			١٣١	٨٤	٤٧

هذه الخطوة (٦٣) كلمة وقد روعي في عملية الاختيار ان تحتوى هذه الكلمات على اسماء وافعال وحروف وان تغطي جميع حروف اللغة العربية وحركاتها وانه يحتوي على كلمات فريدة ، كما روعي ان تغطي مستويات متباينة من الصعوبة من وجهة نظر الباحث نفسه وقد وضعت هذه الكلمات على شكل قائمه ، وهذا الاسلوب اى وضع الكلمات على شكل قائمة اسلوب شائع الاستخدام في اختبارات الاملاء لانه طريقة نافعة وفعالة (١٥ص ٤٢١)، كما تم وضع كل كلمة في جملة امامها لاضفاء معنى محدد لها ..

٢ — للتأكد من ان القائمة تضم كلمات صعبة ومتوسطة الصعوبة وسهلة وان هذه الكلمات معروفة للدارسين في معناها، وان الجمل المستخدمة كانت واضحة في معناها للدارسين عرض الباحث الكلمات المختارة والجمل على تسعة من المعلمين والمعلمات

العاملين في المدارس الشعبية في مدينة الموصل استضيفوا الى مديرية محو الامية في محافظة نينوى وبناء على استجاباتهم تم حذف ثلاث وعشرين كلمة اعتبرت غير مناسبة للدارسين وبذلك اصبحت القائمة تتألف من اربعين كلمة واربعين جملة، ويعتبر هذا العدد من الكلمات مناسباً لحجم عينة البحث الحالي فقد اشار (Greene) الى ان طول قائمة الكلمات يعتمد كثيرا على حجم العينة فاذا كانت العينة كبيرة الحجم ف(٢٥) كلمة يعتبر مناسباً اما اذا كانت صغيرة فيفضل ان يتراوح بين (٢٥) و(٥٠) كلمة (١٥ص ٤٢٠).

٣ ـ عرضت قائمة الكلمات والجمل على سبعة من الدارسين ثلاثة منهم من مدرسة فاضل الشكرة الشعبية للنساء والباقي من مدرسة الوطن الشعبية للرجال للتحقق من معنى الكلمات والجمل وصعوبتها وقد كانت استجاباتهم مماثلة لاستجابات المعلمين.

٤ ـ وبعد تحديد عدد الكلمات في القائمة ومستوى صعوبتها بات ضروريا تحديد سرعة الكتابة للدارسين لحساب معدل الوقت للحرف الواحد في الكلمة ولذلك استخدمت الطريقة الاتية في عملية الحساب .

اختير ثمانية دارسين اربعة منهم من مدرسة فاضل الشكرة الشعبية للنساء والباقي من مدرسة الوطن الشعبية للرجال وأملى عليهم الباحث خمس كلمات متباينة في طولها وباستخدام ساعة توقيت حسب الوقت الذي استغرقه كل دارس لكتابة الكلمة الواحدة بصورة منفصلة وبقسمة مجموع الوقت الذي استغرقه الدارس الواحد لكتابة الكلمات الخمس على مجموع حروف الكلمات الخمس امكن معرفة الوقت الذي استغرقه الدارس لكتابة الحرف الواحد.

ولغرض أستخراج معدل الوقت المصروف على الحرف الواحد لجميع الدارسين قام الباحث بتقسيم مجموع الوقت المصروف على الحرف الواحد لجميع الدارسين على ثمانية وكان الناتج ٢,٨ ثانية وقد فضل الباحث ان يكون (٣) ثوان تسهيلاً لعملية الحساب ، واستخدم هذا المعدل كأساس لحساب الوقت لاملاء كلمات القائمة ولذلك بدأت القائمة بالرقم ٦٠ ثانية لانه يمثل بداية الاملاء .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الرقم المثبت امام كل كلمة يمثل البداية والرقم التالي يمثل طول الوقت المقرر اعطاؤه لتلك الكلمة (ملحق رقم ١)

وبهذه الخطوات امكن التوصل الى أختبار صادق في قياس الاملاء للدارسين في الصف

السادس في المدارس الشعبية يتألف من قائمة كلمات مناسبة في طولها لهم ، ويوفر فرصاً كافية للدارسين لسماع كل كلمة فيها حيث تتكرر قراءتها ثلاث مرات من قبل الباحث قبل ان يكتبها الدارس .

طريقة تطبيق أداء البحث :

بدأت عملية تطبيق الاختبار خلال شهر حزيران ١٩٨٥ وكان الباحث قبل عملية التطبيق يقوم بقراءة التعليمات (ملحق رقم١) ويقدم شرحاً مفصلا عن طريقة الاجابة ويعرض عدداً من الامثلة وبعد أن يتأكد الباحث ان الدارسين اصبحوا على معرفة بهذه الطريقة يعد ساعة التوقيت لان يكون مقربها على درجة ٦٠ ويطلب من الدارسين الاستعداد لعملية الكتابة :

طريقة تحليل المعلومات وبناء التصنيف :

لغرض تحقيق اهداف هذه الدراسة فقد استخدم تحليل المحتوى طريقة لتحليل المعلومات التي تم الحصول عليها من تطبيق اختبار الاملاء وهذه الطريقة تتطلب وجود تصنيف لهذا الغرض ونظراً لعدم توفر تصنيف للاخطاء الاملائية في اللغة العربية حسب علم الباحث، قام الباحث ببناء تصنيف ملائم لاغراض بحثه وقد تم بناؤه وتطويره بعد الوقوف على طبيعة الاخطاء الاملائية المعروضة في بعض ادبيات الاملاء (١) ،(٥) ،(٦) ،(٩) ،(١٠) .

والوقوف على مدى ملائمة التصنيف بصيغته الاولية للبحث ووضوح تعاريفه ، فقد عرض على عدد من المختصين في اللغة العربية *وبعد اجراء بعض التعديلات عليه تم عرضه أيضاً على مجموعة تتألف من تسعة من المعلمين والمعلمات العاملين في المدارس الشعبية في مدينة الموصل استدعوا الى مديرية محو الامية في محافظة نينوى لابداء رأيهم في التصنيف وبعد استجابة المعلمين والمعلمات أصبح التصنيف بصيغته النهائية وكما يأتي :

(*) اسماء المختصين في اللغة العربية الذين عرض عليهم التصنيف بصيغته الاولية :

١ - الدكتور عبدالوهاب العدواني رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب

٢ - الدكتور عبدالوهاب الكحلة تدريسي في قسم اللغة العربية في كلية التربية

ت	انماط الاخطاء الاملائية	التعريف
١ –	الاعجام والاهمال	وهو حذف او أضافة نقطة او أكثر غير ملائمة لحرف من أحرف الكلمة مما يؤدي الى غموض أو تغيير في معناها.
٢ –	حذف أو أبدال الهمزة أو الحرف الملازم لها	وهو حذف أو تبديل الهمزة (غير همزة الوصل) في الكلمة أو الحرف الملازم لها
٣ –	أبدال حرف	وهو تبديل أحد أحرف الكلمة باخر بحيث يخل هذا التبديل بالصورة الصحيحة لكتابة الكلمة ولايشمل هذا التعريف الهمزة والحرف الملازم لها.
٤ –	حذف حرف	وهو حذف أحد أحرف الكلمة غير الهمزة والحرف الملازم لها بحيث يشكل حذفه أخلالا في الصورة الصحيحة للكلمة لفظاً وكتابة ويشمل هذا النمط حذف واو الجماعة والالف.
٥ –	أضافة حرف	وهو اضافة حرف آخر الى حروف الكلمة سواء اكان مماثلاً ام مغايراً او مقارباً ماعدا الهمزة والحرف الملازم لها
٦ –	تغيير جوهر الكلمة	وهو تغيير في الصورة الصحيحة للكلمة نتيجة وجود اكثر من نمط من انماط الاخطاء الاملائية فيها .

وحدة التحليل واسلوب التكميم :

لقد استخدمت الكلمة كوحدة في التحليل لانها الاسلوب الملائم في دراسة الاخطاء الاملائية وقد اعطى الباحث صفراً للكلمة المحذوفة اوالتي فيـها اي نمط من انماط الاخطاء الاملائية ودرجة واحدة للكلمة الصحيحة وعلى هذا الاساس فان تحصيل الدارس في الاملاء وهو عبارة عن درجة تمثل عدد الكلمات التي يكتبها الدارس بصورة صحيحة ولكون اختبار الاملاء يتألف من ٤٠ كلمة لذلك فدرجة ٤٠ تمثل الحد الاعلى لتحصيـل الدارس ودرجة صفر تمثل الحد الادنى لتحصيله .

الثبات :

لقد ذكر BerLson بان هناك طريقتين في حساب الثبات في طريقـة تحليل المحتوى وهما طريقة الاتساق بين المحللين وطريقة الاتساق عبر الزمن (١١ص٥١٤) وقد استخدمهما الباحث لحساب ثبات التصنيف وبالاسلوب الاتي :

١ — الاتساق بين المحللين

اختار الباحث (١٥) اجابة من اجابات الدارسين بشكل عشوائي وقدمها الى محللين خارجين بعد تحليلها من قبل الباحث نفسه وباستخدام معادلة Scott لحساب معامـل الثبات كان الاتفاق كاملاً بين تحليل الباحث لاجابات الدارسين على اختبار الاملاء وبين نتائج المحللين الخارجيـن لنفس الاجابات حيث كان معامل الاتفاق هو (١,٠)

٢ — الاتساق عبر الزمن

اختار الباحث (١٥) اجابة اخرى من اجابات الدارسين على اختبار الاملاء بشكل عشوائي وحللت هذه الاجابات من قبل الباحث مرتين يفصل بينهما ٢٥ يوماً وقد كان الاتفاق كاملا ايضاً بين نتائج التحليل للمحاولتين وفقاً لمعادلة scott حيث كان معامل الاتفاق هو (١,٠) وبهذه الاجراءات تأكد الباحث من ثبات تصنيف الاخطاء الاملائية في اللغـة العربية ووضوح تعاريفه ، وزادت قناعته بصدق التصنيف.

(*) والمحللان هما شوقي كريم وبدران محمود وهما من خريجي قسم العلوم التربوية والنفسية للعام الدراسي ١٩٨٤ — ١٩٨٥ ولهما خدمة تعليمية في التعليم الابتدائي ومحو الأمية

الوسائل الاحصائية

لقد استخدم الباحث الوسائل الاحصائية الاتية :

١ — معادلة scote لاستخراج الاتفاق بين المحللين والتعرف على ثبات التصنيف (١٩ص١٩٤ — ١٩٥).

٢ — المتوسط والانحراف المعياري لوصف البيانات (١٢ص٦٥).

٣ — الاختبار الثاني للتعرف على معنوية الفروق بين النساء والرجال وبين الذين اعمارهم ٢٥ سنة فاقل وأكثر من ٢٥ سنة في التحصيل (١٢ص١٦٨)

الفصل الثالث

ذكرنا في الفصل الاول ان البحث الحالي يهدف للاجابة على الاسئلة الاتية

١ — ماهو تحصيل الدارسين في الاملاء للصف السادس في المدارس الشعبية ؟ وهل هناك فروق ذات دلالة احصائية في هذا التحصيل تبعاً للجنس والعمر؟

٢ — ماهي انماط الاخطاء الاملائية التي يقع فيها الدارسون في الصف السادس في المدارس الشعبية؟

ولتحقيق هذه الاهداف سيحاول الباحث في هذا الفصل الاجابة عليها وذلك بتحليل نتائج كل هدف على حده وكما يأتي :

الهدف الاول

تشير النتائج الى ان متوسط تحصيل الدارسين في الاملاء كان (٢٣/٨٨) والانحراف المعياري (١٣/٤٣) كما ظهر ان ٥١/٤٣٪ من الطلاب حصلوا على اعلى الدرجات وان ٢٢/١٤٪ من الطلاب حصلوا على اوطأ الدرجات في الاملاء والجدول رقم (٢) يوضح نتائج التحصيل بشكل أكثر تفصيلا

جدول رقم (٢)

يبين فئات التحصيل في الاملاء وعدد الدارسين والانحراف المعياري والنسبة المئوية لتحصيلهم في كل فئة

ت	فئات التحصيل	عدد الدارسين	متوسط التحصيل	الانحراف المعياري للتحصيل	النسبة المئوية للتحصيل
١	٤٠ – ٣١	٥٧	٣٦/٣٣	٢/٨٢	٤٣/٥١
٢	٣٠ – ٢١	٢٧	٢٥/٥٩	٢/٦٥	٢٠/٦١
٣	٢٠ – ١١	١٨	١٥/٢٨	٣/٤٤	١٣/٧٤
٤	١٠ – ٠	٢٩	٣/٢٤	٣/٤٣	٢٢/١٤
	المجموع ٤٠ – ٠	١٣١	٢٣/٨٨	١٣/٤٣	١٠٠

ومن ملاحظة الجدول السابق يتضح ان اغلب الدارسين وبنسبة مئوية قدرها (٥٦/٤٩) كان تحصيلهم في الاملاء متدنيا حيث كان لدى كل منهم عشرة اخطاء املائية فاكثر وهذه النتيجة تشير بوضوح الى ما يعاني منه الدارسون من ضعف في الاملاء وقد يكون مرد ذلك الى جملة عوامل منفردة او مجتمعة يعود بعضها للدارس نفسه ومدى اتجاهه ودافعيته للتعلم وربما يعود بعضها الاخر للمعلم وطريقته في تشخيص ودراسة الاخطاء الاملائية عند الدارسين ومدى توفيره لفرص التدريب لمعالجة هذه الاخطاء وتجاوزها.

وللتعرف احصائياً على معنوية الفروق في تحصيل الدارسين تبعاً لمتغيري الجنس والعمر، استخدم الباحث الاختبار الثاني لهذا الغرض فكان قيمته (–٨/٢٤) بالنسبة للجنس و(٤/٦٠) بالنسبة للعمر وباختبار هذه النتائج ظهر ان لها دلالة احصائية عند مستوى ٠/٠١ والجدول رقم (٣) يوضح هذه النتائج.

جدول رقم (٣)

يبين نوع المتغير وعدد الدارسين في كل مستوى من مستويات المتغير والمتوسط والانحراف المعياري لتحصيل في كل مستوى والقيمة التائية

المتغير	مستويات المتغير	عدد الدارسين	متوسط التحصيل	الانحراف المعياري للتحصيل	القيمة التائية
الجنس	النساء	٦٧	١٦/١٨	١٢/٦٠	
	الرجال	٦٤	٣١/٩٤	٩/٠٨	•٨/٢٤ –
العمر	٢٥ سنة فأقل	٨٤	٢٧/٩٣	١١/١٢	
	اكثر من ٢٥ سنة	٤٧	١٦/٧٠	١٤/٥٢	•٤/٦٠

• ذات دلالة احصائية عند مستوى ٠/٠١

ونتائج الاختبار التائي الموضحة في جدول رقم (٣) تشير الى أن هناك فروقاً ذات دلالة احصائية لكل من متغيرى الجنس والعمر. فقد تفوق الرجال في تحصيلهم على النساء وقد يكون سبب ذلك كثرة اعباء المرأة في الاعمال المنزلية او في تربيتها لاطفال يؤدي الى انشغال المرأة فيعيقها عن حضور الدوام في المدارس الشعبية ويضعف دافعيتها لعملية التعليم مما يؤدي بالتالي الى ضعف تحصيلها المدرسي.

اما بالنسبة لمتغير العمر فقد تفوق الدارسون الاصغر عمراً (٢٥ سنة فاقل) في التحصيل في الاملاء على الدارسين الأكبر عمراً (اكثر من ٢٥سنة) ويمكن ارجاع سبب هذا التباين الى قلة مشكلات ومتاعب المسؤوليات العائلية لافراد المستوى الاول مقارنة بمشكلات، ومسؤوليات افراد المستوى الثاني وهذه الميزة توفر وقتاً للافراد الاصغر عمراً مما يجعلهم اكثر مواظبة على الدوام واكثر تحصيلاً في المدارس الشعبية

الهدف الثاني

كما هو واضح من عرض نتائج الهدف الاول فقد كان التحليل كمياً اما الهدف الثاني فقد حلل تحليلا نوعياً حيث عرضت انماط الاخطاء الاملائية لكل فئة من فئات تحصيل الدارسين والجدول رقم (٤) يبين هذه الاخطاء بشكل مفصل.

جدول رقم (٤)

يبين الاخطاء الاملائية لكل نمط وعددها والنسبة المئوية لجميع فئات تحصيل الدارسين في الاملاء:

ت	انماط الاخطاء الاملائية	فئة التحصيل ٤٠ – ٣١ الاخطاء الاملائية	العدد	النسبة المئوية	فئة التحصيل ٣٠ – الاخطاء الاملائية	العدد
١	الاعجام والاهمال	١ – باهين بدلا من [illegible] ٢ – ناقفة بدلا من ناقة ٣ – بصان بدلا من [illegible] ٤ – بنصات بدلا من [illegible]	٧	٢,٧٧	١ – نفس الأخطاء السابقة ٢ – اندين بدلا من الذين ٣ – آجر بدلا من آخر ٤ – حصر اوات بدلا من خضراوات	٤٣
٢	حذف أو ابدال الهمزة والحرف الملازم لها	١ – دوا بدلا من دواء ٢ – الروس بدلا من الرئيس ٣ – ملأئم بدلا من ملائم ٤ – مولم بدلا من مؤلم ٥ – [illegible] بدلا من [illegible] ٦ – لا [illegible] بدلا من [illegible]	٤٠	١٢,٦٩	١ – نفس الاخطاء السابقة ٢ – الرأيس بدلا من الرئيس ٣ – دوأ بدلا من دواء	٤٤

٢١	فئة التحصيل ٢٠ – ١١			فئة التحصيل ١٠ – ٨		
النسبة المئوية	الاخطاء الاملائية	العدد	النسبة الاملائية	الاخطاء الاملائية	العدد	النسبة الاملائية
٨,٩٤	١ – نفس الاخطاء السابقة	٣٥	١١,٨٦	١ – نفس الاخطاء السابقة	٧١	٧,٢٤
٩,١٥	١ – نفس الاخطاء السابقة	٣٢	١٠,٨٥	١ – نفس الاخطاء السابقة	٧٥	٧,٦٥



٣ – ابدال حرف	١ – الصدر بدلا من لصدر		١ – نفس الاخطاء السابقة	
	٢ – عصام بدلا من عظام		٢ – الاصباغ بدلا من الاصباغ	
	٣ – نافعت بدلا من نافعة		٣ – السدر بدلا من الصدر	٧٠
	٤ – بنظال بدلا من بنضال	٥٦ ١٧,٣٤	٤ – وطننه بدلا من وطننا	
	٥ – الاساغ بدلا من الاصباغ		٥ – سببهه بدلا من سببها	
	٦ – خظراوات بدلا من خضراوات			
	٧ – كالصيف بدلا من كالسيف			
	٨ – شميناً بدلا من ثميناً			
	٩ – فراقهم بدلا من فراغهم			
٤ – حذف حرف	١ – اشتهر بدلا من اشتهروا		١ – نفس الأخطاء السابقة	
	٢ – اشتهرو بدلا من اشتهروا		٢ – التجار بدلا من التجارة	
	٣ – كلسيف بدلا من كالسيف		٣ – منظم بدلا من منظمة	
	٤ – بلعين بدلا من بالعين		٤ – الاصبغ بدلا من الاصباغ	٩٧
	٥ – وسيل بدلا من وسيلة		٥ – كرامة بدلا من كرامته	
	٦ – اليل بدلا من الليل	٨٤ ٢٦,٠١		
	٧ – لصدر بدلا من الصدر			
	٨ – ثروة بدلا من ثروته			
	٩ – للصباغ بدلا من الاصباغ			

١٤,٨٦	١ – نفس الاخطاء السابقة	٤٢	١٤,٢٤	١ – نفس الاخطاء السابقة ٢ – رغيص بدلا من رخيص	٨٦	٨,٧٧
١٧,٢٠	١ – نفس الاخطاء السابقة ٢ – فر غمهم بدلا من فراغهم ٣ – لاصباغ بدلا من الاصباغ	٥١	١٧,٢٩	١ – نفس الاخطاء السابقة	١١٣	١١,٥٤



٥ – اضافة حرف	١ – الطيور بدلا من الطير ٢ – نافعين بدلا من نافعة ٣ – تمين بدلا من تمينا ٤ – بالأمير بدلا من بالأمير ٥ – بالعيني بدلا من ناحين ٦ – انتصرا بدلا من انتصر ٧ – انتصره بدلا من انتصر ٨ – استشهدا بدلا من استشهد ٩ – استشهدو بدلا من استشهد ١٠ – [illegible] بدلا من هذا ١١ – سببوها بدلا من سببها	٩٤ ، ٢٩ ، ١	١ – نفس الأخطاء الاملائية ٢ – التجارة بدلا من التجارة ٣ – الذينه بدلا من الذين ٤ – داواء بدلا من دواء ٥ – كرامته بدلا من كرامته ٦ – عملكك بدلا من عملك ٧ – ثروتهو بدلا من ثروته	١١٢
٦ – تغيير حروف الكلمة	ان الاخطاء الاملائية في هذا النمط كثيرة ومتنوعة من بينها : ١ – قانونين بدلا من قوانين ٢ – حضروات بدلا من حضراوات ٣ – سنبهد بدلا من سنه ٤ – [illegible] بدلا من [illegible] ٥ – [illegible] بدلا من مؤلفه	٤١ ، ٦٩ ، ١٢	١ – نفس الاخطاء السابقة	١١٥

	١ – نفس الاخطاء السابقة		١ – نفس الاخطاء السابقة	٩٨ ١٠
	٢ – عملوك بدلا من عملك	٦٢ ٢ ، ٢١		
٥٣,٢٨				
	١ – نفس الاخطاء السابقة		نفس الاخطاء السابقة	
٢٣,٩١		٢٤,٧و ٧٣		٥٤,٨ ٥٣٧

من مراجعة تحليل الاخطاء المعروضة في الجدول السابق يتضح مايأتي : ـ

١ ـ ان اعلى نسبة للاخطاء الاملائية للدارسين في فئة التحصيل ٤٠ ـ ٣١ كانت من نمط اضافة حرف حيث بلغت(٢٩/١)في حين كان نمط تغيير جوهر الكلمة يشكل اعلى نسبة لفئات التحصيل الباقية .

٢ ـ كلما قل التحصيل في الاملاء كلما زاد عدد الكلمات التي تضم اخطاء املائية من نمط تغيير جوهر الكلمة .

٣ ـ ان الدارسين من فئات التحصيل المختلفة يتماثلون تقريباً في الاخطاء الاملائية بالرغم من انهم يختلفون كميا فيها .

٤ ـ ان الدارسين لم يستطيعوا التمييز في الكتابة بين :

(آ) الحروف والكلمات كأن تكتب (انتصره) بدلا من (انتصر) .

(ب) اللغة الفصيحة واللهجة العامية فتكتب كلمة (فراقهم) بدلا من (فراغهم) .

(ج) أصل الكلمة والكلمة المزيدة مثل كتابة (لصدر) بدلا من (الصدر)

(د) الحروف نفسها فيكتب الدارس حرف (الجيم) بدلا من حرف (الحاء) وبالعكس وربما يمكن ارجاع سبب هذه الظواهر الى ضعف دافعية الدارسين انفسهم نحو التعلم في المدارس الشعبية وعدم امتلاكهم اتجاهات ايجابيه لتعلم الاملاء اوالى ان المعلم لم يعط الدارسين فرصا كافية للتدريب على الاملاء ولم يزودهم بالاساليب الفعالة للتقليل من الاخطاء الاملائية والتغلب عليها ....

....

الفصل الرابع

التوصيات :

في ضوء النتائج التي توصل اليها في الفصل الثالث يوصي الباحث معلم الاملاء في المدارس الشعبية باعطاء وقت كاف في تنمية الاهداف الاتية عند الدارسين بغض النظر عن الطريقة التي يستخدمها بتعليمهم في الاملاء :

اولا : تنمية اتجاهات ايجابية عند كل دارس في :

١ ــ ادراك ان كتابة الكلمات بشكل صحيح مهمة جداً لعملية الاتصال في الحياة المهنية والاجتماعية .

٢ ــ غرس الرغبة في كتابة الكلمات بشكل صحيح .

ثانياً : تنمية العادات الاتية عند كل دارس

١ ــ الاهتمام بتهجي الكلمات بشكل صحيح اثناء الكتابة .

٢ ــ دقة الملاحظة في تصحيح الكتابة بعناية

ثالثاً : تنمية قدرة الدارس في :

١ ــ ادراك جميع الحروف نطقاً وكتابة باشكالها المختلفة الاولية والوسطية والاخيرية في الكلمة ، وتمييز هذه الحروف نطقاً وكتابة عن الحركات .

٢ ــ سماع الكلمات بدقة كما تنطق وذلك بتوفير الفرص الكافية التدريب على عملية الاصغاء المخطط لكلمات المنطوقة وكتابتها .

٣ ــ نطق الكلمات بعناية ودقة بشكل فردي وجماعي داخل الصف ، خاصة تلك الكلمات والحروف التي من الصعب لفظها بشكل سليم نتيجة اللهجة المحلية .

٤ ــ تجميع الحروف وربطها مع بعضها لتكوين مقاطع او كلمات وبالعكس تحليل الكلمات الى مقاطع وحروف اثناء الكتابة .

٥ ــ تمييز الكلمات المزيدة عن غيرها ، وتشخيص الزوائد في الكلمات ، واضافة او حذف هذه الزوائد من الكلمات .

٦ ــ ادراك ان كتابة بعض الكلمات ليس كنطقها ، وذلك بالتأكيد على ملاحظة مثل هذه الكلمات بشكل دقيق ، واعطاء مايكفي من فرص التدريب على كتابتها .

ملحق رقم (١)

جامعة الموصل

كلية التربية

قسم العلوم التربوية والنفسية

اختبار في الاملاء للدارسين في الصف السادس في المدارس الشعبية

«التعليمـــات»

أخي الدارس .... أختي الدارسة

ـ أقوم بقراءة مجموعة كلمات ، اريدك ان تكتبها على ورقتك بشكل قائمة اي تكتب كل كلمة تحت الكلمة التي سبقتها .. اصغ لي جيداً عند قراءة الكلمات ، واكتب الكلمة الطريقة الآتية :

اولاً

اسمع الكلمة ثم الجملة التي فيها الكلمة المنطوقة وبعد ذلك اسمع الكلمة مرة ثانية لكي تكتبها على ورقتك .... لاتبدأ الكتابة الابعد سماعك الجملة . اكتب فقط الكلمة ولاتكتب الجملة .. اعتن بكتابتك ولاتترك كلمة دون كتابة فربما تكون محاولتك ناجحة لاتجوز اعادة قراءة الكلمة ولايجوز السؤال اوالاستفسار اثناء قراءة الكلمات ، لاتكتب اسمك على ورقة الاجابة

ت	الكلمة	الجملـــــــــــــة	(الكلمة)	الوقت بالثواني
١	الارض	سقيت الارض يوم الجمعة	الارض	٦٠
٢	استشهدَ	استشهد الجندي في المعركة	استشهـدَ	١٥
٣	اشتهروا	الفينيقيون هم الذين اشتهروا بالتجارة	اشتهروا	٣٣
٤	الاصباغ	تستخرج الاصباغ من النفط	الاصباغ	٥٤
٥	انتصرَ	انتصر الجيش العراقي	انتصرَ	١٥
٦	آخر	اشتريت قميصاً آخر	آخر	٣٠
٦	بالعين	التراخوما تضر بالعين	بالعين	٣٩

٨ بنضال	بنضال الشعب ننتصر على العدو	بنضال	٥٧
٩ التجارة	شجعت الحكومة التجارة	التجار	١٢
١٠ تحقيق	الشعب يعمل على تحقيق اهدافه	تحقيق	٣٣
١١ لان	درس محمد كثيراً لان الامتحان قريب	لان	٤٨
١٢ ثروته	العراق ثروته عظيمة	ثروته	٦٠
١٣ ثميناً	كان وقت العامل ثميناً	ثميناً	١٥
١٤ خضراوات	اكلت خضراوات نظيفة	خضراوات	٢٠
١٥ دواء	استعمل الاطباء والقدماء الجزر دواء	دواء	٤٨
١٦ الذين	الفينيقيون هم الذين سكنوا اراضي لبنان	الذين	٦٠
١٧ رخيص	الكتاب سعره رخيص	رخيص	١٥
١٨ الرئيس	صافحت الرئيس في العمل	الرئيس	٢٧
١٩ الزهور	تتفتح الزهور في الربيع	الزهور	٤٥
٢٠ سببها	الامراض سببها الاوساخ	سببها	٣
٢١ طبيب	يونس طبيب ماهر	طبيب	١٨
٢٢ عظام	عظام الانسان كثيرة	عظام	٤٠
٢٣ على	الخضراوات تحتوي على الفيتامينات	على	٤٢
٢٤ عملك	عملك شرفك	عملك	٥١
٢٥ الفلاحون	زرع الفلاحون الارض	الفلاحون	٣
٢٦ فراغهم	يقرأ الناس الكتب وقت فراغهم	فراغهم	٢٧
٢٧ قوانين	قوانين العراق عادلة	قوانين	٤٥
٢٨ كالسيف	الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك	كالسيف	٣
٢٩ كثير	البرتقال فيه كثير من الفوائد	كثير	٢١
٣٠ كرامته	العراق كرامته عزيزة	كرامته	٣٣
٣١ لذيذاً	اكلت طعاماً لذيذاً	لذيذاً	٥١
٣٢ للصدر	التفاح مفيد للصدر	للصدر	٦
٣٣ الليل	يشتغل احمد في الليل كل يوم	الليل	٢٩
٣٤ منظمة	علي في منظمة الطلائع	منظمة	٣٦
٣٥ نافعة	النظافة نافعة للجسم	نافعة	٥١

٣٦ هذا	هذا عامل منتج	هذا	٦
٣٧ والتفاح	زرعت البرتقال والتفاح في البستان	والتفاح	١٥
٣٨ مؤلم	الجرحُ مؤلم	مؤلمٌ	٣٦
٣٩ وسيلة	الذباب أخطر وسيلة لنقل الامراض	وسيلة	٥٤
٤٠ وطننا	نحب وطننا العزيز	وطننا	٩
			٢٤



المصادر العربية والاجنبية :

المصادر العربية :

١ – ابراهيم : عبد العليم.الاملاء والترقيم في الكتابة العربية/القاهرة مكتب غريب ١٩٧٠.

٢ – ابراهيم ، عبد العليم.الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية(ط٧) القاهرة: دار المعارف بمصر ١٩٧٣

٣ – احمد محمد عبدالقادر . طرق تعليم اللغة العربية / القاهرة / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٨٢

٤ – الجمهورية العراقية وزارة التربية / المجلس الاعلى للحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية الالزامي قانون الحملة الوطنية رقم٩٢ لسنة ١٩٧٨ / ٢٢أيار ١٩٧٨

٥ – زرازير: نعوم جرجيس:الاملاء الفريد / النجف مطابع النعمان / ١٩٧٠

٦ – عبد المطلب ، ابراهيم :الهداية الى ضوابط الكتابة / القاهرة / مركز كتب الشرق الاوسط ١٩٧٢

٧ – الغلاييني ، الشيخ مصطفى.جامع الدروس العربية /(ج٢) بيروت المكتبة المصرية ١٩٧٤

٨ – مجاور، محمد صلاح الدين، تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية اسسه وتطبيقاته التربوية / القاهرة / دار المعارف ١٩٧٢ .

٩ – مجرس، مهدي صالح.الاخطاء الاملائية الشائعة لدى تلاميذ الصفوف الثلاثة الاخيرة من المرحلة الإبتدائية اسبابها ومقترحات علاجها / بغداد كلية التربية / رسالة ماجستير غير منشورة – ١٩٧٩ .

١٠ – يوسف، محمد عزت مستوى طلاب الصف الثاني الابتدائي في الاملاء العربي وعلاقة ذلك بتحصيلهم الدراسي مجلة رسالة المعلم عدد / ١ سنة ٢٠ ، ١٩٧٧ ص ٤٣ – ٤٦ (

11 – Berlson, B. Content Analysis. in G. Lindzey (ed) Handbook of social psychology . Vol. I, N. y: Addison-Wesley, 1959.

12 Ferguson . G.A. Statistical Analysis in psychology and Education . (5 th ed), N. Y: Mcgraw -Hil , 1891. . .

13– Fisher, E,M. A lingustic nvestigation of First Grade Children's Spellin , Errors As they Occur in their Writ ten Com - ositions. Dissertation Abstracts International. Vol. 34, No. 4 (Oct, 1973), P. 1480 A.

14– Grill, C.E. An Analysis of spelling Errors in French. Dissertation Abstracts International. Vol. 41, No., 9 (March 1981), P 3924 A.

15– Greence, H.A. and Petty, W.I. Developing Lanugage Skils in the Elementary Schools. Boston : Allyn and Bacon, 971.1

16– Keller, R.J. Encyclopedia of Educational Research . (3rd ed) N. Y: The Macmillan Company, 1960'.

17– Mitzel, H.E. Encyclodedia of Educational Reasarch N.Y The Free Press, 1982.

18– Patton, D.H. How to correct spelling Errors. In Anderson, V. D. and others, Readings in the lanugage Arts. N.Y. The Macmillan Company, 1964.

19– scott, W.A. and wertheirmer M. Introduction toPsychological Research , N. Y: Wiley. 962.

20– sealey L. and Others. Children's Writing An Approach for the primary grades. Newark. IRA, 1983.

21 – Stran , E. and Others. he Im rovement of reading. N. Y: McGraw ill book Comom any, 1967.

2 Unes o. tera Iny Workd hool Edu ation. In Economi of De elo ment. ea in In the Economi of Edu ation. Paris. Unesco, 19 8.

23 – yld, H. C. The ni ersal Dictionary of t e En lish Lanuga;e. okyo: op an Com any.



الكفاءات اللازمة لمدرسي المرحلة الثانوية العامة

د. جمال اسد مزعل وصباح حنا هرمز
جامعة الموصل – كلية التربية

١ – الاطار النظري

١ – ١ موضوع البحث واهميته .

يعالج البحث موضوعاً يعد أحد العناصر الرئيسة في النشاط التعليمي والتربوي وهو ما ينبغي ان يتصف به الكادر التعليمي من مواصفات تجعله أهلا لاداء الرسالة الموكلة اليه من قبل المجتمع . فمهنة التعليم في عصرنا هي من أكثر المهن ارتباطاً بالتطوير في مجال العلم والتكنولوجيا ولاغرابة في ذلك حيث ان العلم والتكنولوجيا يشكلان محوراً اساسياً يتوجه اليه اهتمام هذه المهنة ويجعل هذا الارتباط جعل متطلبات هذه المهنة متعرضة لتغيير مستمر والذي هو امر منطقي نابع من ضرورة تكثيف المدرسة المعاصرة لمهام الثورة العلمية والتكنولوجية التي يشهدها القرن العشرين ومايترتب عليها من تغييرات في حياة المجتمعات (J.Szczepanski, 1975,51) وأتسعت رسالة المعلم في عصرنا لتستوعب عناصر لم تظهر الحاجة اليها بالعمق والسعة اللذين تشاهدهما في وقتنا هذا – فاصبحت تتعدى حدود المدرسة لتشمل متابعة نشاط الطالب ووضعه خارج المدرسة في الوسط الاجتماعي وفي العائلة ،وبين جماعة الاقران (A.Monka Stanikowa, 1974) (R,Wroctynski, 1974) واصبح من الضروري ايضا امتلاك المعلم مهارات خاصة مميزة تتسق والأهداف الاجتماعية المتطورة والتي تعمل التربية على تحقيقها بالمستوى المرغوب فيه اجتماعياً واغنائها. (T.Malinawski,1968) ان مهنة التعليم تواجه اليوم مهمة اعداد الافراد ،

والجماعات على نمط خاص من العلاقات الاجتماعية وهي علاقات تختلف في جوهرها عما كانت عليها في السابق وتتطلب انماطا من الشخصية المرنة التي تستطيع استيعاب التغيير والتحكم به وهي مهمة ليست ميسورة ولاتستطيع الخبرة اثناء الخدمة لوحدها توفير مستلزمات ادائها ، من هذا المنطلق تأتي أهمية هذه الدراسة اذ تحاول تحديد المواصفات التي تتطلبها مهنة التعليم في مرحلة معينة من مراحله وهي مرحلة التعليم الثانوي الاكاديمي التي تستطيع المؤسسات المسؤولة عن اعداد الكادر التعليمي لهذه المرحلة – كليات التربية – من تحقيق هذه المهمة فهي مهمة تظهر للوهلة الاولى بأنها سهلة وتستطيع كليات التربية ضمن الصيغ الاعتيادية لنشاطاتها من تحقيقها ولكن من مراجعة متطلبات هذه المهنة التي تم تحديدها ميدانياً اضافة الى دراسات نظرية بأنها متطلبات تحتاج الى وقفة لمراجعة برامجنا والانشطة التي نقدمها في عملية اعداد كادر هذه المرحلة وتحتاج ايضاً الى وقفة لمراجعة طبيعة المؤهلات التي يمتلكها الكادر التدريسي في كليات التربية التي هي مسؤولة عن هذا الاعداد وتحدد ايضاً بعض الملامح العامة للمهمات والخبرات التربوية والنفسية التي ينبغي ان يمتلكها الكادر التعليمي لهذه المرحلة في الوقت الذي يلاحظ فيه ضعف تقدير دور هذه الأمور لدى عدد لايستهان به من الكادر التدريسي المسؤول عن اعداد المدرسين او على الاقل وجود قناعة لديهم بأن تلك المهارات والخبرات تتكون اثناء الخدمة ويمكن تخفيف التركيز عليها وتوجيه الاهتمام نحو المواد العلمية التي ترتبط بالاختصاص ، لذلك فان نتائج وتوصيات هذا البحث سوف تعين المسؤولين في كلية التربية بجامعة الموصل – ويمكن الى حد كبير القول بأنها تعين المسؤولين في كليات التربية في جامعات القطر نظراً لتشابه الظروف العامة التي تحيط بمسألة اعداد الكادر التعليمي لهذه المرحلة في اولا : تشخيص المهارات التي يتطلبها ميدان العمل ودرجة التركيز عليها استناداً الى حجم الحاجة لها وثانياً في مسألة تقويم الحالة التي هي عليها لتحديد الاساليب التي تراها ممكنة لتحسين وتطوير نشاط هذه المؤسسة بحيث تتسق بشكل امثل مع حاجة الميدان وخاصة ان هناك رغبة ثابتة لدى المسؤولين في هذه الكلية في تحقيق هذا الهدف، تؤيد عليها الندوات والاجتماعات التي اقامتها الكلية مع المسؤولين في المديرية العامة للتربية حول موضوعات تقع ضمن هذا الاطار او الاجتماعات التي تقام من قبل المسؤولين في الكلية بصورة دورية مع

الهيئات التدريسية حول سبل تطوير نشاط هذه المؤسسة . هناك مجموعة من الادبيات التي تناولت موضوع الدراسة ويمكن تصنيف الدراسات التي عالجت موضوع البحث - سواء التي عالجته بصورة مباشرة اوبصورة غير مباشرة الى نوعين : النوع الاول هو الدراسات النظرية والنوع الثاني هو الدراسات الميدانية .

وجد الباحثان أن هناك أرثاً غنياً من الدراسات النظرية عن متطلبات مهنة التعليم سواء على مستوى الفكري التربوي العربي الاسلامي اوعلى مستوى الفكر التربوي الغربي فقد تطرق المربون العرب المسلمون الى ماتتطلبه مهنة التعليم ويمكن مراجعة الفكر التربوي الذي خلفه عدد كبير من المفكرين والمربين العرب ، في عصور تأريخية مختلفة ، للوقوف على مدى غنى ونضج تلك الافكار ، وعلى سبيل المثال لاالحصر ، ماخلفه المفكر ، والمربي العربي محمد بن أحمد الغزالي الذي تعرض لعدد من المهارات التي ينبغي ان يمتلكها المعلم وذلك في رسالته «ايها الولد» ، وكذلك عالم الاجتماع العربي ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته المشهورة والفيلسوف والمؤرخ ابن مسكويه في وصيته عما يجب على المعلم ان يتحلى به (طلس ، محمد اسعد ، ١٩٥٧) والقابسي في الرسالة المفصلة لاحوال المعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ، (الاهواني ، أحمد فؤاد ، ١٩٥٥) ، وفي الواقع تمتد قائمة اسماء المفكرين العرب المسلمين الذين عالجو متطلبات مهنة التعليم لتشمل عدداً كبيراً منهم امثال : ابن سينا ، والفارابي وابن سحنون ، وابن عبد البر الاندلسي ، والعلموي واخرين كثيرين . .

وعلى صعيد التراث الفكري الغربي تطرق عدد كبير من المفكرين الغربيين لمعالجة مستلزمات مهنة التعليم سواء بصورة مباشرة اوغير مباشرة ضمن مواقفهم التربوية منذ عصر النهضة امثال : يان اموس كومينوس في كتابه المعروف الديداكتيكا الكبرى (Kupisiewicz, 1973) وفردريك هربارت (مزعل ،جمال أسد ، ١٩٨١) وجون ديوي واخرون .

وهناك دراسات نظرية معاصرة استفاد الباحثان من عدد منها في مجال صياغة بعض الكفاءات اللازمة لمهنة التعليم او في مجال تفسير بعض الظروف التي تحيط بنشاط المعلم في المدرسة المعاصرة ومن اهم هذه المراجع النظرية هي (الغامدي ،واخرون ، ١٩٨٢) ، و

(T. Malinowski 1968) (R.W. roczynski 1974)
(A. Monka-Stanikowa 1978)
(J. Szczepanski 1975) (David G.Armstrong, 1981)

اما بالنسبة الى الدراسات الميدانية – بالرغم من عدم وجود دراسة ميدانية مباشرة تعالج الكفاءات الضرورية لمهنة التدريس حسب علمنا – فقد استفاد الباحثان بدرجة محدودة من عدد من البحوث سواء كانت محلية او عربية او اجنبية وكانت اوجه الاستفادة منها متباينة، ولكنها جميعاً اعانت الباحثين بشكل او بآخر في تحديد الكفاءات وفي تفسير بعض النتائج او في بعض جوانب اجراءات الدراسة ومن اهم هذه الدراسات هي : (العطار، ١٩٧٥)، (مهدي، ١٩٨٠)، (الشويلي، ١٩٨٠)، (نعمة، ١٩٨٢)، (عبد الرضا ١٩٨٢)، (ظاهر، ٩٨٣)، (زاهر، ١٩٨١)، (جامع، ١٩٨٤)، (Lupone 1961) (Simpkins 1973). (Hall, 1964)

١ – اهداف الدراسة :

اولا : معرفة الكفاءات التدريسية اللازمة لمهنة التدريس في المرحلة الثانوية العامة (الاكاديمية) .

ثانياً : معرفة الفروق بين مجموعة مدرسي كلية التربية من جهة ومجموعة مدراء المدارس الثانوية والمشرفين الاختصاص من جهة ثانية من حيث تقديرهم للاهمية النسبية للكفاءات .

١ – ٣ تحديد المصطلحات:

١ – الكفاءة، يقصد بها لاغراض هذا البحث مجموعة معارف ومهارات تدريسية تجعل مدرس المرحلة الثانوية العامة قادرا على اداء مهنته ضمن مواصفات مناسبة تستطيع كلية التربية تكوينها لدى الطلبة

٢ – الثانوية الاكاديمية: ويقصد بها المرحلة الدراسية التي تلي المرحلة الابتدائية ومدة الدراسة فيها ست سنوات موزعة على الدراسة المتوسطة (ثلاث سنوات) والدراسة الاعدادية بفرعيها العلمي والادبي (ثلاث سنوات) .

٣ – المشرف الاختصاص، هو الاداري الذي يقوم بالاشراف على العملية التدريسية في المدرسة الثانوية العامة (الاكاديمية) في ضوء تخصصه في مادة تدريسية معينة .

١ – ٤ حدود البحث:

يقتصر البحث:

(أ) المشرفون الاختصاص ومدراء المدارس الثانوية في محافظة نينوى للعام الدراسي ٨٤ – ١٩٨٥

(ب) اعضاء هيئة التدريس في كلية التربية – جامعة الموصل، ممن مضت على خدمتهم في الكلية خمس سنوات فأكثر وفي العام الدراسي ٨٤ – ١٩٨٥ .

٢ ـ اجراءات الدراسة

٢ ـ ١ اداة البحث:

اولا: تتكون اداة البحث من (٣٦) كفاءة تنتمي لخمس مجالات وكما يأتي:

١ ـ مجال اعداد المدرس: يحوي اربع كفاءات والمرقمة في الاستبيان النهائي (١،٦،٨،١٣)

٢ ـ مجال تنفيذ الدرس وادارة الصف: يحوى (١٥) كفاءة والمرقمة في الاستبيان النهائي (٢،٣،٧،٩،١٠،١١،١٢،١٩،٢٠،٢٤،٢٥،٢٩،٣١،٣٤،٣٦).

٣ ـ مجال الاعداد العلمي: يحوي تسع كفاءات المرقمة في الاستبيان النهائي (٤،٥،١٤،١٧،٢١،٢٦،٢٨،٣٠،٣٢) .

٤ ـ مجال التقويم: يحوى اربع كفاءات المرقمة في الاستبيان النهائي (١٥، ١٨، ٢٢، ٢٧)

٥ ـ مجال العلاقات الانسانية: ـ يحوىاربع كفاءات المرقمة في الاستبيان النهائي (١٦، ٢٣، ٣٣، ٣٥)

ثانياً: استخلصت هذه الكفاءات من مصادر ثلاث هي:

١ ـ الدراسات النظرية التي اجريت في مجال معالجة الكفاءات المطلوبة لمهنة التدريس واعتمدت الدراسة على مراجع نظرية وكتب مؤلفة حول الموضوع.

٢ ـ اهداف التعليم الثانوي كما هي مثبتة في نظام التعليم الثانوي رقم (٢) لسنة ١٩٧٧ المعدل (التوثيق التربوي، ١٩٧٧)

٣ ـ دراسة استطلاعية، أستطلع رأي (٤٠) مشرفاً اختصاصياً ومديراً من مدراء المدارس الثانوية و(٢٠) تدريسياً من تدريسي كلية التربية (يمثلون ٢٠ ٪ من افراد المجتمع الاصلي لكلا المجموعتين) حول الكفاءات الضرورية لمدرسي المرحلة الثانوية

٢ ـ ٢ صدق الاداة .

بعد جمع الكفاءات من المصادر الثلاثة المذكورة سابقاً عرضت على لجنة من المختصين

في التربية وعلم النفس لبيان رأيهم فيما يأتي:

- مدى كون الكفاءة المقترحة مطلوبة فعلا لمهنة التدريس في المرحلة الثانوية الاكاديمية
- مدى امكانية كلية التربية في تحقيق الكفاءة ضمن برامجها
- تحديد الكفاءات ضمن المجالات .

ونتيجة لذلك فقد تم حذف وتعديل وصياغة بعض العبارات واصبح الاستفتاء بصيغته النهائية مكون من (٣٦) عبارة ، وضمن خمس مجالات (ملحق رقم ١) .

٢ ـ ٣ عينة البحث:

تم اختيار عينة طبقية عشوائية من مجموعتين:

– المجموعة الأولى : تتكون من اعضاء هيئة التدريس في كلية التربية ممن تزيد خبرتهم التدريسية في الجامعة عن خمس سنوات. وهي المجموعة التي تقوم بعملية اعداد الطلبة لمهنة التدريس وقد اختير منهم (٥٥) تدريسياً من مجموع (٩٤)، اي بنسبة (٥٩٪).

– المجموعة الثانية : وهي المجموعة المسؤولة عن العملية التعليمية في المدارس الثانوية الاكاديمية بصورة مباشرة ادارياً ، وتتكون من مدراء المدارس الثانوية الاكاديمية والمشرفين الاختصاص. وقد شملت العينة (١٠٧) مديراً ومشرفاً من مجموع (١٩٥) اي بنسبة (٥٥ ٪) .

٢ ـ ٤ تطبيق الاستفتاء :

تم تطبيق الاستفتاء في شهري كانون الثاني وشباط عام ١٩٨٥ على عينة البحث، اذ ارسلت الاستمارات الخاصة بالاستبيان للمدراء والمشرفين عن طريق البريد اما التدريسيون فقد وزعت عليهم بصورة مباشرة . علماً بأن (١٣) أستمارة من الأستمارات التي ارسلت عن طريق البريد لم يتم استرجاعها.

٢ ـ ٥ اسلوب تحليل النتائج :

لغرض تحديد الاهمية لكل كفاءة فقد اعطيت اوزان (٣،٢،١) للاختيارات (ضرورية جدا، ضرورية، اقل ضرورة) على التوالي، ومن ثم استخرج المتوسط الحسابي لكل كفاءة اعتمادا على الأوزان السابقة، كما حددت مديات متساوية بين الحدود (من ١ الى ٣) وكما يأتي:

(*) تألفت اللجنة من السادة التدريسيين في قسم العلوم التربوية والنفسية كلية التربية – جامعة الموصل وهم : د. طارق محمود رمزي ، د. محمد الياس بكر ، السيد محمد جلوب فرحان ، والسيد يوسف حنا ابراهيم

- من ١ – ١,٦٧ يتضمن الكفاءات الاقل ضرورة .
- من ١,٦٨ – ٢,٣٣ يتضمن الكفاءات الضرورية
- من ٢,٣٤ – ٣ يتضمن الكفاءات الضرورية جدا

ولمعرفة الفروق بين المجموعتين في تحديد اهمية الكفاءة فقد استخدم اختبار كا٢

٣ – النتائج ومناقشتها

٣ – ١ الكفاءات التدريسية اللازمة لمهنة التدريس في المرحلة الثانوية العامة (الاكاديمية)

شخصت الدراسة (٣٦) كفاءة تدريسية مطلوبة لمهنة التدريس التي يفترض ان تقوم كلية التربية بمهمة اعداد طلبتها بها . توزعت هذه الكفاءات في خمس مجالات هي :

- مجال اعداد الدرس ، يشمل (٤) كفاءات اي نسبة ١١ ٪ من مجموع الكفاءات
- مجال تنفيذ الدرس وادارة الصف ، يشمل (١٥) كفاءة اي بنسبة ٤٢ ٪ من مجموع الكفاءات .
- مجال الاعداد العلمي ، يشمل (٩) كفاءات ، أي بنسبة ٢٥ ٪ من مجموع الكفاءات
- مجال التقويم ، يشمل (٤) كفاءات ، أي بنسبة ١١ ٪ ، من مجموع الكفاءات
- مجال العلاقات الانسانية ، يشمل (٤) كفاءات ، أي بنسبة ١١٪ من مجموع الكفاءات .

كما توزعت هذه الكفاءات بين مستويين ، حيث جاءت ضمن مستوى ضرورية جداً ، – الذي يتراوح مداه النظري بين ٢,٣٤ الى ٣,٠٠ – (٢٣) كفاءة اي بنسبة (٦٣٪) من مجموع الكفاءات المطلوبة ، وجاءت ضمن مستوى ضرورية – الذي يتراوح مداه النظري بين ١,٦٨ – ٢,٣٢ – (١٣) كفاءة أي بنسبة (٣٧٪) من مجموع الكفاءات المطلوبة ، ولم تظهر أية كفاءة ضمن مستوى أقل ضرورة – الذي يتراوح مداه النظري بين ١,٠٠ – ١,٦٧.

٣ – ١ – ١ الكفاءات الضرورية جدا :

تراوحت درجة ضرورة الكفاءات التي جاءت ضمن هذا المستوى بين (٢,٨٨ الى ٢,٣٤) كما هو موضح في جدول (١)، وتوزعت الكفاءات ضمن هذا المستوى على المجالات كما يأتي :

اولا: مجال اعداد الدرس، نالت جميع كفاءات هذا المجال وعددها اربعة اهتمام المستفتين جميعاً اذ حصلت هذه الكفاءات على درجات عالية ضمن هذا المستوى وكما يأتي :

- «تهيئة المعلومات والانشطة ذات العلاقة بالدرس» جاءت هذه الكفاءة في الترتيب الاول بين الكفاءات الضرورية جداً ، وحصلت على درجة (٢,٨٨) .
- «تحديد اهداف الدرس» ، حصلت على درجة (٢,٦٢) .
- «اعداد خطة الدرس» ، حصلت على درجة (٢,٥٢) .
- «اختيار وسائل تعليمية مناسبة» ، حصلت على درجة (٢,٤٨) .

ثانياً: مجال تنفيذ الدرس وادارة الصف : اعطى المستفتون أهتماماً بكفاءات هذا المجال ايضا اذ جاءت (٨٠٪) من كفاءات هذا المجال ضمن مستوى ضرورية جداً واحتل هذ المجال الترتيب الثاني ، كما حصلت كفاءاته على درجات عالية نسبياً وكما يأتي :

- «المحافظة على النظام اثناء الدرس» ، حصلت على درجة (٢,٧٧) .
- «اشراك الطلبة بالدرس» ، حصلت على درجة (٢,٧٦) .
- «استثمار وقت الدرس» ، حصلت على درجة (٢.٧٥)
- «اثارة اهتمام الطلبة بالدرس» حصلت على درجة (٢,٧٣) ،
- «مراعاة الفروق الفردية» حصلت على درجة (٢,٥٩) ،
- «عرض محتوى الدرس وفق تسلسل منطقي» حصلت على درجة (٢,٥٨) ،
- «ربط محتوى الدرس بواقع الحياة» حصلت على درجة (٢,٤٩) ،
- «استخدام وسائل تعليمة» ، حصلت على درجة (٢,٤٨) ،
- «تشخيص الفروق الفردية بين الطلبة» حصلت على درجة (٢,٤٨) ،
- «ربط محتوى الدرس بالخبرات السابقة» حصلت على درجة (٢,٤٦) .
- «استخدام لغة مناسبة» ، حصلت على درجة (٢,٣٧) ،
- «التنويع في استخدام طرق التدريس» حصلت على درجة (٢,٣٦).

ثالثاً: مجال الاعداد العلمي، حصلت ٥٦ ٪ من كفاءات هذا المجال على درجات تقع ضمن مدى مستوى ضرورية جداً وكما يأتي:

- «الالمام بالمادة العلمية في الاختصاص» احتلت هذه الكفاءة الترتيب الثاني من بين جميع كفاءات هذا المستوى، اذ حصلت على درجة (٢,٨٦) ،
- «تجديد المعلومات» حصلت على درجة (٢,٦٢)،

- «معرفة خصائص المراهقة» حصلت على درجة (٢,٤٦)،
- «المعرفة في مجال توجيه وارشاد الطلبة» حصلت على درجة (٢,٣٩) ،
- «استخدام الاسلوب العلمي في النشاط المهني»، حصلت على درجة (٢,٣٨) .

رابعاً: مجال العلاقات الانسانية ، جاءت كفاءة واحدة فقط من كفاءات هذا المجال ضمن هذا المستوى اى بنسبة (٢٥ ٪) وهي «المرونة في التعامل مع الطلبة» اذ حصلت على درجة (٢,٣٧) .

خامساً: مجال التقويم، جاءت كفاءة واحدة من هذا المجال ضمن مستوى ضرورية جدا اى بنسبة (٢٥ ٪) وهي «الالمام باساليب الاختبار والتقويم» اذ حصلت هذه الكفاءة على أدنى درجة ضمن مدى هذا المستوى ، وهي (٢,٣٤) .

٣ ـ ١ ـ ٢ الكفاءات الضرورية :

تراوحت درجة ضرورة الكفاءات التي جاءت ضمن هذا المستوى بين (٢,٣٢ الى ٢,١٣) كما هو موضح في جدول (٢)، وتوزعت هذه الكفاءات على المجالات كما يأتي :

اولا: مجال العلاقات الانسانية ، حصلت (٣) كفاءات على درجات تقع ضمن هذا المستوى وتشكل (٧٥٪) من مجموع كفاءات هذا المجال وكما يأتي:
- «تقبل اراء الاخرين »، حصلت على درجة (٢,٢٥)
- «التفاعل مع الاخرين» حصلت على درجة (٢,٢٤)
- «الالتزام بالعمل الجماعي» حصلت على درجة (٢,٢٢)

ثانياً: مجال التقويم : نالت (٧٥٪) من كفاءات هذا المجال درجات تقع ضمن مدى هذا المستوى وهي :
- «استخدام ادوات الا ختبار والتقويم» . حصلت على درجة (٢,٢٤)
- «الافادة من نتائج الاختبارات في التقويم» حصلت على درجة (٢,١٧)
- «اعداد ادوات اختبار مناسبة للانشطة التعليمية المختلفة»، حصلت على درجة (٢,١٦)

ثالثاً: الاعداد العلمي : تضمن هذا المستوى (٤) كفاءات من هذا المجال اي بنسبة (٢٤ ٪) من مجموع كفاءات هذا المجال وهي كما يأتي :
- «المعرفة في الحقول ذات العلاقة بالاختصاص» حصلت على درجة (٢,٣٢)
- «استيعاب نظريات التعليم والتعلم» . حصلت على درجة (٢,٢٩)

– «معرفة اسس الادارة التعليمية» .وقد جاءت هذه الكفاءة في المرتبة الاخيرة في سلّم ترتيب جميع الكفاءات وحصلت على درجة (٢,١٣) .

رابعاً : مجال تنفيذ الدرس وادارة الصف : جاءت (٣) كفاءات من هذا المجال ضمن هذا المستوى وبنسبة (٢٠٪) من كفاءات هذا المجال ، وكما يأتي :

– «تحويل المبادىء التربوية والنفسية الى مواقف سلوكية بالدرس» ، حصلت على درجة (٢,٣٢)

– «تحويل أهداف الدرس الى صيغ سلوكية يمكن التحقق منها» . حصلت على درجة (٢,٣٣)

– «حسم مشكلات تعليمية طارئة» . حصلت على درجة (٢,٢٢) .

جدول (١) يبين الكفاءات الضرورية جداً لمهنة التدريس مرتبة حسب درجة الضرورة وتبعاً للمجال الذي تنتمي اليه

رقم الكفاءة في الاداة	الكفاءة	المجال	درجة الضرورة
١	تهيأة المعلومات والانشطة ذات العلاقة المباشرة بالدرس	اعداد الدرس	٢,٨٨
١٤	الالمام بالمادة العلمية	الاعداد العلمي	٢,٨٦
٢٥	المحافظة على النظام اثناء الدرس	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٧٧
٢٩	اشراك الطلبة بالدرس	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٧٦

٢	استثمار وقت الدرس	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٧٥
٩	اثارة اهتمام الطلبة بالدرس	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٧٣
٦	تحديد اهداف الدرس	اعداد الدرس	٢,٦٢
٣٢	تجديد المعلومات	الاعداد العلمي	٢,١٦٢
٣٣	مراعاة الفروق الفردية للطلبة	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٥٩
١٢	عرض محتوى الدرس وفق تسلسل منطقي	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٣,٥٢
١٣	اعداد خطة الدرس	اعداد الدرس	٢,٤٩
١٩	ربط محتوى الدرس بواقع الحياة	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٤٨
٨	اختيار وسائل تعليمية مناسبة	اعداد الدرس	٢,٤٨
١٠	استخدام وسائل تعليمية مناسبة	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٤٨
٣١	تشخيص الفروق الفردية بين الطلبة	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٤٨
٧	ربط محتوى الدرس بالخبرات السابقة	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٤٦
٣٠	معرفة خصائص مرحلة المراهقة	الاعداد العلمي	٢,٤٦
٥	المعرفة في مجال توجيه وارشاد الطلبة	الاعداد العلمي	٢,٣٨
٢٨	استخدام الاسلوب العلمي في النشاط المهني	الاعداد العلمي	٢,٣٨
٣٣	المرونة في التعامل مع الطلبة	علاقات انسانية	٢,٣٧
٢٤	استخدام لغة مناسبة	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٣٧
٢٠	التنويع في استخدام طرق التدريس	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٣٦
٢٧	الالمام باساليب الاختبار والتقويم	التقويم	٢,٣٤

جدول (٢) يبين الكفاءات الضرورية لمهنة التدريس مرتبة حسب درجة الضرورة وتبعاً للمجال الذي تنتمي اليه.

رقم الكفاءة في الاداة	الكفـاءة	المجال	درجة الضرورة
٢٦	المعرفة في الحقول ذات العلاقة بالاختصاص	الاعداد العلمي	٢,٣٢
٣٦	تحويل المبادىء التربوية والنفسية الى مواقف سلوكية في الدرس	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٣٢
٤	استيعاب نظريات التعليم والتعلم	الاعداد العلمي	٢,٢٩
٢١	استيعاب المعارف الخاصة بطرق التدريس	الاعداد العلمي	٢,٢٨
٣٥	تقبل اراء الاخرين	العلاقات الانسانية	٢,٢٥
١٨	استخدام ادوات الاختبار والتقويم	التقويم	٢,٢٤
١٦	التفاعل مع الآخرين	العلاقات الانسانية	٢,٢٤
١١	تحويل اهداف الدرس الى صيغ سلوكية يمكن التحقق منها	تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢,٢٣
٢٤	حسم مشكلات تعليمية طارئة	=	١,٢٢
٢٣	الالتزام بالعمل الجماعي	العلاقات الانسانية	٢,٢٠
٢٢	الافادة من نتائج الاختبارات في التقويم	التقويم	٢,١٧
١٥	اعداد ادوات اختبار مناسبة للانشطة التعليمية المختلفة	التقويم	٢,١٦
١٧	معرفة اسس الادارة التعليمية	الاعداد العلمي	٢,١٣

٣-٢ الفروق بين مجموعة اعضاء هيئة التدريس في كلية التربية ومجموعة مدراء المدارس الثانوية والمشرفين الاختصاص من حيث تقديراتهم للاهمية النسبية للكفاءات

اظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠،٠١) في (١٢) كفاءة بين المجموعتين في مدى تقديرهم للاهمية النسبية للكفاءات ، ومن مراجعة متوسط درجات هذه الكفاءات في كلتا المجموعتين نجد تفوق مجموعة المدراء والمشرفين على مجموعة اعضاء هيئة التدريس في كلية التربية في جميع الكفاءات التي ظهرت فيها الفروق، مما يعني ان المدراء والمشرفين اعطوا اهمية لهذه الكفاءات بدرجة اكبر مقارنة مع تدريسي كلية التربية.

توزعت الكفاءات التي ظهرت فيها فروق بين المجموعتين في المجالات الاتية :

اولا: مجال اعداد الدرس - ظهرت فروق في كفاءتين من مجموع اربع كفاءات يتضمنها هذا المجال ، وهما :

- «تهيأة المعلومات والأنشطة ذات العلاقة المباشرة بالدرس». بلغ متوسط درجة التدريسيين في هذه الكفاءة (٢،٦٢) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢،٩٤) ،

- «اختيار وسائل تعليمية مناسبة »، بلغ متوسط درجة التدريسيين في هذه الكفاءة (٢،٢٧) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢،٥٩) ،

ثانياً: مجال تنفيذ الدرس وادارة الصف - ظهرت فروق في ثلاث كفاءات من مجموع (١٥) كفاءة وهي كما يأتي :

- «مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة» ، بلغ متوسط درجة اعضاء هيئة التدريس في هذه الكفاءة (٢،٤٠) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢،٧٠)،

- «استخدام وسائل تعليمية»، بلغ متوسط درجة التدريسيين التدريس في هذه الكفاءة (٢،٢٢) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢،٦٢) ،

- «تحويل المبادىء التربوية والنفسية الى مواقف سلوكية في الدرس»، بلغ متوسط درجة التدريسيين في هذه الكفاءة (٢،٠٠) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢،٤٩).

ثالثاً: مجال الاعداد العلمي، ظهرت فروق في اربع كفاءات من مجموع تسع كفاءات في هذا المجال، والكفاءات التي ظهرت فيها الفروق هي:

ـ المعرفة في مجال توجيه وارشاد الطلبة ، بلغ متوسط درجة التدريسيين في هذه الكفاءة (٢,٢٠) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢,٥٠) .

ـ معرفة أسس الادارة التعليمية ، بلغ متوسط درجة التدريسيين في هذه الكفاءة ؛ (١,٨٢) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢,٢٨) .

ـ استيعاب المعارف الخاصة بطرق التدريس بلغ متوسط درجة التدريسيين في هذه الكفاءة (٢,٠٥) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢,٤٠) .

ـ «استخدام الاسلوب العلمي في النشاط المهني» . بلغ متوسط درجة التدريسيين في هذه الكفاءة (٢,٠٩) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢,٥٣) .

رابعاً : مجال التقويم : ظهر فرق في كفاءة واحدة من مجموع اربع كفاءات في هذا المجال وهذه الكفاءة هي «الالمام باساليب الاختبار والتقويم» اذ بلغ متوسط درجة التدريسيين في هذه الكفاءة (٢,١٠) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢,٤٧) .

خامساً: مجال العلاقات الانسانية ، ظهرت فروق في كفاءتين من مجموع اربع كفاءات يتضمنها هذا المجال هما :ـ

ـ «التعامل مع الاخرين» ، بلغ متوسط درجة التدريسيين في هذه الكفاءة (٢,٠٠) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢,٣٧) .

ـ الالتزام بالعمل الجماعي ، بلغ متوسط درجة التدريسيين في هذه الكفاءة (١,٩٦) في حين بلغ متوسط الدرجة لدى المدراء والمشرفين (٢,٣٣) .

جدول يبين الكفاءات التي ظهرت فيها الفروق بين مجموعة تدريسي كلية التربية ومجموعة المشرفين ومدراء المدارس الثانوية الاكاديمية

المجال	الكفاءة	متوسط الدرجة: التدريسيون في كلية التربية	متوسط الدرجة: المشرفون والمدراء	مستوى الدلالة
اعداد الدرس	١.تهيأة المعلومات والانشطة ذات العلاقة المباشرة بالدرس	٢,٦٢	٢,٩٤	١٤,٨٧ •
	٦تحديد اهداف الدرس	٢,٧١	٢,٥٨	٥,٢١
	٨اختيار وسائل تعليمية مناسبة	٢,٢٧	٢,٥٩	١٢,٦٩ •
	١٣اعداد خطة للدرس	٢,٤٤	٢,٥٧	٢,١١
تنفيذ الدرس وادارة الصف	٢استثمار وقت الدرس	٢,٧١	٢,٧٨	٥,٣٨
	٣مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة	٢,٤٠	٢,٧٠	١٠,١١ •
	٧ربط محتوى الدرس بالخبرات السابقة	٢,٣٨	٢,٥١	٤,٣٢
	٩اثارة اهتمام الطلبة بالدرس	٢,٦٧	٢,٧٧	١,٦٢
	١٠استخدام وسائل تعليمية	٢,٢٢	٢,٦٢	١٨,٣٥
	١١تحويل اهداف الدرس الى صيغ سلوكية يمكن التحقق منها	٢,٢٥	٢,٢٢	١,٩٧
	١٢عرض محتوى الدرس وفق تسلسل منطقي	٢,٥٥	٢,٦١	٢,٠٢
	١٩ ربط محتوى الدرس بواقع الحياة	٢,٣٦	٢,٥٦	٤,٨٤
	٢٠ التنويع في استخدام طرق التدريس	٢,٢٩	٢,٤٠	١,٥٢
	٢٤حسم مشكلات تعليمية طارئة	٢,١١	٢,٢٨	٥,٥٢
	٢٥المحافظة على النظام اثناء الدرس	٢,٦٤	٢,٨٤	٧,٦٧

تتمة الجدول

	٢٩	اشراك الطلبة بالدرس	٢,٦٥	٢,٨٢	٥,٢٩
	٣١	تشخيص الفروق الفردية بين الطلبة	٢,٤٢	٢,٥١	٢,٣١
	٣٤	استخدام لغة مناسبة	٢,٣٨	٢,٤٠	٠,٧٣
	٣٦	تحويل المبادىء التربوية والنفسية الى مواقف سلوكية في الدرس	٢	٢,٤٩	٢٥,٢١ •
	٤	استيعاب نظريات التعليم والتعلم	٢,١٦	٢,٣٦	٧,٣٠
	٥	المعرفة في مجال توجيه وارشاد الطلبة	٢,٢٠	٢,٥٠	١٠,٠٩ •
الاعداد	١٤	الالمام بالمادة العلمية للاختصاص	٢,٨٢	٢,٨٩	١,٢٦
العلمي	١٧	معرفة اسس الادارة التعليمية	١,٨٢	٢,٢٨	١٧,٥ •
	٢١	استيعاب المعارف الخاصة بطرق التدريس	٢,٠٥	٢,٤٠	١١,١ •
	٢٦	المعرفة في الحقول ذات العلاقة بالاختصاص	٢,١٦	٢,٤٠	٨,٨٢
	٢٨	استخدام الاسلوب العلمي في النشاط المهني	٢,٠٩	٢,٦٣	٢٤,٤٥ •
	٣٠	معرفة خصائص مرحلة المراهقة	٢,٤٠	٢,٥٠	١,٨٧
	٣٢	تجديد المعلومات	٢,٥٨	٢,٦٤	١,٤٧
	١٥	اعداد ادوات اختبار مناسبة للانشطة التعليمية	٢,٠٥	٢,٢١	١,٢٣٥
	١٨	استخدام ادوات الاختبار والتقويم	٢,٢٢	٢,٢٥	٠,٦١
التقويم	٢٢	الافادة من نتائج الاختبارات في التقويم	٢,٠٥	٢,٢٣	٣,٥
	٢٧	الالمام باساليب الاختبار والتقويم	٢,١٠	٢,٤٧	١٢,٦٤ •
	١٦	التفاعل مع الاخرين	٢,٠٠	٢,٣٧	١٨,٦٢ •
العلاقات	٢٣	الالتزام بالعمل الجماعي	١,٩٦	٢,٣٣	١٤,٣٦ •
الانسانية	٢٣	المرونة في التعامل مع الطلبة	٢,٣٤	٢,٣٦	٠,٩٦
	٣٥	تقبل اراء الاخرين	٢,١,٥	٢,٣١	٧,٦٩ •

* عند متسوى دلالة ٠,٠١ = ٩,٢١

٣ ـ ٣مناقشة النتائج

اظهرت نتائج الدراسة المعطيات الاتية :

اولا: ان جميع الكفاءات التي شملتها الدراسة ظهرت بانها ضرورية ولم تظهر أية كفاءة بمستوى أقل ضرورة ، ونرى ان سبب ذلك يعود الى ان هذه الكفاءات قد تم تحديدها بصورة رئيسة من قبل الممارسين في مجال التعليم الثانوي والتدريسيين الذين يعدون مدرسي المرحلة الثانوية ، مما يعكس ان استجابات المستفتين كانت تعبر عن حاجة مهنة التدريس للكفاءات التي تضمنتها الدراسة بغض النظر عن درجة ضرورتها .

ثانياً: ابدى المستفتون اهتماماً مميزاً بالكفاءات التدريسية الخاصة بمجالي اعداد الدرس ، وتنفيذ الدرس وادارة الصف . حيث حددوا جميع كفاءات مجال اعداد الدرس و(٨٠٪) من كفاءات مجال تنفيذ الدرس وادارة الصف بانها كفاءات ضرورية جداً ، كما ان معظم كفاءات هذين المجالين حصلت على درجات عالية مقارنةمع كفاءات المجالات الاخرى في مدى تحديد الاهمية النسبية للكفاءات المطلوبة . وقد تعزى هذه النتيجة الى جملة ، عوامل منها ، الاحساس العام بوجود حاجة ماسة للمهارات التي تتضمنها كفاءات هذين المجالين ، ونرى ان هذه الحاجة آتية بفعل زيادة المتطلبات المهنية لعمل المدرس في الوقت الحاضربسبب التطور الكبير في المعارف وفي مجال الخبرات التربوية اذ ان مهنة التدريس مثل المهن الاخرى تعرضت بفعل التقدم العلمي والتكنولوجي وبفعل الخبرات التطبيقية الى تغييرات في المتطلبات اللازمة لادائها اذ اصبحت تؤدي مهاماً تختلف بمرور الزمن تبعاً للتغيرات الحاصلة في المجالات التي تؤثر فيها ولذا يظهر باستمرار ترتيب جديد لاولوية المهارات والكفاءات المطلوبة وهذه الاولوية يؤشرها بشكل كبير ميدان عمل المدرس ولما كانت مهارات هذين المجالين تعد من المهارات التي يستخدمها المدرس في نشاطه التعليمي بصورة متكررة يومياً لذا ظهر تأكيد كبير على الكفاءات المتضمنة لها والتي تقع ضمن هذين المجالين .

اما العامل الاخر في زيادة تأكيد المستفتين على كفاءات هذين المجالين فقد يعزى الى التأكيدات المستمرة من قبل القيادة التربوية في الدولة في تحسين نشاطات المؤسسات التعليمية (ومنها المدارس الثانوية الاكاديمية) وتطوير براجها ومختلف انشطتها التعليمية لزيادة فاعليتها ولما كانت كفاءات هذين المجالين تشكل الجزء الاعظم من المهام اليومية للمدرس لذا جاء تأكيد المستفتين على معظم كفاءات هذين المجالين .

ويمكن ان يعود السبب اضافة الى ماسبق الى ان موضوع العلاقة بين المهارات التي تكون كفاءات هذين المجالين التي ينبغي ان يمتلكها المدرس والنتائج المترتبة عليها قد خضع لدراسات عديدة سواء داخل القطر العراقي اوخارجه مما ترك اثراً ايجابياً في حدود معينة على زيادة ادراك اهمية هذه الكفاءة من قبل العاملين في التعليم وخاصة المسؤولين منهم (العطار : ١٩٧٥)، (الكناني :١٩٧٩) ، (الشويلي: ١٩٨٠) (عبد الرضا: ١٩٢) (بطرس ١٩٨٣) ؛ (زاهر : ١٩٨١) ، (جامع واخرون: ١٩٨٤) (Sipkins 1977)

ثالثاً: حصلت كفاءات مجال الاعداد العلمي على الترتيب الثالث من حيث نسبة عدد الكفاءات التي وقعت ضمن مستوى (ضرورية جداً) اذ بلغت (٥٦٪) من مجموع كفاءات هذا المجال وبالرغم من اهمية كفاءات هذا المجال لمهنة التدريس نلاحظ ان المستفتين قد اعطوا اهمية اكبر لكفاءات مجالي اعداد الدرس وتنفيذ الدرس اعتقاداً منهم أن الحاجة المحسوسة في الوقت الحاضر تنصب على الكفاءات المباشرة في الاعداد العلمي ، ولذلك . اعطى المستفتون أهمية كبيرة لكفاءتين في مجال الأعداد العلمي لهما علاقة مباشرة مع المهام العلمية التي يؤديها المدرس يومياً والمرتبطة بالمادة العلمية التي يدرسها . وهما الالمام بالمادة العلمية للاختصاص وتجديد المعلومات اذ حصلت على درجات عالية ضمن سلم درجات (ضرورية جداً) ووقعت ثلاث كفاءات اخرى من هذا المجال ضمن مستوى (ضرورية جداً) ولكن بدرجة اقل من الكفاءتين السابقتين لكونها كفاءات اقل ارتباطاً بالمادة العلمية التي يدرسها المدرس .

رابعاً: من ملاحظة النتائج يظهر ان هنالك كفاءة واحدة لكل مجال من مجالي العلاقات . الانسانية والتقويم جاءت ضمن مستوى (ضرورية جداً) وبنسبة (٢٥٪) لكل منهما وحصلت كل منهما على درجة متدنية ضمن هذا المستوى كما ان القسم الاكبر من كفاءات هذين المجالين جاءت ضمن (مستوى ضرورية) وبدرجات متدنية ايضاً .

ان ضعف تأكيد المستفتين على كفاءات هذين المجالين مقارنة مع تأكيدهم الكبير على كفاءات المجالات الاخرى يمكن ارجاعه الى عوامل منها :

ضعف وعي العاملين في ميدان اعداد المدرسين والادارة التعليمية للمرحلة الثانوية لاهمية كفاءات المجالين التي ابرزت المفاهيم التربوية الحديثة اهميتها في العملية التعليمية والتربوية لكافة مراحل التعليم ، وكذلك من العوامل التي أدت برأينا ايضاً الى ضعف اهتمام المستفتين باهمية كفاءات هذين المجالين هو اعتقادهم بان هذه الكفاءات تتكون وتتطور

من خلال الخبرة في العمل ، وقد يعزى ايضاً الى قلة الدراسات الميدانية في العراق التي تبرز علاقة هذه الكفاءات بالعملية التعليمية والتربوية ، اضافة الى ذلك فقد يعود السبب ايضاً الى ضعف تأكيد الادارات المدرسية والمشرفين على كفاءات هذين المجالين اثناء عملهم الاداري والاشرافي مقارنة بالكفاءات الخاصة في المجالات الاخرى .

خامساً: اظهرت النتائج كما اشرنا سابقاً — وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠١) في (١٢) كفاءة، معبرة عن تفوق مجموعة المدراء والمشرفين في تقديرهم للاهمية النسبية في جميع هذه الكفاءات على مجموعة تدريسي كلية التربية وتعزى هذه النتيجة في نظرنا الى : ان معظم الكفاءات التي ظهرت فيها فروق تخص المهام التطبيقية لمهنة التدريس مباشرة وحتى الكفاءات التي تنتمي الى مجال الاعداد العلمي هي الاخرى مرتبطة بشكل مباشر بالمهام التطبيقية ولما كان افراد المجموعة الاولى (المدراء والمشرفون) يعملون في الميدان التطبيقي لذا اعطوا اهمية اكبر لهذه الكفاءات احساساً منهم بالحاجة الفعلية لها في ميدان العمل المهني، في حين ان المجموعة الثانية (اعضاء هيئة التدريس في كلية التربية) هي مجموعة اكاديمية مهتمة بصورة اكبر بالجانب النظري الاكاديمي ويعوز افرادها حسب اعتقادنا تصور كاف عن حاجة الميدان التطبيقي للمهارات المطلوبة.

كما ان سبب تفوق المجموعة الاولى في تقديرهم الاهمية النسبية لهذه الكفاءات يرجع في نظرنا ايضاً الى ضعف اهتمام افراد المجموعة الثانية بالجوانب التربوية وتركيز اهتمامهم بجانب التخصص العلمي، ويعبر عن هذه الحالة ليس فقط الكفاءات التي ظهرت فيها فروق بل معظم الكفاءات الاخرى — عدا كفاءتين — حيث ظهر فيها تفوق نسبي لدى افراد المجموعة الاولى في تقديرهم اهمية الكفاءات المذكورة في الدراسة ، فقد حصلت المجموعة الأولى على متوسطات اعلى لدرجات الضرورة مقارنة مع المتوسطات التي حصلت عليها المجموعة الثانية ومما يدعم وجهة النظر هذه هو ان اغلب افراد المجموعة الثانية غير مؤهلين تربوياً في مجال التدريس (لم تتضمن برامج تعليمهم العالي موضوعات في التربية وعلم النفس) .

٤ — التوصيات:

في ضوء النتائج التي جاءت بها الدراسة يمكن تقديم التوصيات الاتية

١ — تقويم برامج الاعداد في كلية التربية في ضوء مدى ما يتضمنه للكفاءات المطلوبة والتي جاءت بها الدراسة.

٢ - اعادة النظر في مسألة اعطاء الاولوية للكفاءات التي تهدف كلية التربية تحقيقها في ضوء نتائج الدراسة، وذلك بتوجيه اهتمام اكبر للكفاءات التي جاءت بمستوى ضرورية جدا وتليها الكفاءات الضرورية ، ويتطلب هذا زيادة في عدد ساعات المواد التربوية والنفسية وتضمين البرنامج مواداً او موضوعات جديدة اخرى تلبي الكفاءات التي ظهرت الحاجة اليها والتي يخلو برنامج كلية التربية من المواد التي تعد هذه الكفاءات مثلا الارشاد والتقويم والوسائل التعليمية... الخ .

٣ - توجيه اهتمام خاص لمسالة التأهيل التربوي والنفسي لتدريسيي كلية التربية من اجل تحسين ادائهم المهني من جانب ومن جانب اخر من اجل تكوين اتجاه ايجابي لدى التدريسيين في كلية التربية نحو المواد التربوية والنفسية التي لها علاقة بمعظم الكفاءات المطلوبة لمهنة التدريس.

٤ - ايجاد قنوات متعددة لزيادة اتصال تدريسي كلية التربية بالمدارس الثانوية الاكاديمية من اجل زيادة خبرتهم وتعريفهم بمتطلبات مهنة التدريس ، والمشكلات التي تجابه المدرس في نشاطه المهني التطبيقي.



استبيان لدراسة الكفاءات
اللازمة لمدرسي المرحلة الثانوية العامة (الاكاديمية)

تهدف هذه الدراسة تحديد الكفاءات اللازمة لاعداد مدرسي المرحلة الثانوية العامة ووضع الكفاءات في متناول المسؤولين في كلية التربية للافادة منها في عملية الاعداد وتحدد الكفاءات استناداً الى رأي ذوي الخبرة من التدريسيين في كلية التربية والمشرفين الاختصاصي ومدراء المدارس الثانوية العامة .

ولما كنتم احد الخبراء في هذا المجال فلاشك انكم افضل من يستطيع تحديد الاهمية النسبية للكفاءات الواردة في هذا الاستبيان ، لذا نود مشاركتكم في الاجابة عليه خدمة للعلم .

علماً بأن المقصود بالكفاءة في هذا الاستبيان . مجموعة معارف ومهارات تجعل مدرس المرحلة الثانوية العامة قادراً على اداء مهمته ضمن مواصفات مناسبة . والتي تستطيع كلية التربية تكوينها لدى الطلبة (تستثنى هنا الكفاءات التي تتكون اثناء ممارسة المهنة) .

مع فائق تقديرنا لتعاونكم..

معلومات:

ضع اشارة (✓) امام المكان المناسب :

١ – مشرف اختصاص ..

٢ – مدير مدرسة ..

٣ – تدريسي في كلية التربية لاتقل خبرته المهنية عن خمس سنوات

طريق الاجابة :

في الصفحات التالية توجد مجموعة من الكفاءات وامام كل كفاءة ثلاث اختيارات (ضرورية جداً ، ضرورية ، اقل ضرورة) . ارسم دائرة حول الاختيار الذي ينطبق مع وجهة نظرك انت .

وكما هو موضح في المثال الاتي :

مثال: استخدام وسائل تعليمية

. ان تجد هذه الكفاءة ضرورية جداً ولايمكن لكلية التربية الاستغناء عن الاعداد بها والتي يجب التركيز عليها بدرجة كبيرة فارسم دائرة حول الاختيار (ضرورية جداً) وان تجد انها كفاءة تأتي ضرورتها بالدرجة الثانية ، فأرسم دائرة حول الاختيار (ضرورية وان تجدها كفاءة تأتي بالدرجة الثالثة والتي يمكن التركيز عليها بدرجة اقل فأرسم دائرة حول (اقل ضرورة) .

	الكفـــاءات	الأختيـارات		
١.	تهيأة المعلومات والأنشطة ذات العلاقة المباشرة بالدرس.	ضرورية جدا	ضرورية	اقل ضرورة
٢.	استثمار وقت الدرس	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٣.	مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة.	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٤.	استيعاب نظريات التعليم والتعلم.	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٥.	المعرفة في مجال توجيه وارشاد الطلبة.	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٦.	تحديد أهداف الدرس .	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٧.	ربط محتوى الدرس بالخبرات السابقة	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٨.	اختيار وسائل تعليمية مناسبة.	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٩.	اثارة اهتمام الطلبة بالدرس	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
١٠.	استخدام وسائل تعليمية.	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
١١.	تحويل اهداف الدرس إلى صيغ سلوكية يمكن التحقق منها.	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
١٢.	عرض محتوى الدرس وفق تسلسل منطقي	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
١٣.	اعداد خطة الدرس.	ضرورية جدا	ضرورية	أقل ضرورة
١٤.	الالمام بالمادة العلمية للاختصاص	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
١٥.	اعداد ادوات اختبار مناسبة للانشطة التعليمية المختلفة.	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
١٦.	التفاعل مع الاخرين	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
١٧.	معرفة اسس الادارة التعليمية	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
١٨.	استخدام ادوات الاختبار والتقويم	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
١٩.	ربط محتوى الدرس بواقع الحياة .	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٢٠.	التنويع في استخدام طرق التدريس.	ضرورية جداً	ترورية	أقل ضرورة
٢١.	استيعاب المعارف الخاصة بطرق التدريس	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٢٢.	الأفادة من نتائج الأختبارات في التقويم.	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٢٣.	الألتزام بالعمل الجماعي	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة

	الكفاءات		الأختيارات	
٢٤.	حسم مشكلات تعليمية طارئة.	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٢٥.	المحافظة على النظام اثناء الدرس	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٢٦.	المعرفة بالحقول ذات العلاقة بالاختصاص	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٢٧.	الالمام بأساليب الأختبار والتقويم	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٢٨.	استخدام الاسلوب العلمي في النشاط المهني	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٢٩.	اشراك الطلبة بالدرس	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٣٠.	معرفة خصائص مرحلة المراهقة	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٣١.	تشخيص الفروق الفردية بين الطلبة	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٣٢.	تجديد المعلومات	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٣٣.	المرونة في التعامل مع الطلبة	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٣٤.	استخدام لغة مناسبة	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٣٥.	تقبل آراء الآخرين	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة
٣٦.	تحويل المبادىء التربوية والنفسية إلى مواقف سلوكية في الدرس	ضرورية جداً	ضرورية	أقل ضرورة

المصادر

١ – الاهواني، أحمد فؤاد . التربية في الاسلام . دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٥ .

٢ – جامع ، حسن واخرون . الكفاءات التدريسية اللازمة لمعلم المرحلة الأبتدائية في دولة الكويت ، المجلة التربوية ، العدد الثاني ، ١٩٨٤ .

٣ – زاهر ، محمد . الكفاءات اللازمة للمعلم في قطر . حوليه كلية الأنسانيات والعلوم الأجتماعية ، العدد الثالث ١٩٨١ .

٤ – الشويلي ، محمد علي . علاقة التأهيل التربوي لمدرسي اللغة العربية بتحصيل طلبة الصف الثالث المتوسط ، بغداد ، كلية التربوية ، ١٩٨٠ .

٥ – مزعل ، جمال اسد ، الديداكتيكا ، دراسة في نظرية التعليم والتعلم ، الموصل ١٩٨١ .

٦ – مهدي ، محمد علي . الجانب المهني من مناهج معاهد اعداد المعلمين والمعلمات في العراق ، اطروحة ماجستير ، ١٩٨٠ جامعة عين شمس القاهرة .

٧ – نعمة ، عبدالله حسن . تقويم الاعداد المهني لطلبة كلية التربية في الجامعات العراقية ، كلية التربية بغداد ١٩٨٢ اطروحة ماجستير .

٨ – العطار ، عباس علي ، أثر التأهيل التربوي لمدرسي العلوم في تحصيل طلاب السادس العلمي في ثانويات العراق ، بغداد ، كلية التربية ، ١٩٧٥ .

٩ – طلس،محمد اسعد.التربية والتعليم في الأسلام ،دار العلم للملايين،بيروت ١٩٥٧.

10. Armstrong, D.G., and others, "Education"MaCmillan Publishing, New Yourk 1981.

11. Kupisiewioz, Cz. Podstawy Dydaktyki Ogolnej, Warszawa 1973.

12. Hall, H.O. Professional preparation and teacher Efectiveness, Journal of teacher Education 1964.

13. Lupone, O.J., "Acomparison of Professionally Certified and Permently, Journal of Education Research 1961

14. Malinowski, Nouczycieli Spoleczenstwo, Warszaw, 1968

15. Monka– Stanikova, Wspolezesne Tendencje W Ksztajcenia Nauczycieli W Krajoch Zachodnich, "Rocznik-Pedagogiczay" T.2

16. Simphins, T.V. Selected criteria Needed by college Faculty in a compatency Performance Based Teacher Education Program, dissertation Abstracts International, 1978 Vol. 38 No. 2.

17. Szezepanski, Rzecz O Navczyeielach wWycbowujocym Spoleczenstwie, Warszawa 1975.



الشباب الموهوبون وكيفية توجيههم نحو العمل المبدع

عاصم محمود الحياني
جامعة الموصل/ كلية التربية

المقدمة :

« الشباب هم قاعدة القوة في الأمة والتجدد والوثوب وهم العقل الراجح فيها » .

من هذه المقولة للرفيق القائد صدام حسين (حفظه الله) نستطيع ان ندرك أهمية الشباب ودورهم الفاعل في رفد الأمة العربية بكل مايملك الشباب من طاقات هائلة تقف في قوتها وصلابتها بوجه الاعداء الحاقدين وهم قاعدة الأمة لما لها من خصوصية حددها الرفيق القائد هي ان « الشباب يعيش فترة اطول بالمقارنة مع غيره من مراحل عمر الانسان الأخرى لذا فأن الفترة التي ستوكل إلى الشباب في بناء المستقبل المطلوب ضمن عملية التغيير الثوري ستكون فترة اطول . (٦ ص ٥ –٦) .

ان الدور المؤثر للشباب في اغناء المجتمع بكل ماهو جديد ومبدع لغرض دفع الأمة للحاق بالتطور العالمي من خلال رعاية اصحاب المواهب وتوجيههم نحو العمل المبدع الذي يجعل من الشباب العقل الراجح . ان مسألة الأهتمام بتنمية الطاقات البشرية وتوجيهها من أشد المطالب الحيوية في هذا العصر .

ويسعى قطرنا لتطوير قواعده البشرية والمادية خدمة للوطن والأمة وقد أولت قيادة الحزب والثورة أهمية كبيرة للعناية بالثروة البشرية ورفع كفاءتها العملية لكي تكون قادرة على ان تؤدي دورها الوطني والقومي في دفع عملية التنمية إلى الامام .

وان رعاية الموهوبين والأهتمام بهم ماهو الا تجسيد حي لأعتبار الأنسان قيمة عليا بالمجتمع له الدور الكبير في بناء الوطن والدفاع عنه . والموهوبون في كل مجتمع الطاقة الدافعة نحو التقدم والبناء فمن طريقهم يمكن ان تصل الأنسانية إلى اعلى ما تطمح فيه في حقل المخترعات التي تنقل الأنسان من حالته المتخلفة إلى الحالة المتقدمة التي تسعى جميعاً للوصول اليها . فالموهوبون هم ذخيرة الوطن ومصدر سعادته وثروته وهم عدة الحاضر وقادة المستقبل في شتى الميادين وبهم ازدهرت الحضارة وتقدمت الأنسانية واستخدم الأنسان الذرة وغزا الفضاء فقد اهتمت بعض الأقطار العربية ومنها العراق ايضاً بتوجيه الموهوبين .

ويجب الا ننسى ان توجيه الموهوبين الشباب وارشادهم (مطلب ديمقراطي يعكس ايماناً مطلقاً بالحق المطلق لكل فرد في اتاحة الفرصة لتنمية قدراته إلى المستوى الذي ترصله اليه امكانياته) (١١ص ٤٢٥) : وان العراق احوج مايكون إلى جهود ابنائه الذاتيه في الميادين كافة ولذلك فان الضرورة تقتضي رعاية الموهوبين الشباب قدراتهم وتوجيههم نحو العمل المبدع لمواكبة التقدم الحالي .

ان توجيه الموهوبين الشباب والأهتمام بهم له مايبرره فهم وسيلتنا إلى مواجهة التحديات ومقاومة التخلف ورعايتها وتوجيهها أمر تفرضه الشرائع وتمليه المبادىء التي تعتمد عليها الثورة وقد اكدت قيادة الثورة على أهمية بناء الأنسان المبدع المبتكر المؤمن والمستوعب لعقيدة الثورة وقائدها الرفيق القائد صدام حسين (حفظه الله) ومطاوب ابتداع وتوظيف كل الوسائل والأساليب التي توصلنا إلى الهدف والذي يصب في البناء الحضاري للعراق العظيم . وبالوقت الذي نعمل في ضوء بناء الأنسان المبدع والمبتكر المؤمن والمستوعب الذي يقوم بدور قيادي يجب علينا اعتماد كل القنوات والمسارات العلمية المطلوبة لترصين الحالة العلمية لطلبة .

ولكي يأخذ البحث جوهره الحقيقي لابد من تفسير مايلي :

الموهبة — الأبداع — التوجيه .

اولا .. الموهوبون ...

قبل البدء بتعريف الموهبة لابد لنا من أن نعرف :

١ — ١ الموهوب : فالموهوب هو كل فرد امتلك نشاطاً يميزه عن اقرانه بتفوقه عليهم ويبدي امكانية ابداع مستمرة في مناشط الحياة المتعددة فيبرز ويتفوق وفق هذا النشاط .

وقد جاء في (دراسة معوض) ان الموهوب هو كل ذي موهبة سواء اكان ذكاءاً ممتازاً او قدرة ابتكارية عالية اواستعداد اوقدرة خاصة متميزة (١١ص٥) وعلى هذا الاساس ان الافراد الذين يحصلون على درجات عالية في اختبارات الذكاء ولديهم القدرة الأبتكارية العالية من خلال تطبيق اختبارات القدرة الأبتكارية ولديهم قدرات خاصة كالقيادة والقدرة الموسيقية او الفنية يسمون بالموهوبين . وجاء في دراسة العامري والندا ان الموهوب يجب ان يتصف بقدرة ابداعية وابتكارية مستمرة في احد المناشط الأنسانية ثم امتيازه بالسرعة والدقة غير المتوقعة في انجاز الأعمال اليدوية والميكانيكية او الفكرية وكذلك التفوق المدرسي ثم الاستعداد القيادي (٨ ص ١٠٣) .

اما الموهبة :

وكما عرفها جابلن (Chaplin) هي قدرة مثل القدرة الموسيقية التي تؤهل صاحبها لان يكون قادراً من خلال حصوله على درجات عالية في التدريب (١٣ص ٤٩٥) .

وجاء في الموسوعة التربوية ان الموهبة عند الفرد يمكن حصرها في القدرة العامة للذكاء ، القدرات الخاصة مثل (الفنون) العلاقات المكانية ، القياد – الخ (١٤ص ١٣٩)

١– ٢ إكتشاف الموهوبين

هنالك اساليب عديدة يمكن من خلالها الكشف عن المواهب منها :

١ – عن طريق السلوك الملاحظ يشارك في تحديده .

٢ – الأسرة والمجتمع اللذان تستطيعان ان يحدد السلوك الأبداعي الموهوب .

– والمدرسة من خلالها التحصيل الدراسي والاختبارات التحصيلية المقننة يمكن تحديد السلوك الابداعي .

– السلوك القيادي :

– الاعمال اليدوية والمكانيكية والتي تصاحبها دقة وسرعة في الانجاز غير متوقعة اختبارات القدرات الخاصة عندما تكون القدرات الخاصة غير واضحة اما اذا كانت القدرات الخاصة واضحة ، القدرة الموسيقية ، العددية اوالقدرة على ادراك العلاقات ، فيمكن تشخيص الموهوب من خلالها ، .

اختبارات الذكاء : ان استخدام مقاييس الذكاء مطبق في دول الغرب ويعتمدون عليه فكل من يحصل على ١٣٥° فمافوق في اعتبارستنا فورد – بينية للذكاء)يمكن اعتباره، موهوباً ..

اختبارات الابداع كاختبار تورانس لتفكير الابتكاري .

واكتشاف اصحاب المواهب لابد ان يتم في وقت مبكر لكي نستطيع تربيتهم وتربية مواهبهم : الأن هذا لايمنع من رعاية الموهوبين الذين يتم اكتشافهم في المراحل الاولى وهذا ماينطبق على الموهوبين الشباب الذين يصلون الى الجامعة وهم بعيدون عن الرعاية والعناية .

١ ــ ٣ خصائص الموهوب

يتصف الموهوب واصحاب القدرة العقلية العالية بالخصائص المثالية التي استنتجت من خلال دراسات اجريت لهذا الغرض .

١ ــ ٣ ــ ١ الخصائص الجسمية العامة :

يتمتع اكثر الموهوبين بصحة جسمية عالية تؤهلهم لتأدية كل ماتمليه الموهبة عليهم فلديهم، اعضاء حس على درجة ممتازة من الانتباه وللاستجابة السريعة ، ومما يؤكد ذلك دراسه طولية اجريت في الولايات المتحدة قام بها لويس ترمان وميلتا اودن استمرت الدراسة خمسة وثلاثين عاماً تتبع فيها الباحثان نمو مجموعة من الاطفال المتفوقين وحين بلغ عددهم ١٥٢٨ طفلاً واستنتجا من الدراسة ما يأتي مجموعة المتفوقين اكثر تميزاً عن العاديين من حيث النمو الجسمي (١٦ص١٢٢) وقد كان هناك اعتقاد سابق في ان الموهبة لاتظهر مع من يعانون نقصاً او عيباً في نموهم الجسمي لانهم كانوا يفسرون التفوق على اساس التعويض عن النقص .

١ ــ ٣ ــ ٢ الخصائص الانفعالية والاجتماعية :

لقد ساد الاعتقاد سابقاً في ان اصحاب المواهب يعانون من اضطرابات انفعالية وعدم مواءمة اجتماعية الاان الدراسات اثبتت عكس ذلك فمثلا «دراسات ميلر الذي وجد ان الاطفال الموهوبين اكثر سيطرة على انفعالاتهم من العاديين» (١٦ص١٢٧)

(وتدل دراسات كرودر وجالاجر على ان الموهوبين أكثر شعبية واكثر تكيفاً مع البيئة من الاطفال العاديين) . (١٢ص١٠٦)وفي دراسة (معوض) الميدانية ،التي طبقت على ٣١٠ طلاب من طلاب الثانوية في عام ١٩٨٣ في القاهرة استخدم فيها مقياس العلاقات الاجتماعية في مقياس الارشاد النفسي وجد أن النابغين والمبتكرين والاذكياء يتميزون بميل للاجتماع بالاخرين

وحب لهم وعقد علاقات اجتماعية ناجحة ، كذلك هم يشعرون بالسعادة والراحة في وجود رفاقهم ، يتمتعون بمهارات اجتماعية ويتحدثون بسهولة وطلاقة ويتميزون بصفات حميدة يوجهون سلوكهم الاجتماعي وجهات طيبة ــ وان نفس المجموعة تتميز بالثبات الانفعالي والثقة بالنفس ، فهم قليلو قلق واميل الى الهدوء والاسترخاء قادرون على اتخاذ القرارات بانفسهم ،ولايخافون المواقف الجديدة وغالباً مايتصرفون بكفاءة في المواقف الغريبة . في حين ان مجموعة العاديين يحتمل ان يكونوا على نفس الدرجة من هذه الدرجة فهم اقل نضجاً ومقدرة في عقد العلاقات الاجتماعية واقل في مستوى ثبات الانفعالي «١١ص٢١٧ ــ ٢٢٥» .

هذا يستنتج ان الموهوبين لديهم القدرة على التكيف مع المجتمع ولديهم السيطرة التامة على انفعالاتهم الا أن هذا لايمنع من وجود بعض الحالات الشاذة .

١ ــ ٣ ــ ٣ خصائص العقلية

يتمتع الموهوبون بقدرات عقلية تفوق القدرة العقلية عند العاديين وان اكثر اصحاب المواهب يكون عمرهم العقلي اكبر من عمرهم الزمني والنمو العقلي لديهم يعادل ١,٣سنة عقلية مقابل سنة زمنية واحدة في الاقل في حين ان النمو العقلي للعاديين متساو عقلياً وزمنياً ــ لو طبقت اختبارات الذكاء على الموهوبين يحصل على درجات اعلى من العاديين ويلخص ويتي الخصائص العقلية فيما يلي :

١ ــ ازدياد حصيلتهم اللغوية في سن مبكر .

٢ ــ ازدياد قدرتهم على استخدام اللغة التامة في سن مبكر عندما يعبرون عن افكارهم

٣ ــ الدقة في الملاحظة .

٤ ــ الشغف بالكتب

٥ ــ القدرة على تركيز الانتباه مدة اطول .

٦ ــ القدرة على ادراك العلاقات السببية .

٧ ــ القدرة على تعلم القراءة في مبكر .

٨ ــ تعدد الميول (١٠٢ص١٠٥) .

١ ــ ٤ تربية ورعاية الموهوبين

في عام ١٩٨٣ بدأت اول رعاية منظمة ومبرمجة لتربية ورعاية الموهوبين في العراق ، وكانت ومازال في بداياتها وقد سبقتنا الدول المتقدمة في هذا المجال وقد كان للاتحاد السوفيتي السبق في رعاية الموهوبين وتلته امريكا وبلدان العالم الاخرى .

ففي كل بلد كانت التربية والرعاية تأخذ اشكالاً متعددة وهنالك اساليب تتبع لرعاية الموهوبين اهمها :

١ ــ ٤ ــ ١ اولا: التسريع والتعجيل من اهم الاركان الاساسية في رعاية الموهوبين وهو ان تقدم لهم برنامجاً مرناً قابلا للتغير وهذا متمثل في التسريع والتعجيل أي منحه فرصه للموهوبين تدعم موهبتهم وترعاهم ويتم ذلك عن طريق :

(آ) القبول المبكر في المدرسة : يقبل الطفل الموهوب في المدرسة الابتدائية في ســن الخامسة اوقبلها .

(ب) اجتياز الصفوف : بعد ان يدخل الطالب المدرسة ويستمر في التعلم وتظهرعليه قدرة تفوق عالية يمتحن الطالب وفي حالة اجتيازه للموضوعات بنجاح يسمح له بأجتياز صف اوصفوف دراسية من غير ان يقضي فيها المدة المقررة .

(ج) يسمح لطلبة باداء الامتحانات المدرسية المختلفة كلما احسوا بأنهم قادرون على اجتيازها وهذا يدفعهم لاجتياز عدة صفوف من غير النظر الى السنوات التي قضاها في الدراسة .

(د) دخول الجامعة في سن مبكر

١ ــ ٤ ــ ٢ الاغناء والاثراء .

هو أحد الاركان الاساسية في رعاية الموهوبين وتربيتهم يعني اضافة مواد جديدة تتحدى قابليات وقدرات الموهوبين في حقول الرياضيات والفيزياء والعلوم واللغات اوغير ذلك فمن طريق الكتب والمجلات العلمية الحديثة ومن خلال الاستغلال الكامـــل للمختبرات وعمل البحوث نستطيع ان نثري المنهج ، والاثراء نوعان والمشاركة في المؤسسات العلمية

(آ) اثراء عمودي وهو اضافة نشاط ذي مستوى اعلى الى التعلم القائم .

(ب) اثراء افقي وهو اضافة خبرات تربوية الى التعلم القائم .

١ – ٤ – ٣ المدارس الخاصة او الصفوف الخاصة

من الاساليب الاخرى والمطبقة في بلدان العالم المتقدم المدارس الخاصة اوالصفوف الخاصة وهي الطلبة في مدارس خاصة تنظم برامجها ومناهجها وفقاً لتحدي قدرات وامكانات الشخص الموهوب ، وترضي طموحاتهم وتشبع حب الاستطلاع عندهم اوعزلهم في صفوف خاصة داخل المدارس تقدم فيها برامج علمية للطلبة الموهوبين .

١–٤ – ٤ تخطيط المناهج للموهوبين

يكون كالاتي : –

١ – التأكيد على البنية الكلية والمبادىء الاساسية لمجالات الموضوعات الدراسية ، وليس على الحقائق المنفردة .

٢ – أخذ المنبهات والمؤشرات من ميول واستعدادات الطلبة .

٣ – التأكيد على كيفية اشتقاق المعلومات وليس على المعلومات نفسها أي التفريق بين الحفظ والتذكر وبين الفهم والسماح للطلبة على الربط بين الحقائق العلمية واستنتاج أفكار جديدة .

٤ – توسيع المنهج الدراسي ومده افقياً وعمودياً أي أن توسع المنهج وتعمق المادة العلمية التي يحتويها ذلك المنهاج .

٥ – توفير وتقديم الارشاد والتوصية ، كحماية الطلبة الموهوبين من الانحراف والزلل الذي قد يحدث نتيجة للرعاية الزائدة وشعور بعضهم بأنهم اعلى مستوى من الاخرين

ثانياً الابداع

٢ – ١تعريف الابداع

يتجلى الأبداع من خلال السلوك ويشمل السلوك الأبداعي . والاختراع : والتصميم والاستنباط والتأليف والتخطيط . والأشخاص للذين يظهرون مثل هذه الأنواع من السلوك والى درجة واضحة هم الذين يوصفون بالمبدعين (٧ ص ٢٠) .

وعرفه (الزوبعي) بانه قدرة الفرد على انتاج شيء جديد لم يكن معروفاً في السابق (٥ ص ١٥١) .

٢ ـ ٢ خصائص التفكير الابداعي

ان الابداع ليس هو بالقدرة الواحدة ولكنه بالاحرى مجموعة من القدرات ارسى اسسها جيلفورد وقد حددت فيما بعد باربعة عوامل محددة للتفكير الأبداعي : الطلاقة الفكرية ـ الاصالة ـ المرونة التلقائية ـ الحساسية للمشكلات .

فان ما كتشفه سويف من عامل خامس ينظم في هذه المنطقة من التفكير اسماه (بعامل الاحتفاظ بالاتجاه) .

وفيما يأتي تعريف لهذه القدرات الخمسة :

١ ـ الطلاقة الفكرية : هي القدرة على تقديم اكبر عدد ممكن من الأفكار من التي تتمثل فيها بعض المقتنيات الخاصة ذات المعنى خلال وحدة زمنية معينة :

٢ ـ المرونة التلقائية : انها استعداد او ميل ما لدى الشخص للتحرر من التصور يمكنه من انتاج تنوع فيما يصدره من استجابات أي القدرة على الأبتعاد عن التقليد .

٣ ـ الاصالة : القدرة على تقديم استجابات ماهرة او غير شائعة .

٤ ـ الحساسية للمشكلات : قدرة الشخص على رؤية المشكلات في اشياء او ادوات او نظم اجتماعية قد لايراها الاخرون فيها او التفكير في تحسينات يمكن ادخالها على هذه النظم او هذه الأشياء .

٥ ـ الاحتفاظ بالاتجاه . انه يعني امكانية الفرد على التركيز فترة من الزمن في مشكلة معينة من غير ان تحول المشتتات بينه وبينها .

٢ ـ ٣ القيم الخاصة للمبدعين

قيمة الأصلاح : وتمثل بالاحساس بوطأة المشكلات التي يزخر بها عالم الأنسان ثم حاجة العالم إلى النظام أي خلق عالم افضل وكذلك ايمانهم بامكانيات الفرد ومسؤليته وقدره في اضفاء معنى على العالم مع توجه ، دائم . إلى الاصلاح وقضاياه .

قيمة الاستقلال

الاستقلال قد شكل قيمة هامة لهم في مسارهم الحيوي والأبداعي وقد كشفت هذه القيمة عن نفسها لديهم في شكل : القدرة على التفرد ، عدم الايضاح إلى المواصفات

الأجتماعية . وعدم الاذعان للضغوط العائلية او أي نظام تنشئة اخر ، والتعبير الحاسم عن الرغبة في الأستقلال وحرية الارادة وهو امر يقطع بوضوح هذه القيمة لديهم على مستوى التصريح المباشر لهم .

قيمة الانجاز والعمل الابداعي

أن يكون المبدع قادراً على العمل كل يوم ورغبته في ممارسة امكانياته وانهماكه في العمل حتى في ظل ظروف لايستطيع اخرون ان يعلموا في ظلها .

قيمة الاعتراف

قيمة له حجم واضح أمر لايمكن التقليل منه في حياة المبدعين كذلك وجود جانبين اساسيين لهذا البعد القيمي جانب التقدير وجانب الأحتضان للمبدعين لكفاءات نادرة .

قيمة الصدق

قيمة هامة بالنسبة للمبدعين وان الألتزام بها امر ضروري جدا وهي الحاكم في توجهاتهم وعن طريقها يستطيعون التعبير عن ذواتهم . (٤ ص ٨٣ — ٨٤) .

٢ — ٤ تطوير وتربية الابداع

هناك العديد من ميادين التعليم التي تتاح فيها الفرص لدفع الطالب إلى تمارين التفكير المبدع وتشتمل هذه الميادين على العلوم التطبيقية والعلوم الأنسانية والدراسات الأجتماعية والفنون بطبيعة الحال . وطبيعي ان بعض الميادين تتيح الفرصة للتفكير المبدع اكثر من سواها ولكن في جميعها تتوقف الفرص بصورة اساسية على كيفية تعليم الموضوع وعلى المواقف التي يتخذها المدرس . ان فهم طبيعة الأنجاز المبدع على ضوء القدرات وغيرها من الصفات التي تساهم فيه تعين عونا كبيراً على اختيار مواد التعليم وطريقة تقديم هذه المواد تكوين المواقف المناسبة عند الطالب

ونستطيع القول بان تنمية الابداع عند الطلاب تتوقف في معظمها على المواقف المتغيرة لكل من المدرس والطالب

فقد يكون لدى الطالب مبالغة في احترام قداسة الطرائق . وكم من طلابنا يعاقبون لانهم يخرجون على الطرائق المتبعة التقليدية ؟ وكم منهم يكافأون لالتزامهم بالطرائق المالوفة ؟ ان من واجب المدرس ان يشجع الاصالة عند طلابه وان لايقسرهم على طرائق الكتاب .

وثمه طريقان رئيسيان تستطيع المدرسة ان تزيد وفقا لهما في قابليات الطالب الأبداعية اولهما ان تتيح المدرسة للطالب خبرات تربوية خاصة من اجل التدريب على التفكير المبدع او المهارة في حل المشكلات اما الطريق الاخر فهو توليد (روح ابداعية) في المدرسة وتبني طريقة في التعليم تجريبية وخلاقة ومفتوحة الاطراف وذلك في كل مجال (٧ ص ١١٦ – ١١٧ – ١٠٣)

ثم توجيه الطالب الوجهة التي تساعده على بناء الثقة في نفسه والتحرر من القلق ومحاولة معالجة المشكلات بطريقة الطالب الخاصة ، ان الطلاب المبدعين قد يجدون انفسهم في مواقف من سوء التوافق غير المقصودة في علاقتهم باساتذتهم . وتزداد مظاهر سوء التوافق لدى المبدعين اذا نظرنا اليهم في علاقاتهم باقرانهم . فمن النادر ان نطلع على سيرة شخصية لاي مفكر ابداعي فلا غير ان نجد مايدل على الصراع والمشاحنات في علاقته بزملائه وقد ايد علماء النفس التجريبي في بحوثهم ذلك ويقترح « تورانس » ، المباديء الاتية اذا شئنا تشكيل مناخ تربوي مقبول لنمو القدرات الابداعية وتقبلها من هذه المبادي ء :

١ – احترام الاسئلة غير العادية او الافكار مهما بدت شاذة .

٢ – ربط الافكار باطار له معنى وهذا يساعد التلميذ على ان يدرك قيمة افكاره ويعتز بها

٣ – تشجيع فرص التعلم الذاتي والمبادأة .

٤ – اتاحة جلسات تعلم ومناقشات حرة (١ص ١٩٠ – ١٩١)

ونتيجة لما سبق يرى الباحث اعادة النظر في العملية التربوية بحيث تساعد على تحسين عملية التفكير من خلال وجود (التفريق بين مجرد الحفظ والتذكر وبين الفهم وان نسمح لطلابنا ان يستخلصوا التمثيلات من مواضيع اخرى وان نحثهم على الربط بين رموزهم الحسية المختلفة وفتح الفرص لاكتشاف الحقائق وعدم الاكتفاء بتحفيظهم اياها ونشجعهم على اللعب بالافكار والحقائق والانقتصر على مطالبتهم باعادتها فنعلمهم كيف يكونون حساسين بالمشكلات ونعلمهم ان المشكلة يكون لها عادة تفسيران وحلول متعددة وبالتالي نسمح لهم بالسير في طرق مختلفة للوصول الى الجواب المنشود .

ثم نغرس في نفس المتعلم عادة التشكك في نقد المعلومات والاراء ، ويجب ان نشجع ونستثير للتفسيرات غير الاتفاقية للخبرة وان نشجع الافكار الجديدة والتطبيقات الصادقة

ولانسارع الى نقدها وشجبها كما يجب ان نشجع تنمية العادات والمهارات في البحث عن الافكار وامكان ترابطها والاهتمام بتحقيق النتائج والتثبت من صحتها (٧ص ١٥٧ – ١٦٧) .

٢ – ٥ صفات المدرس: –

يجب ان يكون هناك مدرس مبدع حتى يستطيع تنمية روح الابداع لدى الموهوبين الشباب وان يتصف بالصفات الآتية :

١ – العقل المتسائل

وهي صفة ولادية في المدرس المبدع تعززها التربية الباكرة وحين تكون هذه الصفة موجودة عند الطفل وبشكل يتجاوز مجرد الفضول فان الاسرة تلعب دورا هاما في توضيحها وانضاجها .

٢ – القدرة على التحليل والتجميع

يصبح التحليل والتجميع عند المدرس الناجح طريقة حياة ، والمادة راسخة وتقوي التربية هذا الموقف كما يقويه التدريب . بيد ان مجرد التجميع مضر ولا بد من التحليل :

٣ – الحدس :

هو الذي يجعل المدرس مبدعا حقاً، لابد للحدس من مخزون واسع من المعلومات– التي جمعها عقل متساءل ثم قومها وحللها فيما مضى من عمره. ان الحدس بحاجة للشجاعة شجاعة مخالفة لما هو متفق عليه، وشجاعة وضع المنطق في موضعه الحق.

٤ – النقد الذاتي :

يرى (براون) ان العمل المبدع وحرية العقل والنفس اللذين يقومان على الحدس لابد لهما من ان يكونا مسبوقين بالتركيز ومتبوعين به . وان يكونا مسبوقين بالتركيز من اجل تهيئة الذات للابداع ومتبوعين بالتركيز من اجل تقويم الفكرة المبدعة وتصنيفها . وهذا يتطلب صفة النقد الذاتي الدائم الدائب (٧ص ١٧٢ – ١٧٣)

ان الاهتمام في عملية اعداد المدرس المبدع الذي يتولى رعاية الشباب الموهوب ضرورة ملحة لانماء العمل الابداعي الموجود بين الطلبة الموهوبين.

(ويعتبر توجيه الموهوبين نحو الحياة والتعلم الناجحين مسؤولية هامة وصعبة ملقاة على عاتق المدرس. فلا بد ان يكون مدرس الموهوبين قادرا على اشباع اهتمامهم وكشف مواهبهم ودفعهم للاعتماد على انفسهم باستمرار كما يوجههم الى تحرى الاصالة والى الاستعانة بخبرات الاخرين والى الابداع) (٩ص ٧٥، ٧٦) .

ثالثاً : الخدمات التوجيهية والارشادية للموهوبين الشباب

٣-١ التوجيه

لقد عرف ميلر (Milier)

التوجيه : بانه عملية تقديم المساعدة للافراد لكي يصلوا الى فهم انفسهم واختيار الطريق الصحيح والضروري للحياة وتعديل السلوك لغرض الوصول الى الاهداف الناضجة والذكية والتي تصحح مجرى الحياة (١٥ص٩٧) .

والتوجيه التربوي هو مساعدة الفرد على التوافق الذاتي والاجتماعي من أجل ان تكون لديه صحة نفسية عالية تدفعه الى العمل المبدع .

٣-٢ كيفية توجيه الموهوبين الشباب

يحتاج الموهوبين الى رعاية تمكنهم من تنمية طاقاتهم الى اقصى مستوى ممكن وهذا يتطلب وجود خدمات متكاملة تتجه الى تنمية شخصية الموهوب .

وهذه الخدمات هي :

١ - اقامة مسابقات اومعارض علمية خاصة بالشباب نستطيع من خلالها معرفة المواهب والاعمال الابداعية .

٢ - تشكيل لجنة من الاساتذة المختصين في النواحي العلمية ومن البارزين مهمتها تقويم العمل الابداعي لدى الشباب وحصر اعدادهم .

٣ - تزويد المدارس والجامعات باجهزة علمية يستطيع الشاب الموهوب من استغلالها في عملية الابداع (مثل التلفزيون - الفيديو - افلام علمية عالية تهتم بالمبدعين والاختراعات المختلفة .) .

٤ - توفير مكتبة ملحقة بالمدارس والمؤسسات الشبابية مزودة بمصادر كافية ، يديرها كادر كفؤ ومحب لعمله .

٥ — ان نعرف الشباب المبدع بكل مايجري في العالم من تقدم في جميع النواحي العلمية عن طريق صحافة الشباب ، (٣ص٧١) .

٦ — توفير اجواء مناسبة يستطيع المبدع من خلالها ان ينمي قابلياته الابداعية ومواهبه

٧ — اقامة دورات صيفية خاصة بالطلاب الموهوبين تحت اشراف اساتذة جامعيين في احدى جامعات القطر .

٨ — اعداد برامج هادفة لكي تشبع في الشباب المبدع رغبة حب الاستطلاع .

٩ — تنمية جميع جوانب شخصية المبدع من خلال رعايتهم والعناية بهم وتوفير الخدمات النفسية والتربوية والصحية والاجتماعية .

١٠ — ان نثير فيهم التفكير الابداعي من خلال الكتابة في المجلات العلمية والشبابية والمشاركة في المعارض .

١١ — توفير المناهج التي تثير فيهم روح البحث العلمي وتنمي قدرتهم على التفكير الابتكاري وتوسيع المنهج ومده افقياً وعمودياً .

١٢ — ان يكون الكتاب المنهجي مفتاحاً يعين الطالب على التعامل مع اختصاصه ولايمثل الحالة النهائية بل هو اقل من الحد الادنى لانه لايحقق الابداع والابتكار .

١٣ — التأكيد على كيفية اشتقاق المعلومات وليس على المعلومات نفسها .

١٤ — توفير وتقديم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي .

المصادر

١ – ابراهيم، عبد الستار ، افاق جديدة في دراسة الابداع ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٨ .

٢ – الجبوري، محمود شكر محمود، من الموهوبين ولماذا نرعاهم ؟ رسالة الخليج العربي ، الرياض ١٩٨٥

٣ – جعفر، نوري، الاساليب المتبعة في رعاية الموهوبين في الغرب وبالنسبة للمشروع العراقي ، ندوة رعاية الموهوبين، مطبعة وزارة التربية، بغداد ١٩٨٤ .

٤ – حسين ، محي الدين احمد ، القيم الخاصة لدى المبدعين ، دار المعارف ، مصر ١٩٨١ .

٥ – الزوبعي، عبد الجليل واخرون ، علم نفس الطفل ، اوفيست الرشيد ، بغداد ١٩٧٩.

٦ – صدام حسين، نكسب الشباب لنضمن المستقبل ، دار الحرية بغداد ١٩٧٦

٧ – عاقل، فاخر، الابداع وتربيته، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٥ .

٨ – العامري، عدي ، النداء عاصم الموهوب تشخيصه ، ندوة رعاية الموهوبين مطبعة وزارة التربية بغداد ١٩٨٤

٩ – كروكشانك . ن.ج تربية الموهوب والمتخلف ،ترجمة يوسف ميخائيل، اسعد مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧١ .

١٠ – القاضي، يوسف مصطفى، الارشاد النفسي والتوجيه التربوي، دار المريخ الرياض، ١٩٨١ .

١١ – معوض خليل ميخائيل، قدرات وسمات الموهوبين دار للفكر الجامعي ، الاسكندرية ١٩٨٣

١٢ – الشيخ يوسف محمود ، عبد الغفار عبد السلام، سيكولوجية الطفل غير العادي والتربية الخاصة ، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٥ .

13 Chap lin, d. Dietonary of peyc hohgg new york 1905 .

4 The Encyclyollld of Education LEE-C.Dgheu bon edtor- in chalf polume The Macmdlan Comp anw and The free press 1977.

15 Miller Frank w. Culdanee prime iyle and Serwui erd Edition . CHARLESE. MERRILL PUBLISHING Com 1978 .

16 Samuel Akikk- Educeting E ec lio anl Clild and Edation U.S . A 1972.



الصعوبات التي تواجه الطلبة أثناء التطبيقات التدريسية بكلية التربية / جامعة صلاح الدين

عبدالعزيز حيدر حسين   طارق عبد الوهاب علي ناصر فرحان

جامعة صلاح الدين — كلية التربية

الفصل الاول

أهمية البحث:

ان المدرس هو احد الاركان المهمة في عملية التعليم ، ولا بد ان يكون اعداده اعداداً سليماً من الناحية الاكاديمية والمهنية من خلال المناهج والنشاطات المختلفة التي تقدمها المؤسسات التربوية التي تقع على عاتقها مهمة اعداده ، ومن هذه المؤسسات كليات التربية ويتكامل هذا الاعداد غالباً من خلال طريقين رئيسين هما :

المقررات الدراسية والتطبيقات التدريسية وتقع الاولى في مجالات ثلاث هي: الثقافة العامة، ومقررات مجال الاختصاص ومقررات دراسية في التربية وعلم النفس تكون لها علاقة بمهمة اعداد الطلبة كمدرسين.

اما التطبيقات التدريسية التي يمارسها الطلبة في الصف الرابع فتشمل انشطة متعددة تساعد الطلبة المطبقين على الاتصال المباشر بالطلبة في المراحل المتوسطة والاعدادية والذين يمثلون الشريحة الاجتماعية التي سيتعامل معها في مهنة المستقبل وتعد فترة التطبيق التي تمثل الجانب العملي لمناهج اعداد طلبة كلية التربية اول خبرة عملية يمر بها الطلبة

حيث يضعون فيها كل ماتعلموه وما اكتسبوه من خبرات نظرية موضع التطبيق الفعلي من خلال الممارسة ومواجهة الواقع وتظهر فيها مواقع القوة والضعف في الجانب الاكاديمي والفني وتعتبر هذه الفترة من اخصب الفترات في حياة الطالب قبل ان يتأهلوا ويصبحوا مدرسين يتعرفون على خصائص المهنة فنياً وتربوياً كما هي على الواقع ، وخلال هذه الفترة يتعرض الطالب المطبق الى صعوبات قد تؤدي الى تلكؤه وعدم راحته والاسهام في تكوين اتجاهات سلبية نحو مهنته وبالتالي قد تؤثر على كفايته وفقدان عنصر الابداع في مهنته.

لذا كان من الضروري التصدي لهذه الصعوبات في كشفها وتحديدها ومن ثم وضع المقترحات لتذليلها من اجل مسيرة تربوية سليمة وانطلاقاً من اهمية الموضوع اندفع الباحثون لدراسة الصعوبات التي تواجه طلبة كلية التربية في جامعة صلاح الدين اثناء التطبيقات الدراسية.

اهداف البحث

يهدف هذا البحث الى التعرف على الصعوبات التي تواجه طلبة كلية التربية اثناء فترة التطبيقات التدريسية وذلك من خلال الاجابة على السؤالين التاليين : —

١ — ماهي الصعوبات التي تواجه طلبة الصف الرابع في كلية التربية —جامعة صلاح الدين اثناء التطبيقات التدريسية ؟

٢ — هل هناك فرق ذات دلالة احصائية في الصعوبات وفقاً لمتغير الجنس ؟

حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على طلبة الصف الرابع بكلية التربية —جامعة صلاح الدين للعام الدراسي ١٩٨٥ — ١٩٨٦.

تحديد المصطلحات :

١ — الصعوبة : — يعرفها فوريتار — بانها (كل عائق اوموقف معارض يبعث في الانسان الحيرة والتفكير) (١٠ ص ٣٥) .

ويعرفها ليتري (بأنها كل عائق مانع لتحقيق هدف معين وباعث نزعه ،التحدي ، ويتطلب اجتيازه الكثير من الجهود والتفكير) (١٢ص ٥٤ — ٥٥) .

ويعرفها ابراهيم (كل مايعيق او يعرقل تحقيق هدف معين ويتطلب اجتيازه مزيداً من الجهود العقلية او الجسمية) (١ص١٠) .

اما التعريف الاجرائي للصعوبة في هذا البحث : ـ

(كل مايؤدي الى اعاقة التطبيق اوعرقلته وكما يحدده الطلبة المطبقون من افراد عينة البحث في استجاباتهم على استبيان صعوبات التطبيقات التدريسية) .

٢ ـ التطبيقات التدريسية : ـ الانشطة التعليمية التي يمارسها الطلبة المطبقون خلال فترة التطبيق الجماعي في المدارس وعادة تكون في الفصل الثاني من السنة الدراسية الرابعة .



الفصل الثاني

الدراسات السابقة

يستعرض في هذا الفصل الدراسات التي امكن الحصول عليها والتي لها علاقة مباشرة بموضوع البحث .

وقد افادت الباحثون في جوانب عديدة من البحث ، وتتضمن دراسات عربية واجنبية هي : —

(الدراسات العربية)

١ — جرجيس :

«اهداف التربية العملية بكليات التربية واهم المشكلات التي تواجهها»

استهدف البحث تحديد اهداف التربية العملية بكليات التربية في جمهورية مصر العربية وتحديد درجة اهميتها ، اضافة الى التعرف على اهم المشكلات التي تعيق تحقيق تلك الاهداف :

وتكونت عينة البحث من طلبة الصف الرابع بكلية التربية — جامعة عين شمس اضافة الى خبراء متخصصين في التربية ، ومشرفي التربية العملية.

واستخدم الباحث الاستبيان كوسيلة لتحقيق اهداف بحثه ، وكشف البحث عن ان المشرفين يمثلون معوقاً يحول دون تحقيق الاهداف ، بالاضافة الى التوصل لتحديد سبعة اهداف لتربية العملية . اما بالنسبة للمشكلات فكانت : —

١ — مشكلات تتعلق بنظام التربية العملية واهمها : قصر فترة التدريب ، وجود محاضرات في الكلية خلال فترة التدريب .

٢ — مشكلات تتعلق بظروف مدارس التدريب منها : نقص الوسائل التعليمية ، عدم اعتبار طلبة التربية العملية مدرسين يمكن الاعتماد عليهم.

٣ — مشكلات الاشراف على الطلبة اثناء التدريب منها ، ضعف وعي المشرفين بأهمية اهداف التربية العملية ، التضارب بين اراء هؤلاء المشرفين وبين مايدرسه الطلبة من مواد [illegible] ات تربوية وطرق تدريس (٢) .

٢ – زكي ١٩٧٧

«دراسة تحليلية لمشكلات التطبيقات التدريسية في كلية التربية بجامعة بغداد للعام الدراسي ١٩٧٧، ١٩٧٨».

استهدف البحث التعرف على المشكلات التي تواجه طلبة كلية التربية الصف الرابع أثناء التطبيقات التدريسية من وجهة نظر الطلبة أنفسهم وادارات ومدرسي المدارس الثانوية واساتذة كلية التربية الذين ساهموا في الاشراف على الطلبة أثناء التطبيقات التدريسية كما استهدف التعرف على الفروق الموجودة بين استجابات أفراد العينة وكما يلي: –

١ – الفروق بين الفروع الادبية والعلمية

٢ – الفروق بين الذكور والاناث

٣ – الفروق بين آراء ادارات ومدرسي مدارس الثانوية وبين اساتذة كلية التربية وقد اعد لهذا الغرض استفتاءان احدهما للتعرف على مشكلات الطلبة والاخر للتعرف على آراء ادارات ومدرسي المدارس الاعدادية واساتذة كلية التربية.

وبلغ عدد أفراد عينه البحث (٥٠٢) طالب وطالبة و(٣١٣) من ادارات ومدرسي المدارس الثانو ية و(٨٨) من تدريسيي كلية التربية.

واستخدم الباحثون الوسط المرجح والنسبة الحرجة كمعالجة احصائية. وتوصلوا الى نتائج متعددة كان من ابرزها: –

١ – هناك مشكلات حادة تواجه المطبقين أثناء فترة التطبيق بلغ عددها (٢٠) مشكلة توزعت على المجالات الاتية: أعداد المطبق، طلبة المدارس، البناية والتجهيزات.

٢ – وجود فروق دالة إحصائياً بين أجابات طلبة الفروع العلمية وبين طلبة الفروع الادبية في مجالات: البناية والتجهيزات، الطلبة، ادارة المدرسة.

٣ – وجود فروق دالة احصائياً. بين اجابات الطالبات والطلاب في اغلب مجالات البحث.

٤ – وجود فروق دالة احصائياً بين اجابات تدريسيي كلية التربية و بين ادارات المدارس ومدرسيها في مجالات: اعداد المطبق، استجابة الطلبة للمطبقين. معوقات التطبيق (ص٢٠٥ / ٢٩١).

٢- التربية العملية في جامعة قطر - نظامها ومشكلاتها

أجريت هذه الدراسة سنة ١٩٧٩ وتستهدف دراسة نظام التربية العملية بكلية التربية بجامعة قطر والتعرف على الصعوبات والمشكلات التي تواجهها واستخدمت مجموعة من الاستفتاءات لجمع المعلومات وقد تناولت الدراسة انواع التربية العملية ومميزات وعيوب كل نوع من هذه الانواع ، كما تطرقت الدراسة الى عرض نظام التربية العملية في كليات التربية في جامعة قطر ومقارنتها بمثيلاتها في جامعات عربية واجنبية . اما عن الصعوبات والمشكلات التي تواجه التربية العملية بجامعة قطر فقد توصلت الدراسة الى مايلي :

١ - يتم التدريب العملي في جو غير طبيعي لان المدارس تعامل طالب التربية العملية كضيف ولاتعامله كمعاملة مدرسها .

لا توجد مسؤولية عن عاتق طالب كلية التربية عن عمله في المدارس مما يجعل موقف الكلية ضعيفاً لعلم التلاميذ بأن مايدرسه طلاب الكلية سيعيده استاذهم .

٣ - شعور طلاب المدرسة بأن طالب التربية العملية متدرب وان الفرق بينه وبينهم ليس كبيراً من يشجع القسم منهم احراجه او الاخلال بالدرس

٤ - مشكلة توزيع مجاميع الطلبة وبالاعداد المناسبة على المدارس سببها قلة المدارس الاعدادية في قطر .

٥ - ضعف مستوى التحصيل في الاعداد الاكاديمية لبعض طلاب وطالبات التربية العملية .

اما بالنسبة للصعوبات التي تواجه الطلاب والطالبات اثناء فترة التربية العملية فقد توصلت الدراسة كما يلي :

١ - تنظيم زيارات تعليمية خارج المدرسة.
٢ - عدم الحصول على الوسائل التعليمية المناسبة للدرس.
٣ - قلة ربط الدرس بالحياة .
٤ - تقويم تعلم التلاميذ .
٥ - استخدام الادوات والوسائل التعليمية وعملها.
٦ - ضبط الفصل.
٧ - التعاون مع مدرس المادة .

٨ — توجيه الاسئلة وادارة المناقشة .

٩ — استخدام السبورة .

١٠ — تحديد اهداف الدرس (٨ص ٤٥ / ٤٧) .

٤ — زين العابدين وآخرون (١٩٨٢) .

«تقويم عملية تطبيق طلبة المرحلة الرابعة في كلية التربية — جامعة البصرة»

استهدف البحث التعرف على واقع عملية تطبيق طلبة المرحلة الرابعة في كلية التربية جامعة البصرة من وجهة نظر المطبقين والتدريسيين وادارات المدارس الثانوية التي يتم فيها التطبيق والتقويم لهذا الواقع في ضوء مبادىء التطبيق العامة.

وتكونت عينة البحث من طلبة المرحلة الرابعة في كلية التربية للعام الدراسي ٧٩ / ٨٠ وعينة ثانية من تدريسي كلية التربية الذين اشرفوا على تطبيق الطلبة وعينة ثالثة من ادارات المدارس الثانوية التي تم التطبيق فيها.

وقد اعد استفتاءا لهذا الغرض. وكان من اهم النتائج التي توصل اليها البحث: —

١ — ازدحام مفردات المنهج في فترة التطبيق وبما ان التدريسيين مطالبون باكمال المادة لذا يلجأون الى الاسراع في اعطاء المادة للطلبة على حساب المستوى العلمي للطلبة .

٢ — كما زاد عدد الزيارات للمطبق كلما تمكن التدريسي من الاطلاع على سلبياته ومعاونته على تجاوزها .

٣ — يرغب المطبق بعد زيارة المشرف له في التعرف على الملاحظات الايجابية كي يلتزم بها. والملاحظات السلبية كي يتجاوزها.

٤ — لم يلتزم بعض المطبقين بالدوام لمدة خمسة ايام في الاسبوع.

٥ — ان بعض المطبقين لم يعدوا خطة يومية للموضوع الذي يدرسونه قبل تدريسه .

٦ — ان بعض المطبقين لم يستخدم اية وسيلة تعليمية اثناء تدريسه لعدم توافرها في المدرسة. (٤ص ٢٧١ / ٣٦٠) .

(الدراسات الاجنبية)

١ - هربرت وآخرون ١٩٦٧ .

«تأثير التدريس التطبيقي على المفاهيم الشخصية واتجاهات الطلبة المدرسين» .

استهدف البحث التعرف على اثار التدريس الشخصي والتدريس التطبيقي على المفاهيم الشخصية وعلى اتجاهات المطبقين من خلال تجربة اجريت على مجموعتين من المطبقين .

تكونت المجموعة الاولى من ٦٤ مطبقاً مارست التدريس في مدارس تقع ضمن احياء متوسطة المستوى داخل المدن اما المجموعة الثانية والتي تكونت من (٧٧) مطبقاً مارست التدريس في مناطق جيدة بمدينة بوستن وكان المشرفون يلاحظون المجموعتين خلال فترة التطبيق عن طريق تسجيل الملاحظات داخل الصف .

كشفت نتائج البحث ان الطلبة في المجموعة الثانية كانت اكثر ثقة وارتباطاً في تدريسهم واكثر سيطرة وضبطاً للصف اثناء التدريس واعداد الخطة وتوجيه الاسئلة والتفاعل مع الطلبة داخل الصف اثناء التدريس .

اما الطلبة الذين درسوا في الاحياء متوسطة المستوى ، فقد وجد ان الطلبة ومشرفيهم كانوا غير مستقرين في التدريس والاشراف ويبدو عدم التزام المطبقين بالدوام ، وتغيبهم بأستمرار على الرغم من تدريسهم واداؤهم كان ضعيف المستوى ، وكانوا غير قادرين على فرض نفوذهم وسيطرتهم داخل الصف وعدم اهتمامهم بأعداد الخطة التدريسية وتوجيه الاسئلة واظهروا عدم رغبتهم في المهنة. (١١ص ١٢) .

٢ - ستونزو موريس ١٩٧٢

«اساسيات التطبيقات التدريسية»

استهدف البحث تقويم سلوك المطبق والتعرف على مدى نجاحه في التدريس وفق الاسس المبينة في برامج اعدادهم كمدرسين .

كانت عينة البحث تتألف من مجموعتين الاولى ٦٦ مطبقاً اطلعوا على فقرات استمارة التقويم و«١٢٠» مطبقاً لم يطلعوا عليها.

توصل البحث الى النتائج التالية : -

١ - قدمت المجموعة الاولى اداءاً جيداً بشكل عام، واستطاعت هذه المجموعة

تلافي النواقص التدريسية من خلال اطلاعهم على المعيار مما جعلهم يؤشرون اعلى نسبة في النجاح من المجموعة الثانية.

٢ ــ اختلاف سلوك التدريس في المجموعتين وخصوصاً في خاتمة الدرس.

٣ ــ ارتباك بعض الطلبة المتميزين في الدراسة اثناء الاعداد وخاصة الذين لم يطلعوا على فقرات الاستمارة .

٤ ــ تميز بعض الطلبة المتوسطين الذين اطلعوا على استمارة التقويم في التطبيقات التدريسية عن غيرهم من الطلبة لأنهم ركزوا على فقرات الاستمارة دون غيرها.

٥ ــ اختلاف كلا المجموعتين في : ــ توزيع الاسئلة داخل الصف ، الاستفادة من التغذية الراجعة في التقويم، وقدرتهم على التقويم الذاتي (ص ١١٠) .



الفصل الثالث

اجراءات البحث

من أجل التوصل الى اهداف البحث فأن اجراءات البحث تتضمن مايأتي : —

١ — اختيار عينة من طلبة الصف الرابع بكلية التربية — جامعة صلاح الدين.

٢ — اعداد استبيان للكشف عن الصعوبات التي تواجه طلبة كلية التربية اثناء فترة التطبيقات التدريسية .

العينة

شملت عينة البحث المجتمع الاصلي لطلبة الصف الرابع بكلية التربية موزعون على اقسام الفيزياء ، الكيمياء ، الرياضيات ، علوم الحياة ، والبالغ عددهم (١٨٩) طالباً وطالبة وبلغ مجموع الذين أجابوا على الاستبيان « ١٣٤ » منهم «٨٤» طالباً «٥٠» طالبة وكانت نسبة العينة الى مجموع الطلبة ٧٠.

أداة البحث

يهدف البحث التعرف على الصعوبات التي تواجه طلبة كلية التربية أثناء فترة التطبيقات التدريسية ولتحقيق هذا الهدف يتطلب اعداد استبيان خاص وهو (استبيان صعوبات التطبيقات التدريسية) ومرت عملية اعداد الاستبيان بالخطوات الاتية : —

١ — دراسة الادبيات الخاصة بالتطبيقات التدريسية والصعوبات التي تواجه الطلبة اثناء هذه الفترة .

٢ — وجه الباحثون سؤالا مفتوحاً — الى عينة استطلاعية من الطلبة المطبقين بلغ عددها (٣٥) طالباً وطالبة ، وطلب من افراد العينة كتابة الصعوبات التي تواجههم أثناء فترة التطبيقات التدريسية .

٣ — في ضوء دراسة الادبيات ونتائج الدراسة الاستطلاعية امكن صياغة (٤١) . فقرة تكون منها الاستبيان .

٤ — وضعت ثلاث بدائل امام كل فقرة (تشكل صعوبة كبيرة) تشكل صعوبة الى حد ما ، لاتشكل صعوبة .

هدف الاستبيان : —

لأجل التأكد من هدف الاستبيان اعتمد الباحثون الصدق الظاهري وذلك بعرض فقرات الاستبيان على مجموعة من الخبراء المختصين في التربية وعلم النفس بكلية التربية — جامعة صلاح الدين للتأكد من صلاحية الفقرات واقتراح التغييرات والتعديلات عليها والتأكد من تصنيفها ضمن مجالاتها وبعد حذف بعض الفقرات واجراء التعديلات على فقرات أخرى بناء على مااقترحه لجنة الخبراء اصبح الاستبيان بصورته النهائية يتكون من (٣٢) فقرة ملحق (١) موزعة على ستة مجالات كما في جدول (١) .

جدول (١)

مجالات استبيان صعوبات التطبيقات التدريسية

ت	مجالات الاستبيان	عدد الفقرات
١ —	اعداد المطبق	٤
٢ —	الاشراف على المطبق وتقويمه	٥
٣ —	علاقة الطلبة بالمطبق	٥
٤ —	علاقة أدارة المدرسة بالمطبق	٧
٥ —	علاقة المدرسين بالمطبق	٦
٦ —	الامكانيات المتوفرة مع صعوبات أخرى	٥
	المجموع	٣٢

ثبات الاستبيان : —

استخدم الباحثون طريقة اعادة الاختبار لحساب ثبات الاستبيان (*) حيث أعيد تطبيق الاستبيان بعد فترة «١٤» يوماً على عينة عشوائية من الطلبة المطبقين عددها (٥٠) ، وقد بلغ معامل الثبات . (٠,٨٢) .

(*) استخدم الباحثون معامل ارتباط بيرسون لاستخراج ثبات الاختبار

الوسائل الاحصائية : –

استخدم الباحثون الوسائل الاحصائية الاتية : –

١ – الوسط المرجح : – لحساب حدة الصعوبات التي تواجه الطلبة المطبقين باستخدام القانون الاتي : – (٣ص١٣٢)

$$\frac{(\text{ت}_1 \times 1) + (\text{ت}_2 \times 1) + (\text{ت}_3 \times \text{صفر})}{\text{ت ك}}$$

٢ – مربع كاي : – لأختبار معنوية الفروق في الصعوبات التي تواجه الطلبة المطبقين بين اجابات الطلاب والطالبات .

باستخدام القانون الاتي : – (٧ص٥٠٠ / ٥٠١) .

$$\text{كا}^2 = \frac{(\text{ل} - \text{ق})^2}{\text{ق}}$$



الفصل الرابع

نتائج البحث

يتناول هذا الفصل عرض نتائج البحث وتحليلها وفقاً لاهداف البحث.

اولاً: — الهدف الاول :

لغرض التعرف على الصعوبات التي تواجه طلبة كلية التربية اثناء التطبيقات التدريسية، قام الباحثون بحساب حدة كل فقرة من فقرات الاستبيان التي تمثل صعوبات تواجههم اثناء فترة التطبيق بأستخدام معادلة الوسط المرجع وقد تبين ان فقرات الاستبيان تتباين في حدتها حيث كانت اعلى حدة (١,٥٧) في حين كانت اقل حدة (٠,٨٤) وقد اعتبر الباحثون الفقرات التي تزيد حدتها عن واحد صحيح تمثل صعوبات حقيقية يواجهها طلبة كلية التربية اثناء فترة التطبيق وقد بلغ عدد هذه الصعوبات (١٧) صعوبة كما في جدول (٢) ويتضح من هذا الجدول ان في مجال (الامكانيات المتوفرة مع صعوبات اخرى) اكثر صعوبات حدة، فالفقرة ١٩ (لاتتوفر الوسائل التعليمية في مدارس المطبقيـن) والفقرة ١٦ (لاتتوفر المواد والاجهزة المختبرية في مدارس المطبقين) كانتـا في مقدمة الصعوبات اذ بلغت حدتيهما ١,٥٧ ، ١,٣٦ على التوالي، وتدل هذه النتيجة على وجود نقص كبير في الوسائل التعليمية على اختلاف انواعها بالرغم من تأكيـد العديد من البحوث والدراسات على اهمية هذه الوسائل ودورها الكبير في رفع كفـاءة التدريس كما ان الوسائل التعليمية والاجهزة تعتبر احد الروافد التي يستقي منها المطبق اثنـاء فترة اعداده البالغة اربع سنوات ولتعوده على هذا النمط في كسب المعرفة، عليه يحـاول ان يطبق ماتعلمه بنفس الطريقة على طلابه اثناء فترة التطبيق ، لكنه يفاجيء بغيـاب هذه المعينات التعليمية مما يتعذر عليه توضيح استعدادته وكفاءته بشكل عملي . لذلـك فان من الضروري توفير هذه الوسائل التعليمية والاجهزة المختبرية في المدارس التي يطبـق فيها طلبة كلية التربية كحد ادنى لتلافي هذه الصعوبة ويساهم في نجاح التطبيقات التدريسية .

ومن الصعوبات التي برزت في هذا المجال الفقرة ١٨ (وجود اكثر من لغة قوميـة يؤدي الى صعوبة في التدريس) وقد كانت حدة هذه الفقرة ١,٢٠، ففي منطقة الحكـم الذاتي هناك نوعان من المدارس، النوع الأول تدرس مناهجها باللغة الكردية اما الثانـي فتدرس مناهجها باللغة العربية ونجد ان بعض الطلبة الأكراد يميلون الى المدارسـ التي

جدول (٢)

يبين الفقرات التي حصلت على حدة عالية مرتبة تنازلياً -

تسلسل الفقرة في الاستبيان		الفقرات	حدة الفقرة	المجال
١	١٩	لاتتوفر الوسائل التعليمية في مدارس المطبقين	١,٥٧	الامكانيات المتوفرة مع صعوبات أخرى
٢	١٦	لاتتوفر المواد والاجهزة المختبرية في مدارس المطبقين	١,٣٦	الامكانيات المتوفرة مع صعوبات أخرى
٣	١٥	انخفاض المستوى العلمي لطلبة	١,٣١	طلبة المدارس
٤	١٤	عدم تفهم الادارة مشكلات وحاجات المطبقين	١,٢٥	علاقة ادارة المدرسة بالمطبق
٥	١٨	وجود أكثر من لغة قومية يؤدي الى صعوبة في التدريس	١,٢٠	الامكانيات المتوفرة مع صعوبات أخرى
٦	١٢	توزيع حصص المطبق بين الدوام الصباحي والمسائي للمدرسة	١,١٩	علاقة أدارة المدرسين بالمطبق
٧	١٧	توزع حصص الدروس الصفوف على المطبقين حسب رغبات المدرسين الاساسيين	١,١٨	علاقة المدرسين بالمطبق
٨	٧	عدم التزام الاستاذ المشرف بجدول المطبق	١,١٦	الاشراف على المطبق وتقويمه
٩	١٣	بعد المدرسة عن سكن المطبق	١,١٥	البناية والامكانيات
١٠	١	لايتجاوب الطالب مع المطبق في تحضير الواجبات	١,١٣	طلبة المدارس

١١	٨	اجبار المطبق على اتباع طرق تدريسية محددة	١,١١	الاشراف على المطبق وتقويمه
١٢	٩	تغيير جدول الدروس باستمرار	١,١١	علاقة ادارة المدرسة بالمطبق
١٣	٢١	ضعف ثقة الادارة بقدرة المطبق التدريسية	١,١١	= = = =
١٤	٢٠	عدم ثقة المدرس بقدرة المطبق على التدريس	١,٠٨	علاقة المدرسين بالمطبق
١٥	٢٧	فترة التطبيق قاصرة في الاعداد المهني للمطبق	١,٠٨	اعداد المطبق
١٦	٢٣	تكليف المطبق للطلبة بالواجبات يواجه باللامبالات	١,٠٢	طلبة المدارس
١٧	٢٥	التناقض بين ماهو شائع لدى المدرسين وبين مايتعلمه المطبق في الاهتمام باعداد الخطة اليومية	١,٠١	علاقة المدرسين بالمطبق

تدرس مناهجها باللغة العربية، لذا يعتقد الباحثان ان هذه الصعوبة تتعلق بهذا النوع من المدارس، حيث نجد في هذه المدرسة طلبة يتفاوتون في اجادتهم لغة العربية وهذا امر طبيعي ان تقف هذه الحالة عائقاً امام الطلبة المطبقين لانهم يواجهون طلبة مختلفين في تعبيراتهم اللغوية بحيث يتعثر التواصل المعرفي بين المطبق والطالب .

من الفقرات في هذا المجال التي تمثل صعوبات حادة الفقرة ١٣ (بعد المدرسة عن سكن الطالب) وقد بلغت حدتها ١,١٥ وتمثل هذه الصعوبة في اتجاهين الأول منهما يتعلق بتوزيع المطبقين على المدارس . حيث ان نظام توزيع الطلبة المطبقين يتم في مناطق محددة بغض النظر عن مكان سكناهم . والاتجاه الثاني يتعلق بصعوبة المواصلات الناجمة عن قلة وسائل النقل والى المدرسة .

اما في (مجال الطلبة) هناك ثلاث فقرات حصلت على حدة عالية لذا تعد صعوبات حقيقية تواجه الطلبة المطبقين وهي الفقرة ١٥ (انخفاض المستوى العلمي للطلبة) والفقرة ١ (لايتجاوب الطالب مع المطبق في تحضيره للدرس) والفقرة ٢٣ (تكليف المطبق للطلبة بالواجبات يواجه باللامبالاة) وبلغت حدة هذه الفقرات ١,٣١ ، ١,١٣ ، ١,٠٢ على التوالي. ان اهم مايعاني منه الطلبة المطبقون في هذا المجال هو ضعف المستوى العلمي للطلبة وعدم تجاوبهم مع المطبق في اداء الواجبات التي يكلفون بها اثناء الدرس او خارجه ، وقد يعود ذلك الى عدة اسباب منها انعكاس الاتجاه العام من ادارة ومدرسين اصليين الى المطبق على انه متدرب على شعور الطلبة في نفس الاتجاه ، وقد يعتقد الطلبة ان المطبق يقضي فترة محددة في المدرسة ولا يترتب ضرر على اي سلوك اكاديمي او شخصي يقوم به الطالب كما يلعب عمر المطبق دوراً في هذا الاتجاه . وفي (مجال علاقة ادارة المدرسة بالمطبق) نجد أربع فقرات حصلت على حدة عالية ، من هذه الفقرات اثنتان تتعلقان بالموقف السلبي الذي تتخذه ادارات المدارس ازاء تطبيق طلبة كلية التربية في مدارسهم والفقرتان هما ١٤ ، ٢١ (عدم تفهم الادارة مشكلات وحاجات المطبقين) وضعف ثقة الادارة بقدرة المطبق التدريسية (وبلغت حدتيهما ١,٢٥ ، ١,١١ على التوالي ويعتقد الباحثون بوجود اكثر من سبب لهذا الموقف قد يكون من ابرزها حالة الارباك التي تسببها فترة التطبيق في انتظام سير التدريسات للمدرسة ، بالاضافة الى اعتقاد بعض ادارات المدارس ان الطالب المطبق قليل الخبرة في مجال التدريس وهذا ماسينعكس سلبياً على المستوى الدراسي العام للمدرسة .

اما الفقرات ١٢ ، ٩ (توزيع ساعات المطبق بين الدوام الصباحي والمسائي للمدرسة) (تغيير جدول الدروس باستمرار) فقد بلغت حدتيهما ١,١٩ ، ١,١١ على التوالي ، فلا شك ان توزيع ساعات المطبق بين الدوام الصباحي والمسائي سيجعل هناك وقتاً طويلاً لايستطيع المطبق استثماره وبالنتيجة سيولد لديه الضجر والملل ، اما تغيير جدول الدروس باستمرار سيجعل المطبق في حالة غير مستقرة ، وبالرغم من تعلق هاتين الصعوبتين بامور أدارية الا انهما يمثلان انعكاسان للموقف السلبي لادارات المدارس نحو المطبق والذي أشرنا اليه ، ويرى الباحثون ضرورة ابداء كافة التسهيلات الضرورية من الجهات ذات العلاقة بالتطبيق من اجل الوصول الى الاهداف التي وضعت وخطط لها ، وتأتي أدارات المدارس كاحدى الجهات ذات العلاقة التي تستطيع عمل الكثير من اجل نجاح هذه النشاطات .

أما مجال علاقة المدرسين بالمطبق فمن الصعوبات الرئيسية التي انضحت فيه الفقرة (١٧) « توزيع حصص الدروس للصفوف على المطبقين حسب رغبات المدرسين الاساسيين » وبلغت حدتها ١/٢٠ ، ويبدو ان الغرض من هذا التوزيع الذي تلجأ اليه بعض أدارات المدارس هو تحقيق العدالة في تخفيف حصص المدرسيين الاساسيين وبشكل متساو اضافـة الى وجود رغبة لدى المدرس في أعطاء الحصص في الصفوف التي قد تحتاج الى جهـد أو مسؤولية او اشكالات ترتبط بطبيعة المادة او الطلبة الى المطبق ، الا أن هذا التوزيع يلحـق بالمطبقين بعض الاجحاف بالعزوف عن تلبية رغباتهم في تدريس الصفوف التي يرغبـون في تدريسها وتحميلهم اعباء قد تكون ثقيلة عليهم لقلة خبرتهم العملية في هذا المـجال ، ولما كان الهدف من التطبيق هو تدريب طلبة كلية التربية لذا نرى من الافضل مراعاة رغبات هؤلاء الطلبة قدر الامكان .

والفقرة ٢٦ «عدم ثقة المدرس بقدرة المطبق على التدريس» كانت حدتها ١,٠٨ وتعبر هذه الفقرة عن موقف مشابه للموقف السلبي لادارات بعض المدارس كما في الفقرة ٢١ ، ويثير هذا الموقف الاحباط لدى المطبق لاسيما كونه صادراً من زمـلاء المستقبـل ونرى ضرورة تشجيع المطبق لزيادة الثقة في نفسه بدلا من زعزعتها ويتم ذلك بتظافر جهود أدارات المدارس ومدرسيها في هذا الاتجاه .

ومن الصعوبات الاخرى التي تواجه الطلبة المطبقين في هذا المجال الفقرة (٢٥) « التناقض بين ماهو شائع لدى المدرسين وبين ماتعلمه المطبق في الاهتمام بأعداد الخطة » وبلغت حدة هذه الفقرة ١,٠١ ، ان هذه النتيجة تبدو منطقية فالمطبق يعتبر المدرس هـو القدوة التي ينبغي الاقتداء بها في المجال التدريسي والمهني ، وبما أن بعض المدرسيـن ينظرون الى الخطة اليومية باستهانة ويرون انه من العبث التقيد بها ، لذا يصبح المطبق في موقف حائر بين ماتعلمه في الدراسة الاكاديمية وبين مايراه شائعاً عند ذوي الخبرة والاختصاص في مجال التدريس .

أما في مجال الاشراف على المطبق وتقويمه فقد اتضح من اجابات الطلبة على الأستبيان ان هناك صعوبتين تواجه المطبقين الأولى تمثلها الفقرة ٧ (عدم التزام الأستاذ المشرف بجـدول المطبق) حيـث بلغت حدتها ١,١٦ ومما لاشك فيه ان زيادة الأستاذ المشرف إلى المطبق في اوقات لاتنسجـم مع جدول حصصه تسبب له حالة الأرباك عندما يجبر على القاء درسـه دون استعداد مسبق خاصـة وهو يمارس التجربة الأولى في التدريس ، ومن

خلال تجربتنا في مجال التطبيق نعرف ان الأستاذ المشرف يلجأ إلى هـذا الأسلوب بفعل ضيق الوقت المخصص لزيارة طلبتـه بالاضافة إلى الزخم الكبير من الطلبة الذين يكونوا عادة بعهدته ، لذا نرى انه بالامكان تقسيم الطلبة إلى وجبتين الوجبـة الأولى تطبق خلال النصف الأول من السنة والوجبة الثانيـة تطبق خلال النصف الثاني من السنة الدراسية .

أما الفقرة (٩) « اجبار المطبق على اتباع طرق تدريسيـة محددة » فقد بلغت حدتها ١١ / ١ حيـث يعتقـد الباحثون ان سبب معاناة الطالب المطبق في هذه الفقرة يعود إلى أن قدرات الطلبة متفاوتة من حيث الأستيعاب للمادة لذا يضطر احياناً ، اتباع اساليب وطرق تدريسية قد تكون بعيدة عن الخطط والمنهجية التي كان يجب اتباعها في عرض المادة مما يوقعه في حالة حرج عند زيارة المشرف له وعدم قبوله لهذا الأسلوب .

وفي مجال اعداد المطبق : نجد ان هناك صعوبـة واحدة هي الفقرة (٢٧) (فترة التطبيق قاصرة في الأعـداد المهني للمطبق) بلغـت حدتها ١،١٨ ويتضح من اجابات الطلبة المطبقين ان فتـرة التطبيق البالغـة ستة اسابيع غير كافية ولاتحقق الأهداف التي وضعت من اجله ويرى الباحثون ان زيادة هـذه الفترة تساهم في اطلاق قابليات وامكانيات المطبق بحيث تؤدي إلى زيادة ثقته بنفسـه واكتشاف تفاصيل عملية ومشكلات مهنية والتدريب على حلها وتجاوزها مستقبلا ، وتكوين اتجاهات ايجابية نحو مهنة التدريس .

ثانياً : الهدف الثاني :

من أجـل التعرف على الفروق الموجودة في اجابات الطلبة المطبقين على استبيان صعوبات التطبيقـات التدريسية وفقاً لمتغير الجنس ، فقد استخدم الباحثون مربع كاي كوسيلة احصائيـة للتعرف على معنوية الفروق بين اجابات الطلاب المطبقين وبين اجابات الطالبات المطبقـات وكانت النتائج تـدل على وجود فروق دالة احصائيا كما في جدول (٣) حيث ان الفقـرة رقـم (٧) « فترة التطبيق قاصرة في الأعداد المهني للمطبق » حصلت الفروق بيـن اجابات الطلاب المطبقين وبين اجابات الطالبات المطبقات الدلالة الاحصائية بمستوى دلالـة ٠،٠١ فقـد اجاب ٤٣٪ من الطلاب المطبقين على ان هـذه الفقرة تعـد صعوبة كبيرة بينما اجابت ٢٨ ٪ فقط من الطالبات المطبقات على انها صعوبة كبيرة .

اما الفقرة (٣) « يرفض بعض مدرسي المادة اعطاء دروسهم للمطبق ، فقد حصلت الفروق بين اجابات الطلاب المطبقين وبين اجابات الطالبات المطبقات على هذه الفقرة

جدول (٣)

القيمة المحسوبة لمربع كاي للفقرات ودلالتها الأحصائية .

ت	ت الفقرة في الأستبيان	الفقـرات	القيمة المحسوبة لمربع كاي	الدلالة الاحصائية
١	٢٧	فترة التطبيق قاصرة في الاعداد المهني للمطبق	١٣,٦٣	دالة عند مستوى . ٠,٠١
٢	٣	يرفض بعض مدرسي المادة اعطاء دروسهم للمطبق	٩,٢٨	دالة عند مستوى ٠,٠١ .
٣	٦	لايتعاون المدرس مع المطبق	٢٥ / ٦	= = = ٠٠.٠٥ ..
٤	٢١	ضعف ثقة الأدارة بقدرة المطبق التدريسية	٦,٠١	دالة عند مستوى٠,٠٥ . ٠,٠٥

الدلالة الأحصائية بمستوى ٠,٠١ حيث اجابات ٤٤ ٪ من الطالبات المطبقات على ان هذه الفقرة تعد صعوبة كبيرة بينما اجاب ١٩ ٪ من الطلاب المطبقين على انها صعوبة كبيرة.

بينما الفقرة (٦) « لايتعاون المدرس مع المطبق » فقد حصلت الفروق بين اجابات الطلاب المطبقين وبين اجابات الطالبات المطبقات على هذا الفقرة الدلالة .

الاحصائية بمستوى دلالة ٠,٠٥ حيث اجابت ٣٨٪ من الطالبات المطبقات على ان هذه الفقرة تعد صعوبة كبيرة بينما اجاب ٢٠ ٪ من الطلاب المطبقين على انها صعوبة ايضاً

والفقرة (٢١) «ضعف ثقة الادارة بقدرة المطبق التدريسية» فقد حصلت الفروق بين أجابات الطلاب المطبقين وبين اجابات الطالبات المطبقات على هذه الفقرة الدلالة الاحصائية

---

* القيمة النظرية لمربع كاي بدرجة حرية (٢) وعند مستوى دلالة ٠,٠١=٠٩,٢١.

** القيمة النظرية لمربع كاي بدرجة حرية (٢) وعند مستوى دلالة ٠,٠٥=٠٥/٩٩.

بمستوى ٠,٠٥ حيث اجابت ٥٠ ٪ من الطالبات المطبقات على ان هذه الفقرة تعد صعوبة كبيرة بينما اجاب ٣٠ ٪ من الطلاب المطبقين على انها كذلك.

«المقترحات»

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحثون مايلي: –

١ – توفير الوسائل التعليمية المختلفة والاجهزة المختبرية في المدارس بشكل عام ، والمدارس التي تجري التطبيقات التدريسية فيها بشكل خاص.

٢ – الاهتمام بتنظيم توزيع الطلبة المطبقين على المدارس بما يحقق سهولة وصول المطبق الى المدرسة .

٣ – استبعاد المدارس التي تدرس مناهجها باللغة العربية في منطقة الحكم الذاتي من التطبيق والتي يتواجد فيها اعداد كبيرة من الطلبة الذين لايجيدون اللغة العربية بشكل جيد.

٤ – عقد ندوات مستمرة بين اساتذة كلية التربية المشرفين على التطبيق وبين أدارات المدارس ومدرسيها المشمولة بالتطبيق لغرض تبادل وجهات النظر بما يعزز من دعـــم أدارات المدارس ومدرسيها للمطبق وتوفير مستلزمات نجاح التطبيق .

٥ – صرورة زيادة فترة التطبيق بما يحقق الاهداف التي وضعت من اجله ، علماً بأن هناك مستويات علمية لفترة التطبيق تشير الى أن فترة التطبيق في دول متقدمة تتراوح مدتها ١٦ – ٢٠ أسبوع بحيث لاتقل عن ٩٠ ساعة (٦) .

٦ – أعتماد أسس جديدة لتوريع الطلبة على الاساتذة المشرفين بما يحقق امكانيـــة قيامهم بعملية الاشراف بشكل جيد .

«مصادر البحث»

١ – ابراهيم ، يوسف حنا (صعوبات الدارسين والمعلمين والمشرفين في مشروع محو الأمية الألزامي في قضاء الحمدانية وحلولهم المقدمة لها) .
رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية – جامعة بغداد ١٩٧٧.

٢ – جرجيس، ناجي خليل (اهداف التربية العملية في كليات التربية واهم المشكلات التي تواجهها) رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية في جامعة اسيوط ، ١٩٧٦ .

٣ – حمدي محمد مظلوم (طرق الاحصاء) الطبعة الخامسة ، دار المعارف ،الاسكندرية / ١٩٦٥ .

٤ – زين العابدين ، مصطفى ، واخرون (تقويم عملية تطبيق طلبة المرحلة الرابعة في كلية التربية – جامعة البصرة) في مجلة كلية التربية ، العدد السابع السنة الرابعة ، ١٩٨٢ .

٥ – زكي ، سعد يسي ، واخرون ، دراسة تحليلية لمشكلات التطبيقات التدريسية في كلية التربية بجامعة بغداد للعام الدراسي ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، في مجلة الأستاذ العدد ٣ / ١٩٨٠ .

٦ – سليمان ، جميل سعيد ، دراسة مقارنة لاعداد معلم العلوم في ج . م . ع وبعض البلاد الاجنبية / رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية جامعة عين شمس ١٩٦٨ .

٧ – السيد ، فؤاد البهي ، علم النفس الاحصائي وقياس العقل البشري ، الطبعة الثالثة دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٨ – سليمان ، محمد احمد (التربية العملية في جامعة قطر : نظامها ومشكلاتها في ملخص بحوث ودراسات مركز البحوث التربوية في جامعة قطر ، المجلد الأول ، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة ، الدوحة ، ١٩٨٤ .

9– E Stones and S. Morris,
"School of Education, University of Birmingham
The assessment of Practical Teaching, Educational Research, 14, 2.Feb., 1972.

10- Furetier, Antoine,
"Le Dictionnair Universel Tom", Paris, S-N-L-La Robert, 1978.

11- Herbert, J., Walbery and Other,
"Effects of Tutoring and Pratice Teaching on Self-concept and Attitudes in Education Students, Harvard Univ., Cambridge, Mass. Center for Research and Development in Educational Differences, 1967.

12- Litter, Fmille, Dictionnaire de La Langue Frencaiss, Paris Gallimard Hachett, 1962.



ملحق رقم (1)

(فقرات الاستبيان الخاص بالصعوبات التي تواجه الطلبة المطبقين)

الفقرات	تشكل صعوبة كبيرة	تشكل صعوبة إلى حد ما	لاتشكل صعوبة
١ - لايتجاوب الطالب مع المطبق في تحضير الدرس			
٢ - لايتابع مدرس المادة المطبق اثناء فترة التطبيق			
٣ - يفرض بعض مدرسي المادة اعطاء دروسهم للمطبق			
٤ - تنظر ادارات المدارس إلى المطبق كطالب وليس كمدرس			
٥ - يحاول الطلبة اثارة الشغب اثناء درس المطبق			
٦ - لايتعاون المدرس مع المطبق			
٧ - عدم التزام المشرف بجدول المطبق			
٨ - اجبار المطبق على اتباع طرق تدريسية محددة			
٩ - تغيير جدول الدروس باستمرار			
١٠ - تكليف المطبق شواغر من غير اختصاصه			
١١ - اعطاء المطبق حصص اكثر من المقرر			
١٢ - توزيع حصص المطبق بين الدوام الصباحي والمسائي للمدرسة			
١٣ - بعد المدرسة عن سكن المطبق			

الفقرات	تشكل صعوبة كبيرة	تشكل صعوبة الى حد ما	لاتشكل صعوبة
١٤ – عدم تفهم الأدارة مشكلات وحاجات المطبقين			
١٥ – انخفاض المستوى العلمي للطلبة			
١٦ – لاتتوفر المواد والاجهزة للتجارب المختبرية في مدارس المطبقين			
١٧ – توزيع الدروس الصفوف على المطبقين حسب رغبات المدرسين الأساسين.			
١٨ – وجود أكثر من لغة قومية يؤدي إلى صعوبة في التدريس.			
١٩ – لاتتوفر الوسائل التعليمية في مدارس المطبقين			
٢٠ – زيارة الاساتذة المشرفين قليلة			
٢١ – ضعف ثقة الادارة بقدرة المطبق التدريسية			
٢٢ – عدم شعور الطالب بالمطبق كمدرس			
٢٣ – تكليف المطبق للطلبة بالواجبات يواجه باللامبالاة			
٢٤ – أقبال عدد كبير من المطبقين في اختيار مدارس معينة			
٢٥ – التناقض بين ما هو شائع لدى المدرسين وبين ما تعلمه المطبق في الاهتمام بأعداد الخطة اليومية			
٢٦ – عدم ثقة المدرس بقدرة المطبق على التدريس			
٢٧ – فترة التطبيق قاصرة في الاعداد المهني للمطبق			

٢٨ – العلاقة ضعيفة بين الدروس التي يدرسها المطبق وبين الدروس التي درسها في الكلية

٢٩ – ارشادات وتوجيهات الاساتذة والمشرفين تتسم بالعمومية

٣٠ – ضعف الاعداد التربوي للمطبق يؤدي الى صعوبة مواجهة حاجات الطلبة النفسية

٣١ – ضيق الغرف الدراسية وكثرة اعداد الطلبة

٣٢ – اعداد المطبق في مجال استخدام اساليب القياس والتقييم غير كاف



المناخ الفسيولوجي لمدينة الموصل
وأثره على حياة الانسان

عدنان هزاع البياتي
جامعة الموصل / كلية التربية

مقدمة

يعد المناخ من بين العوامل الاساسية ذات الاثر البعيد في حياة الانسان في مختلف الميادين . فالوظائف الفسيولوجية تستجيب لتقلبات المناخ ، اذ ان الانسان يعيش في وسط يتبادل معه الطاقة بمختلف الوسائل ، ويحاول الجسم ان يحول جزء من الغذاء الى طاقة ليتناسب مع التقلبات المناخية . اما اذا فاقت التقلبات المناخية قدرة الجسم على التعامل معها فان الانسان يبدأ بالشعور بالضيق والانزعاج ، اذ تؤثر درجات الحرارة العالية على الاصابة بجملة امراض كالتشنج الحراري بسبب قلة تركز ملح كلوريد الصوديوم في الجسم لكثرة افراز العرق ، والتهيج العصبي ، اما القيم المتطرفة الدنيا لدرجة الحرارة فتسبب الاصابة بنزلات البرد المزمنة وتجمد الاطراف والاصابة بمرض القدم الخندقية (١ :ص٢٧– ٣٠)

وللتصانيف المناخية مكانة خاصة في الدراسات المناخية ، وتتعدد التصانيف المناخية تبعاً للاهداف التي وضعت من اجلها ، الا أننا نجد ان اغلب التصانيف المناخية القديمة منها والحديثة اهملت الانسان ، فتصنيف كوبن بُني على اساس العلاقة بين المناخ والنبات الطبيعي (١٢: ص٣٩٨) وأكد تصنيف ثورنثويت على حساب الموازنة المائية المناخية للتربة (١١: ص٥٥ – ٩٤) . وكان أساس تصنيف بوديكو تحليل انماط التباين المكاني للمناخ تبعاً للاشعاع الشمسي (٨:ص١٢٤) . وقام تصنيف فلين على اساس نوع الكتل الهوائية

التي تؤثر على المناخ (٦: ص١٧٧) . بينما أساس تصنيف اوليفر يقوم على اساس نسبة تكرار انواع معينة من الكتل الهوائية (٩: ص٦١٥ ـ ٦٣٧) .

ولما كان الانسان هو صلب موضوع الجغرافيا ، فمن الاجدر ان تقوم التصانيف المناخية على اساس العلاقة بين المناخ والانسان . لذا فان التصانيف البشرية للمناخ ، والتي تقوم على اساس العلاقة بين الظروف المناخية وشعور الانسان بالراحة اوالضيق اخذت أهمية كبيرة في الدراسات الجغرافية الحديثة ، ويعبر عن هذه التصانيف بالتصانيف الفسيو ـ مناخية ، والتي تمثل اتجاهاً جديداً في التصانيف المناخية البشرية . ويهدف هذا البحث الى تطبيق أحد التصانيف المناخية البشرية ذات العلاقة بالانسان، وهو تصنيف ، تيرجنج المبني على اساس ردود فعل فسيولوجية ونفسية للانسان ودرجة شعوره بالراحة اوعدمها على مناخ مدينة الموصل ، لاعطاء صورة حقيقية وتفصيلية لبيئة مدينة الموصل وكيفية تفاعل الانسان في مدينة الموصل مع بيئته .



الدراسات السابقة

لاتوجد دراسة منفردة عن مناخ مدينة الموصل ، وانما درس مناخ مدينة الموصل ضمن الدراسات التي عالجت مناخ العراق بصورة عامة ، ومنها دراسة الخلف (٧:ص٢٠١ – ٢٣٥) ، والتي اظهرت بان مدينة الموصل تقع ضمن مناخ استبس العروض العليا ، ودراسة الشلش (٢:ص ١٥٩ – ١٩٠) والتي اظهرت بان مدينة الموصل تقع ضمن مناخ الاستبس BS . ودراسة الحسني (٤:ص٦١ – ٧٨) والتي اظهرت بان مناخ مدينة الموصل قليل الرطوبة ورمزها المناخي 112G .ودراسة دراغ (٥: ص٧٢) والتي اظهرت بان مدينة الموصل تقع ضمن المناخ شبه الجاف BSh . كما طبق الشلش (١٣: ص٤٧ – ٩١) جزء من تصنيف تيرجنج « قرينة الراحة » على ثلاثة عشر محطة مناخية في القطر .

أداة البحث –

تم تطبيق تصنيف (TERJUNG) (١٠ :ص١٤١ – ١٧٩) المناخي – الحياتي على المعطيات المناخية لمدينة الموصل . ولقد بني هذا التصنيف على اساس ردود فعل فسيولوجية مناخية للانسان ودرجة شعوره بالراحة وهم خارج المنازل ، ويميز هذا التصنيف بين الظروف المناخية السائدة في الليل وفي النهار .

وقد استخدم تيرجنج بعض العناصر المناخية لرسم لوحتين مناخيتين تمثل الاولى قرينة الراحة (شكل١) والتي تتكون من احدى عشر منطقة للراحة ، واخرى لقدرة الريح التبريدية (شكل ٢) .

اما العناصر المناخية التي يتطلبها تصنيف تيرجنج فهي : –

١ – المعدل الشهري للحرارة العظمى .
٢ – المعدل الشهري للرطوبة الصغرى .
٣ – المعدل الشهري للحرارة الصغرى .
٤ – المعدل الشهري للرطوبة العظمى .
٥ – المعدلات الشهرية لسرعة الريح .
٦ – عدد ساعات سطوع الشمس فعلياً .
٧ – عدد ساعات سطوع الشمس نظرياً .

ويتطلب تطبيق تصنيف تيرجنج اتباع الخطوات التالية : –

اولاً : حساب قرينة الراحة :

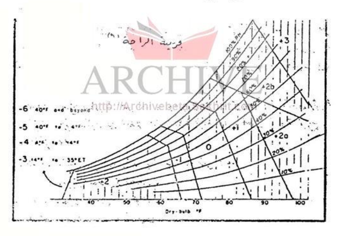
آ ــ نهاراً : ويتم استخراجها من الشكل (١) باستخدام متوسط الحرارة العظمى والمعدل الشهري للرطوبة الصغرى .

٢ ــ ليلاً : ويتم استخراجها من الشكل (٢) باستخدام متوسط الحرارة الصغرى والمعدل الشهري للرطوبة العظمى .

ثم نستخرج الرمز الذي يقابل قرينة الراحة ليلا ونهاراً بمقارنة نتائج الخطوة (١، ٢) بالجدول (٢) .

ثانياً: حساب قرينة قدرة الريح التبريدية :

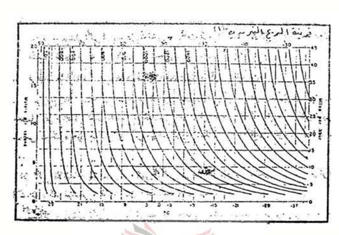
١ ــ نهاراً: ويستخرج باتباع الخطوات التالية :



شكل (١)
قرينة الراحة

(6) فائق البرودة 5 ــ بالغ البرودة 4 ــ بارد جداً ، 3 ــ بارد 2 ــ واضح البرودة ــ معتدل البرودة ، 0 مريح ، 1 + دافيء ، 2a + حار ، 2b + حار يدعو للقلق، 3 + بالغ الحرارة

1.Terjung,W.H·,OP,Cit,P.148.



شكل (٢)

قرينة قدرة الريح التبريدية

قدرة الريح التبريدية مقدرة بالكيلو كالوري/م٢/ ساعة لمعدلات الحرارة وسرع الريح المختلفة . ولقد وضع معدل التبريد على اساس معدل درجة حرارة جلد الانسان ٣٣م° ويمثل معدل التبريد تحت ضوء الشمس بنسبة ٢٠٠ كيلو كالوري /م٢/ساعة ولقد وضعت هذه الحدود على اساس الانسان في حالة عدم الحركة.

(1. – Terjung,W.H,OP.Cit,P.15)

آ ـ نستخرج معدل تأثير الريح على خفض معدلات الحرارة من الشكل (٢) مستخدمين المعدل الشهري لدرجة الحرارة العظمى ، ومعدل سرعة الريح .

ب ـ نرجح هذا المعدل في عدد ساعات السطوع النظرية للشمس .

جـ ـ نرجح عدد ساعات السطوع الفعلية للشمس في ٢٠٠ كيلو كالوري /م٢/ ساعة لنحصل على مجمل تأثير الاشعاع الشمسي خلال اليوم ، ذلك لان تيرجنج قدر تأثير اشعة الشمس المباشرة على التقليل من أثر سرعة الريح بمعدل ٢٠٠ كيلوكالوري /م٢/ . ساعة .

د ـ ان تأثير الاشعاع الشمسي معاكس لتأثير سرعة الريح في خفض درجة حرارة جسم الانسان ، لذا نستخرج الفرق بين ناتج الخطوتين ب ،جـ .

هـ ـ نستخرج معدل تأثير سرعة الريح على خفض معدل درجة الحرارة في الساعة بقسمة الرقم الناتج من الخطوة (د) على عدد ساعات سطوع الشمس النظرية . ثم نستخرج الرمز الذي يقابله من الجدول (٣) .

٢ ـ ليلاً : نستخدم الشكل (٢) لاستخراج تأثير سرعة الريح على خفض درجة الحرارة بالاستعانة بالمتوسط الشهري لدرجة الحرارة الصغرى ومعدل سرعة الريح ، ثم نستخرج الرمز الذي يقابله من الجدول (٣)

ثم نستخرج الرمز الذي يقابل قرينة الريح التبريدية ليلا ونهاراً من الجدول (٤) .

لذ فان تصنيف مناخ أي شهر من أشهر السنة يتم باستخراج اربعة رموز ، اثنان لقرينة الراحة ليلا ونهاراً ، واثنان لقدرة الريح التبريدية ليلا ونهاراً ، وتوضح الجداول (١ ،٢ ،٣ ،٤) الرموز المستخدمة والحدود التي تعين كل رمز .

جدول (١)

قرينة الراحة.

الرمز	إحساس الناس
6-	فائق البرودة
5-	بالغ البرودة
4-	بارد جداً
3-	بـــارد
2-	واضح البرودة
1-	معتدل البرودة
0	مريح
1+	دافئ
2a+	حـــار
2b+	حار مثبط ويدعو بالشعور بالقلق
3+	بالغ الحرارة.

1- Terjung, W.H., Op. Cit. P. 178.

جدول (١)

قرينة الراحة ليلا ونهاراً والرمز الذي يقابلها *

الرمز	قرينة الراحة	الرمز	قرينة الراحة
K2	-2/-3	EH1	+3/+2b
K3	-2/-4	EH2	+3/+2a
CD1	-3/-3	EH3	+3/+1
CD2	-3/-4	EH4	+3/0
CD3	-3/-5	EH5	-3/-1
H1	+2a/+2a	M1	-0/0
H2	+2a/+1	M2	-0/-1
H3	+2a/0	M3	-0/-2
H4	+2a/-1	M4	-0/-3
H5	+2a/-2	C1	-1/-1
W1	+1/+1	C2	-1/-2
W2	+1/0	C3	-1/-3
W3	+1/-1	S1	+2b/+2b
W4	+1/-2	S2	+2b/+2a
UC1	-4/-4	S3	+2b/+1
UC2	-4/-5	S4	+2b/0
EC1	-5/-5	S5	+2b/-1
UC1	-6/-6	K1	-2/-2

* Ibid, P·178.

جدول (٣)

قرينة الريح التبريدية *

الرمز	قدرة الريح التبريدية كيلو كالوري /م٢/ ساعة	احساس الناس بالراحة
h –	اقل من ـ ١٤٠٠	تتجمد الاجزاء المعرضة من الجسم للهواء مباشرة
g –	ـ ١٤٠٠ الى ـ ١٢٠٠	لسع بارد قارص للريح
f –	ـ ١٢٠٠ الى ـ ١٠٠٠	تأثير الريح بارد جداً .
e –	ـ ١٠٠٠ الى ـ ٨٠٠	تأثير بارد للريح
d –	ـ ٨٠٠ الى ـ ٦٠٠	تأثير للريح يميل للبرودة
c –	ـ ٦٠٠ الى ـ ٣٠٠	تأثير للريح يميل للبرودة المعتدلة
b –	ـ ٣٠٠ الى ـ ٢٠٠	تأثير لطيف للريح
a –	ـ ٢٠٠ الى ـ ٥٠	تأثير دافيء للريح
n –	ـ ٥٠ الى ـ ٨٠	لاتأثير للريح على حرارة جسم الانسان
a	٨٠ الى ١٦٠	تأثير الريح يؤدي الى الاحساس بالدفء (١)
b	٨٠ الى ١٦٠	يزيد الريح من الاحساس بالحرارة مما يدعو للضيق(٢)
c	١٦٠ فاكثر	زيادة مفرطة من الاحساس بالحرارة بفعل الريح وشعور كبير بالضيق (٣) .

(١) يشترط لتحققه ان تتراوح درجة الحرارة بين ٢٠ – ٣٢،٧م°

(٢) يشترط لتحققه ان يزيد معدل الحرارة على ٣٢،٧م°

(٣) يشترط لتحققه ان يزيد معدل الحرارة على ٣٥،٥م° .

* Ibid, P. 178

جدول رقم (٤)

قرينة الريح ليلاً ونهاراً والرمز الذي يقابلها*

قرينة الريح	الرمز	قرينة الريح	الرمز
c/-a	C1	-b/-b	-b1
c/-b	C2	-b/-c	-b2
c-/-c	C3	-b/-d	-b3
b/-a	b1	-b/-e	-b4
b/-b	b2	-C/-C	-C1
b/-c	b3	-C/-d	-C2
b/-d	b4	-C/-e	-C3
a/-a	a1	-C/-f	-C4
a/-b	a2	-d/-d	-d1
a/-c	a3	-d/-e	-d2
a/-d	a4	-d/-f	-d3
n/-a	n1	-d/-g	-d4
n/-b	n2	-e/-e	-e1
n/-c	n3	-e/-f	-e2
n/-d	n4	-e/-g	-e3
-a/-a	-a1	-e/-h	-e4
-a/-b	-a2	-f/-f	-f1
a/-c	a3	-f/-g	-f2
-a/-d	a4	-f/-h	-f3
-a/-e	-a5	-g/-g	-g1
		-h/-h	-h1

* Ibid. P. 178.-

نتائج البحث :-

توصل الباحث من خلال تطبيق المعطيات المناخية لمدينة الموصل (ملحق١) على الشكل (١) والشكل (٢) ومقارنة النتائج بالجداول (١،٢،٣،٤) الى الملحق (٢) ، والـذي يمثل الرموز لقرينة الراحة ليلا ونهاراً ؛ وقدرة الريح التبريدية ليلا ونهاراً ، والرمز المناخي لكل شهر من اشهر السنة . مع الاخذ بنظر الاعتبار تعديل قرينة الريح التبريدية نهاراً في ضوء تأثير الاشعة المباشرة للشمس نهاراً على التقليل من اثر الريح ، كما تم الاخذ بنظر الاعتبار عـدد ساعات سطوع الشمس الفعلية والنظرية لكـل شهر مـن اشهر السنة كما هو واضح في اداة البحث .

ومن مقارنة الرمز المناخي لكل شهر بقرينة الراحة ليلا ونهاراً وبقرينة قدرة الريح التبريدية ليلا ونهاراً بعد تعديل الاخيرة توصلنا الى الحالة المناخية لكل شهر من اشهر السنة ليلا ونهاراً وهي كما يلي :-

١ - كانون الثاني (K_1-C_2) ، واضح البرودة نهاراً مع تأثير للريح يميل للبرودة المعتدلة كما انه واضح البرودة ليلاً مع تأثير للريح يميل للبرودة المعتدلة ، كما انه واضح البرودة ليلا مع تأثير للريح يميل للبرودة .

٢ - شباط (K_1-C_3) ، واضح البرودة ، نهاراً مع تأثير للريح يميل للبرودة المعتدلة كما انه واضح البرودة ليلاً مع تأثير للريح يميل للبرودة .

٣ - اذار (C_2-b_3) معتدل البرودة نهاراً مع تأثير لطيف للريح ، كما انه واضح البرودة ليلاً مع تأثير للريح يميل للبرودة .

٤ - نيسان (M_3-a_3) ، مريح نهاراً مع تأثير دافيء للريح ، كما انه واضح البرودة ليلاً مع تأثير للريح يميل للبرودة المعتدلة .

٥ - مايس $(H_5\ b_3)$ ،حار نهاراً ويزيد الريح من الاحساس بالحرارة مما يدعو للضيق ، كما انه واضح البرودة ليلاً مع تأثير للريح يميل للبرودة المعتدلة .

٦ - حزيران $(H_4\ C_3)$ ، حار نهاراً مع زيادة مفرطة من الاحساس بالحرارة بفعل الريح وشعور كبير بالضيق ، كما انه معتدل البرودة ليلا مع تأثير للريح يميل للبرودة المعتدلة .

٧ - تموز $(H_3\ C_2)$ ، حار نهاراً مع زيادة مفرطة من الاحساس بالحرارة بفعل الريح وشعور كبير بالضيق ، كما انه مريح ليلاً مع تأثير لطيف للريح .

٨ — آب (H_3 C_2) ، حار نهاراً مع زيادة مفرطة من الاحساس بالحرارة بفعل الريح وشعور كبير بالضيق ، كما انه مريح ليلا مع تأثير لطيف للريح .

٩ — ايلول (H_5 C_3) ، حار نهاراً مع زيادة مفرطة من الاحساس بالحرارة بفعل الريح وشعور كبير بالضيق ، كما انه واضح البرودة ليلاً مع تأثير للريح يميل للبرودة المعتدلة .

١٠ — تشرين اول (W_3–a_3) ، دافيء نهاراً ويزيد الريح من الاحساس بالدفء ، كما انه واضح البرودة ليلاً مع تأثير للريح يميل للبرودة المعتدلة .

١١ — تشرين الثاني (M_3–a_3) ، مريح نهاراً مع تأثير دافيء للريح ، كما انه واضح البرودة ليلاً مع تأثير للريح يميل للبرودة المعتدلة .

١٢ — كانون الاول (K_1–b_3) ، واضح البرودة نهاراً مع تأثير لطيف للريح ، كما انه واضح البرودة ليلاً مع تأثير للريح يميل للبرودة .



الخلاصة والاستنتاجات

ان هذا البحث يعطي معلومات مهمة على مقياس صغير (أي على عدد كبير من الناس) عن كيفية تفاعل الانسان في مدينة الموصل مع مناخ بيئته وتعترض هذا التصنيف والنتائج التي توصلنا اليها بعض العقبات منها : —

١ — ان مفهوم الراحة يختلف من شخص لاخر تبعاً للجنس والعمر ونوع الملابس وسمكها ومدى تأقلم الانسان للظروف المناخية التي يعيش فيها اوالتي ينتقل اليها .

٢ — ان تحليل احساس الناس وشعورهم بالظروف المناخية يتطلب توفر مختبرات تأخذ استجابات الناس للتغير في تلك الظروف مقياساً لملائمة ظروف مناخية معينة لهم ومدى شعورهم بالضيق والراحة عند تغيرها .

٣ — ان النتائج التي توصل اليها البحث تقوم على اساس المناخ ، وبذلك فهي قد تختلف من سنة لاخرى حسب ظروف الطقس السائدة .

٤ — لزيادة الفائدة نقترح تطبيق هذا التصنيف على جميع المحطات المناخية في القطر العراقي وصولا ؛ الى رسم أقاليم مناخية فسيولوجية .

ورغم ذلك فان نتائج هذا البحث مهمة في كثير من المجالات ومنها :

١ — أعطاء صورة حقيقية وتفصيلية لبيئة مدينة الموصل في جميع أشهر السنة ليلا ونهاراً .

٢ — تحديد مواعيد تشغيل اجهزة التدفئة والتبريد.

٣ — تحديد افضل الاوقات للقيام بالسفرات الترفيهية وتقليل التخمين في هذا المجال

٤ — تقدير نوع الملابس والحاجة الغذائية والحالة النفسية والجسدية للجندي والتي تؤثر بشكل فاعل على القابلية القتالية له .

٥ — ايجاد افضل الاماكن لمرضى بعض الامراض التي تتطلب مناخات خاصة .

المصادر : –

١ – ايمان طارق العلوي (١٩٨١) تأثير الطقس والمناخ في العراق على الجسم البشري وعلاقة ذلك ببعض الامراض، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية العلوم – الجامعة المستنصرية .

٢ – آ. د. علي حسين الشلش ، (١٩٧١ – ١٩٧٢) ، استخدام بعض المعايير الحسابية في تحديد اقاليم العراق المناخية ، مجلة كلية الاداب – جامعة الرياض ، المجلد الثاني ، السنة الثانية .

٣ – آ. ——————— ، (١٩٨١) ، المناخ والحاجة الى تكييف الهواء في العراق ، مجلة كلية الاداب – جامعة البصرة ، العدد ١٨ ، السنة الخامسة عشر .

٥ – د. فاضل باقر الحسني ، (١٩٧٦) ، الاساليب الحديثة في تصنيف مناخ القطر العراقي . مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، المجلد التاسع .

٥ – كريم دراغ محمد ، (١٩٨١) ، الاتجاهات الحديثة في مناخ العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب – جامعة بغداد .

٦ – د. نعمان شحاذه (١٩٨٣) ، المناخ العملي ، ط٢، مطبعة النور النموذجية ، عمان.

7- AL-Khalaf, J.M., (1957). The Climate of Iraq, Bulletion of the College of Arts and Sciences, Baghdad,Vol-2-.

8- Mather,J.R.,(1974),Climatology, Fundamentals and Appl ications, McGraw-Hill Book company, Newy ork

9- Oliver,J.E.,(1970), A Genetfc Approach to climatic class ification,Annals of the Association of Am.Geographers, Vol. 60, no 4.

10- Terjung, W.H.(1966),Physiologilc Climate of the Con teminous united states:A Bio Climate Classification Based on man, Annals, Association nf Am-Geographer. Vol. 56.

11- Thornth wyite, C.W.,(1948),An approach toward a rational Classification of Climate, Geog-Rev., Vol. 38.

11- Trewartha, G.T, and Horn,L.H.,(1980), An Introducttion to Climate, McGraw-Hill Book company, 5th Edition, London.

ملحق رقم (١٠) :

المعطيات المناخية المستخدمة في البحث (١٩٤١ – ١٩٨٠) •

	ك٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	أيلول	ت١	ت٢	ك١
معدل الحرارة العظمى (مْ)	١٢,٨	١٥,٣	١٩	٢٥,٤	٣٢,٩	٣٩,٦	٤٣,٤	٤٣	٣٨,٧	٣١,٢	٢٢,٤	١٥
معدل الرطوبة النسبية الصغرى	٦٣	٥٥	٤٩	٤١	٢٧	١٦	١٥	١٦	١٩	٢٨	٤٤	٥٩
معدل الحرارة الصغرى(مْ)	٢,٥	٣,٥	٦,٣	١٠,٢	١٥	١٩,٥	٢٢,٩	٢١,٨	١٦,٦	١١,٤	٧	٣,٢
معدل الرطوبة النسبية العظمى	٩٢	٨٩	٨٧	٨٤	٧١	٥٠	٤٥	٤٨	٥٨	٦٩	٨٣	٩٠
سرعة الريح م/ث	٢	٢,٣	٢,٣	٢,٤	٢,٧	٢,٨	٢,٧	٢,٦	٢,٢	١,٨	١,٦	١,٦
طول النهار نظرياً	١٠	١١,٨	١١,٩	١٣,١	١٤,١	١٤,٦	١٤,٤	١٣,٥	١٢,٦	١١,٣	١٠,٣	٩,٧
طول النهار فعلياً	٥,٢	٦,٤	٧,٩	٦,٩	١٠,٨	١١,٩	١٢,٦	١٢	١٠,٨	٨,٩	٦,٩	٤,٧

(٥) الهيئة العامة للانواء الجوية العراقية ، سجلات غير منشورة .

ملحق (٢)

قرينة الراحة وقدرة الريح التبريدية والرمز المناخي لجميع أشهر السنة

	ك٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	أيلول	ت١	ت٢	ك١
قرينة الراحة نهاراً	-2	-2	-1	0	+2a	+2a	+2a	+2a	+2a	+1	0	-2
قرينة الراحة ليلا	-2	-2	-2	[illegible]	-2	-1	0	0	-2	-2	-2	-2
رمز قرينة الحرارة ليلا ونهاراً	K1	K1	C_2	M_3	H_5	H_4	H_3	H_3	H_5	W_3	M_3	K1
قرينة قدرة الريح التبريدية ليلا	-٦٨٩	-٦٨٨	-٦٢٣	-٥٣٧	-٤٣٥	-٣٢٩	-٢٢٤	-٢٦٩	-٣٧٩	-٤٧٧	-٥٦٠	٩٤١
رمز قدرة الريح التبريدية ليلا	-d	-d	-d	-c	-c	-c	-b	-b	-c	-c	-c	-d
قرينة الريح التبريدية نهاراً	-٤٥٦	-٤١٣	-٣٢٦	-١٨٠	٥	٥	٥	٥	٥	٥	-٢٢٨	-٣٨٧
قرينة الريح التبريدية نهاراً المعدلة في ضوء كمية الاشعاع والسطوع	-٣٥٢	-٣٠٥	-٢١٠	-٥٩	٥	٥	٥	٥	٥	٥	-٩٤	-٢٩٠
رمز قرينة الريح التبريدية نهاراً المعدلة	-c	-c	-b	-a	-b	-c	-c	-:	-:	a	-a	-b
رمز قرينة الريح التبريدية ليلا ونهاراً	$-C_2$	$-C_2$	$-b_3$	$-a_3$	$-b_3$	C_3	C_2	C_2	C_3	a_3	a_3	$-b_3$
الرمز المناخي	K_1-C_2	K_1-A_2	C_2-b_3	M_3a_3	H_5b_3	H_4C_3	H_3C_2	H_3C_2	H_5C_3	W_3a_3	M_3-a_3	K_1-b_3

(ه) تفقد الريح قدرتها على التبريد لارتفاع معدلات الحرارة، ويبدأ سطح جلد الانسان يكسب حرارة أكثر.

حجز الاشخاص المخالفين للانظمة والتعليمات المرورية

اعداد . سعيد حسب الله عبدالله
كلية القانون والسياسة / قسم القانون

مقدمة

كان من نتائج التوسع باستخدام وسائط النقل البرية في مختلف جوانب الحياة ظهور مشكلات عديدة ذات جوانب اقتصادية وامنية وصحية واجتماعية ولعل ابرز تجسيد لذلك تصاعد عدد قتلى وجرحى حوادث السيارات وما ينتج عنها من خسائر بشرية لاتقدر بثمن مع مايرافق ذلك من معاناة انسانية بسبب الالام والاحزان التي تصيب المتضررين بتلك الحوادث فضلا عن الخسائر الاقتصادية المتنوعة والتي منها قيمة المركبات والطرق المتضررة من جراء الحوادث ونفقات الاسعاف والعلاج للمصابين فيها.

لقد فرض ذلك على الدولة في ان تتدخل عن طريق التشريعات القانونية لتنظيم استخدام تلك الوسائط بالشكل الذي يؤدي الى حماية حياة المواطنين ويؤمن سلامتهم ويصون الثروة القومية من الاخطار التي تنجم عن سوء استخدام تلك الوسائط.

ولنفس الاسباب بدأت الدولة تمنح الاجهزة الادارية المسؤولة عن تطبيق تلك القوانين صلاحيات قانونية متنوعة من ضمنها منحها سلطات جزائية لكي توفر لها القدرة المناسبة للتنفيذ الجاد والمؤثر (١).

---

(١) لاحظ / عقيد المرور الحقوقي عبد الوهاب التحافي – مؤشرات عامة عن اتجاهات ، الجرائم والعقوبات المرورية في الدول العربية – من أصدارات المكتب العربي لمكافحة الجريمة بغداد – ١٩٨٥ – ص٤، كذلك نقيب المرور خليل ابراهيم عزت – الصلاحيات القانونية لضابط المرور ، بحث مقدم الى المعهد العالي لضابط قوى الامن الداخلي – الدورة الثانية – ١٩٨٠ – ١٩٨١ – ص٣٣ ومابعدها.

ومن جملة السلطات الجزائية التي خولها المشرع لضابط المرور في العراق صلاحية حجز المخالفين للانظمة والتعليمات المرورية، فقد صدر قراران عن مجلس قيادة الثورة الاول برقم ١١٣٨ في ١٩٨٠/٧/١٩ والثاني برقم ١١٥٤ في ١٩٨٠/٧/٢٢، خول القرار الاول ضابط المرور صلاحية قاضي محكمة جنح المرور لغرض حجز الاشخاص المخالفين للانظمة والتعليمات المرورية مدة لاتزيد على (١٥) خمسة عشر يوما، بينما خول القرار الثاني ضابط المرور نفس الصلاحية لغرض حجز سائق المركبة الحكومية المخالف للتعليمات والانظمة المرورية مدة لاتزيد على (٣٠) ثلاثين يوما (١)، ونظرا لاهمية وخطورة هذه السلطة التي خولت لضابط المرور وجدنا من المناسب دراستها لكشف الاشكالات القانونية التي قد تشيرها وعرض المقترحات التي نراها خدمة للغاية التي من اجلها خولت هذه الصلاحية المهمة لضابط المرور.

ولتحقيق ذلك فقد تم تقسيم البحث الى اربعة مباحث، الاول خصصناه لاستعراض السلطات الجزائية المخولة لضابط المرور في العراق وبعض الاقطار العربية، وتناولنا في المبحث الثاني نطاق تطبيق سلطة ضابط المرور في حجز الاشخاص. اما المبحث الثالث فقد اوضحنا فيه اجراءات تنفيذ قرار الحجز، وفي المبحث الرابع تعرضنا لموضوع التكيف القانوني لقرار الحجز وفيما اذا كان عقوبة أم توقيف ام حجز اداري؛ وفي الخاتمة استعرضنا اهم نتائج البحث والمقترحات التي توصلنا اليها.

---

(١) لقد نصت الفقرة (١) من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٣٨ في ١٩٨٠/٧/١٩، على مايلي «١ - يخول ضابط المرور صلاحية قاضي محكمة جنح المرور لغرض حجز المخالفين للانظمة والتعليمات المرورية مدة لاتزيد على خمسة الاشخاص عشر يوماً وحجز المركبة المخالفة لمدة لاتزيد على الثلاثين يوماً».
كما نصت الفقرة (١) من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٥٤ في ٩٨٠/٧/٢٢ على مايلي «١ - يخول ضابط المرور صلاحية قاضي محكمة جنح المرور لغرض حجز سائق المركبة الحكومية المخالف للانظمة والتعليمات المرورية مدة لاتزيد على شهر واحد».
لاحظ قانون المرور رقم (٤٨) لسنة ١٩٧١ المعدل - دار الحرية للطباعة بغداد - ١٩٨٥.

المبحث الأول
السلطات الجزائية المخولة لضابط المرور

سنعرض اولا السلطات الجزائية المخولة لضابط المرور في العراق ثم في تشريعات بعض الاقطار العربية ثانيا ونخصص لكل منهما مطلبا مستقلا.

المطلب الاول — السلطات الجزائية المخولة لضابط المرور في العراق

ان مسألة منح سلطات جزائية لغير القضاة ليست جديدة على صعيد التشريع فقد اجاز قانون اصول المحاكمات الجزائية بموجب الفقرة (ب) من المادة ١٣٧ منه منح الموظفين المدنيين من غير القضاة سلطة قاضي جنح لغرض ممارسة السلطات الجزائية المنصوص عليها في القوانين الخاصة التي تخول منحهم ذلك (١) ، وقد اكد قانون اصلاح النظام القانوني رقم (٣٥) لسنة ١٩٧٧ هذا المبدأ عند تحديد اسس التشريعات الجزائية فنص صراحة على منح سلطات تحقيق وجزاء القانونيين من غير الحكام وذلك في المخالفات والجنح البسيطة(٢) كما صدر قرار عن مجلس قيادة الثورة برقم ١٦٢٠ في ٧ — ١٢ — ١٩٨١ قضى بمنح المحافظين ورؤساء الوحدات الادارية في الاقضية والنواحي سلطة قاضي جنح لممارسة السلطات الجزائية المنصوص عليها في القوانين الخاصة التي تجيز منحهم تلك السلطات(٣)

ولا شك في ان وراء هذا المبدأ اعتبارات عدة لعل منها ضآلة الخطر الاجتماعي الذي تنطوي عليه المخالفات والجنح التي خول غير القضاة السلطات الجزائية للفصل فيها

(١) تنص الفقرة ب من المادة ١٣٧ من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ المعدل على مايلي «يجوز منح الموظفين المدنيين من غير القضاة سلطة قاضي الجنح بقرار من وزير العدل بناء على اقتراح الوزير المختص لممارسة السلطات الجزائية المنصوص عليها في القوانين الخاصة التي تخول منحهم ذلك»

(٢) لاحظ قانون اصلاح النظام القانوني رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٧ / دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٩ ، ص٧٤ .

(٣) لاحظ قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١٦٢٠ في ٧ — ١٢ — ١٩٨١ — المنشور في جريدة الوقائع العراقية — العدد ٢٨٦٤ في ١٩٨١/١٢/٢٨.

وتخفيف الزخم عن المحاكم والابتعاد عن الاجراءات الطويلة التي تنطوي عليها الدعوى الجزائية مما يفوت الاثر المباشر للعقوبة في تلك المخالفات والجنح (١).

اما فيما يتعلق بضباط المرور فقد خولوا سلطات جزائية عديدة بموجب احكام قانون المرور رقم ٤٨ لسنة ١٩٧١ المعدل، ومنها وفق احكام قانون الطرق العامة رقم (١) لسنة ١٩٨٣، ومنها وفق احكام قانون نقل الركاب بسيارات الاجرة رقم (٤٥) لسنة ١٩٨٣ ومنها وفق قراري مجلس قيادة الثورة المرقمين ١١٣٨، ١١٥٤ في ١٩ / ٧، ٢٢ / ٧ - ١٩٨٠، وسنتعرض لهذه السلطات تباعا.

اولا - السلطات الجزائية لضابط المرور وفقاً لاحكام قانون المرور :

يتمتع ضابط المرور وفقاً لاحكام قانون المرور رقم ٤٨ لسنة ١٩٧١ المعدل صلاحيات قانونية عديدة (٢) اغلبها ذات صفة جزائية وهي ١-بفرض الغرامات ٢- حجز المركبة فموجب احكام المادة التاسعة عشر من قانون المرور يخول ضابط المرور ومفوض المرور لحد الدرجة الرابعة سلطة حاكم جزاء لغرض فرض العقوبات عن المخالفات التي تقع امامه المنصوص عليها في المادتين الثامنة عشر والحادية والعشرون من قانون المرور (٣).

ويمتلك ضابط التسجيل صلاحية حجز السيارة لمدة لاتزيد على عشرة ايام بموجب احكام المادة (٣١) من قانون المرور، كما يمتلك ضابط التسجيل صلاحية حجز المركبة بموجب احكام المادة السادسة من نفس القانون.

ولا بد من الاشارة الى ان قرارات ضابط المرور ضمن الصلاحيات - التي اشرنا اليها هي قرارات قطعية لايجوز الطعن فيها.

---

(١) أنظر د.ضاري خليل محمود - بدائل الدعوى وعلاقتها بمشاكل تطبيق التشريعات السالبة للحرية قصيرة المدة، بحث منشور في مجلة قوى الامن الداخلي العدد ٥٦/لسنة ١٩٨٦ - ص٤٢.

(٢) لملاحظة ذلك تفصيلا يراجع / عقيد المرور الحقوقي عبد الوهاب التحافي اضواء على قانون المرور - من اصدارات الجمعية العراقية للسيارات والسياقة والوقاية من حوادث الطرق سلسلة مطبوعات الجمعية (٢)، ص٤١ - ٥٢.

(٣) العقوبات المنصوص عليها في المادة الثامنة من قانون المرور هي الغرامة بما لايقل عن خمسة دنانير ولاتزيد على عشرة دنانير، أما العقوبات المنصوص عليها في المادة الحادية والعشرين فهي الغرامة التي لاتقل عن عشرة دنانير ولاتزيد على عشرين، ديناراً وحجز المركبة مدة لاتزيد على عشرة ايام ولحين دفع الغرامة.

ثانياً: السلطة الجزائية لضابط المرور وفق احكام قانون الطرق العامة رقم (١) لسنة ١٩٨٣ .

منح القانون ضابط المرور سلطة جزائية لغرض فرض الغرامات وحجز المركبات التي تزيد حمولتها عن الحد المقرر في القانون ، فقد حددت الفقرة أولا من المادة (١٥) من هذا القانون غرامة قدرها دينار واحد عن كل مئة كيلو غرام زائدة عن الاوزان المقررة كما قررت حجز المركبة لحين تفريغ الحمولة الزائدة على نفقة المخالف.

كذلك حددت الفقرة (ثانياً) من نفس المادة غرامة قدرها (١٠٠) مائة دينار على سائق المركبة او مالكها الذي يتهرب من عملية الوزن .

وحددت الفقرة (ثالثا) من نفس المادة غرامة قدرها (٣) دنانير عن كل يوم تبقى فيه المركبة المحجوزة في ساحة الحجز بعد مرور عشرة ايام من تاريخ الحجز .

ان جميع هذه العقوبات خول ضابط المرور فرضها بموجب الفقرة (اولا) من المادة (١٦) من نفس القانون وتكون قراراته بهذا الشأن قطعية (١) اما اذا لم يدفع المخالف الغرامة المفروضة عليه فيحال على المحكمة المختصة لاستبدالها بالحبس (٢).

ثالثا : السلطة الجزائية لضابط المرور وفق احكام قانون نقل الركاب بسيارات الأجرة رقم (٤٥) لسنة ١٩٨٣ .

حدد قانون نقل الركاب بسيارات الاجرة رقم (٤٥) لسنة ١٩٨٣، وبموجب المادة (١١) منه معاقبة سائق سيارة الاجرة بغرامة لاتقل عن (١٠) دنانير ولا تزيد على ٣٠ دينارا عند ارتكابه احد الافعال الاتية: —

١ — الامتناع عن نقل الراكب الى الجهة المتفق عليها.

٢ — اتباع طريق غير اعتيادي وغير مناسب او عدم ايصال الراكب الى الجهة المتفق عليها.

٣ — مطالبة الراكب باجرة تزيد على التعرفة المقررة بموجب القانون .

٤ — الادعاء الكاذب بعطل العداد او الامتناع عن تشغيله.

---

(١) لاحظ م(١٥) وم (١٦) من قانون الطرق العامة رقم (١) لسنة ١٩٨٣

(٢) الفقرة ثالثاً من م(١٦) من قانون الطرق العامة رقم (١) لسنة ١٩٨٣.

وتسهيلا لتنفيذ هذا القانون فقد قرر منح ضابط المرور والمفوض لحد الدرجة الرابعة سلطة جزائية لغرض فرض العقوبة عن المخالفات المشار اليها ويكون قراره نهائيا غير قابل للطعن به قضائيا او اداريا (١).

رابعاً – السلطة الجزائية لضابط المرور وفق قراري مجلس قيادة الثورة المرقمين ١١٣٨ – ١١٥٤

ان القرارين المذكورين خولا ضابط المرور سلطة جديدة لم تكن مخولة سابقاً لابموجب قانون المرور ولا القوانين الاخرى التي لها علاقة بالمرور وهي سلطة حجز الاشخاص الذين يخالفون الانظمة والتعليمات المرورية لمدة لاتزيد على (١٥) يوم اذا كان المخالف من المشاة او من السواق الاهلين ولمدة لاتزيد على ٣٠ يوما اذا كان المخالف سائقاً حكوميا ونظرا لان هذه الصلاحية هي موضوع بحثنا لذا فان نخوض في تفاصيلها هنا وستتـــولى ذلك في المباحث الثلاثة القادمة.

المطلب الثاني – السلطات الجزائية لضابط المرور في تشريعات بعض الاقطار العربية

من خلال استعراض قوانين المرور في كل من السودان، اليمن الشمالية، واليمن الديمقراطية الامارات العربية، قطر، الكويت، الاردن، سوريا، نلاحظ ان جميعها اقرت مبدأ تخويل ضابط المرور سلطة جزائية ولكنها اختلفت في مدى هذه السلطة.

فبالنسبة لسلطة فرض عقوبة الغرامة لم نجد من بين قوانين المرور للاقطار المذكورة من يخول ضابط المرور هذه الصلاحية باستثناء قانوني المرور في اليمن الديمقراطية والسودان، علما ان قرارات ضابط المرور ليست قطعية بل يجوز الاعتراض عليها امام سلطة ادارية اعلى من الضابط او أمام سلطة قضائية (٢).

اما سلطة ضابط المرور في حجز المركبة فان جميع قوانين المرور في تلك الاقطار قد منحت ضابط المرور هذه الصلاحية مع اختلافها في قوة قرار الضابط في هذا المجال فمنها من اعتبرت قراراته قطعية ومنها من اقرت مبدأ الطعن بها امام سلطة ادارية او سلطة قضائيـة (٣).

---

(١) عقيد المرور عبد الوهاب التحافي – اضواء على قانون المرور – المصدر السابق ص٥٢

(٢) لاحظ عقيد المرور عبد الوهاب التحافي – مؤشرات عامة عن اتجاه الجرائم والعقوبات المرورية، في الدول العربية – المصدر السابق – ص٦١، ٦٢، ٦٤.

(٣) نفس المصدر ص٥٥ وما بعدها

اما فيما يتعلق بسلطة ضابط المرور في حجز السائق المخالف للانظمة والتعليمات المرورية فقد اقرت تشريعات المرور في جميع هذه الاقطار بهذه الصلاحية لضابط المرور الا أنها جميعاً (١) اختلفت مع التشريع العراقي في هذا الخصوص من جملة نواحي وهي :

اولا : — المدة التي سمح بها القانون لضابط المرور بحجز السائق : —

فقوانين المرور في هذه الاقطار خولت ضابط المرور صلاحية حجز الشخص لمدة ٤٨ ساعة في بعضها و ٢٤ ساعة في البعض الاخر بينما نجد ان صلاحية ضابط المرور في العراق قد تصل الى (٣٠) ثلاثين يوماً .

ثانياً : — الحالات التي يجوز لضابط المرور استخدام هذه الصلاحية عند مخالفتها.

فقد حددت تشريعات تلك الاقطار الحالات التي يجوز لضابط المرور اتخاذ قراره بحجز السائق عند مخالفتها وهي الحالات الخطرة عادة كالسياقة تحت تأثير المسكرات او السياقة بدون رخصة في حين نجد المشرع العراقي اطلق صلاحية ضابط المرور في هذا الميدان .

ثالثا : ان تلك التشريعات اقتصرت على منح ضابط المرور صلاحية حجز السائق المخالف فقط بينما في العراق يجوز لضابط المرور حجز المخالف سواء كان سائقاً ام راجلا كما سنرى في المواضيع القادمة من البحث.

رابعاً : ان اغلب تلك التشريعات خولت ضابط المرور هذه الصلاحية كتدبير قبل احالة المخالف على المحاكم المختصة او كتوقيف لحين البت في مخالفته اما في القانون العراقي فانها (اى صلاحية الحجز)جاءت بمثابة سلطة قضائية وقرار الضابط بمثابة حكم قضائي صادر من محكمة جنح المرور اضافة الى ان هذه العقوبة لاتلغي العقوبات الاخرى عن المخالفة التي يتقرر الحجز عنها والمنصوص عليها في القوانين .

خامساً : اغلب تلك التشريعات فسحت المجال للطعن في قرارات ضابط المرور ضمن الصلاحية المخولة له سواء امام سلطة ادارية اعلى من الضابط او امام سلطة قضائية ، اما في العراق فان قرار ضابط المرور في هذا المجال قرارا نهائياً ولايجوز الطعن فيه او الاعتراض عليه وسوف اعود الى هذا الموضوع لتقييم موقف المشرع العراقي في تخويل ضابط المرور هذه الصلاحية في المواضيع القادمة من البحث

---

(١) للاطلاع تفصيلا على صلاحيات ضابط المرور في قوانين الاقطار العربية المذكورة راجع المصدر اعلاه من ص٥٣ الى ص٦٥.

المبحث الثاني

نطاق تطبيق صلاحية ضابط المرور في حجز الاشخاص

كما لاحظنا في المبحث السابق فان المشرع العراقي اختلف مع تشريعات المرور في الاقطار العربية في مدى صلاحية ضابط المرور في حجز الاشخاص سواء من حيث الاشخاص الذين بالامكان فرض عقوبة الحجز بحقهم او من حيث الحالات او الوقائع التي يجوز لضابط المرور استخدام صلاحيته عند مخالفتها ولهذا سنتناول في المطلب الأول نطاق هذه الصلاحية في العراق وفي المطلب الثاني نتناول ذلك في تشريعات المرور في الاقطار العربية ثم نخصص مطلباً ثالثا لتقييم موقف المشرع العراقي في هذا المجال .

المطلب الاول ـ نطاق عقوبة حجز الأشخاص في العراق

كمدخل لدراسة هذا الموضوع نطرح التساؤلين التاليين :

من هم الاشخاص الذين يجوز لضابط المرور فرض عقوبة الحجز بحقهم عند مخالفتهم للانظمة والتعليمات المرورية؟ وما هي الحالات التي تجوز لضابط المرور ان يستخدم صلاحيته عند مخالفتها ؟

ونفرد فقرة مستقلة للاجابة عن كل من هذين التساؤلين

أولا: الأشخاص الذين تسرى عليهم صلاحية الحجز :

من ملاحظة نص الفقرة (١) من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٣٨ في ١٩ ـ ٧ ـ ١٩٨٠ (١) ، يتبين لنا بامكان ضابط المرور استخدام الصلاحية المخولة له بالحجز مدة لاتزيد على (١٥) خمسة عشر يوماً تجاه اى شخص يخالف الانظمة والتعليمات المرورية سواء أكان هذا الشخص سائقاً ام لا .

وعلى سبيل المثال بالامكان حجز الشخص الذي يعبر من غير المناطق المحددة بموجب بيان مديرية المرور العامة رقم (١٩) لسنة ١٩٨٠ (٢) ، كذلك بالامكان حجز صاحب

(١) تنص الفقرة(١) من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٣٨ في ١٩٨٠/٧/١٩ على ما يلي(يخول ضابط المرور صلاحية قاضي محكمة الجنح المرور لغرض حجز الاشخاص المخالفين للانظمة والتعليمات المرورية مدة لاتزيد على خمسة عشر يوماً وحجز المركبة المخالفة لمدة لاتزيد على الثلاثين يوماً) .

(٢) لاحظ مجموعة البيانات الصادرة عن مديرية المرور العامة ـ مطبعة بغداد ١٩٨٥ ـ ص٣٠

ورشة تصليح في شارع الشيخ عمر اذا قام بتصليح السيارة على رصيف الشارع خلافاً لبيان مديرية المرور العامة رقم (١) لسنة ١٩٨٠(١)، كذلك حجز الراكب الذي لايستعمل حزام الامان في السيارات التي تتوفر فيها احزمة امان اثناء سيرها في الشوارع العامة بموجب بيان رقم (٢) لسنة ١٩٨٣ (٢) هذا بالنسبة لغير السواق اما بالنسبة للسواق ، فأن اى سائق سيارة سواء كانت سيارته خاصة أو سيارة اجرة، وسواء كانت سيارة حمل او سيارة ركاب يخالف ايا من الانظمة والتعليمات المرورية اثناء قيادته السيارة يمكن حجزه المدة المحددة بالقرار المشار اليه، سواء كانت هذه الانظمة او التعليمات صادرة من مديرية المرور العامة او من اى جهة اخرى خولها القانون اصدار هذه التعليمات او الانظمة او البيانات.

اما اذا كان المخالف سائقاً لمركبة حكومية ففي هذه الحالة بامكان ضابط المرور حجزه مدة لاتزيد على (٣٠) ثلاثين يوماً ، وذلك استنادا الى نص الفقرة (١) من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٥٤ في ٢٢-٧-١٩٨٠(٣) ولكن يجب ملاحظة ان زيادة مدة الحجز لم يرد على سائق المركبة لصفته الوظيفية فقط، وانما لارتكابه المخالفة بواسطة المركبة الحكومية ، فلا يمكن الاستناد الى القرار المشار اليه وفرض عقوبة الحجز على شخص يعبر من غير المنطقة المحددة للعبور لمدة (٣٠) يوماً بحجة انه سائقاً حكومياً بل ينطبق عليه القرار الاول رقم (١١٣٨) ويمكن حجزه مدة لاتزيد على (١٥) يوماً.(٤) ولكن حين يخالف سائق المركبة الحكومية أيا من الانظمة و التعليمات المرورية اثناء قيادته المركبة الحكومية كان لايستعمل حزام الامان اوبواسطتها كأن يقوم بايقافها في مكان ممنوع فبالامكان تطبيق قرار رقم (١١٥٤) بحقه وحجزه مدة لاتزيد على (٣٠) يوماً وفي هذا الصدد قد يثار سوال أخر، وهو ماالحكم لوخالف أحد الراكبين في المركبة الحكومية من غير السواق أحد التعليمات والانظمة المرورية ؟ هل ينطبق عليه القرار الاول أم الثاني ؟

(١) نفس المصدر السابق ص٢١

(٢) نفس المصدر السابق ص٤٨

(٣) تنص الفقرة (١) من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٥٤ في ١٩٨٠/٧/٢٢ على ما يلي«١ - يخول ضابط المرور صلاحية قاضي محكمة جنح المرور لغرض حجز سائق المركبة الحكومية المخالف للانظمة والتعليمات المرورية مدة لاتزيد على شهر واحد

(٤) لاحظ نقيب المرور خليل ابراهيم عزت - المصدر السابق ص٣٥.

الحقيقة ان نص القرار الثاني (رقم ١١٥٤) صريح وواضح حيث جاء فيه ولغرض حجز سائق المركبة الحكومية المخالف للانظمة والتعليمات المرورية مدة لاتزيد على شهر واحد) وعلى ذلك فلاينطبق عليه القرار الثاني حتى اوكان موظفاً حكومياً لان النص اشار الى السائق الحكومي فقط ، وبالتالي فلايجوز حجزه أكثر من المدة المقررة في القرار (١١٣٨) أي (١٥) خمسة عشر يوماً) .

ثانياً: الحالات التي يجوز فيها لضابط المرور ان يقرر الحجز عند مخالفتها

اتضح لنا بأن صلاحية فرض عقوبة الحجز تسري على كل الاشخاص المخالفين سواء كانوا موظفين أم سابلة وسواء كانوا أهليين ام حكوميين : ولكن متى يجوز فرض هذه العقوبة بحق هؤلاء ؟ وبعبارة أخرى ماهي الحالات التي يجوز لضابط المرور ان يستخدم صلاحيته ويقرر الحجز عند مخالفتها ؟

لو رجعنا الى نص قراري مجلس قيادة الثورة الذين سبقت الاشارة اليهما لوجدنا انهما خولا ضابط المرور فرض عقوبة الحجز عند مخالفة الانظمة والتعليمات المرورية ولهذا فان معرفة تلك الحالات تقتضي معرفة المقصود بعبارة (الانظمة والتعليمات المرورية) التي وردت في هذين القرارين ، من المعروف ان قانون المرور النافذ رقم (٤٨) لسنة ١٩٧١ المعدل هو القانون الذي ينظم قضايا المرور في العراق ، وقد جاء هذا القانون ليحل محل قانون وسائط النقل البرية رقم (٥٠) لسنة ١٩٣٥ وتعديلاته ، وقد جرت على القانون النافذ منذ صدوره وحتى الوقت الحاضر تعديلات عديدة فرضتها ضرورات الحرص على الوقاية من الحوادث المرورية ومواجهة الجرائم المرورية وتأمين المزيد من التبسيط في المعاملات المرورية (١) ، وقد خول المشرع في المادة (٣٣) من القانون مدير المرور العام او ضابط

---

(١) عدل قانون المرور رقم ٤٨ لسنة ١٩٧١ أكثر من مرة وعلى النحو التالي :

١ — التعديل الاول بالقانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٧٢
٢ — = الثاني = = ١٧٤ لسنة ١٩٧٤
٣ — = الثالث = = ١٣ لسنة ١٩٧٥
٤ — = الرابع = = ٣٩ لسنة ١٩٧٦
٥ — = الخامس = = ١٧ لسنة ١٩٧٧
٦ — = السادس = = ٦٩ لسنة ١٩٧٨.
٧ — = السابع = = ٢٠ لسنة ١٩٨١

التسجيل المخول من قبله صلاحية اصدار البيانات لغرض تنظيم المرور في العراق داخل المدن وخارجها (١) ، كما الزمت المادة (٣٦) من القانون اصدار انظمة في جملة من الامور (٢) .

كذلك الزمت الفقرة الاولى من المادة (٣٧) من القانون مدير المرور العام أصدار بيانات في جملة من الامور، واخيراً اجازت الفقرة الثانية من نفس المادة له او لمن يخوله اصدار اى بيانات لغرض تنظيم المرور وفق احكام هذا القانون (٣)، واستنادا الى ماتقدم فقد صدرت

=٨ – = الثامن = = ٩٥ لسنة ١٩٨١

٩ – = التاسع = = ٧٠ لسنة ١٩٨٢

١٠ – = العاشر = = ٣٢ لسنة ١٩٨٣

١١ – = الحادي عشر = = ١٦ لسنة ١٩٨٧

لاحظ قانون المرور رقم (٤٨) لسنة ١٩٧١ المعدل / دار الحرية للطباعة بغداد / ١٩٨٥ كذلك لاحظ جريدة الوقائع العراقية العدد ٣١٣٨ السنة التاسعة والعشرون / شباط ١٩٨٧.

(١) تنص م (٣٣) من قانون المرور على ما يلي «شرطة المرور مسؤولة عن تنظيم المرور في العراق داخل المدن وخارجها بالتعاون مع الدوائر ذات العلاقة ومنع المرور في بعضها وتعين الطريق الذي يجوز السير فيه واوقات ذلك واتخاذ التدابير اللازمة لمنع الازدحام والاخطار وفق بيانات يصدرها مدير المرور العام او ضابط التسجيل المخول من قبله» .

(٢) تنص المادة (٣٦) من قانون المرور على ما يلي ، تصدر انظمة بالامور التالية :

١ – تعين شكل كل من اجازة التسجيل واجازة السوق وشروط اصدارها وتجديدها والسجلات الخاصة بها والجهة المسؤولة عن اعدادها

٢ – ابعاد لوحة التسجيل ولونها وكتابة الارقام والرموز فيها ومحل تعليقها والجهة المسؤولة عن تهيئتها وتثبيتها

٣ – تنظيم مهنة تعليم قيادة السيارة .

٤ – تنظيم ما يتعلق بالتسجيل والادخال المؤقتين .

٥ – تعين مواصفات السيارة الخاصة التي يرخص بسوقها المعوق وتحديد مواصفات وشروط منحه اجازة سوق .

(٣) تنص المادة (٣٧) من قانون المرور على مايلي : –

١– يصدر مدير المرور العام بيانات وفق احكام هذا القانون في الامور التالية : –

(أ) تعين جهة المرور في الطرق العامة وتحديد سرعة المركبات

(ب) تعين ابعاد اجازة التسجيل ولونها ومحتوياتها ومحل تعليقها

انظمة وبيانات وتعليمات عديدة تتعلق بتنظيم المرور سواء من وزارة الداخلية او من مديرية المرور العامة (١) .

بعد هذا العرض نعود الى التساؤل المطروح لمعرفة ماااذا كان المقصود من عبارة (الانظمة والتعليمات المرورية) التي وردت في نص قراري مجلس قيادة الثورة المشار اليها هو ماصدر من وزارة الداخلية او من مديرية المرور العامة من انظمة وبيانات وتعليمات لتطبيق قانون المرور ، ام يدخل ضمن مفهوم هذه العبارة نصوص قانون المرور نفسه؟

من المعلوم ان الانظمة والبيانات والتعليمات التي تصدر لتطبيق قانون معين او لتنظيم حالة معينة ، لا ترقى الى مصاف القانون فهو اعلى مرتبة من الانظمة والبيانات وعلى ذلك فلو اخذنا بالتفسير الظاهري لنص قراري مجلس قيادة الثورة اللذين سبق الاشارة اليهما، فان نصوص قانون المرور لاتدخل ضمن عبارة (الانظمة والتعليمات المرورية) التي وردت في القرارين ، وبالتالي فلا يمكن لضابط المرور ان يستخدم صلاحيته في الحجز تجاه شخص لمخالفته احدى القواعد المنصوص عليها في قانون المرور وانما يطبق بحقه العقوبات والتدابير التي حددتها نصوص ذلك القانون .

ان الاخذ بهذا التفسير يوصلنا الى نتائج غير منطقية ، فعلى سبيل المثال لايمكن لضابط المرور (وفق التفسير الذي اشرنا اليه) ان يطبق قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٣٨ ويقرر حجز السائق الذي يقود مركبته بسرعة تزيد على السرعة المقررة قانوناً ، وذلك لان هذه المخالفة منصوص عليها ومحددة عقوبتها ، بموجب المادة (١٨) من قانون المرور وهي

=(ج) تطبيق احكام الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالمرور وعلامات المرور في الطرق العامة المنظمة او التي تنظم اليها الجمهورية العراقية .

(د) كيفية اختبار طالب اجازة السوق والمعلومات التي يجري اختباره فيها

(م) يجوز لمدير المرور العام او من يخوله اصدار البيانات لغرض تنظيم المرور وفق احكام هذا القانون .

(١) لاحظ على سبيل المثال بيان وزارة الداخلية رقم(٣٧ لسنة ١٩٨٠ حول السيطرة على العجلات الحكومية) ونظام مهنة تعليم قيادة السيارة رقم (٢) لسنة ١٩٨٢ ، اما التعليمات الصادرة من ، مديرية المرور العامة فهي كثيرة جداً والاطلاع عليها تفصيلا راجع البيانات المرورية – المصدر السابق .

الغرامة التي لاتقل عن خمسة دنانير ولاتزيد على عشرة دنانير (١) ، بينما يكون بامكانه استخدام صلاحيته في الحجز تجاه المخالف لبيان رقم (٢) لسنة ١٩٧٦ (٢) في عدم حمل اطار احتياطي صالح للاستعمال في مركبه ويقرر حجزه لمدة لاتزيد على (١٥) يوماً .

ولانعتقد ان هذا هو ماأراده المشرع ، فليس من المنطق ولامن المعقول أن يمنح المشرع ضابط المرور صلاحية تقيد الحرية الشخصية لمدة قد تصل الى (٣٠) يوماً تجاه مخالفات بسيطة لاحدى البيانات والتعليمات ، والتي لاتصل في خطورتها الى مخالفة نصوص قانون المرور ، وكما في المثال الذي اشرنا اليه .

لذلك نعتقد ان المقصود بعبارة (المخالفين للانظمة والتعليمات المرورية) الواردة في القرارين هو اية مخالفة لاي نص من نصوص قانون المرور اواي نظام اوبيانات اوتعليمات حددت لتطبيق هذا القانون اولتنظيم عملية المرور : وعلى صعيد التطبيق فان ماأشرنا اليه هو المعمول فخلال لقاؤنا بالكثير من ضباط المرور واستفسارنا عن كيفية تطبيق قراري مجلس قيادة الثورة اتضح ان ضابط المرور عندما يمارس صلاحيته المخولة له بموجب هذين القرارين فهو يمارسها عندما تقع أية مخالفة لاي من نصوص قانون المرور اوتعليمات وبيانات وانظمة المرور ومايؤكد التفسير الذي اشرنا اليه هو ان عقوبة الحجز موضوع الدراسة هي ليست كعقوبة بديلة بل هي عقوبة اضافية ان صح التعبير لاتلغي العقوبة التي حددها القانون او حددتها التعليمات او البيانات المرورية عند وقوع المخالفة ، وهذا ما اكده السيد الرئيس القائد صدام حسين اثناء لقائه مع مسؤولي المرور في ١٢ تموز عام ١٩٨٠ حيث خاطبهم قائلا (... ولكم صلاحيات من هذا اليوم لكل ضابط مرور له صلاحيات توقيف العراقي ١٥ يوماً الذي يخالف بالاضافة إلى العقوبات الأخرى التي يمتلكها القانون المخالفة البينة التي لاتقبل الالتباس ....)(٣) .

ومع ملاحظة ان هذه التوجيهات من قبل السيد الرئيس جاءت قبل صدور قراري مجلس قيادة الثورة بايام قليلة ، يكون من المنطقي القول ان ما اراده المشرع عندما منح هذه الصلاحية لضابط المرور هو ايجاد عقوبة اضافية لاي مخالفة مرورية لخلق حالة

---

(١) لاحظ المادة (١٨) من قانون المرور / الفقرة الاولى.

(٢) لاحظ بيان رقم (٢) لسنة ١٩٧٦/ مجموعة البيانات المرورية المصدر السابق .

(٣) لاحظ حديث السيد الرئيس القائد صدام حسين مع مسؤولي المرور في ١٢/تموز/ ١٩٨٠ سلسلة مطبوعات الجمعية العراقية للسيارات والسياقة والوقاية من حوادث الطرق، مطبعة اركان بغداد/ ١٩٨٤، ص ١٢ .

ردع تطلبتها ظروف المرحلة الراهنة ، وقد اشار السيد الرئيس إلى هذه النقطة في نفس المناسبة حيث قال « وفي قوانينا قوانين حزب البعث العربي الأشتراكي الذي يلحق اذى بالمجتمع يجب ان نعاقبه والعقوبة ترتبط نوعا ودرجة بظرف العقوبة التي نعاقب بها المواطن خلال سنة من الان الذي لايلتزم بالقانون سوف تكون عقوبته اشد من العقوبة التي سنعاقبه بها بعد سنة » (١) .

ثم يضيف حتى نفهم جدية التطبيق يجب في المرحلة الاولى ان تكون القبضة في مسكتها اكثر شدة وبعد ذلك نضع العقوبات التي تتناسب مع المرحلة التي يصل اليها الانسان(٢) يتضح من ذلك ان المراد بمخالفة الأنظمة والتعليمات المرورية هو اية مخالفة لاي من القوانين أو الانظمة او البيانات او التعليمات التي تنظم المرور وان السبب وراء اثاره مثل هذه التساؤلات التي طرحناها هو صياغة النص ، وكان من الممكن ان تكون صياغة نص القرارين على النحو التالي :

« يخول ضابط المرور صلاحية قاضي جنح المرور لغرض حجز الأشخاص المخالفين للقوانين والانظمة والبيانات والتعليمات المرورية ... » .

المطلب الثاني – نطاق عقوبة حجز الاشخاص في القوانين العربية

اولا: من حيث الاشخاص:

اختلف المشرع العراقي مع المشرعين في الاقطار العربية التي تناولت السلطات المخولة لضابط المرور في قوانينها المرورية وهي الاردن / سوريا / اليمن / اليمن الديمقراطية الكويت/ السودان / قطر/ الامارات ، اختلف عنهم في هذا المجال في ناحيتين : –

الاولى : – ان قوانين المرور في هذه الأقطار والتي خولت ضابط المرور صلاحية حجز الأشخاص ، قصرت ذلك على السواق المخالفين لقوانين المرور بينما في القانون العراقي تسري هذه الصلاحية على السواق وغير السواق أي السابلة ، وهذا الاتجاه ضروري ومحسوب ، ذلك ان خلق حالة من الالتزام بقوانين المرور لغرض الحد من الحوادث لاتتعلق بالسواق فقط فالواقع يثبت ان الكثير من حوادث المرور يكون سببها عدم التزام المشاة بقواعد وانظمة المرور .

---

(١) نفس المصدر – ص ٨ .
(٢) نفس المصدر – ص ٩ .

الثانية: — ان قوانين المرور في هذه الأقطار لم تفرق بين السائق الاهلي والسائق الحكومي بينما المشرع العراقي فرق في ذلك وجعل عقوبة للسائق الحكومي المخالف ضعف عقوبة السائق الاهلي ، وسبب هذا التشديد هو ان سائق الدولة يجب ان يكون قدوة للغير من السواق الاهليين ، ويفترض به ان يكون اكثر من غيره التزاما بقوانين وانظمة وتعليمات الدولة خاصة وان المركبة التي يقودها هي جزء من اموال الدولة التي لابد من حمايتها حماية خاصة .

ثانياً: من حيث الحالات التي تجوز فرض عقوبة الحجز عند مخالفتها

لقد قيد المشرع في قوانين المرور للاقطار العربية المشار اليها ضابط المرور في اصدار قرار حجز الأشخاص في حالات محددة دون سواها .

ففي الاردن لضابط المرور حجز السائق لاتتجاوز ٢٤ ساعة اذا كان السائق غير مرخص قانوناً او كان يسوق تحت تأثير المسكرات او المخدرات .

وفي الكويت لضابط المرور حجز السائق لحين البت في المخالفة في الحالات الاتية : —

١ — قيادة السيارة تحت تأثير المشروبات الروحية .
٢ — قيادة المركبة بدون ترخيص قيادة .
٣ — ارتكاب حادث يترتب عليه اصابة انسان .
٤ — محاولة الهرب في حالة ارتكاب حادث مرور .

وفي قطر لضابط المرور حجز السائق المخالف لمدة لاتزيد على ٤٨ ساعة في حالة قيادته السيارة تحت تأثير مشروبات روحية او مخدرات او اي مواد اخرى تؤثر على قدرته على السياقة .

وفي الامارات العربية لضابط المرور حجز السائق لمدة لاتزيد على ٤٨ ساعة في الحالات التالية :

١ — ارتكاب حادث بسيط وليس بحوزته الرخصة .
٢ — ارتكاب حادث جسيم ينتج عنه اصابات .
٣ — ارتكاب حادث جسيم ينتج عنه اضرار مادية بليغة .
٤ — ارتكاب حادث وكان السائق تحت تأثير المشروبات الكحولية والمخدرات وفي اليمن الديمقراطية لضابط المرور حجز السائق لمدة لاتزيد على ٢٤ ساعة في الحالات التالية :

١ — السياقة تحت تأثير مسكر او مخدر .

٢ — اخذ المركبة بدون رضاء المالك او الشك انها مسروقة .

٣ — التسبب في وفاة او اصابة اخرين في حادث اصطدام .

٤ — السياقة بطيش او برعونة .

٥ — السياقه بدون حيازة رخصة قيادة .

وفي اليمن الشمالية يجوز لضابط المرور حجز السائق لمدة لاتزيد على ٢٤ ساعة في الحالات التاليـة :

١ — تصادم سيارات وحدوث ضرر جسيم .

٢ — قيادة مركبة غير المركبة المرخص له بقيادتها .

٣ — ان يكون السائق تحت تأثير مسكر او مخدر .

٤ — ان يكون السائق قد ارتكب حادثاً وادى إلى وفاة او اصابة شخص

٥ — الأمتناع عن دفع الغرامة المحكوم بها عليه .

وفي السودان / لضابط المرور حجز السائق الذي يرتكب عملا مخالفا لقانون المرور لمدة ٢٤ ساعة في الحالات الاتية : —

١ — تسبب الموت او الاذى الجسيم او الاذى البسيط للغير .

٢ — القيادة تحت تأثير الخمر او المخدر .

٣ — اتلاف الممتلكات .

٤ — القيادة الخطرة او القيادة بطيش .

٥ — الهروب بعد ارتكاب الجريمة (١) .

ويتضح من خلال هذا العرض ان جميع الحالات التي خولت قوانين المرور المشار اليها ضابط المرور حجز السائق المخالف عند حدوثها هي اماجنايات او جنح ، هذا من جهة ومن جهة اخرى يظهر ان هذا الاجراء اي حجز السائق انما هو عبارة عن اجراء تحفضي اشبه بالتوقيف لحين البت في امر السائق المخالف من قبل الجهة المختصة .

---

(١) لاحظ عقيد المرور عبد الوهاب التحافي / مؤشرات عامة في اتجاهات الجرائم والعقوبات المرورية في الدول العربية /ص ٥٥ — ٦٥.

المطلب الثالث: تقييم موقف المشرع العراقي

سبق وان بينا في مواقع سابقة من هذا البحث بان هناك جملة اعتبارات تتعلق بتحديد العقوبات المناسبة للمخالفات ، ولعل ابرز هذه الأعتبارات هوتناسب هذه العقوبات مع ظروف المرحلة التي تفرض فيها ، وهو ما اكده السيد الرئيس القائد اثناء لقائه مع مسؤولي المرور في ١٢ تموز / ١٩٨٠ حيث قال « ... والعقوبة ترتبط نوعاً ودرجة بظرف العقوبة التي نعاقب بها المواطن خلال سنة من الان الذي لايلتزم بالقانون سوف تكون عقوبته اشد من العقوبة التي سنعاقبه بها بعد سنة ... » خاصة وان من اسس تحقيق بناء شامخ هو تحقيق حالة من الانضباط في المجتمع لان المخالفة كما يشير السيد الرئيس تستلب حق المجتمع (١) .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان القوانين تؤدي إلى تغير سلوكي يتخذ فيما بعد اساساً لقوانين المستقبل ، ولهذا فان التشريع يعتبر عملية ديناميكية مستمرة وان السرعة في تحقيق هذا التغير السلوكي يتطلب اقرار مبدأ توقيع العقاب المناسب باسرع ما يمكن وقد اكد على هذا المبدأ المؤتمر الذي عقدته منظمة الصحة العالمية للفترة من ٩-١٣ تشرين ثاني عام ١٩٨١ في المكسيك بشأن حوادث الطرق في البلدان النامية ، حيث ايد المؤتمر مبدأ توقيع العقاب المناسب باسرع ما يمكن على من يدان في عمل يهدد السلامة (٢) .

لهذا فان قراري مجلس قيادة الثورة اللذان خولا ضابط المرور صلاحية محكمة جنح المرور لغرض حجز الاشخاص المخالفين يعتبران تشريعاً متقدماً تحاول حكومة الثورة من خلاله تحقيق قفزة نوعية في تنظيم احدى جوانب الحياة الاساسية للمجتمع العصري الذي تسعى جاهدة في بنائه باسرع وقت ورغم ذلك لنا جملة ملاحظات بصدد هذا الموضوع نوجزها بما يلي : -

١ - ان صلاحية فرض عقوبة حجز الأشخاص المخولة لضابط المرور من الاجراءات التي تمس الحرية الشخصية ، ولان هذه الصلاحية لاتتعلق بحالات معينة بل هي مطلقة تجاه اي مخالفة لاي من القوانين او الانظمة او التعليمات المرورية ، مما قد يؤدي إلى اتخاذ هذا الاجراء الخطير في تقييد الحريات الشخصية تجاه مخالفات بسيطة ، لذا نقترح تحديد الحالات التي تجوز لضابط المرور استخدام هذه الصلاحية عند مخالفتها ،

---

(١) راجع حديث السيد الرئيس / المصدر السابق - ص ٨ .

(٢) لاحظ / عقيد المرور الحقوقي عبد الوهاب التحافي / موجز وصايا اوسع مؤتمر عالمي بشأن حوادث الطرق في البلدان النامية/ مجلة قوى الامن الداخلي/ العدد٥٥ ، سنة ١٩٨٥ ص ١٦٠ .

ترتبط بخطورة هذه الحالات في عرقلتها تنمية روح الضبط الواعي عند المواطنين واحترام القوانين خاصة وان قانون اصلاح النظام القانوني قد اكد في البند الأول من الفصل الرابع في اسس السياسة الجزائية على ان « المخالفات افعال تعكس مواقف سلبية ازاء الضبط وتضع العراقيل امام نشاط السلطة العامة او تعيق تطور الحياة الأجتماعية الا أنها لاتخرق بشكل ملموس مصالح المجتمع او المواطنين ويترتب على هذا اتخاذ موقف متفهم ومتطور ازاء المخالفات » (١) .

٢ — بما ان العقوبة ترتبط نوعاً ودرجة بظرف المرحلة التي تقرر فيها ، وبما ان منح هذه الصلاحية (حجز الاشخاص) لضابط المرور قد مضى عليها سبع سنوات وأن الظروف والواقع الاجتماعي اختلفت عما كانت عليه في تلك المرحلة . ولكون الحجز من الاجراءات الخطيرة التي تمس الحرية الشخصية ، ومثل هذه الاجراءات لاتمنح لغير السلطات القضائية الافي الظروف والاحوال الاستثنائية لهذا نقترح تعديل قراري مجلس قيادة الثورة اللذين أشرنا اليهما وتخويل ضابط المرور صلاحية حجز الاشخاص المخالفين لمدة لاتزيد ، على ٤٨ ساعة في الحالات الخطيرة والمهمة كتدبير أحتياطي لحين عرضهم على الجهات القضائية المختصة.

٣ — لتوفير السرعة في البت في أمر من يقرر ضابط المرور حجزهم وفي قضايا جنايات وجنح ومخالفات المرور نقترح تخصيص محكمة تحقيق في مديرية مرور كل محافظة تتولى النظر في كل مايتعلق بانتهاكات قوانين المرور للسرعة في حسمها. —

(١) قانون اصلاح النظام القانوني / المصدر السابق، ص ٦٥ .

المبحث الثالث

اجراءات تنفيذ عقوبة الحجز ودورها في الحد من حوادث المرور

نتناول اولا الاجراءات التي تتخذ لتنفيذ قرار ضابط المرور في فرض عقوبة الحجز على احد الاشخاص ثم نتعرض لبيان دور هذه العقوبة في خلق حالة الالتزام والانضباط بقوانين المرور وبالتالي الحد من حوادث المرور .

المطلب الاول ــ اجراءات تنفيذ عقوبة الحجز

هناك نقطة جوهرية لابد من توضيحها قبل بيان اجراءات الحجز مفادها هو هل يشترط ان تقع المخالفة امام ضابط المرور المخول بالحجز لكي يتخذ قراره بذلك ام يكفي ان يبلغ من قبل احد المنتسبين كالمفوض وافراد الشرطة بوقوع مخالفة لكي يكون بامكانه استخدام صلاحيته في الحجز ؟ الحقيقة انه يمكن القول بدون تردد ان بامكان ضابط المرور استخدام صلاحيته في فرض عقوبة الحجز سواء حدثت المخالفة امامه شخصياً او اذا بلغ فيها ، لان نص قراري مجلس قيادة الثورة اللذين نحن بصددها لم يشترطا حدوث المخالفة امام الضابط ولو كان المشرع يريد ذلك لنص عليه صراحة كما فعل في المادة التاسعة عشر من قانون المرور حيث خول ضابط المرور ومفوض المرور لحد الدرجة الرابعة سلطة حاكم جزاء لغرض فرض العقوبات عن المخالفات التي تقع امامه والمنصوص عليها في المادتين الثامنة عشر والحادية والعشرين من قانون المرور (١) .

إن ضابط المرور عندما يقرر حجز الاشخاص المخالفين للتعليمات والانظمة المرورية عليه ان يصدر قراراً بذلك وفقاً لنموذج اعد خصيصاً لهذا الغرض فعليه ان يملىء محتويات هذا النموذج ويوقعه بنفسه ، والنموذج المعتمد هو كالاتي : ــ

نموذج ــ أ ــ رقم القرار /________________

التاريخ / /

قرار حجز الاشخاص

وفق قرار مجلس قيادة الثورة ١١٣٨ في ١٩٨٠/٧/١٩

---

(١) لاحظ المادة الثامنة عشرة من قانون المرور رقم ٤٨ لسنة ١٩٧١ المعدل

هوية الضابط المخول صلاحية الحجز

الرتبة : —

الاسم الثلاثي : —

المنصب : —

محل الاشتغال : —

استناداً للصلاحية المخولة لي بموجب قرار مجلس قيادة الثورة المشار اليه اعلاه قررت حجز السيد ———————————— لمدة ——— — أيام اعتباراً من تاريخ / / ولغاية / / مهنته ——————— يسكن ——— رقم الدار ———— رقم الهاتف ———— نظراً لمخالفته التعليمات المرورية وقيامه ————————————————————

————————————————————

ملاحظة : — يدرج رقم السيارة ورقم الاجازة اذا كان المخالف سائقاً.

التوقيع : —

وبعد ان يملىء هذا النموذج يرسل الشخص الذي اتخذ بحقه قرار الحجز الى أحدى المواقف في المكان الذي أتخذ فيه قرار الحجز، وكما ذكرنا سابقاً فان قرار الضابط نهائي لايجوز الطعن فيه لاامام جهة قضائية ولا امام جهة أدارية اعلى من الضابط ، أما فيما يتعلق بالمكان الذي تنفذ فيه عقوبة الحجز فنحن نعتقد ان خلط الاشخاص الذين يتخذ بحقهم قرارالحجز مع مختلف المجرمين في المواقف العامة ولمدة قدتصل الى ثلاثين يوماً فيه بعض الخطورة، اذ ربما تتولد لديهم النزعة نحو الاجرام نتيجة تأثرهم بالمجرمين الموجودين في المواقف العامة ، لهذا نقترح تخصيص موقف في مديرية مرور كل محافظة لغرض حجز من يتخذ بحقهم قرار بذلك، نتيجة لمخالفتهم التعليمات والانظمة وبيانات المرور ، وهذا ينسجم مع ما اقترحناه في تقييد صلاحية الحجز بمدة لاتزيد على ٤٨ ساعة.

المطلب الثاني

دور عقوبة الحجز في الحد من حوادث المرور

أن الجدول التالي يبين عدد السواق والمشاة المحجوزين من قبل ضابط المرور في العراق للسنوات ١٩٨٣ — ١٩٨٥ (١) .

السنة	عدد السواق المحجوزين	عدد المشاة المحجوزين	المجموع
١٩٨٣	٢٤٢٣	٣٦١	٢٧٨٤
١٩٨٤	١٦٣٦	٤٢٨	٢٠٦٤
١٩٨٥	١٦٦٥	٥٩	١٧٢٤

ولو تأملنا هذا الجدول لوجدنا ان عدد الاشخاص المحجوزين قد انخفض تدريجياً سنة بعد اخرى فهل ان وراء ذلك ظهور حالة التزام المواطنين بقوانين وانظمة وتعليمات المرور ام أن عدم جدية ضابط المرور في استخدام هذه السلطة هي السبب في ذلك؟

أننا لايمكن ان نجزم بأن السبب الاول وراء هذا الانخفاض ، صحيحاننا لاننكر الدور الذي ربما يكون قد لعبه استخدام هذه العقوبة في خلق حالة ردع لدى المواطنين وبالتالي زادت من التزامهم بقوانين وانظمة المرور ولكن الصحيح ايضاً هو ان الاحصائيات المنشورة اثبتت ان حوادث المرور بدأت تزداد بشكل مخيف سنة بعد أخرى(٢).

وأذا ما علمنا ان حوالي ٩٠٪ من حوادث المرور تقع بسبب الانسان نكون قد اقتنعنا بان هذه السلطة او عدم استخدامها بالشكل المطلوب هو الذي افرز هذه الحقيقة ، فأن اهميـة وخطورة أي تشريع تكمن في الاجهزة القائمة على تنفيذه، فيقع على عاتق الاجهزة المرورية

(١) احصائية اعدت من قبل شعبة الاحصاء في مديرية معهد المرور.

(٢) لاحظ نشرة احصاء حوادث المرور للاعوام ١٩٧٩ — ١٩٨٠ — ١٩٨١ — ١٩٨٢ — ١٩٨٣، الصادرة عن الجهاز المركزي للاحصاء.
كذلك تقرير الجرائم الشهري لعام ١٩٨٤ — مديرية الشرطة العامة، الاحصاء

التي أمتلكت نوعاً من السلطة القضائية ان تطبق روح القانون وبذهنية تستوعب طبيعته ، لا أن تتقيد بالشكلية على حساب روح القانون والعدالة في توقيع العقاب ، فيسبب انكساراً في النفس وخيبة امل في وقت يتطلب من الاجهزة المرورية تحويله الى تظاهرة وطنية حضارية تساهم فيها كل قطاعات المجتمع من خلال التوعية والاخذ بأيديهم بهوادة ، اما ان تحل القسوة والخشونة لدى البعض . فهو امر يتنافى وتوجيهات قيادة الحزب والثورة من اعتبارها الانسان هو القيمة العليا والغاية والوسيلة في المجتمع (١) .



(١) لاحظ فؤاد علي سليمان – المصدر السابق – ص ٩٦ – ٩٧.

المبحث الرابع

التكييف القانوني لقرار الحجز

بالرغم من عدم وجود تعريف للحجز الذي يقرره ضابط المرور بحق الاشخاص، الا أنه يمكن القول بأنه حرمان الشخص المحجوز من حرية تقرير امر نفسه خلال الفترة الزمنية المحددة في القرار، ويتمثل هذا الحرمان بابداعه في المكان المحدد بقرار الحجز للمدة المحددة فيه (١) وهو بهذا يتشابه مع الكثير من الاجراءات القضائية والادارية كالحجز الاداري والتوقيف والعقوبة التي تقرر بناء على حكم قضائي.

وعلى هذا فلنا ان نتساءل فيما اذا كان حجز الاشخاص بموجب قرار ضابط المرور بمثابة حجز اداري (اعتقال اداري)؟ اوهو توقيف، ام هو عقوبة قضائية، اي صادرة بناء على حكم قضائي؟ وذلك ماسنحاول التوصل اليه خلال المطالب الثلاثة التالية.

المطلب الاول: التمييز بين حجز الاشخاص بموجب قرار ضابط المرور والحجز الاداري

ان الضبط الاداري هو صورة من صور تدخل الادارة بغية فرض القيود على حرية الانسان لغرض صيانة النظام العام (٢)، وهذا التدخل يتوسع كلما كان النظام العام في خطر لظرف استثنائي تمر به الدولة كحالة الحرب او حدوث كوارث طبيعية، اما في ظل الظروف العادية فان نظام الحجز او الاعتقال الاداري يجد تبريره في نظرية الحالة الخطرة، لوقاية المجتمع من النفسية الاجرامية الكامنة في المجرم، والذي يجعل الجريمة امرا محتملا عن طريق استبعاده عن المجتمع وقتا معينا، كما يجد تبريره عند البعض باعتباره دفاعا شرعيا عن الجماعة، باسرها وهو مايسمح لها باتخاذ ماتراه ضروريا لوقاية الجماعة وتأمين النظام العام (٣).

---

(١) يلاحظ بان الحكم على شخص باحدى العقوبات السالبة للحرية يترتب عليه ايضاً الحرمان من الحرية بايداع الحكومة عليه في احدى المؤسسات العقابية التي يحدد نوعها في الحكم، لاحظ فاضل زيدان محمد – العقوبات السالبة للحرية – مطبعة الشرطة – بغداد – ١٩٨٢ – ص ٢٩.

(٢) لاحظ حسين جميل – حقوق الانسان والقانون الجنائي – مطبعة دار النشر للجامعات المصرية – القاهرة/ ١٩٧٢ – ص ٤٨.

(٣) للاطلاع تفصيلا على مبررات الحجز والاعتقال الاداري – يراجع فؤاد علي سليمان – المصدر السابق، ص ٩١ وما بعدها.

ومن الامثلة على الحجز الاداري في العراق ماورد في قرار مجلس قيادة الثورة المرقم (٢٦) في ٥ / ١ / ١٩٧١ الذي خول وزير الداخلية اصدار امر حجز الاشخاص لمدة معينة ، او لمدة غير محددة، وقرارات الحجز من هذا النوع هي قرارات ادارية غير خاضعة لطعن فيها (١) .

بعد هذه المقدمة عن الحجز الاداري نقول، ان قرار حجز الاشخاص بموجب الصلاحية المخولة لضابط المرور يختلف عن الحجز او الاعتقال الاداري بنقاط اساسية وهي: —

١ — الحجز الاداري هو اجراء اداري تفرضه السلطة الادارية، اما حجز الاشخاص بموجب قرار ضابط المرور فهو اجراء قضائي، ولو ان المخول باصداره هو جهة ادارية ذلك لان ضابط المرور عندما يتخذ قرار الحجز فانما يتخذه بصفته محكمة جنح المرور .

٢ — الحجز الاداري يفرض حتى لولم يقم المحجوز بعمل اجرامي ، فالاشتباه بسلوكه الاجرامي يكفي لاتخاذ قرار الحجز الاحتياطي بحقه، اما الحجز بموجب قرار ضابط المرور فلا يتم الا بعد مخالفة المحجوز لقوانين وانظمة وتعليمات المرور .

٣ — الحجز الاداري قد تحدد مدته وقد يكون لمدة غير محدودة بينما الحجز بموجب قرار ضابط المرور يكون لمدة محددة، فهو اما يكون لمدة لاتزيد على (١٥) يوما استنادا الى قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٣٨ في ١٩ / ٧ / ١٩٨٠ ولمدة لاتزيد على (٣٠) يوما استنادا الى قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٥٤ في ٢٢ / ٧ / ١٩٨٠ يتضح من ذلك ان قرار ضابط المرور بحجز الاشخاص لايعتبر حجزا اداريا وبالتالي لايعتبر من اجراءات الضبط الاداري .

---

(١) لاحظ القرار التميزي رقم ٣٤١ /تميزية/ ٦٨ في ١٩٦٩/١/٨/ الفقه الجنائي في قرارات محاكم التميز/ د. عباس الحسيني ، كامل السامرائي/ المجلد السابع/ مطبعة الازهر/ بغداد/ ١٩٦٩/ ص ٤٨٤ .

المطلب الثاني :التمييز بين الحجز والتوقيف (١)

التوقيف هو اجراء احتياطي وقتي يوضع بموجبه المتهم في مكان معين بامر من جهة قضائية مختصة وللمدة المقررة قانونا، تحاول الجهات المسؤولة خلالها التأكد من ثبوت التهمة من عدمها ويخضع المتهم الموقوف لنظام خاص (٢)

فهو اذن من الاجراءات التي تتخذها سلطات التحقيق في تقييد حرية المتهم بجريمة لمدة معينة لغرض التثبت من مدى صحة التهمة المنسوبة اليه فهو ليس عقوبة ولايترتب بناء على حكم صادر من محكمة جزائية بعد المحاكمة وانما هو اجراء تفرضه ضرورات معينة وقد ينتهي بالادانة او البراءة .

وقد يختلط مفهوم التوقيف مع الحجز بموجب قرار ضابط المرور ، خاصة وان هذا الاجراء (اى التوقيف) كان يسمى في قانون اصول المحاكمات الجزائية البغدادى الملغى حجزا(٣) .

ورغم ان التوقيف والحجز يتضمنان قدرا من المساس بحرية الانسان، الا أن الاخير يختلف عن التوقيف بما يلي :

١ — ان التوقيف اجراء احتياطي لايبني اتخاذه بحق شخص اجزم ارتكابه الجريمة بل يتخذ لتثبيت من التهمة المنسوبة المتهم الموقوف ، بينما الحجز لايتخذ بحق شخص الا بعد خرقه لقوانين وتعليمات المرور .

٢ — ان التوقيف تتخذه سلطات التحقيق وهو قاضي التحقيق والمحقق في بعض الاحيان (٤) ، اما قرار حجز الاشخاص فان ضابط المرور انما يتخذه بصفته محكمة موضوع (محكمة جنح المرور) .

---

(١) تختلف تسمية التوقيف في تشريعات الا قطار العربية، فبينما يسمى هكذا في العراق والاردن وسوريا، الا أنه يطلق عليه (الحبس الاحتياطي) في مصر وليبيا والجزائر و الكويت وقطر، اما في تونس فيطلق عليه (الايقاف التحفظي) بينمـــا في المغـــرب يسمى (الاعتقال الاحتياطي) فؤاد علي سليمان، المصدر السابق ص ٦٤ و ص ٦٥ .

(٢) فؤاد علي سليمان — المصدر السابق — ص ٦٧ .

(٣) انظر المادة ٣٧ والفقرة الاولى منم (١١١) قانون اصول المحاكمات الجزائية البغدادي.

(٤) لاحظ المادة (١١٢) من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١.

٣ – صحيح ان مدة التوقيف محددة بخمسة عشر يوما الا أنه يجوز تمديده اكثر من مرة وعن نفس التهمة بشرط ان لايتجاوز ربع الحد الاقصى للعقوبة عن الجريمة المنسوبة للمتهم (١) اما حجز الاشخاص بموجب قرار ضابط المرور فهو محدد المدة ولا يجوز تمديده اطلاقاً عن نفس المخالفة .

٤ – قرار التوقيف خاضع للطعن تمييزا اما قرار حجز الاشخاص فهو قرار قطعي غير قابل للطعن .

ولهذه الاعتبارات فان قرار حجز الاشخاص من قبل ضابط المرور استنادا الى الصلاحية المخولة له لايعتبر توقيفاً .

المطلب الثالث – هل الحجز عقوبة قضائية ؟

العقوبة هي الجزاء الذي يقرره القانون الجنائي لمصلحة المجتمع تنفيذا لحكم قضائي على من ثبت مسؤوليته من الجريمة لمنع ارتكابها مرة اخرى من قبل المجرم نفسه او من قبل غيره (٢) ، فالعقوبة اذن تنطوي على الايلام الذي يحيق بالمجرم عن طريق الانتقاص من حقوقه او مصالحه لمخالفته امر القانون ، وغايتها دائماً هي منع ارتكاب الجريمة ، وهي تقرر لمصلحة المجتمع وبالتالي فان العقوبة لاتقرر الا من خلال دعوى جزائية تحرك باسم المجتمع والحكم الجزائي هو الفاصل في الدعوى (٣) ، اذن فالعقوبة تقوم على اربعة عناصر هي الايلام، والجريمة، والمجرم، والحكم الجنائي ولنا ان نتساءل هنا عن امكانية اعتبار الحجز عقوبة ام لا؟

مما لاشك فيه هو ان الحجز يتضمن عنصر الايلام ، اى الانتقاص من حقوق الشخص المحجوز او مصالحه، فصدور القرار بحجز الشخص يترتب عليه كما ذكرنا حرمانه من حرية تقرير امر نفسه خلال الفترة الزمنية المحددة في القرار كما ان قرار الحجز لايصدر بحق شخص الا بعد مخالفته للقانون شأنه في ذلك شأن العقوبة التي لاتصدر بحق شخص الا بعد اتيانه فعلا حرمه القانون او امتناعه عن فعل امر به القانون .

(١) لاحظ المادة (١٠٩) من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١ .

(٢) لاحظ د. علي حسين الخلف – سلطان الشاوي – المبادىء العامة في قانون العقوبات مطابع الرسالة / الكويت – ص ٤٠٥ .

(٣) د. محمود محمود مصطفى – شرح قانون العقوبات – الطبعة الاولى – ١٩٧٨ ص ٤٣٣ .

اما فيما يتعلق بالعنصر الاخر وهو الحكم الجنائي ، والذي هو القرار الذي تصدره محكمة مختصة قانونا للفصل في خصومة معروضة عليها او في جزء منها (١) فان الامر قد يثير خلافاً ، وهو في امكانية اعتبار القرار الذي يصدر عن ضابط المرور بحجز الشخص بمثابة حكم قضائي يصدر من محكمة مختصة.

هذا من جهة ومن جهة اخرى فاننا لو دققنا العقوبات الواردة في قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ لما وجدنا فيها عقوبة تدعى الحجز ماعدا الفقرتين (٧،٨) من المادة (٨٥) وهي (٧ – الحجز في مدرسة الفتيان الجانحين ،٨– الحجز في مدرسة اصلاحية وكلاهما تخصان الاحداث .

ولكن بالرغم من ذلك فان حجز الاشخاص بموجب قرار ضابط المرور ، هي عقوبة استحدثها المشرع بموجب قراري مجلس قيادة الثورة المرقمين (١١٣٨) في ١٩ / ٧ / ١٩٨٠ و (١١٥٤) في ٢٢ / ٧ / ١٩٨٠ ، وقد منح المشرع حق فرضها لضابط المرور وبالتالي فان قراره بحجز الاشخاص بمثابة حكم قضائي صادر من محكمة موضوع ، حيث ان القرارين المذكورين جاء نصهما كما يلي «يخول ضابط المرور صلاحية قاضي محكمة جنح المرور لغرض حجز الاشخاص ....» و معنى هذا ان ضابط المرور عندما يقرر الحجز فانما يقرر ذلك باعتباره قاضي محكمة جنح المرور وبالتالي يكون قراره بمثابة حكم قضائي الا أن الفرق الوحيد بينه وبين الحكم الصادر من قاضي محكمة جنح المرور هو ان قرار الضابط قطعي لايخضع لطرق الطعن بينما يخضع الحكم الصادر من محكمة الجنح لطرق الطعن المنصوص عليها في القانون .

---

(١) لاحظ نبيل حميد البياتي – تسبب الاحكام الجزائية في القانون العراقي رسالة ماجستير / كلية القانون والسياسة/ جامعة بغداد/ ١٩٨٣، ص ٧٥ .

الخاتمة

بعد استعراضنا لموضوع حجز الاشخاص من قبل ضابط المرور استناداً للصلاحية المخولة له بموجب قراري مجلس قيادة الثورة اتضح ان هذا الاجراء ليس اجراء اداريا اي اعتقال اداري ولاهو توقيف وانما عقوبة جديدة استحدثها المشرع وخول سلطة فرضها الى ضابط المرور.

وقد تبين من خلال البحث ان هذه العقوبة لم يحدد المشرع فرضها عند المخالفة لحالات معينة بل اطلق ذلك وجعل بالامكان ايقاعها عند مخالفة كل مافرضته نصوص قانون المرور اوالانظمة والتعليمات والبيانات المرورية.

وقد اوضحنا بان تشريع هذه العقوبة جاء في وقته استجابة لظروف المرحلة لخلق حالة ردع تجاه المخالفات الكثيرة لقواعد وانظمة السير التي حددها قانون المرور والانظمة والبيانات والتعليمات المرورية، ولغرض الحد من ظواهر حوادث المرور التي تسبب خسائر بشرية لاتعوض وخسائر مادية تلحق ضررا بالاقتصاد القومي.

ومن خلال استعراض قوانين المرور في اغلب الاقطار العربية اتضح لنا بان المشرع العراقي انفرد باعطاء هذه السلطة القضائية لضابط المرور، ولذلك ولمضي مايقرب من سبع سنوات على صدور هذا التشريع مما يعني تغير الظروف الاجتماعية والثقافية حتما، ولكون فرض عقوبة الحجز لمدة تصل الى ٣٠ يوما من الاجراءات التي تمس الحرية الشخصية، خصوصا ان قرارات ضابط المرور، بهذا الشأن قرارات قطعية غير قابلة للطعن، مما يؤدي الى تعسفهم في بعض الاحيان واتخاذهم قرارات بهذه الجسامة والخطورة تجاه اشخاص لايستحقونها سواء كان ذلك عمدا او نتيجة سوء تقدير لانهم من البشر والبشر معرضون للخطأ والسهو، فاذا كان القضاة معرضين للوقوع في الخطأ فيما يصدرون من احكام ولهذا اشرعت طرق الطعن في الاحكام لتلافي اخطاءهم فكيف لايمكن تصور وقوع ضابط المرور في الخطأ فاذا ما تحقق مثل هذا الامر يكون من الصعوبة اصلاحه لكون قراراتهم قطعية، ولان اصدار قرارات حجز الحرية الشخصية من اختصاص القضاء من حيث المبدأ ماعدا حالة الظروف الاستثنائية لهذا ولكل ماتقدم نقترح الغاء السلطة المخولة لضابط المرور مع منحهم صلاحية حجز الاشخاص لمدة لاتزيد على (٤٨) ساعة كاجراء احتياطي لحين احالة الشخص المحجوز على السلطات القضائية المختصة.

وفضلا عن ذلك نعتقد ان من الافضل تخصيص موقف في مديرية مرور كل محافظة لحجز من يتخذ ضابط المرور بحقهم قرار الحجز للمدة التي اقترحناها مع وجود قاضي تحقيق في مديرية مرور كل محافظة للنظر في مايرتكب من مخالفات لقانون المرور والانظمة والتعليمات، ذلك أن هذا الامر يوفر السرعة في البت لغرض تحقيق مبدأ ايقاع العقاب المناسب باسرع وقت، فضلا عن اخلاء سبيل من يتضح انه لم يرتكب ما يستوجب احالته على السلطات القضائية المختصة.



مراجع البحث

اولا : الكتب والمقالات :

١ – حقوق الانسان والقانون الجنائي –مطبعة دار النشر للجامعات المصرية القاهرة ١٩٧٢، الاستاذ حسين جميل.

٢ – الصلاحيات القانونية لضابط المرور / بحث مقدم الى المعهد العالي لضباط قوى الامن الداخلي / الدورة الثانية / ١٩٨٠ / ١٩٨١ / نقيب المرور خليل ابراهيم عزت.

٣ – حديث السيد الرئيس القائد صدام حسين مع مسؤولي المرور في ١٢ / تموز ١٩٨٠ / مطبعة اركان / بغداد، ١٩٨٤ .

٤ – بدائل الدعوى وعلاقتها بمشاكل تطبيق العقوبات السالبة للحرية قصيرة المدة / مجلة قوى الامن الداخلي / العدد ٥٦ لسنة ١٩٨٦ . د. ضاري خليل محمود

٥ – اضواء على قانون المرور عقيد المرور عبد الوهاب التحافي .

٦ – موجز وصايا اوسع مؤتمر عالمي بشأن حوادث المرور في البلدان النامية مجلة قوى الامن الداخلي / العدد ٥٥ / ١٩٨٥ / عقيد المرور عبد الوهاب التحافي.

٧ – مؤشرات عامة في اتجاهات الجرائم والعقوبات المرورية في الدول العربية ؛المكتب العربي لمكافحة الجريمة / بغداد / ١٩٨٥ / عقيد المرور عبد الوهاب التحافي

٨ – الفقه الجنائي في قرارات محاكم التمييز / المجلد الرابع / مطبعة الازهر / بغداد / ١٩٦٩ / د. عباس الحسيني / كامل السامرائي.

٩ – المبادىء العامة في قانون العقوبات / مطابع الرسالة / الكويت / ١٩٨٢ . د.علي حسين الخلف / سلطان الشاوي.

١٠ – تسبب الاحكام الجزائية في القانون العراقي / رسالة ماجستير / كلية القانون والسياسة / جامعة بغداد / ١٩٨٣ نبيل حميد البياتي.

١١ – شرح قانون العقوبات / الطبعة الاولى / ١٩٧٨ ، د. محمود محمود مصطفى .

١٢ـ توقيف المتهم في التشريع العراقي / رسالة ماجستير / كلية القانون والسياسة جامعة بغداد / ١٩٨١ فؤاد علي سليمان .

١٣ـ العقوبات السالبة للحرية / مطبعة الشركة / بغداد /١٩٨٢ فاضل زيدان محمد

ثانياً : القوانين :

١٤ ـ قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل

١٥ ـ قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ المعدل .

١٦ ـ قانون اصلاح النظام القانوني رقم (٣٥) لسنة ١٩٧٧ .

١٧ ـ قانون المرور رقم ٤٨ لسنة ١٩٧١ المعدل .

١٨ ـ قانون الطرق العامة رقم (١) لسنة ١٩٨٣ .

١٩ ـ قانون نقل الركاب بسيارات الاجرة رقم (٤٥) لسنة ١٩٨٣ .

٢٠ ـ قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١٦٢٠ في ٧ / ١٢ / ١٩٨١.

٢١ ـ قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٣٨ في ١٩ / ٧ / ١٩٨٠.

٢٢ ـ قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ١١٥٤ في ٢٢ / ٧ / ١٩٨٠

٢٣ ـ البيانات المرورية الصادرة عن مديرية المرور العامة.

المشاكل القانونية للزواج في الريف العراقي لمحافظة نينوى

د. عبدالرزاق قاسم الصفار
جامعة الموصل / كلية القانون

لايخفى ان الزواج علاقة انسانية رئيسة في حياة المجتمع ، ولابد للمشرع ان يسعى لتقديم الحلول الناجحة في جميع مراحله لكي يتم البناء الاجتماعي السليم ولا ريب ان هذه الحلول يجب ان لا تتنكر للجوهر الصحيح في الاعراف التي يجري عليها المجتمع ، كما ينبغي استبعاد الجوانب غير الصحيحة وغير النافعة في التقاليد القائمة .

ولقد استهدف هذا البحث دراسة مشكلات الزواج القانونية في الريف العراقي ، واقتصر على ريف نينوى ، لان الباحث كان قد خبر هذا الريف عن قرب وعرف مشكلاته في العلاقات الزوجية عن كثب .

وقد استبعد البحث النظر في هذه المشاكل في المدينة لانها بيئة متطورة باستمرار بخلاف الريف الذي هو أقل تطوراً او ابطأ تدرجاً إلى الحياة المتمدنة ، ولأن الباحث لا يريد لبحثه ان يتشعب او يتوزع في اكثر من ميدان ، ان قضية الزواج تدور في ثلاث دوائر تتأثر بها وترسم مسارها :

الاولى :

التقاليد الاجتماعية التي امتدت إلى الحاضر من الماضي البعيد ، وكثير من هذه التقاليد سلبي معوق للزواج الناجح .

الثانية :

الشريعة الاسلامية بمبادئها الخاصة في وضع القواعد والاصول التي تنظم رابطة الزواج، ولا ريب ان مجتمعنا العراقي متأثر في غالبية سلوكه بما وضعته الشريعة الاسلامية من احكام الزواج .

الثالثة :

القوانين التي سنتها الدولة لرسم الروابط الزوجية المشروعة ومعالجة ابعادها وفق التطورات التي تواجه المجتمع في الوقت الحاضر .

ولقد دار البحث حول المشكلات القانونية وسعى لايجاد الحلول الناجحة لها ، وهو اذ يدرس المشكلات القانونية فانه لا ينسى التقاليد الاجتماعية التي تؤثر في العلاقات الزوجية ، كما انه لا يغفل عن بيان آثار الشريعة في تعديل مسيرته لتحقيق الاستقرار النفسي والحفاظ على المجتمع من التفكك والمنازعات التي تصيب الاسرة في حياتها المتنافرة التي تعكس على الانجال القادمة مأساة الابوين الاليمة ، وقد تسبب هذه النفرة إلى التفريق وتشرد الاولاد وحرمانهم من توجيه الاسرة السليمة في التربية الصحيحة .

المقدمة :

يتناول البحث صوراً من معايشة الفتاة الريفية المتأثرة باعراف البيئة وتقاليدها ، وقد رأى البحث أن يعرض دراسة ظروفها ووجودها في نظر الرجل الريفي المتأثر بالعادات والتقاليد البالية . ويشير إلى المشكلات والظواهر السلبية في عللها وآثارها على المرأة والرجل في هذه البيئة .

ان من يعيش في ريف محافظة نينوى يراه مجتمعاً تظهر فيه صور من القيم والاعراف الطيبة كالكرم والسماحة واحترام الفضائل والشيم ، كما يتسم بالروابط القبلية ، والتمسك بتقاليد الآباء التي كان منها السليم والسقيم ، وقد بقيت هذه السلوكية السلبية بفعل الرواسب العميقة التي خلفتها العهود المتعاقبة من ظروف الحاجة والعوز المالي ، وبتأثير التسلط الطبقي في المجتمع الزراعي حتى تأصلت ميول النفوذ والانانية في انفس غالبية الريفيين حين كانت الغالبية العظمى ممن لا يملك الارض لا يجد الا حياة الكفاف وقد فرضت هذه البيئة اعرافاً قاسية على الشباب الذين يرغبون بالزواج ، فمن كان لا يجد المهر المطلوب لخطيبته صار يفكر بتزويج أخته حتى يأخذ مهرها فيعطيه صداقاً لاهل خطيبته ، وكان آباء البنات أو اخوانهن يحرصون على مغالات المهور ، وبخاصة أولياء البنات من الموسرين برغبة استئثارهم بالزوج الغني ، حتى صارت الفتاة تقدر في اسرتها بحجم ما تعد له بدلات المعارضة او البيع . وكانت محرومة من شعورها بمكانتها المحترمة في اختيار الزوج او رفضه فصارت مهضومة الحقوق ومكسيرة الجناح .

ان البحث يرى في هذا الواقع الشائك ضرورة النظر إلى دوافع هذه الاعراف التي تتحكم في مجتمع الريف حتى صارت هذه التقاليد بمثابة نظام مألوف منذ زمن بعيد حتى الآن ، حتى وصلت إلى حد الاستسلام اليها بحكم عمومها في مجتمع الريف . وعملا بالمبدأ الانساني السامي في منظور الشريعة والقانون فلا ضرر ولا ضرار ، وباعتبار الزواج ضرورة فطرية في حياة الانسان فان من الواجب ان يكون محكوماً بضوابط الشريعة والقانون : لمعالجة المجتمع الريفي خاصة من نزعات النفوذ والتسلط الجائر على المرأة والرجل في الحياة الزوجية .

ومن الغريب المدهش اننا نلاحظ عند مناقشة بعض من يدعون المعرفة والفهم من اهل الريف في بعض مشاكل الزواج كأكل المهر ، او اجبار الفتاة على تزويجها لمن لا ترضاه ، يعترفون بمخالفاتهم للشرع والعقل ، ويعدونها عادة طبيعية لازمة عندهم .

وقد رأى البحث عرض أهم المشاكل الزوجية ببيان كل ظاهرة منها بفقرة خاصة بدوافعها وآثارها وعرض الحلول الايجابية لها لامكان معالجتها حسبما اوضحته الشريعة والقانون ، مع التوصيات التي يراها البحث .

١ — «المغالاة بالمهور» :

درج الريفيون على رفع مهور بناتهم بمقادير تتجاوز الحدود المعقولة ، مع ان الكثير منهم غير غافلين عن حقيقة مشروعية المهر ، في كونه حقاً مشروعاً للزوجة يتقدم به الزوج رمزاً لصدق المودة والتعاطف بين الزوجين .

وقد أدت هذه المغالاة في المهر إلى اثقال كاهل الخاطب واضطراره إلى تحمل الديون الباهضة ، مما جعل الكثير من الشباب من ذوي الدخل المحدود لا يمكنهم الاقدام على الزواج في الوقت المناسب ، فضلا عما يتبع ذلك من مفاسد اجتماعية ، او ابقاء بعض البنات محرومات من الزواج المشروع بسبب جشع اوليائهن ، وطمعهم بالمهر العالي ، اضافة إلى رغبتهم في المباهاة والمفاخرة في الوسط الاجتماعي وحسب هذه التقاليد صار الخاطب ضحية الجشع وشره ولي المخطوبة التي لا ينالها من المهر الا النزر اليسير . والملاحظ في اعراف هذا الريف أن المغالين في المهور يعدون هذه الظاهرة صورة من صور التفوق في القبيلة وميزة لهم في الوجاهة والشهرة ، حتى صار معدل المهر عند بعضهم عشرة آلاف دينار ، او سيارة بيكاب او اكثر من ذلك .

وعلى الرغم من ان المجتمع الريفي يفهم سماحة الشريعة الاسلامية في التيسير في المهور فانهم لا يتجهون إلى احكامها بسبب غلبة نظرة الطمع في الأموال واهمالهم اهمية المقاصد الشرعية والانسانية من الزواج الذي يهدف إلى نماء الحياة وتحقيق معاني المودة والتعاطف بين الزوجين (كما في قول الله تعالى : (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) سورة الروم (٢٠).

وفي هذا النص القرآني الكريم يأتي التأكيد على ضرورة الالتزام بمنهج العقل البصير الذي يفكر في بناء الحياة الزوجية على اساس المودة والمحبة وحسن المعاشرة . ولاجل هذا المعنى جاء قول الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — للخاطب في تقديم المهر «انظر ولو خاتماً من حديد» . وحين لم يجد ذلك عنده قال له : «ماذا معك من القرآن ؟ قال معي : سورة كذا أو كذا ، فقال له : تقرؤهن عن ظهر قلبك ؟ قال نعم ، فقال له —

إذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن » (١) . وجاء هذا الحديث برواية أخرى بزيادة من قوله « قال انطلق فقد زوجتكما فعلمها من القرآن» (٢) . وقد ثبت في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رضى بملء كف الخاطب سويقاً اوتمراً اذا رضيت به الزوجة ، ونقل السلف الصالح من الصاحبة والتابعين ان منهم من تزوج بمهر من دراهم معدودة، (٣) ان المغالاة في المهور كما لايخفى — لها آثار سلبية صعبة في حياة الزوجين حيث ينظر الزوج دائماً الى المعاناة القاسية في توفير المهر الباهض الذي ينعكس على الحياة الزوجية باحاديث التلاوم والعتاب على الزوجة بما تحمله الزوج من التبعات المالية التي كان اغلبها نفقات مالية لايقصد منها اهل الزوجة الاالمفاخرة اوالتفاخر والمباهاة ، وقد لوحظ في هذه الحالة وقوع تشنجات بين الزوجين بسبب معايشتهما لمشكلة سداد الديون التي تحملها الزوج ، ومحاولة الزوجة الدفاع عن وجهة نظر اهلها احتراماً لهم ،كما ان المتوقع غالباً إن تكون هذه التبريرات من الزوجة غير مقنعة للزوج ، فيتسبب منهما نوع من التدافع المتعنف من كل منهما ، وبخاصة اذا كان المهر مأكولا اومتصرفاً به من قبل ولي الزوجة ، كما هو الحال عند غالب الريفيين .

والحكمة بالغة نرى حرص الشريعة الاسلامية على التيسير في المهور : فقد روى عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — قوله « خير الصداق أيسره » (٤) كما لايخفى ان المهر اليسير الذي في حدود قدرة الزوج سوف لايطمع أهل الزوجة في التصرف فيه اوالاستئثار به. كما يتصرف الاغلبية من الريفيين بالمهور العالية التي يفرضونها على الزوج .

وقد أحسن قانون الاحوال الشخصية حيث ترك الاشارة الى مقادير المهور لوعي الناس وتفهمهم لمقاصد الزواج السامية (٥) .

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح النووي ج٤ص١٤٣ —مطبعة محمد علي صبيح

(٢) المرجع السابق ص١٤٤ .

(٣) زاد المعاد: شمس الدين محمد بن قيم الجوزية (٦٩١ — ٧٥١) ج٤ ص٢٨ — ٢٩ .

(٤) بلوغ المرام : ابن حجر العسقلاني ص٢١٧
وينظر نيل الاوطار : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٥هـ) ج٦ ص١٠٥ ط١ سنة ١٣٥٧ .

(٥) قانون الاحوال الشخصية العراقي وتعديلاته رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ — المادة التاسعة عشرة الفقرتان : الاولى والثانية —والمادتان : الحادية والعشرون والثانية والعشرون

٢ - طمع ولي البنت في مهرها :

تعاني الفتاة الريفية من عرف قاس يمتد من عهد بعيد كعادة مألوفة في الريف ، وهو مصادرة مهر البنت ، الا القليل من الاولياء الذين يعرفون حرمة هذا الغصب (١) . وقد بلغ الحال في اكثرهم ان يقول : اننا نعلم ان مهر البنت حقها الخاص المشروع ، ولكننا الفنا التصرف به . ويبررون هذا التصرف بقولهم : لقد ربيناهن وانفقنا عليهن حتى بلغن سن الزواج فكان لنا الحق في الافادة من صداقهن ، وهم يعلمون بأن الله تعالى يمنع مصادرة المهر ويجعله حقاً للبنت في قوله تعالى : «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ..» ، سورة النساء (٤) وكان الطمع في المهر بنزعة من التقاليد والاعراف البائية دافعاً لهم لالتماس الخاطب الذي يبذل المهر العالي الذي يتنافس مع سواه على المخطوبة وكأنها بضاعة في سوق المزايدات ، ولحكمة بالغة وجه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمة الاسلام لانتزاع هذا الشره من نفوس الاولياء والخاطبين لتسلم البنت من منافسات الطامعين الجشعين ، ولتسلم لها ارادتها وتستقل برضاها في الخاطب ، فيقول : «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه» (٢) ، وحرصاً على مستقبلها من مزاحمة الخاطبين ومنافساتهم في اغراء الولي الذي يستهويه المهر الكبير الذي يطمع به لنفسه ، وقد أكد قانون الاحوال الشخصية حق الزوجة في المهر وجعله ملكاً خاصاً لها واتجه في دلالة مواده الى منع انتقاصه و التصرف فيه من كل الاطراف القريبة منها سواء الولي او الزوج (٣) .

المشكلة الثالثة : حرمان البنت من حق التكافؤ مع الخاطب .

ان من مستلزمات النظرة المادية عند ولي البنت ان لا يحرص على نوعية الخاطب من حيث الدين والخلق ، او الثقافة او العمر ، بل ان ما يعنى به هو المال الوفير من المهر الذي

---

(١) ان الزوجة صاحبة التصرف بمهرها كله او بعضه ، ويصح لها ان تهديه او تصرفه في الشؤون التي تراها ، ولا حق في الاعتراض عليها من ولي او غيره لانها تتصرف في خالص مالها . (الاحوال الشخصية - الجزء الاول : الزواج والطلاق وآثارهما .د. أحمد الكبيسي . ص١٠٥ - مطبعة الارشاد بغداد . سنة ١٩٧٣ .

(٢) تنوير الحوالك بشرح موطأ لامام مالك للسيوطي ج٢ص٢ . ووجاء الحديث في صحيح البخاري «ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله ، أو يأذن له الخاطب» (فتح الباري لابن حجر ج ١١ ص ١٠٤) وينظر المغني لابن قدامة ج٧ ص ٧٨

(٣) قانون الاحوال الشخصية العراقي وتعديلاته رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ المواد (١٩و٢٠ و٢٢) وشرح قانون الاحوال الشخصية السوري للدكتور مصطفى السباعي ط٦ مطابع الفكر بدمشق ص٢٠٤ سنة ١٣٨٢ - ١٩٦٣ .

يطلق عليه أهل الريف اسم (اسياك) ، وهو من معنى السوق او السياقة في ارسال البنت حين يزوجونها الى خطيبها وكان يقتضي ان لايغفل الولي عن اهم المطالب المشروعة لابنتـه اواخته من ضرورة التناسب بين الزوجين اوالتكافؤ بينهما في السمات الضرورية وبخاصة السن والثقافة ، لان مفهوم الولاية الشرعية والقانونية تفرض عليه الحرص على مستقبـل البنت ، ولان الزوج الكفؤ ان وجد في زوجته الفهم والتعاون والود فانه سيكون لزوجتـه بكل عواطفه ويمنحها عظيم الاحترام ، وانه ان وجد منها بعض الخصال المتنافرة مـع مزاجه فسوف لايظلمها ولا يحقرها ، لانه يستحضر حق الله عليه في حسن المباشرة معها ويحترم شريكة حياته وام اولاده ويحفظ لاهلها التقدير والتكريم لانهم اكرموه بابنتهم ان التكافؤ بين الزوجين في الثقافة والسن حاجة مطلوبة لتوفير جو التفاهم والانسجام ، بينهما (١) . اضافة الى صفة الاخلاق والسلوك الاجتماعي السليم لان هذه الميزات كفيلة بتعميق الوفاق والسعادة بين الزوجين .

ولاجل تحقيق هذا الغرض من الزواج جاء التوجيه النبوي في التأكيد على مراعاة الكفاءة بين الزوجين في قوله صلى الله عليه وسلم للامام علي كرم الله وجه : « ياعلي ثلاث لاتؤخرها : الصلاة اذا آذنت ، والجنازة اذا حضرت والايم اذا وجدت لها كفوءاً »(٢)

والملاحظ ان اهل الريف في الغالب لايعنون بكفاءة الزوج للبنت في ثقافته وسنـه لذلك تعد الجفوة ظاهرة وأضحة بين الزوجين المختلفين فيهما ، لمايترتب على التفاوت بينهما في فهم الحياة الزوجية بين الجاهل والمثقف اوالتباين في الميول : النفسية بين الفتاة الصغيرة والزوج الطاعن في السن لتعيش الزوجة مع الرجل المسن في ضياع و تشتت نفسي قاس . وقد استساغ الريفيون تزويج البنت احياناً – وهي في العقد الثاني من حياتها الى زوج يبلغ في السن كعمر أبيها اواكثر ، ويغفلون جانب التجاوب النفسي المطلوب بين الزوجين ، وينكرون حق البنت في حياتها الزوجية بما الفوه من الاعراف الباطلة ، وبما يتأثرون به من اطماعهم بالمال الوفير الذي يقدمه الزوج العجوز مهراً للبنت فيتصرف به وليها ويأكله بالباطـل ولاتعنيه التضحيـة ببنتـه او اخته في هـذا الزواج الفاشل .

---

(١) المرأة العربية والمجتمع التقليدي والمتخلف د. سلوى الخماش ص١٨ والاحكام الاساسية للاسرة الاسلامية : د. زكريا البري ص٩٢ .

(٢) صحيح الامام الترمذي: ابو عيسى محمد الرمزي ج١ص – ٣٢٠ –كتاب الصلاة

ان الزواج غير المتكافىء يعقب نتائج سلبية اليمة بسبب أطماع ولي البنت بمهرها ، فيظلمها بعلمة وقصده ، لذلك نجد البنت المباعة للزوج تنظر الى البيت الذي درجت فيه بعين الاسف والحسرة ، حيث استهان بها وليها فباعها بمهر وافر الى من لم تعرفه ، او لاتميل اليه ، او لم يكن لها كفواً ، وقد يؤدي هذا التسلط عليها — بعد انتقالها الى بيت الزوج — الى قطيعة اواصر الرحم مع اهلها ، لانها لاتتحسس في وليها اوبيت اهلهـــا الاالانفصال بائس وانها كانت غرساً زرعوه ثم باعوه بالثمن المغري ولايعنيهم من امرها شيء حتى ولو عاشت في سعير الزوج الظالم وذاله ، كما نرى في الغالب استخفاف هذا الزوج المتجني بهذه الفتاة التي باعها له وليها بالمهر العالي وانه لم يزوجها له تكريماً اواعتزازاً بـه — وهو في سن الشيخوخة ، بل يدرك ايضاً نواياه في انتظار موته حتى يزوجها لزوج آخــر بمهر جديد . وفي مثل هذا الجو المكدر بالانانية والانتهازية من ولي البنت المتزوجة وزجها الجائر لاتهنأ الفتاة بحياة زوجية هادئة بل انها تعيش في محيط مطوق بالاحقاد والضغائن . كما ان هذه المشاعر ستنعكس بصورها النفسية الاليمة على الاولاد ، فتنعقد أنفسهم وينشؤون على طوبة ناقمة وانانية فظة وقطيعة رحم وقد يصل الحال بها عند شكواها وتظلمها من قسوة الزوج الى ضربة لها و اهانتها لانها كالمتاع الذي اشتراه .

وقد وصف الرسول — صلى الله عليه وسلم — من يظلم الزوجة ويضربها بقولـــه : «ولايضرب الا الاشرار». وبشر المخلصات لازواجهن بعظيم الثواب (١) .

٤ — المشكلة الرابعة : تزويج الولي بنته او اخته مقابل امرأة أخرى تنتسب إلى الخاطب ، وهو زواج الشغار :

ان هذا النوع من الزواج يطلق عليه عند الريفيين بزواج (الكصة بكصة) وهم يقصدون بالكصة جبهة الفتاة المطلوبة للزواج في مقابلة جبهة الفتاة الاخرى وكأن كلا منهما مهر للاخرى، ويسمى هذا النوع من الزواج في ريف جنوب العراق (بزواج الصدق) وهــو كما يبدو من لفظ الصداق وهو المهر لان كلا من البنتين صداقاً للاخرى . وقد حرمت الشريعة الاسلامية هـذا الزواج لما فيه من اهدار لارادتهما . فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه «نهى عن الشغار ، والشغار أن يزوج الرجل أبنتة على ان يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق » (٢). وأجمع الفقهاء على تحريمه (٣) .

---

(١) عائشة أم المؤمنين: زاهية مصطفى ص٤١
ويتظر : ماذا عن المرأة: د.نور الدين عتر ص٢٠٤

(٢) صحيح الامام البخاري في فتح الباري ج١١ ص٦٦ سنة الطبع ١٣٧٨ — ١٩٥٩

(٣) بداية المجتهد:ابن رشد(٥٢٠ — ٥٩٥)ج٢ ص٥٧ سنة ١٣٥٣ —١٩٣٥ مطبعه المجاهد.

وقد أعقب زواج الشغار آثاراً سلبية في حياة الاسرتين . فحين لاتتلاءم الامزجة في الاسرة الاولى بين الزوجة واهل زوجها فيؤدي ذلك الى خصام تنتقل الزوجة بسببه الى بيت اهلها تقع الزوجة الثانية تحت وطأة المضايقات ايضاً، فتعصف بحالها الطعون والتهجمات ، والتجريح بأهلها انتقاماً للزوجة الاولى التي فارقت زوجها ، وقلما يتعامل معها زوجهـا او اسرته بشكل متعاطف او محايد، اغاضة لها ولاسرتها التي كانت بادئة بالخلاف العائلي وفي حال اشتداد هذه المشادات قد تعمل الاسرة الثانية على طرد زوجة ابنهم التي كانت مقابلة ابنتهم في زواج الشغار انتقاماً ، او قد تلجأ الاسرة الاولى الى استرجاع ابنتها من الاسرة الثانية لاحراجها واغاظتها حتى لو كانت الزوجة الثانية في هدوء وتفاهم وسعادة مع زوجها واذا قدر للزوجة الاولى ان تطلق فان الثانية مهددة بالطلاق ايضاً، واذا رفض زوج الثانية طلاقها فعليه ان يقدم مبلغاً كبيراً من المال يعدل مهراً كاملاً فيؤديه لمن طلق اخته تعويضاً له

ان المعالجة المنطقية التي تفرض وجودها في حل هذه المشكلة هي العودة الى الوضع الطبيعي الذي شرعه الدين واوجبه القانون في أن تكون كل زوجة مستقلة عن الاخرى ولها ارادتها في أختيار الزوج والمهر .

٥ـ المشكلة الخامسة نظرة اهل الريف إلى المرأة من زاوية المصالح المادية

ان منظار الريفيين الى المرأة - في الغالب دوانها المسألة مقاولة تعمل الجاد المنتج، فهي كالاجير الدائم ، او العامل الذي لايتبرم من الجهد في تقديم الخدمة للزوج والاولاد حتى او بلغ منها الجهد أشده فالزوج لاينتظر منه ان يقدم لها المساعدة في كثير من متطلبات الحياة البيتية، فهي في عرفهم ملزمة بخدمة البيت والزوج والولد والحقل والماشية وما الى ذلك ، والرجل في الغالب لايمد لها العون في كثير من هذه الاعمال ، لانه يرى المشاركة لهـــا فيها نقيصة لاتتفق مع مكانته ومنزلته ، بل انه يترفع عن كثير من اعمال الاسرة حتـى يقول بعضهم فيها: «انها من اعمال النسوان» ويتناسى بأن معاونتها فيه الكرامة والتقدير وأن المسؤولية في الاسرة موزعة على كل شق من هذه الحياة او الاسرة ، واذا ماقيل لهم ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يوصي بمعاونة المرأة في بيتها ، وأنه عليه السلام كان يعين أهله ، يقولون «ذاك زمان وهذا زمان» تهرباً من المسؤولية.

أن الرجل في نظر اهل الريف مسؤول عن توفير اوليات النفقة ، والمرأة في نظرهم تتحمل كل توابع هذه الحاجات الحياتية ،فانا نرى الكثير من الرجال يتسكع في المجالس والمضايف

تاركاً زوجته مسؤولة عن كل مقتضيات موارد الرزق اضافة إلى اعمال البيت ، فهي ، تقطف القطن ، وتجمع حاصل الحقل ، وتقطف الغرس من الادغال ، وتشارك في بناء المكان ، وتنقل الماء من الابار او النهر ، وتربي الماشية ، ثم انها اذا قصرت ببعض ذلك فانها ستلقى اللوم والعقاب او الكلام المقذع او التهديد والضرب ، ثم التفكير بالزواج عليها.

لذلك نلاحظ اكثر نساء الريف متعبات صحياً ونفسياً بسبب ما تتحمله المرأة من اعباء وواجبات جسدية ، وبما تعانيه من مضايقات واستغلال لجهودها فلا يفارقها القلق والاضطراب او ترقب المحاسبة والتعنيف. ثم ان هذه النظرة للمرأة عند كثير من اهل الريف لصيقة بصورة اخرى في مخيله الرجال ، فهم يعتبرون المرأة ادنى منزلة من الرجل واقل شأنا في الحياة الزوجية بل ان بعضهم يحقرها ويستصغر وجودها ، ويقول عنها كلمة يتعارف عليها مجتمعهم بهبوط مستواها الاجتماعي ، وهي (انها حرمة). علما بأن هذا الوصف في اصله يدل على احترام المرأة وتقييمها وتقديرها ، وانه يعطي مفهوم الاحترام والاعتزاز ، ويؤكد هذا المفهوم مايتمسكون به كبار الناس في الريف أو المدينة — من ان المرأة تمثل شرف الأسرة وسمعتها وكرامتها ، ولذلك نرى بأن المفاهيم السليمة قد تتحول عند الكثير منهم إلى مصطلحات مقلوبة مسايرة مع اعرافهم التسلطية وتقاليدهم غير الانسانية .

ان الصورة الموروثة عند الكثير من أهل الريف : ان المرأة خلقت لكي تكون خادمة للرجل ، وقد ساعدت طبيعة الريف قديما — ولاتزال بعض آثارها — على تحميل المرأة العبء الاكبر من حياة الأسرة ، وبخاصة القرى التي تعتمد في حياتها على الزراعة الديمية ، التي يمكث فيها الرجل بعد القاء البذر في ارضه منتظرا حصاده قرابة ستة أشهر فهو لايرى نفسه مسؤولا عن شيء ، وتغلب على الكثير منهم حياة الكسل والفراغ .

ان الدراسة لهذه البيئة تعطي القناعة للباحث بأن هذا الوسط قد غلبت عليه هذه التقاليد وطال عهدها بسبب الجهل والفقر ، وان تغير احوال هذه البيئة — في هذه الظروف وبخاصة بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ التي اوقفت سلطات الاقطاع ، ووفرت الارض للمزارعين ، وقدمت المعونات الزراعية بالالات والخبرة والدعم المالي بالقروض الزراعية والانتاجية — كانت كفيلة بتطوير حياة الريف وجعله يرتقي بموارده إلى المستوى الجيد ، اضافة إلى التوجيه الاعلامي والتربوي الذي كان كفيلا بتغيير حال الريف

ان الحل الايجابي لهذه المشكلة ومثيلاتها ينتظر جهودا مكثفة من التوعية الاسرية من الاجهزة الاعلامية والتربوية بوجه خاص. وبصورة تتقارب من عملية مكافحة الأمية التي أثبتت التجربة الايجابية لها بانها ساهمت في توعية الكثير من النساء والرجال.

ان المؤمل من وسائل الاعلام أن تقوم بدور الموجه الحاني المتعاطف مع مفاهيم البيئة الريفية التي صارت في هذه الظروف قابلة للتوجيهات البناءة للنفوس ومتطورة مع مقتضيات الحياة المتحضرة، ومتجاوبة مع التوعية الموجهة من الثورة الظافرة لرفع معنويات المواطنين وتحسين أساليب حياتهم واحترام معاني الانسانية عند المرأة كما هي عند الرجل، وذلك لضمان بناء الانسان الجديد على الاسس العزيزة الكريمة. والذي يراه البحث ضروريا في هذا المجال ان تقدم وسائل الاعلام المسموعة والمرئية برامج تعرض فيها مكانة المرأة العربية المسلمة في تراثها العربي والاسلامي، وانها في نظر الدين والقيم الفاضلة والعقل السليم بانية الحياة ومربية الاجيال فكلما كانت عزيزة مكرمة كان اولادها ناشئين على معاني العزة والنبل والشرف، وكلما نالت التكريم والاحترام عند الرجل كانت انعكاساتها على الاولاد ايجابية ومثمرة للقيم الانسانية والاداب الفاضلة في الجيل الجديد الذي يتربى على يديها في عزة وتكريم. وقد أثبتت التجارب العملية ان التوجيه المعتمد على الاسس الاصيلة في عقيدة الامة وتراثها الحي من الشريعة الاسلامية قادرة على تقديم الحلول الصالحة لمعالجة مشاكل الريف، وذلك لان مجتمعات الريف كانت منذ عهد بعيد معزولة عن ثقافة الشريعة الاسلامية وبخاصة علاقات واحكام الزواج التي تحكمها التقاليد، ويؤيد هذا القول مانشاهده من تهربهم واحتيالاتهم على قانون الاحوال الشخصية رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ وتعديلاته، حتى ان الكثير منهم لم يبادروا إلى تسجيل الزواج الا حين صدر القانون، والزم المخالف بالعقوبة حين لايسجل زواجه في المحكمة الشرعية. وكذلك في حال تعدد الزوجات بدون موافقة القضاء (١).

٦ – المشكلة السادسة : النهوة او الحيار :

تكاد الحياة الريفية تجمع على هذه النزعة التسلطية الموروثة عن الاباء. ويقصد بها سلطة الرجل على ابنة عمه في زواجها. وصورة هذه العادة عندهم ان الرجل يملك الحق في منع الاخرين من التقدم اليها لزواج حسب اقدميته في القرابة، وأنه صاحب الأفضلية فيها على سواه من الخاطبين.

(١) قانون الاحوال الشخصية رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ وتعديلاته – المادة الثالثة : الفقرة السادسة، والمادة العاشرة – الفقرة الخامسة

أن العشيرة او القبيلة قد تعارفت على هذا التقليد ولا ترى بأساً فيه ، وهي تؤيد نهيه لغيره عنها ، ولذلك أطلقوا على هذا المنع اسم (النهوة) وهي من كلمة (نهى) بمعنى (منع) . وجاء هذا المنع ايضاً باسم آخر في ريف شمال العراق بكلمة (الحيار) وهو من معنى الحيرة. حيث ان الشخص البعيد عن البنت في النسب يكون في تردد وحيرة حين يتقدم اليها بسبب المانع له وهو ابن عمها الذي يوقفه ويصده عن مراده . وبموجب هذا العرف الخاطىء لايتقدم احد الى ابنة عمه الا برضاه ، ولايعطي عمه الموافقة على زواجها لغيره الا في حال اقراره بالموافقة.

قد يحدث ان تؤدي هذه النهوة الى خصومه بين ابن العم وبين الخاطب البعيد الذي ، يحاول اغراء ولي البنت بمبلغ كبير من المال وبخاصة اذا كان ابن العم فقيراً ، او مغموراً في نظر العشيرة ؛ وحينئذ يمارس ابن العم حقه العشائري – ان كان غير راغب بزواجها فيطلب من الخاطب مبلغاً كبيراً من المال حتى يسمح له بها ، وقد يسلك اسلوباً آخر من المضايقة للخاطب – في حال خوفه منه لنفوذه أو تفوقه عليه بالجاه والمال – فيهدد البنت أو وليها بالقتل تحذيراً واحراجاً اذا وافق على تزويجها للخاطب.

وهكذا تكون حقوق الفتاة الريفية محكومة للاهواء والعادات الانانية التي تسلب شخصيتها وتتجاهل رأيها . وقد حدثني صديق ريفي مثقف عن بشاعة هذا التقليد المتسلط على المرأة حتى هذه الساعة بانه لازال على حدته وشيوعه وعند الكثير من قومه . وبخاصة عند الفئات الجاهلة والمسنين الذين لم تستنر عقولهم بمفاهيم الشريعة الاسلامية ولم يراعوا تحذيرات القانون لانهم مطمئنون الى ان بناتهم لايمكنهن ان يوصلن معاناتهن الى سلطة القضاء خوفاً من تهديدهم لهن بالعقوبة المهددة لحياتهن .

ويدعم موقف هؤلاء الكثير من شباب العشيرة الجاهلين وغير الملتزمين بتعاليم شريعة الله تعالى او المتقمصين الانتهازيين الذين يتاجرون بهذا التقليد الجائر ليساوموا به مقابل عروض مالية محرمة من الخاطب البعيد .

ولكن الامل الذي يطمح اليه الشرع والقانون قد وجد له سبيلا طيباً بفضل الصفوة الواعية من القوم ، الذين غلبت عليهم ثقافتهم ويقودهم تعلمهم وتعايشهم مع الناس المتعلمين في المدن . فقد صار الكثير منهم لايسمح بهذا التقليد ؛ ويحول دون تطبيقه ، ان قانون الاحوال الشخصية وتعديلاته قد أكد بصراحة بطلان كل عقد زواج بغير رضا الزوجة وشدد في عقوبة من يكرهها على الزواج بمن لاترضاه . فقد جاء فيه : « لايحق لاي من

الاقارب او الأغيار أكراه اي شخص ذكراً كان ام انثى على الزواج دون رضاه ويعتبر عقد الزواج بالاكراه باطلا اذا لم يتم الدخول ، كما لايحق لأي من الاقارب اوالاغيار منع من كان أهلا للزواج بموجب احكام هذا القانون من الزواج» ، وقد جاءت الفقرة الثانية بتقرير عقوبة المخالف : « يعاقب من يخالف أحكام الفقرة (١) من هذه المادة بالحبس مدة لاتزيد عن ثلاثة سنوات وبالغرامة اوباحدى هاتين العقوبتين اذا كان قريباً من الدرجة الاولى ، أما اذا كان المخالف من غير هؤلاء فتكون العقوبة السجن مدة لاتزيد على عشرسنوات اوالحبس مدة لاتقل عن ثلاث سنوات وقد أضافت الفقرة الثالثة ملاحقة المخالفين بالزام المحكمة الشرعية باشعار سلطات التحقيق لتعقيب المخالفين لاحكام الفقرة (١) من هذه المادة ، وان لها أن توقف المخالف لضمان حضوره أمام السلطات التحقيقية مباشرة ، وخولت من تعرض للادارة اوالمنع مراجعة سلطات التحقيق مباشرة بهذا الخصوص . (١) .

ان النظر في هذه المشكلة يستدعي المعالجة الجادة بتذكير المخلصين من العاملين في الوسط الاجتماعي والثقافي وخاصة أجهزة الاعلام المسموعة والمرئية ليعملوا على التوعية الصحيحة لأهل الريف ، ويوظفوا طاقاتهم في عرض الصور البائسة من حياة هذه البيئة التي وقعت ضحية هذه التقاليد ، ثم نقدها نقداً بناء لاقناع الرجل برفضها ، وتحويل أفكاره الى المفاهيم الصحيحة من أن المرأة لم تخلق أسيرة للرجل القريب اقرابته منها ، ولاللبعيد بفضل ماله الوفير اونفوذه ، وأن لها نصيبها الكامل من الارادة والكرامة ، وذلك حسبما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف» سورة البقرة (٢٢٨) ويأتي بطلان العقد بالأكراه اوالمنع من العقد في قول جميع فقهاء الشريعة والقانون وهذا ماأكده القانون الاردني فيما اتفقت عليه قوانين البلاد العربية جميعاً . (٢) .

٧ - المشكلة السابعة : النظرة إلى المرأة الريفية بالمستوى الهابط عن مكانة الرجل :

من المحقق أن هذه الظاهرة عند الفتاة الريفية ، كانت من ترسبات المفاهيم التقليدية ومن وطأة العادات المفروضة عليها ، وزاد في عمق هذه الظاهرة السلبية جهلها وابعادها

---

(١) قانون الاحوال الشخصية العراقي وتعديلاته رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ - المادة التاسعة - الفقرات : (١و٢و٣) .

(٢) شرح قانون الاحوال الشخصية الاردني : د. محمود السرطاوي ص٦٢ مطبعة دار العدوى - عمان - سنة ١٤٠٢ . - ١٩٨١ - ط١ .

عن ميدان التعلم . وقد لمست الدراسة انحسار بعض هذا الشعور عندما شرعت الثورة في رفع مستوى المواطنين والمواطنات علمياً وثقافياً بفضل الحملة الوطنية لمكافحة الامية .

فصارت المرأة الان تعمل على استعادة مكانتها الاجتماعية المحترمة . ولكن الواقع الاليم المنسحب عليها منذ قرون من المفاهيم والافكار التي سلبتها شخصيتها قد تشكل عقبة كأداء في مسيرتها المعاصرة ، وانها ستواجه متاعب مضنية للانفكاك من قيود تلك الاعراف البالية . لذلك يتوجب على المرأة الريفية لاستنقاذ حقوقها من غاصبيها ان تسبق هذه المنازلة مع التقاليد المتخلفة بايمانها وثقتها بحقوقها ، وان تعمل على تحقيق هذه الثقة بوجودها بما تقدمه من كفاءات وتضحيات في مجالاتها العملية . ولهذا نرى المتكرين الذي عنوا بقضيتها لاجل رقيها ونهضتها يخاطبونها بضرورة اثبات شخصيتها في ميادين عملها فيقول احدهم : «ادعوك الى ان تدربي ذكاءك ، وتربي شخصيتك ، وتستلقي في تعين سلوكك ، وتزدادي فهما وخبراً ونضجاً بالسنين » (١) .

وبتعاقب العهود القهرية على المرأة – وبخاصة الريفية – فأنها تأثرت نفسياً بها الى درجة الاستكانة والاستسلام الى الواقع المتسلط عليها . حتى صار عرفاً يصعب عليها الخلاص منه اوكسر اغلاله ، وزاد في بقاء هذا التصور عند جهلها بمفاهيم الشريعة الاسلامية ، ولم يكن لها في الفترة – المظلمة – وحتى الى عهد قريب – مجالات للتنفيس عن مضايقاتها النفسية الا ان تنفر الى الخرافات ، او زيارة المشعوذين ، وزيارة اضرحه الاولياء .

ولذلك كان لزاماً على كل مفكر ومسؤول في المجتمع ان ينادي بوجوب اعادة النظر في موقعها فيدعو الى تعليمها وتوعيتها حتى تنهض الى المستوى المطلوب لنهضة الاجيال باعتبارها نصف المجتمع الفعال ولاجل هذا التحول في موقعها كان قاسم أمين ينبه الى اهمية هذا التغيير فيقول « وسيقول قوم ان ماانشره اليوم بدعة فأقول : نعم ، أتيت ببدعة ، ولكنها ليست في الاسلام ، بل في العوائد ، وطرق المعاملة التي يحمد طلب الكمال فيها » (٢) ويؤكد ايضاً للمرأة بأن الاسلام هو الذي ينقذها ويهديها الى مراتب الرقي لتعرف موقعها وتمارس حقوقها فيقول : « الحقيقة ان هناك تلازماً بين انحطاط المرأة وانحطاط الامة ، ان الغربي الذي يحب ان ينسب كل شيء الى دينه – مادام راقياً – يعتقد ان المرأة الغربية قد ترقت لان دينها قد ساعدها على نيل حريتها ، والواقع ان الاسلام قد سبق كل

(١) المرأة ليست لعبة الرجل : سلامة موسى ص٩ – القاهرة

(٢) قاسم أمين :د. ماهر حسن فهمي ص١٣٧. – سلسلة اعلام العرب (٢٠)

الشرائع في تقرير مساواة المرأة للرجل ، فاعلن حريتها ، واعتبر لها كفاءة شرعية يوم كانت في حضيض الانحطاط عند كل الامم .» (١) .

وكان من العوامل المساعدة على بقاء هبوط المرأة في مجتمعها ، حرمانها من الثقافات العامة ، والعلوم المعاصرة التي اختص بها الرجل دونها في ابتداء عصر النهضة ، فبقيت متخلفة عنه في محيطها ، وكان ينبغي عليها ان تتعرف على مقومات السلوك الاجتماعي الصحيح في ممارسة حياتها العامة ، وان تتولى التصرف بحقوقها المالية بنفسها دون تأثير من الرجل عليها (٢) . الابالاشارة ان كان وليا اوزوجاً .

كما كان الكبت الذي عاشت فيه المرأة قروناً عدة عاملا قوياً في استكانتها واستهانتها بنفسها حتى بعدت عن محاولة استعادة ثقتها بنفسها ومواهبها وقابلياتها في المشاركة في الحياة العامة ، فادى بها هذا الكبت الى الانزواء عن الميدان العام وأصبحت تتشكل بكفائتها حتى في حياتها الخاصة ، ومنها الزواج الناجح ، فكانت لاتستطيع ان تقول كلمة تعرب فيها عن رضاها أورفضها للخاطب ، بل كان امر ذلك الى وليها الذي تطبعت والتزمت بطاعته حتى فيما يضرها ، ولازالت الفتاة الريفية تعاني من آثار هذا التسلط — ولو بشكل اخف مما كانت عليه سابقاً . حيث المس في هذه الفترة طفرة نوعية حسنة في عملية التوعية وعزماً صاعداً من مجلس قيادة الثورة في اصدار قانون الحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية رقم (٩٢) لسنة ١٩٧٨ ، وقد توفرت له الامكانات العظيمة في التطبيق في الريف والمدينة ونال الاهتمام البالغ في تعليم المواطنين والمواطنات .

فالفتاة الريفية الآن — بفضل هذه التوعية العلمية — قد تحولت من اجوائها القديمة المظلمة بشكل ملموس ، ومن المؤمل ايضاً ان تكون الحملة الوطنية لمحو الامية قد اثرت ايجابياً في الرجل الريفي بتغيير افكاره الى الافضل فيبتعد من ذهنيته العقلية القديمة من الانانية وحب الذات ، ونسبة كل مكسب في الاسرة اليه ولايخفى على من واكب حياة الريف قبل الثورة في رصد عامل آخر في هبوط مستوى المرأة والتسلط عليها ، وهو تواجد القانون العشائري في ذلك الوقت ، والذي كان يمثل الشكل الطبقي في الشعب الواحد ، ويساهم في احترام بعض اعرافهم الريفية المخالفة للقانون العام فيالدولة ولم يلغ هذا القانون الاافضل ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ .

---

(١) المصدر السابق بنفس الصفحة .

(٢) الاسلام والحياة الزوجية عثمان السعيد الشرقاوي ص١٣ وتحرير المرأة في الاسلام محي الدين حنفي ناصف ص٨٢

ومما يلفت النظر : ان المرأة التي عاشت اوتعيش تحت وطأة الكبت النفسي ، اوالشعور بضياع حقوقها لابد وان تصدر عنها ردود الفعل التي تعكس هذه المضايقات ، فلاتتجاوب في حياتها الخاصة مع متطلبات الحياة الصحيحة ، وبخاصة مع زوجها واولادها ، وستكون لهذه السلوكية آثار سلبية عند الزوج ، فتنهض بينهما الخصومات التي تعمق النفرة بينهما ، حتى اننا نرى البعض من الازواج لايؤاكلون زوجاتهم ، ومنهم من يأنف مجالستهم في اسماره ، ولايعدها في بيته الا خادمة له ولاولاده .

ومما يلحق بهذه المشكلة ظاهرة كانت لها آثارها الكبيرة على مفاهيم العشيرة وتقاليدها وكادت في هذه الظروف تنحسر عن مجتمع الريف بفضل الثقافة والتعليم ، الا وهي تأثيرات العارفة التقليديين في العشائر (١) ، وهؤلاء في مواقعهم يمثلون مفاهيم القبيلة واعرافها وكان الناس يحتكمون اليهم حسب تقاليد العشيرة ، وعلى الرغم من انقراض الاغلبيـــة من هؤلاء فان اثارهم لازالت عالقة في افكار بعض اهل الريف ، ويبدو ذلك في اقوالهم عندما يناقشون في بعض عاداتهم المخالفة للدين والعقل ، فيتذرعون بعذر واه ويقولون : اننا عشائر لنا عاداتنا وتقاليدنا ، مع انهم ينتسبون الى الدين الاسلامي الذي لايقرهم على هذه التقاليد ويأمرهم بطرحها . وكان من هؤلاء من عرف في بيئته بالاطلاع على بعض متطلبات عقد الزواج الشكلية ويبيح اجراء العقد الخارجي دون الالتزام بالشروط الصحيحة في الزواج المشروع جهلا منهم او جرياً وراء التقاليد والمدايا ، بيد اننا نرى الان انحسار هؤلاء وغيرهم من حياة الريف الذي شمل في عقود الزواج بقانون الاحوال الشخصيـــة في منع العقد الخارجي ومعاقبة المخالف «كل رجل عقد زواجه خارج المحكمة يعاقب بالحبس مدة لاتقل عن ستة اشهر ، ولاتزيد على سنة ، اوبغرامة لاتقل عن ثلاثمائة دينار ولاتزيد على الف دينار » (٢) .

٨ـ المشكلة الثامنة : حرمان الفتاة الريفية من حق الخيار للزوج :

ان تقاليد الريف تقضي بعدم ضرورة معرفة رأي الفتاة المخطوبة في خاطبها ، ويعود هذا التقليد الى نظرة الرجل اليها من حيث واقع الحياة الريفية التي تفرض نفوذه عليها والتحكم في مستقبلها ، وقد يستثنى من هذا العموم بعض الفتيات من بيوتات

---

(١) (العارفة).وهو شخص اشتهر في العشيرة بمعرفته بتقاليد الاباء والاجداد وتعده القبيلة الرجل الفاهم فيها وتقبل احكامه في خصوماتها .

(٢) قانون الاحوال الشخصية وتعديلاته رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ -المادة العاشرة ف٥

الشيوخ والمتمدين في العشيرة اللواتي يتقدم اليهن ابناء الاسر المرموقة والغنية من قومهم اوغيرهم ، وذلك من معنى المباهاة والفخر للاسرتين ، وليس من منطلق المفاهيم الانسانية الشرعية .

ان الرجل في الاسرة – ان كان أباً او اخاً – يأنف من استئذان ابنته اواخته في أمر تزويجها ، وهو الذي يرى نفسه صاحب الحق في اختيار الزوج لها حسب قناعته المحدودة ، ويغريه في هذا الاختيار مركز الخاطب المالي اوالعشائري ومقدار الفوائد المالية التي يحصل منه باسم المهر ، ومن الاثار الطبيعية التي سيفرزها هذا الزواج المفروض على الفتاة ان تظهر فيه الخصومات بين الزوجين بسبب فقدان الميل من الزوجة الى الزوج الذي ابتاعها ، وبخاصة اذا كان في سن الشيخوخة وهي في مقتبل حياتها . وقد تكون الزوجة الثانية تقريباً في سن اولاده من زوجته الاولى الذين قد وضعوا ايديهم على موارد البيت في استغلال الارض والتصرف بمحاصيلها وماشيتها وان ماستشعر به في حياتها الخاصة مع ضراتها ونساء أولاده منهن واحفاده هو انها لم تكن الامتهانة للعجوز الذي لايملك من أمر البيت الاالمشاغلة له في حياة شاء منها استعادة شبابه الراحل ، اويداً مضافة للايدي العاملة في هذا البيت الجديد ، ومن المعلوم – بداهة – ان الشريعة الاسلامية تحرم هذا التسلط من الولي على البنت ، وتمنعه من تزويجها لمن لاترضاه ، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يأمر باستئذان الفتاة عند خطبتها ، فيقول : « لاتنكح الايم (الثيب) حتى تستأمر ، ولاتنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا : يارسول الله وكيف اذنها ؟ قال : أن تسكت وقال : « الايم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن في نفسها ، واذ نها صماتها »(1) فالملاحظ ان الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد منح الحق للمرأة التي يطلبها الخاطب في ان تقول رأيها بالموافقة اوالرفض .

وقد عبر – عليه الصلاة والسلام – بكلمة «تستأمر» وهي تدل على طلب الامر منها ، لمعرفة رأيها في الخاطب ، وهذا حق شرعي لها ، وليس لولي امره اواغفاله البتة ، وحسب هذا التوجيه التشريعي الحاكم فرع الفقهاء عشرات الاحكام بادلتها من السنة النبوية نصرحوا بحق المرأة البالغة في تزويج نفسها ، وتحريم اجبارها على الزواج بمن لاترغب فيه بكراً كانت اوثيباً وكانت علاقة الرضا عند البكر سكوتها عند بيان هوية الخاطب لها احتراماً لحيائها عن التصريح بموافقتها ومراعاة لفطرة الخجل عندها ، اما الثيب فان عليها

---

(1) صحيح الامام مسلم ج٤ص١٤٠ و١٤١ – مطبعة محمد علي صبيح .

ان تصرح بموافقتها أورفضها (١) كما اعطى القانون هذا الحق للفتاة ، ولم يجز لاحد التأثير عليها في قبول الخاطب اورفضه (٢) :

ان الرضا من الزوجة ركن العقد فاذا لم يتحقق الرضا منها فان العقد لايتم شرعاً ولاقانوناً (٣)

٩ — المشكلة التاسعة : «الفصلية»

ومن المشاكل التي تطوق فتاة الريف بالصغار والاذلال غرامة الفصلية ، وهي البنت التي تكون من بعض التعويض الذي يشترط أداؤه من الخصم المدان في جناية القتل الى غريمه الذي قتل أحد اتباعه مع بعض المال والانعام،ويكون هذا الحكم حسب قرار العارفة في نظر العشائر وهذا التقليد في عرف القبائل في ظروف الخصومات العشائرية بهذا الحكم ليسترضوا به ذوي المجنى عليه بالمال ، ثم يضيفون اليه تقديم البنت (الفصلية) لتكون جزءاً من العطاء الذي يفصلون اوينهون به وجوه النزاع بين الفريقين .

والظاهر من دلالة هذا الاجراء في اصل التعارف عندهم ، ان العراف اوالحاكم منهم كان يقصد من اشتراط اعطاء احدى بنات الجاني اواحدى اخواته الى ذوي المجني عليه الفصل في الخصومة وإنهاء النزاع بين المشيرتين بالمصاهرة بينهما وتهدئة ثائرة الحقد بين الاسرتين . وبهذا تكون البنت الفصلية زوجة لاقرب رجل من المجني عليه كالابن اوالاب اوالاخ وكأنها سلعة اوخادمة ، ان الذي يعنينا من هذه الظاهرة التقليدية هو ان، الفتاة الفصلية لاينظر اليها الخصم المحكوم له بها زوجة محترمة في موقعها ، بل انه وقومه يعدونها في منزلة أدنى من نسائهم ، فتعيش بينهم ذليلة مهانة ، وهي في شعورها النفسي تحمل صفة التذلل والصغار . كما انها — بالاضافة الى حرمانها من الارادة في اختيار الزوج — لاترقى الى مرتبة الاحترام والتقدير الااذا كان الحظ قد حالفها بالزوج المتفهم

---

(١) الهداية : المرغيناني جـ١ ص١٤٢ ، والجوهرية النيرة في شرح كتاب القدوري :
(٢) قانون الاحوال الشخصية وتعديلاته رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ — المادة التاسعة —
(٣) المرجع السابق بنفس المادة
وشرح قانون الاحوال الشخصية السوري للدكتور مصطفى السباعي ص٧٣ .

لظروفها بما يتمتع به من خلق ومعان انسانية ، وبخاصة اذا صار لها اولاد منه يبعثون في نفسه التودد والاحترام لهذه الزوجة البائسة فيمنحها حقوقها الزوجية المشروعة ، وينظر اليها ، بحكم التواصل النسبي بين الاسرتين بعين الاحترام وصلة الرحم بين اسرته واسرتها .

الخاتمة

يخلص البحث من دراسة أهم المشاكل اوالعقبات التي تعاني منها المرأة الريفية الى انها ظواهر سلبية من الاعراف والتقاليد البالية ، تعاقبت عليها العصور المظلمة ، ولم يقدر لها ان تزاح من هذه البيئة بالرغم من تحريمها في الشريعة الاسلامية والقانون ، حتى جاءت الثورة العراقية الموفقة ، وبخاصة في السابع عشر من تموز ١٩٦٨ ، فصارت بيئة الريف تتململ بعض الشيء للتجاوب مع مخططات الثورة في اعطاء المرأة مكانتها الانسانية المحترمة ، وتخليصها من تسلط العادات التعسفية المخالفة لشريعة الاسلامية والقانون ، الا أن الكثير من هذه العقبات لازالت قائمة بسبب تأصلها في أنفس الرجال ، أوقدرتهم في الاحتيال على المرأة باسم الولاية عليها ، وهم يدركون — كما تدرك المرأة ايضاً — ظلمهم في التحكم بحياتها والتصرف بمهرها وبيعها لمن يعطي المهر الاعلى والمرأة لاتستطيع مخالفة وليها في مطالبتها . بحقوقها الشرعية خوفاً من بطشه ، وكذلك السلطة لايمكنها التدخل في حياتهم تفصيلا ، لانها تسمع من الفتاة حين العقد أنها قد تسلمت ، مهرها من خاطبها ، وان القضاء يسجل العقد حينما يسمع الايجاب والقبول من الزوجين لذلك فان المعالجة الصحيحة لهذه العقبات بصورة جذرية لاتتحقق الابتوعية جادة لمحاور قانون الاحوال الشخصية المعدل الذي اعتمد قواعد الشريعة الاسلامية وبيان حكمة الشارع سبحانه وتعالى في منح الفتاة الريفية حقوقها الشرعية ، وذلك لغرض اقناع الريفيين ، بالتجاوب الوجداني والروحي مع مفاهيم الدين الذي يلزم اتباعه بضرورة الاستجابة ، لمتطلبات الدين التي جاء بها القانون والتي تدعو جميع الذين ينتسبون الى الدين بالاحتكام الى احكامه وفضائله واخلاقه ، وبخاصة حقوق المرأة الريفية التي استلبت منها بسبب تلك الاعراف المتخلفة والتي عرضها البحث بشيء من التفصيل .

والمؤمل ان تقوم بهذه المهمة اجهزة الاعلام المسموعة والمرئية وان تعني الثورة الموقرة بالاستعانة في هذا الميدان بلجان التوعية الدينية في مديريات الاوقاف الفرعية في المحافظات عند زياراتهم للريف لاقناع المواطنين فيه بموجب اعادة المكانة المحترمة للفتاة كما شرعها الدين واكد عليها القانون والتزم بها القضاء في احكامه .

كما ويرجو البحث ان تتولى اتحادات النساء في المحافظات هذه المهمة بأساوب أيجابي وتستعين باعضائها الريفيات ليساهمن في عملية التوعية الهادئة والبناءة في الوسط النسائي وبخاصة المعلمات في الريف على ان البحث يأمل ان يؤكد على العاملات المثقفات في الريف ان يشجعن البنات على الاستمرار في الدراسة ويقدمن لهن التوجيهات الصحيحة التي تصنع منهن الفتيات الكفوءات في التعلم والثقافة والخلق الفاضل ليمكنهن معرفة شخصيتهن في المجتمع كما ارادها الله تعالى في التكريم والاحترام والعزة حين يلتزمن بآداب الشريعة الاسلامية ويحصلن على الموقع الكريم في انفس الرجال ، فلايظلمن ،ولاتهدر حقوقهن .



مراجع البحث

القرآن الكريم

١ — الاحكام الاساسية للاسرة الاسلامية : د. زكريا البري — دار الشباب بالقاهرة

٢ — الاحوال الشخصية (قسم الزواج) : محمد ابو زهرة — مطبعة أحمد مخيمر ١٣٦٧ — ١٩٤٨ .

٣ — الاحوال الشخصية (الجزء الاول : الزواج ....) د. أحمد الكبيسي، مطبعة الارشاد — بغداد — سنة ١٩٧٣ .

٤ — الاسلام والحياة الزوجية : عثمان السعيد الشرقاوي — دار الكاتب العربي بالقاهرة

٥ — بداية المجتهد : ابن رشد — ١٣٥٣ — ١٩٣٥ مطبعة المعاهد

٦ — بلوغ المرام : ابن حجر — مطبعة مصطفى محمد ط ١

٧ — الجوهرة النيرة في شرح كتاب القدوري : ابو الحسن سنة (١٣٠) (فقه حنفي)

٨ — زاد المعاد : ابن قيم الجوزية . ط٢ سنة ١٣٦٩ — ١٩٥٠ — مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٩ — شرح قانون الاحوال الشخصية الاردني : د. محمود السرطاوي — دار العدوى عمان سنة ١٤٠٢ — ١٩٨١ — ط١

١٠ — شرح قانون الاحوال الشخصية السوري : د. مصطفى السباعي ط٦ — مطابع الفكر بدمشق سنة ١٣٨٢ — ١٩٦٣ .

١١ — صحيح الامام البخاري في فتح الباري لابن حجر ، مطبعة البابي الحلبي ١٣٧٨ — ١٩٥٩ .

١٢ — صحيح الامام الترمذي : ابو عيسى محمد الترمذي .

١٣ — صحيح الامام مسلم بشرح النووي — مطبعة محمد علي صبيح

١٤ — عائشة أم المؤمنين : زاهية مصطفى قدورة — مطبعة مصر — ١٣٦٦ — ١٩٤٧

١٥ — فتح الباري في شرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني — مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

١٦ ـ قاسم امين : د . ماهر حسن فهمي ـ سلسلة أعلام العرب ، رقم (٢٠)
١٧ ـ ماذا عن المرأة : د.نور الدين عتر ـ مكتبة الهدى بحلب ـ ١٣٩٠ ـ ١٩٧١
١٨ ـ المرأة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف : د. سلوى الخماش ـ بيروت .
١٩ ـ المرأة ليست لعبة الرجل : سلامة موسى ـ القاهرة .
١٠ ـ نيل الاوطار : محمد علي الشوكاني ـ المطبعة العثمانية المصرية ١٣٥٧
٢١ ـ الهداية : علي المرغيناني ـ مطبعة محمد علي صبيح .

....



الجزاءات الاقتصادية في المنظمات الدولية ومدى فاعليتها

محمد جمال الدين العلوي
جامعة الموصل/ كلية القانون والسياسة

تمهيد :

ان العقوبات الاقتصادية (Economic Sanctions) ، هي اجراءات وتدابير حديثة في العلاقات الدولية استخدمها المجتمع الدولي كوسيلة متطورة للمقاطعة الاقتصادية (Economic Boycokt) ، حيث اعتبرها عهد عصبة الامم في المادة /١٦ ، تدابير مالية واقتصادية ، اما ميثاق الامم المتحدة في المادة ٤١ فقد اعتبرها وقف الصلات الاقتصادية (Economic Relations) ومن ثم اطلق عليها عقوبات اقتصادية ، عندما نص عليها صراحة (Economic Sanctions) في قرار مجلس الامن الدولي (٢٣٢) المتخذ ضد نظام ايان سمث غير الشرعي في روديسيا الجنوبية (زيمبابوي) ، وان هذه العقوبات ما هي الا جزاءات ملزمة تفرض على الدول المعتدية والتي تمارس عملا غير مشروع دولياً انتهاكاً للعهود والمواثيق الدولية .

ويهدف البحث إلى توضيح اهمية الجزاءات الاقتصادية ومدى فاعليتها وتأثيرها على الدول المعتدية لايقاف وانهاء عدوانها وامكانية حمل الامم المتحدة على فرض هذا الجزاء الاقتصادي على النظام الحاكم حالياً في ايران لممارسته عملا دولياً غير مشروع بشن العدوان على القطر العراقي وعدم التزامه بكافة الاجراءات التي اتخذتها الامم المتحدة لانهاء الحرب منتهكاً بذلك ميثاق المنظمة الدولية ، وتوضيح دور الموقف الدولي من الالتزام بهذه الجزاءات وخاصة موقف الدول الكبرى .

اما منهج البحث فقد تطرق إلى ما تعنيه المقاطعة الاقتصادية وانواعها ومدى مشروعيتها باعتبار ان الجزاءات شكل من انواع المقاطعة التي تقرر تطبيقها المنظمات الدولية وتجد اساساً لمشروعيتها في ميثاقها .

واخذ بالتحليل لما جاء به عهد عصبة الامم المتحدة وميثاق الامم المتحدة من نصوص عن ماهية هذه الجزاءات وما هي الحالات التي تطبق عليها . وعرض البحث كيفية قيام المنظمات الدولية بتطبيق هذه الجزاءات خاصة التي فرضت على نظام الحكم غير الشرعي في روديسيا الجنوبية (زمبابوي) باعتبارها حالة معاصرة ومتميزة ، وانتهى البحث إلى بيان الموقف الدولي من هذه الجزاءات .



اولا : المقاطعة الأقتصادية :

لما كانت الجزاءات (العقوبات) الاقتصادية وسيلة متطورة للمقاطعة الاقتصادية وشكلا من انواعها ، وحتى نفهم ذلك لابد من التعرف على ماتعنيه المقاطعة الاقتصادية ومـاهي انواعها ومدى مشروعيتها .

١ — التعريف بالمقاطعة الأقتصادية :

المقاطعة الاقتصادية وسيلة من وسائل الاكراه لجأت الدول الى أستخدامها في اوائل القرن العشرين (١) . وهي أجراء يفرض زمن السلم والحرب ضد الافراد والجماعات والدول ويشمل قطع العلاقات التجارية والاقتصادية . وتعرف المقاطعة الاقتصادية بانها «أجراء تلجأ اليه سلطات الدول اوهيئاتها وافرادها المشتغلون بالتجارة لوقف العلاقات التجارية مع دولة أخرى ومنع التعامل مع رعاياها بقصد الضغط الاقتصادي عليها رداً على ارتكابها لاعمال عدوانية » (٢) .

والمقاطعة الاقتصادية اجراء مارسته الدول والشعوب كما مارسته المنظمات الدولية واعتبر وسيلة من وسائل الضغط الاقتصادي التي لجأت اليها الدول والشعوب في منازعاتها السياسية مع الدول الاخرى . وقد يكون هذا الاجراء لفترة محدودة أو يستمر لحين زوال الاسباب التي دعت الى فرضه (٣) .

٢ — انواع المقاطعة الأقتصادية :

بما ان المقاطعة الاقتصادية اجراء مارست تطبيقه الافراد والشعوب وتعددت الجهات التي أقرته ، فانه يمكن تقسيم أنواع المقاطعة تبعاً لنطاق تطبيقها ، وتبعاً لجهة التي تقرها

أ) : نطاق تطبيق المقاطعة :

المقاطعة الاقتصادية من حيث تطبيقها تقسم الى نوعين ، المقاطعة الداخلية والمقاطعة الدولية . فالمقاطعة الداخلية هي التي تفرض ضد فرد أوجماعة داخل الدولة الواحدة ،

---

(١) د. محمود سامي جنينة ، القانون الدولي العام، ط ٢، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٦٠٨

(٢) د. عز الدين فودة، المقاطعة العربية لاسرائيل، مجلة الاهرام الاقتصادي، العدد١٤٦ القاهرة، ١٩٦١ ، ص ٩ .

(٣) عزيز عبد المهدي الردام، المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل ، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، ١٩٧٩ ، ص ص ١٧ — ١٨.

وتخضع هذه المقاطعة لقانون الداخلي للدولة التي تجري في اقليمها المقاطعة اما المقاطعة الدولية فهي التي تفرض ضد فرد أوجماعة أوبلد في خارج حدود الدولة وتخضع هذه المقاطعة لقانون الدولي العام . (٤) .

ب) : الجهة التي تقر المقاطعة :

من حيث الجهة التي تقر فرض المقاطعة الاقتصادية تقسم المقاطعة إلى ثلاثة انواع : المقاطعة الاهلية ، المقاطعة الرسمية ، والمقاطعة التي تقرر تطبيقها منظمة دولية . فالمقاطعة الاهلية هي تلك المقاطعة التي يتولى تنظيمها وفرضها جماعات أو هيئات تجارية دون تدخل الدولة فتكون المقاطعة غير رسمية (أهلية) ، أو اذا ما قام الشعب بتطبيقها تلقائياً بدافع من مشاعره ويميز في هذا الشكل من المقاطعة الاهلية بين المقاطعة السلمية وغير السلمية (٥) .

والمقاطعة الرسمية هي تلك المقاطعة التي تقرها وتفرضها سلطة حكومية مختصة ضد جماعات أو دول معتدية ، ويميز في هذا الشكل بين المقاطعة التي تفرضها الدولة في حالة السلم وتلك التي تفرضها في حالة الحرب (٦) .

اما المقاطعة التي تقرر تطبيقها منظمة دولية فهي اجراء أو تدبير جماعي تقرر فرضه المنظمة الدولية استناداً إلى السلطة التي تستمدها من ميثاقها (٧) ، ويعتبر هذا الاجراء اجراء جزائي (عقوبة) يفرض على الدولة أو الدول التي تنتهك ميثاق المنظمة (٨) . وهذا الشكل من المقاطعة وتطورها هو مدار هذا البحث .

٣ــ مشروعية المقاطعة الأقتصادية :

ذكرنا ان المقاطعة الاقتصادية وسيلة من وسائل الاكراه التي لجأت الدول إلى استخدامها منذ اوائل القرن العشرين ، لذلك فقد اهتم بها الفقه القانوني حيث أثير تساؤل حول مدى مشروعية المقاطعة الاقتصادية وهل أنها عمل مشروع يتفق قواعد القانون الدولي العام ؟

---

(٤) د. عبد الحسين القطيفي، المقاطعة الاقتصادية في العلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية العدد (٧)، القاهرة، كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧، صص ٥٥ – ٥٦.

(٥) المرجع نفسه ، ص ص ٥٦ – ٦٠.

(٦) المرجع نفسه ، ص ص ٦٠ – ٦٤.

(٧) د. عز الدين فودة، مرجع سبق ذكره، ص ٩ .

(٨) عزيز عبد المهدي الروام ، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥ .

واختلفت بشأنها مذاهب الفقهاء منذ اوائل هذا القرن ، فقد ذهبت بعض الاراء المتطرفة إلى اعتبار ها غير مشروعة اطلاقاً وفي جميع الاحوال ، ودافع عن هذا الرأي (فالتز) بحجة ان المقاطعة وسيلة من وسائل القسر والاكراه التي تعكر صفو العلاقات الدولية ، كما ساد رأي في الفقه لتأييد مشروعية المقاطعة الرسمية في وقت السلم على وجه العموم ، واصبح الخلاف يدور بين الفقهاء على تكييف المقاطعة الاقتصادية «أهي بمثابة اقتصاص ،أم هي رد بالمثل» (٩).

وفي محاولة لوضع نظرية قانونية في مشروعية المقاطعة الاقتصادية يقسم الاستاذ شارل روسو (Charles Rousseau) المقاطعة إلى نوعين ، جزائية واجرامية ويعتبر المقاطعة الجزائية مشروعة وما عداها وسيلة من وسائل التعدي غير المشروعة ، ويدخل الاستاذ روسو في المقاطعة الجزائية حالتين «حالة العقوبات الاقتصادية التي تفرضها المنظمات الدولية ، وحالة المقاطعة الرسمية التي تستعملها الدول على سبيل (بمثابة) الاقتصاص للرد على عمل دولي غير مشروع» (١٠) .

وعلى هذا الرأي فالمقاطعة الجزائية تعتبر مقاطعة مشروعة لانها بمثابة الاقتصاص للرد على عمل دولي غير مشروع ، وساد المذهب المؤيد لمشروعية المقاطعة الجزائية ، بعد ان اقرت الجمعية العامة لعصبة الامم في ١٩٣٣/٢/٢٤ مشروعية المقاطعة الاقتصادية الصينية لليابان(١١) عندما وافقت على ما جاء بتقرير لجنة التحقيق المعروفة باسم لجنة ليتون (Lytton) التي ذهبت للتحقيق في القتال بين اليابان والصين والذي جاء فيه :

«يبدو من العسير انكار ان المقاطعة سلاح للدفاع ضد اعتداء مسلح يقع من بلد اشد قوة .... ان استعمال المقاطعة من جانب الصين يدخل في طائفة تدابير الاقتصاص ، وذلك بعد حوادث ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٣١» (١٢) .

---

(٩) د. عبد الحسين القطيفي ، مرجع سبق ذكره، ص ٦٤ .

(١٠) المرجع السابق ص ٦٥ .

(١١) فرضت الصين المقاطعة الاقتصادية على اليابان ، بعد ان شنت الاخيرة في ١٩٣١/٩/١٨ غارتها الجوية على مدينة (موكدين) الصينية في منشوريا وجاءت مقاطعة الصين لردع اليابان.
لتفصيل عن ذلك انظر، المرجع السابق، ص ٦٠

(١٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وموافقة الجمعية العامة لعصبة الامم على تقرير اللجنة هي تأييد للمقاطعة الاقتصادية التي فرضتها الصين ضد اليابان من قبل المجتمع الدولي (١٣) ، وهي بمثابة تأييد لمشروعية المقاطعة الاقتصادية التي تفرضها دولة ضد دولة اخرى كرد فعل لاعتداء أو عمل دولي غير مشروع :

وعن المبادىء القانونية التي تحكم مشروعية المقاطعة الاقتصادية في العلاقات الدولية يذكر الدكتور عبد الحسين القطيفي :

«تكون المقاطعة مشروعة مطلقاً بلاقيد ولاشرط في الحالات الآتية : المقاطعة الجماعية استناداً الى ميثاق دولي — المقاطعة الرسمية في حالة الحرب — المقاطعة الرسمية في السلم على سبيل الاقتصاص — المقاطعة الاهلية في حالة الدفاع الشرعي وعلى سبيل الاقتصاص . تكون المقاطعة مشروعة على الرأي الراجح في الحالات الآتية : المقاطعة الرسمية في حالة الرد بالمثل بشرط عدم التعارض مع التزامات الاتفاقية — المقاطعة الاهلية في حالة الدفاع الشرعي بشرط عدم التعارض مع المعاهدات القائمة ولامع قواعد القانون الدولي المتعلقة بحماية الاجانب» (١٤) .

مماتقدم فان الجزاءات (العقوبات) الاقتصادية التي تفرضها المنظمة الدولية ، والمقاطعة الجماعية المستندة الى اتفاقية دولية لاتثير أية مشكلة قانونية خاصة من حيث مشروعيتها لانها تجد اساس مشروعيتها في اتفاقية دولية أوميثاق دولي خاصة عندما يتم فرض العقوبة اوالمقاطعة ضد أحدى الدول التي هي طرف في الاتفاقية أوالميثاق .

ثانيا : الجزاءات الأقتصادية في مواثيق المنظمات الدولية :

الجزاءات (العقوبات) الاقتصادية هي أحدى التدابير التي تجد اساس مشروعيتها في المواثيق واللوائح الخاصة بالمنظمات الدولية . وقد جرى تطبيقها بقرارات صدرت عن تلك المنظمات كجزاء جماعي يفرض على الدول التي تمارس اعمالا عدوانية غير مشروعة ضد الدول الاخرى وتهدد السلم والأمن الدوليين وتخل بالتزاماتها المنصوص عليها في الميثاق ، والتاريخ المعاصر شهد منظمتين دوليتين عصبة الامم والامم المتحدة جاء ميثاق كل منهما بنصوص عن الجزاءات الاقتصادية .

---

(١٣) المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

(١٤) المرجع نفسه ، ص ٧١ .

١ - عهـد عصبة الأمـم :

أدت الحرب العالمية الاولى الى قيام عصبة الامم كمنظمة دولية بموجب العهد الذي وضعه مؤتمر الصلح في ٢٤ - ٢ - ١٩١٩ (١٥) واقر في صيغته النهائيـة في المؤتمر العام المنعقد في ٢٨ - ٤ - ١٩١٩ ووضع موضع التنفيذ عام ١٩٢٠ (١٦) . ويلاحظ عند تقديم الدول المسودات الخاصة بمشروع عهد العصبة ، تضمن كل من المشروعين (الايطالي، حكومة جنوب افريقيا) نصاً عن المقاطعة الاقتصادية بمثابة عقوبة اقتصادية جماعية تفرض ضد المعتدي (١٧) . وعندما أقر العهد أخذ بتلك الفكرة كاحدى الضمانات لتحقيق مبادىء المنظمة الدولية . حيث تنبه واضعوا العهد الى اهمية الجزاءات الاقتصادية كوسيلة من وسائل الضغط الاقتصادي تفرض على الدولة المخلة بالتزامات العهد ، ووضعوها في المحل الاول من الاعتبار بين الجزاءات (*) المنصوص عليها في العهد . وجعلوا ، الاشتراك فيها واجباً على الدول عند وقوع اخلال من الدولة العضو في العصبة (١٨) . فجاءت المادة (١٦/١) من العهد متضمنة الجزاءات الاقتصادية التالية :-

- قطع العلاقات التجارية والمالية مع الدول التي تخل بالتزامات العهد .
- قطع كل الاتصالات بين مواطني الدول الاعضاء ومواطني الدولة المعتدية المخلة بالتزامات العهد .
- منع كافة الاتصالات المالية والتجارية ، والشخصية بين مواطني الدولة المعتدية المخلة بالتزامات العهد والدول الاخرى حتى ان لم تكن عضواً في العصبة (١٩) .

---

(١٥) د. سيد نوفل ، العمل العربي المشترك في المجال الدولي، القاهرة، ١٩٧١، ص ٨٧ .
(١٦) د. محمود سامي جنيه، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣٧ .
(١٧) د. عبد الحسين القطيفي ، مرجع سبق ذكره، ص ٦٧ .
(*) ان الجزاءات التي جاء بها عهد عصبة الامم هي ثلاثة جزاءات تفرض على الدول المعتدية
١ - الجزاء الاقتصادي (المادة ١/١٦) من العهد.
٢ - الجزاء الحربي او العسكري (المادة ٢/١٦) من العهد.
٣ - الطرد من العصبة (المادة ٣/١٦) من العهد.
(١٨) للتفصيل انظر: - د. علي صادق ابو هيف/ القانون الدولي العام ، ط ١٢ - منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٥ ،ص ٦٠٧ - ٦٠٨.
- د. محمود سامي جنينة، مرجع سبق ذكره، ص ص ٥١٥ - ٥١٦، ص ٦٠٩
(١٩) المادة (١/١٦) من عهد عصبة الامم.

وتضمنت المادة ١٦ / ١ ايضاً على ان الاشتراك في تطبيق الجزاء الاقتصادي واجب على الدول عند وقوع اخلال من الدولة العضو في العصبة ، ويعني ذلك قيام الدولة بتطبيق الجزاء الاقتصادي مباشرة دون تدخل اجهزة العصبة ولصعوبة ذلك رأي الامين العام للعصبة السرجيمس اريك دراموند (Sir Eric Drummond) بانه لايمكن تطبيق هذا الجزاء بشكل فعال دون تدخل العصبة وتحديد الجهة التي تحدد وتوجه تلك الاجراءات لذا ، اقترح في الاجتماع الثامن للعصبة المنعقد في شهر تموز ١٩٢٠ انشاء لجنتين ، لجنة حصار فنية تستخدم في وقت السلم ، ولجنة تنفيذية للحصار تستخدم في حالات الطواريء وبناء على هذا الاقتراح شكلت لجنة الحصار الدولية لدراسة الوسائل المناسبة لتطبيق الجزاء الاقتصادي . واوصت هذه اللجنة في تقرير لها ان يكون مجلس العصبة هو الجهة التي تحدد وتوجه الاجراءات التي تتضمنها الجزاءات الاقتصادية كما اوصت اللجنة ان يتدرج الخطر الاقتصادي ، وان يعهد بالحصار البحري (٢٠) (Paritis Blockade) الى دول تحدد بذاتها (٢١) .

وفي حالة عدم كفاية الجزاء الاقتصادي وقطع العلاقات الدبلوماسية لردع الدولة العتدية فان المادة ١٦ من عهد العصبة نصت على التدخل المسلح من جانب القوات المسلحة للدول الاعضاء لارغام الدولة المعتدية الالتزام بعهد العصبة (٢٢) ، ومع هذا فان للجزاء الاقتصادي اهمية باعتبار انه اكثر فاعلية وتأثيراً على الدول وبهذا الصدد يقول الدكتور محمود سامي جنينة :

«الواقع ان الجزاء الاقتصادي من اهم الجزاءات التي يمكن ان توقع على دولة مخلة ومن امضى الاسلحة التي يمكن ان توجه ضدها وقد أثبتت الحرب العظمى أن ما من دولة ، مهما عظم شأنها وكثرت مواردها يمكن ان تقاوم مقاطعة اقتصادية منظمة تشترك فيها عدة دول ، لذا وجه واضعوا العهد كل اهتمامهم إلى هذا الجزاء وحددوا اشكاله المختلفة وجعلوا

---

(٢٠) الحصار البحري : هو منع دخول وخروج السفن الى ومن شواطيء دولة العدو وبقصد القضاء على تجارته الخارجية واضعاف موارده التي يستعين بها على الاستمرار في الحرب للتفصيل عن ذلك انظر :
د. علي صادق ابو هيف، مرجع سبق ذكره، ص ص ٨٤٦–٨٤٧، ص ص ٩١١–٩١٦.

(٢١) عزيز عبد المهدي الروام، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣ .

(٢٢) د. عبد الحسين القطيفي، القانون الدولي العام، ج ١، في اصول القانون الدولي العام، مطبعة العاني ، بغداد، ١٩٧٠، ص ٣٣٠ .

القيام به واجباً على الدول الاعضاء لحمل الدولة المخلة على احترام التزاماتها وقد جعلوه الجزاء الاصلي وجعلوا العمل العسكري جزاء ثانوياً غير محتمل توقيعه وغير مؤكدة نتيجته» (٢٣) .
ان الجزاءات الاقتصادية في عهد عصبة الامم اهم الجزاءات التي جاء بها العهد ، وهي عبارة عن جزاء (عقوبة) رادع لكل اعتداء تقوم به الدولة أو عمل غير مشروع دولياً ضد الدول الاخرى من اجل حفظ السلم والامن والتعاون الدولي .

٢ – ميثاق الامم المتحدة :

بانتهاء الحرب العالمية الثانية أنتهت عصبة الامم كمنظمة دولية وحلت محلها عام ١٩٤٥ هيئة الامم المتحدة ، وان هذه المنظمة الدولية الجديدة لم تكفل ما يجب ان يتخذ من اجراءات وتدابير ضد الدول المعتدية والتي لا تلتزم بالميثاق وعلى هذا اخذ واضعوا الميثاق بفكرة مماثلة للجزاءات الاقتصادية التي جاء بها عهد عصبة الامم وجاء الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة بنصوص عن الجزاءات والتي قسمت إلى نوعين ، الجزاءات العسكرية والجزاءات غير العسكرية ومنها الاقتصادية التي حددت بالمادة ٤١ من الميثاق (٢٤) وتضمنت :

– وقف الصلات الاقتصادية .
– وقف وسائل المواصلات وقفاً جزئياً أو كلياً.
– قطع العلاقات الديبلوماسية.

وبهذا تماثلت الجزاءات الاقتصادية التي اقرها عهد العصبة مع التي جاء بها ميثاق الامم المتحدة ،ومع ذلك يلاحظ بان ميثاق الامم المتحدة اضاف الى ذلك قطع العلاقات الديبلوماسية مع الدولة المخلة بالتزاماتها وبهذا جمعت الامم المتحدة بين نوعين من الجزاءات (غير العسكرية) هما المقاطعة السياسية والمقاطعة الاقتصادية (٢٥) ، واقتصر على تطبيق هـــذه الجزاءات من قبل الدول الاعضاء في المنظمة الدولية بينما ادخل عهد عصبة الامم في تطبيق الجزاءات للدول التي لم تكن اعضاء في العصبة .
وحددت المادة (٤١) من الميثاق الجهة التي تقرر فرض هذه الجزاءات وحصرها بمجلس الامن الدولي الذي أعطى سلطة تقديرية في أتخاذ التدابير والاجراءات وهذا النص في الميثاق يعد تطوراً للتنظيم الدولي اذ ان المادة (١/١٦ من عهد العصبة لم تحدد الجهة وانما جاء في مجلس العصبة فيما بعد.

(٢٣) د. محمود سامي جنينة، مرجع سبق ذكره، ص ص ٥١٦ – ٥١٧.
(٢٤) انظر : المادة (٤١) من ميثاق الا مم المتحدة .

وتعتبر الجزاءات التي يفرضها مجلس الامن ملزمة واوجب تطبيقها من قبل الدول الاعضاء في الامم المتحدة وفقاً لما نصت عليه المادة (٢٥) من الميثاق (٢٦)، وذلك لان قرارات المجلس بهذا الخصوص تعتبر تصرفات ملزمة لمن توجه اليه على عكس التوصية التي تخلو من القوة الملزمة وفقاً لما يذهب اليه غالباً، وبالنسبة للدول التي لديها مايمنعها من تنفيذ قرارات مجلس الامن الخاصة بالجزاءات فعليها ان تلفت نظر المجلس الى ذلك (٢٧) حيث ان الميثاق قد تنبه الى أن الجزاء الاقتصادي المفروض على الدول المعتدية المخلة بالتزاماتها قد يؤدي الى الضرر في اقتصاديات دولة اخرى لاعلاقة لها بالعدوان نتيجة للعلاقات الاقتصادية والتجارية مع الدولة المعتدية وعلى هذا اعطت المادة (٥٠) من الميثاق الحق لتلك الدولة أن تلفت نظره بصدد حل المشاكل الاقتصادية التي قد تنشأ في حالة تنفيذها الجزاء الاقتصادي (٢٨).

وعند عدم جدوى الجزاءات الاقتصادية التي يفرضها مجلس الامن، وقناعته بانها لاتفي بالغرض أو ثبت انها لم تفي به، فان المادة (٤٢) من الميثاق (٢٩) اجازت للمجلس فرض جزاءات عسكريه تشتمل على التدابير العسكرية بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية التي من شأنها حفظ السلم والأمن الدوليين او اعادته الى نصابه واجازت ان يكون الحصار (Blockade) من بين هذه التدابير (٣٠).

(٢٥) د. محمد سامي عبد الحميد، قانون المنظمات الدولية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط ٥/ الاسكندرية ١٩٨٢، ص ١٢٧.

(٢٦) نصت المادة (٢٥) من الميثاق على:
«يتعهد اعضاء (الامم المتحدة) بقبول قرارات مجلس الامن وتنفيذها وفق هذا الميثاق»

(٢٧) د. محمد السيد الدقاق، المنظمات الدولية، العالمية والاقليمية، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية، ١٩٧٨، ص ١٦٧.

(٢٨) د. محمد سامي عبد الحميد، مرجع سبق ذكره، ص‌ص ١٢٧ – ١٢٨.

(٢٩) انظر: المادة (٤٢) من ميثاق الامم المتحدة.

(٣٠) اقر مجلس الامن لاول مرة الجزاءات العسكرية في حزيران عام ١٩٥٠ عندما قرر استخدام القوات المشتركة والتي سميت بقوات الامم المتحدة لمواجهة الازمة الكورية. انظر: حمدي حافظ، المشكلات العالمية المعاصرة، الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٦، ص‌ص ٧٢٠ – ٧٢٦.

للمنظمات الاقليمية المعاصرة اهمية وخصوصية في العمل الجماعي ومن مراجعة المواثيق لتلك المنظمات رأينا بانها لم تأت بأي نص صريح عن الجزاءات الاقتصادية، ولكن على الرغم من ذلك فانها قد اتخذت اجراءات تدخل في اطار المقاطعة الاقتصادية كمقاطعة منظمة الدول الامريكية لكوبا، ومقاطعة منظمة الوحدة الافريقية لحكومة جنوب افريقيا وفرض الحصار الكامل على حكومة الاقلية البيضاء في روديسيا الجنوبية الذي جاءت من اجل تطبيق قرارات مجلس الامن الدولي الخاصة بالعقوبات الاقتصادية، واخيرا مقاطعة جامعة الدول العربية للكيان الصهيوني(٣١).

مما تقدم فان الجزاءات الاقتصادية الدولية هي عبارة عن اجراء جزائي يقره المجتمع الدولي ضد احدى الدول للرد على عمل دولي غير مشروع استنادا الى مايتضمنه ميثاق المنظمة الدولية.

ثالثاً : الجزاءات الأقتصادية في التطبيق :

مارست المنظمات الدولية، عصبة الامم المتحدة تطبيق الجزاءات الاقتصادية على ضوء الاسس النظرية التي جاء بها كل من عهد العصبة وميثاق الامم المتحدة وتمثل ذلك في الاجراءات التي أقرت فرض الجزاء الاقتصادي ضد الدول التي قامت بالاعتداء أو اقدمت على عمل غير مشروع دولياً.

١ - تطبيق الجزاءات الأقتصادية في ظل عصبة الأمم

ان عصبة الامم هي أول منظمة دولية تمارس فرض الجزاء الاقتصادي على دولة معتدية اخلت بالتزامات العهد وفقاً للمادة (١٦ / ١) منه.

في عام ١٩٣٥ قامت ايطاليا بعدوانها ضد الحبشة (اثيوبيا) من اجل السيطرة وضمها الى مستعمراتها، ونتيجة لذلك فقد عرضت مسألة الاعتداء الايطالي في شهر تشرين الاول من ذات العام على الجمعية العامة لعصبة الامم، واقرت الاغلبية الساحقة من الدول الاعضاء الاعتداء الايطالي واوصت الجمعية العامة بتشكيل لجنة تنسيق من بعض الدول ومجموعة خبراء لدراسة وتنسيق التدابير الواجب اتخاذها ضد ايطاليا بمقتضى المادة (١٦ / ١) من

---

(٣١) للتفصيل عن ذلك انظر:

- د. عبد الحسين القطيفي، المقاطعة الاقتصادية في العلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص ٦٨.
- عزيز عبد المهدي الردام، مرجع سبق ذكره، صص ٦٨ - ٧٣.

العهد (٣٢) . وقد انبثقت عن هذه اللجنة لجنة ثانية سميت بـ (لجنة الثمانية عشر) وتقدمت اللجنة الاخيرة بخمسة اقتراحات تضمنت الاجراءات التي يمكن اتخاذها ضد ايطاليا، وتمثلت الاقتراحات بما يلي:

١ ـ فرض الحضر الفوري على تصدير الاسلحة والمعدات الى ايطاليا .
٢ ـ فرض قيود على المعاملات المالية مع ايطاليا.
٣ ـ حضر استيراد المنتجات الايطالية .
٤ ـ مد الحظر الى عدد من المواد الاولية الضرورية لصناعة الاسلحة والمعدات .
٥ ـ تعاون الدول وتقديم المساعدات المتبادلة فيما بينها خاصة للدول التي تتضرر نتيجة فرض الحظر على ايطاليا (٣٣)

وبناء على هذه المقترحات اقر مجلس العصبة فرض الجزاءات الاقتصادية التالية ضد ايطاليا.

ـ منع استيراد البضائع الايطالية.
ـ منع تصدير مواد معينة الى ايطاليا.
ـ فرض بعض القيود المالية على ايطاليا (٣٤).

واتخذت اجراءات عصبة الامم هذه شكل المنع (الحظر embargo) ، الذي يمثل جزءاً من المقاطعة الاقتصادية اذ اشتمل على منع المبادلات التجارية، ولم يشمل كافة المواد المصدرة الى ايطاليا خاصة المواد الرئيسة مثل النفط، اضافة الى اقتصاره على بعض القيود المالية فكان هذا الاجراء مجرد عقوبة جزئية مقتصرة لم يؤثر تطبيقه على اقتصاديات ايطاليا .

وكان الموقف الدولي من هذه الجزاءات يتمثل بالتزام (٥٢) دولة من دول عصبة الامم البالغة آنذاك (٥٩) دولة بتطبيق هذه الجزاءات للفترة من ١٨ ـ ١١ ـ ١٩٣٥ لغاية ١٥ ـ ٧ ـ ١٩٣٦ (٣٥)، اضافة الى مصر التي اعلنت الالتزام بتطبيق الجزاءات على الرغم من كونها ليست عضواً في العصبة(٣٦).

---

(٣٢) المرجع السابق، ص ٥٤ .
(٣٣) المرجع نفسه، نفس الصفحة.
(٣٤) د. عبد الحسين القطيفي ، المقاطعة الاقتصادية في العلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره ص ٦٧ .
(٣٥) المرجع نفسه، نفس الصفحة.
(٣٦) د. محمود سامي جنينة، مرجع سبق ذكره، ص ٥١٩ .

وهناك دول اخرى لم تطبق الجزاءات (٣٧)، حيث اعلنت كل من (البانيا، النمسا، المجر) عدم رغبتها في تطبيق الجزاءات واعلنت كل من (الولايات المتحدة الاميريكية المانيا، سويسرا) موقفها الحيادي من تلك الجزاءات.

واتسم الموقف الدولي من الجزاءات الاقتصادية ضد ايطاليا بصورة عامة بعدم التزام الدول بتنفيذها الا تنفيذا جزئياً (٣٨). وهذا الموقف ولكون الجزاءات جزئية مقتصرة ولم تشمل قطع كافة العلاقات الاقتصادية فقد تمكنت ايطاليا من حصولها على كل ماتحتاج اليه من المواد الاولية والمنتجات من الخارج خاصة من أو بواسطة الدول التي لم تطبق الجزاءات او التي وقفت موقف الحياد، كما انها استمرت في اعتدائها وضمت اخيراً الحبشة اليها عام ١٩٣٦ (٣٩).

ورفعت عصبة الامم الجزاء الاقتصادي المفروض ضد ايطاليا في شهر حزيران عام ١٩٣٦ استنادا الى «ان الاستمرار فيه، بعد ان وقع المحظور، يأخذ صفة الاجراء التأديبي الصرف وهو مالم يقصد اليه عند تقرير توقيعه» (٤٠) وبهذا عجزت عصبة الامم عن حماية الحبشة من اعتداء ايطاليا على الرغم من توقيع الجزاءات الاقتصادية عليها.

٢ ــ تطبيق الجزاءات الاقتصادية في ظل الامم المتحدة :

اتخذت الامم المتحدة منذ تأسيسها اجراءات وفقاً لما جاء في الفصل السابع خاصة المادة (٤١) من الميثاق، تضمنت فرض الجزاءات (عسكرية وغير عسكرية) ضد الدول التي اخلت بالتزاماتها مثل، الصين الشعبية وكوريا الشمالية، حكومة جنوب افريقيا، البرتغال وكانت اهم الجزاءات هي التي فرضتها الامم المتحدة ضد نظام الحكم في روديسيا الجنوبية (زيمبابوي) لانها تعكس بوضوح اهمية الجزاءات الاقتصادية وتطورها ومدى مساهمتها في تحقيق الاستقلال لشعب زيمبابوي.

---

(٣٧) يرى الدكتور عبد الحسين القطيفي بان الدول كانت تتراجع عن تطبيق الجزاءات (الاقتصادية) على الدول المعتدية خشية ان يعرضها ذلك الى خطر الاشتراك في نزاع مسلح مع الدول المعتدية.

انظر: د. عبد الحسين القطيفي، القانون الدولي العام، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٣

(٣٨) المرجع السابق ص ٣٣٢.

(٣٩) د. علي صادق ابو هيف، مرجع سبق ذكره، ص ٤٧.

(٤٠) د. محمود سامي جنينة، مرجع سبق ذكره، ص ٥١٩.

الصين الشعبية وكوريا الشمالية :

عندما عالجت الامم المتحدة مسألة هجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية عام ١٩٥٠ والتدخل العسكري من قبل الصين الشعبية لمساندة ذلك الهجوم، اخفق مجلس الامن في اتخاذ اي اجراء جزائي ضد هاتين الدولتين لموقف الاتحاد السوفياتي في المجلس ، الا أن الجمعية العامة للامم المتحدة اصدرت قرارها المرقم ٥٠٠ في ١٨ - ٥ - ١٩٥١ أوصت فيه فرض اجراءات اقتصادية تشتمل على حظر شحن الاسلحة والمعدات العسكرية والمواد المستعملة في انتاجها وحظر شحن النفط والمواد ذات القيمة الاستراتيجية الى كل من الصين الشعبية وكوريا الشمالية (٤١) .

ان قرار الجمعية العامة للامم المتحدة لم تكن له اية فاعلية للاسباب :

(أ) كان مجرد توصية تصدر عن الجمعية العامة ولم يتخذ على ضوئها مجلس الامن اي قرار ملزم لحمل الدول الاعضاء على تطبيق الجزاءات.

(ب) ان الولايات المتحدة الاميركية ودول اوربا الغربية كانت تمارس آنذاك سياسة المقاطعة الاقتصادية ضد الدول الاشتراكية، بعد رفض الاخيرة مشروع مارشال الخاص باعادة تعمير اوربا.

(ج) ان الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية لم تؤيد صدور القرار في الجمعية العامة .

البرتغال :

ان الجزاءات التي فرضتها الامم المتحدة على البرتغال عند معالجتها مستقبل الاقاليم الافريقية الخاضعة للادارة البرتغالية وفقاً لمبدأ تقرير مصير الشعوب (٤٢) ، كانت نتيجة لعدم التزام البرتغال بتنفيذ قرارات الامم المتحدة منذ عام ١٩٥٦ وعلى هذا فقد فرض مجلس الامن في ٣١ - ٧ - ١٩٦٣ بعض الجزاءات الاقتصادية التي تمثلت بالطلب من الدول الاعضاء في الامم المتحدة عدم تقديم اية مساعدات خاصة ببيع وتوريد الاسلحة

---

(٤١) د. عبد الحسين القطيفي ، المقاطعة الاقتصادية في العلاقات الدولية، مرجع سبق ذكره ص ٦٧ .

(٤٢) الاقاليم الافريقية الخاضعة للادارة البرتغالية هي (انجولا ، موزمبيق، غينيا بيساو جزر الرأس الاخضر ، ساوتومي وبرنسيب) ونالت هذه الاقاليم استقلالها جميعاً عام ١٩٧٥ عدا غينيا بيساو التي سبقتها الى ذلك عام ١٩٧٤ .

والمعدات الحربية للبرتغال واكد مجلس الامن فرض هذه الجزاءات على البرتغال عامي ١٩٦٥، ١٩٧٢ (٤٣).

واتسم الموقف الدولي من الجزاءات التي فرضها مجلس الامن على البرتغال بعدم التزام الدول الاعضاء في الامم المتحدة لتنفيذها حيث استمرت الاول في علاقاتها الاقتصادية مع البرتغال خاصة حكومة جنوب افريقيا والكيان الصهيوني ، وعلى هذا لم يكن لها اي تأثير او فاعلية .

حكومة جنوب افريقيا :

جاءت الجزاءات التي فرضتها الامم المتحدة على حكومة جنوب افريقيا نتيجة لممارسة سياسة التمييز والفصل العنصري – الابارتهيد (Apartheid) ، فقد أولت المنظمة الدولية اهتمامها بهذه المسألة خلال الفترة مابين عامي ١٩٥٢ – ١٩٦١ وواصلت توجيه نداءاتها الى حكومة جنوب افريقيا لكي تكف عن هذه السياسة ،الا أن جنوب افريقيا لم تستجب لتلك النداءات واعلنت بان السياسة التي تتبعها هي من صميم سياستها الداخلية(٤٤)

تطور اهتمام الامم المتحدة بهذه المسألة عندما اقرت الجمعية العامة عام ١٩٦٢ بحثها تحت عنوان «سياسة التفرقة العنصرية لحكومة جنوب افريقيا» . وبناء على ذلك وجه مجلس الامن في ٧ – ٨ – ١٩٦٣ (٤٥) نداءه المتضمن فرض حظر على امداد حكومة جنوب افريقيا بالاسلحة والمعدات كاجراء ارغامي للكف عن سياستها. كما ادان مجلس الامن في ٢٩ – ٧ – ١٩٧٠ كل انتهاك لحظر ارسال الاسلحة ودعا كل الدول الى

(٤٣) انظر نص قرارات مجلس الامن ١٨٠(١٩٦٣) في ١٩٦٣/٧/٣١، ٢١٨(١٩٦٥) في ١٩٦٥/١١/٢٣، ٣١٢(١٩٧٢) في ١٩٧٢/٢/٤ في :
- U.N.Resolutions and Decisions of the Securty Council(1963) N.Y. 1966. PP. 3-5.
- ——, (1965) N.Y. 1967. PP. 18-19.
—, (1972) N.Y. 1973, PP. 10-11.

(٤٤) للتفصيل عن ذلك انظر :
- Georgs-Jabbour, Settler Colonialism in Southern Africa and Middle East' Beirut, 1970' PP. 132-155,

(٤٥) انظر : قرار مجلس الامن ١٨١ (١٩٦٣) في ١٩٦٣/٨/٧ .
- U.N, Resolutions and Decisions of-the security Council (1963)' N.Y. 1966 P. 7

تقوية هذا الحظر وتنفيذه بلا قيد ولاشرط وان توقف امداد جنوب افريقيا بكل انواع المركبات والمهمات اللازمة لقواتها المسلحة وان تلغى كافة التصاريح والحقوق الممنوحة لجنوب أفريقيا لصنع الاسلحة والطائرات والمركبات العسكرية وحظر الاستثمار في صناعة الاسلحة او المعونة الفنية (٤٦).

وعند اجتماع مجلس الامن في اديس ابابا طالب بقراره المتخذ في ٤ - ٢ - ١٩٧٢ (٤٧) من الدول الاعضاء الالتزام بقرارات الامم المتحدة خاصة قرار حظر الاسلحة الى حكومة جنوب افريقيا .

وفي ٤ - ١١ - ١٩٧٧ اصدر مجلس الامن قراره بفرض الحظر العسكري الاختياري "Voluntary -arms embargo" ضد حكومة جنوب افريقيا (٤٨) ، وبناء على الاقتراح المقدم من قبل بولندا عام ١٩٨٤ اصدر مجلس الامن في ١٤ - ١٢ - ١٩٨٤ اقر فيه توسيع الجزاءات المفروضة ضد حكومة جنوب افريقيا عام ١٩٧٧.

ان الجزاءات التي فرضتها الامم المتحدة ضد حكومة جنوب افريقيا وطلبت من الدول الاعضاء الالتزام بها. لم تكن فعالة ليست لما تضمنته تلك الاجراءات ولكن الموقف الدولي الذي اتسم بعدم التزام معظم الدول بتنفيذها خاصة الدول التي لديها مصالح اقتصادية وستراتيجية مع حكومة جنوب افريقيا وهي كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الاميريكية مراعاة لمصالحها الاقتصادية التي تتأثر في حالة تنفيذ هذه الجزاءات . ولا زالت المنظمة الدولية تعالج هذه المسألة بموجب الفصل السابع من ميثاقها ونرى بانه لافائدة لاجراءاتها اذا لم يكن هناك موقف جدي وملتزم من قبل الدول الاعضاء خاصة الدول الكبرى.

روديسيا الجنوبية (زيمبابوي) :

في اواخر القرن التاسع عشر وقعت زيمبابوي تحت النفوذ البريطاني ، واصبحت تعرف باسم «روديسيا الجنوبية» ونتيجة لاستئثار المستوطنين البيض بالسلطة هناك ومقاومتهم

(٤٦) انظر قرار مجلس الامن المرقم ٢٨٣ (١٩٧٠) في ١٩٧٠/٧/٢٩ .
- ———, (1970) N.T. 1971, P. 23,

(٤٧) انظر قرار مجلس الامن المرقم ٣١٠(١٩٧٢) في ١٩٧٢/٢/٤ .
- ———, (1972) N.Y. 1973' Pp, 4-5.

(٤٨)
- United Nations' Basic-Facts about the N.U,' New York 1980, P. 43,

من قبل السكان الافارقة الاصليين (٤٩). فان هذه التطورات أثارت انتباه الامم المتحدة الى الوضع القائم في روديسيا الجنوبية وبدأت منذ عام ١٩٦٢ معالجة قضية منح الاستقلال وتقرير المصير لشعب زيمبابوي ، وتوصلت الجمعية العامة للامم المتحدة في ذات العام الى ان الاقليم غير متمتع بالحكم الذاتي وطالبت المملكة المتحدة بانهاء الوضع القائم ، والمتمثل بحكم الاقلية البيضاء ومنح الاستقلال لشعب الاقليم (٥٠) .

وعلى الرغم من ذلك اعلنت حكومة الاقلية البيضاء برئاسة ايان سميث في ١١ — ١١ ١٩٦٥ استقلال روديسيا الجنوبية من جانب واحد دون موافقة المملكة المتحدة (٥١) ، وفي نفس اليوم عقدت الجمعية العامة اجتماعاً طارئاً واصدرت قرارات أدانت فيه الاستقلال واعتبرت ان ماحدث يعتبر تمرد وطلبت من المملكة المتحدة انهاءه كما اوصت بان ينظر مجلس الامن الوضع في الاقليم باعتباره مسألة ملحة وعاجلة (٥٢) .

واضافة الى ذلك فقد طلبت كل من المملكة المتحدة وعدد من الدول الافرواسيوية من مجلس الامن ان ينظر الوضع في الاقليم وبناءً على ذلك اتخذ مجلس الامن في اجتماعه المنعقد في ١٢ — ١١ — ١٩٦٥ (٥٣)قرار ادان فيه الاستقلال وطلب من الدول الاعضاء

---

(٤٩) للتفصيل عن ذلك انظر :
- Ceorge Jabbaur, Op, Cit' PP. 18-20' PP,3 -
- د. حمدي حافظ ، مرجع سبق ذكره، ص ص ٥٦٦ — ٥٦٧ .
- د. راشد البراوي، الاستعمار البريطاني ومشكلة روديسيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٦، ص ١٠،ص ص ١٢ — ١٧ .
- عواطف عبد الرحمن ، قضية روديسيا والامم المتحدة، مجلة السياسة الدولية، العدد٢١ تموز (يوليو) ١٩٧٠، ص ١١٧ .

(٥٠) انظر : قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة : ١٧٤٥ (١٦) في ١٩٦٢/٢/٢٣، ١٧٤٧ (١٦) في ١٩٦٢/٦/٢٨، ١٧٦٥ (١٦) في ١٩٦٢/١٠/١٢ .
- GAOR' (XVI), Supplement' No, 17(A/5100) P.44
- GAOR, (XVI), Supplement, No.17 (A/5100/Add.I,) P.3
-GAOR, (XVII), Supplement, No 17(A/5217) P. 38.

(٥١) -George Jabbour, Op, Cit. P. 145.

(٥٢) انظر قرار الجمعية العامة للامم المتحدة ٢٠٢٤ (٢٠) في ١٩٦٥/١١/١١ .
- GAOR (XX) Supplement, No 14 (A/6014)' PP. 55-56).

(٥٣) انظر : قرار مجلس الامن ؛ ٢١٦ (١٩٦٥) في ١٩٦٥/١١/١٢ .
- U.N.Resclutions and Decisions of the Security Council (1965)' N.Y. 1967, P.8

عدم الاعتراف به وعدم تقديم أية مساعدة له ، واكد مجلس الامن ذلك في اجتماعه المنعقد في ٢٠ – ١١ – ١٩٦٥ (٥٤) اضافة الى دعوة الدول الاعضاء الى اتخاذ الاجـراءات التالية ضد نظام ايان سميث .

- فرض حظر على البترول .
- قطع جميع العلاقات التجارية .
- الامتناع عن تزويد النظام بالاسلحة والمعدات الحربية .
- عدم الاعتراف بالسلطة غير الشرعية في الاقليم
- عدم الاحتفاظ بعلاقات دبلوماسية مع النظام .
- مناشدة منظمة الوحدة الافريقية للمساعدة في تطبيق القرار

ومن تحليل القرارين (٢١٦ ، ٢١٧) نرى خلوهما من صفة الالتزام وماكانا الامجرد توصيات مما انعكس على الموقف الدولي منها حيث اضفى عليها الطابع الاختياري في التنفيذ .

ونظراً لعدم استجابة نظام ايان سميث لاجراءات المنظمة الدولية ، تقدمت المملكة المتحدة بمشروع قرار يتضمن فرض عقوبات الزامية ، وقد اضيفت الى المشروع بعض النصوص من قبل بعض الدول الافريقية ، وتبنى مجلس الامن المشروع واتخذ لاول مرة في تاريخه القرار رقم ٢٣٢(١٩٦٦) في ١٦ – ١٢ – ١٩٦٦ (٥٥) الذي نص على فرض عقوبات اقتصادية الزامية (Economic sanctions) ضد نظام الحكم اللاشرعي في روديسيا الجنوبية وفقاً لنص المادة (٤١) من ميثاق الامم المتحدة وتمثلت هذه الاجراءات:

- منع استيراد المنتجات الروديسية التي تشكل الصادرات الرئيسة للاقليم .
- منع تصدير البترول ومنتجاته والمعدات الحربية والطائرات والمركبات الالية الى روديسيا الجنوبية

---

(٥٤) انظر قرار مجلس الامن ٢١٧ (١٩٦٥) في ١٩٦٥/١١/٢٠ .
- Ibid, PP. 8–9.

(٥٥) – U.N. Resolutions and Decisions of the security Council (1985)' N.Y. 1967 P. 5–7.

وتميز قرار مجلس الامن هذا بان نصوصه كانت تحتم على الدول الاعضاء الالتزام بتنفيذها . واعتبر المجلس ان الامتناع عن تطبيقها اورفضها يشكل انتهاكا للمادة (٢٥) من الميثاق وبهذا تميز هذا القرار عن القرارين السابقين بانه ابرز صفة الالزامية لتطبيق الجزاءات الاقتصادية .

بعد عامين عاد مجلس الامن للنظر في الحالة السياسية القائمة في الاقليم ومدى فاعلية الجزاءات الاقتصادية المفروضة عليه والتزام الدول بتطبيقها وضرورة ايجاد جهة تشرف على تنفيذ العقوبات ومتابعتها ،واصدر قراره الرقم ٢٥٣ (١٩٦٨) في ٢٩–٥–١٩٦٨(٥٦) اقرت به بالاجماع فرض عقوبات اقتصادية شاملة (Wider mandatory Sanctions) تضمنت : –

– مقاطعة نظام ايان سميث من قبل الدول الاعضاء في الامم المتحدة :
  – منع الاستيراد والتصدير من والى الاقليم
  – منع الاستثمارات المالية والاقتصادية في الاقليم .
  – منع الخطوط الجوية من السفر من والى الاقليم .

كما اقر المجلس تشكيل (لجنة العقوبات) متصلة به مباشرة للاشراف على تنفيذ الجزاءات ومتابعتها .

ونظراً للتطورات التي حصلت في روديسيا الجنوبية، اذ قررت حكومة ايان سميث في ٢–٣–١٩٧٠ اعلان الجمهورية خارج نطاق الكومنوبلث متحدية بذلك المجتمع الدولي ، والدعم المقدم من قبل حكومة جنوب افريقيا والبرتغال للنظام خاصة الدعم العسكري وتدخل قوات جنوب افريقيا، واستمرارا للتدابير والاجراءات التي اتخذتها المنظمة الدولية لوضع حل لمشكلة روديسيا الجنوبية اتخذ مجلس الامن قراره المرقم ٢٧٧ (١٩٧٠) في ١٨–٣–١٩٧٠ (٥٧)، اكد فيه على :

– الطلب من الدول الاعضاء قطع علاقاتها مع نظام ايان سميث.
– استنكار سياسة جنوب افريقيا والبرتغال تجاه شعب زيمبابوي .
– الطلب من حكومة جنوب افريقيا سحب قواتها من الاقليم.

(٥٦) ———, (1968) N.Y. 1970' PP, 5–7.
(٥٧) ———, (1970)' N.Y, PP. 5–6,

– حث الدول الاعضاء تقديم المساعدة الى شعب زيمبابوي.
– توسيع مسؤوليات لجنة العقوبات التابعة للمجلس.

وواصل كل من مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة خلال الفترة (١٩٧٠ – ١٩٧٦)(٥٨) النظر في مشكلة روديسيا الجنوبية والتأكيد على الجزاءات الاقتصادية والالزامية التي اقرتها المنظمة الدولية، وفي نيسان عام ١٩٧٦ رأى مجلس الامن ضرورة توسيع الجزاءات فقرر ايقاف الاستيراد والتصدير من والى روديسيا الجنوبية وفضلا عن ذلك وجه المجلس في مايس ١٩٧٧ الدعوة الى الدول الاعضاء الى قطع وحجز الاموال التي يمولها ويستثمرها نظام سميث في دول العالم (٥٩).

وبناء على محاولات التسوية التي اقترحها نظام سميث لحل مشكلة روديسيا الجنوبية فان مجلس الامن اعلن في ١٤ – ٣ – ١٩٧٨ رفضه تلك المحاولات، وطالب الدول الاعضاء عدم الاعتراف بها، وطلب من المملكة المتحدة بمساعدة الامين العام للامم المتحدة البدء بحوار مباشرة مع الاطراف المعنية للوصول الى حل لمشكلة روديسيا الجنوبية وفقاً لمبدأ «لااستقلال قبل تحقق حكم الاغلبية في زيمبابوي»، وفي ذات العام اكدت الجمعية العامة هذا المبدأ وطلبت من مجلس الامن فرض جزاءات اقتصادية اخرى ضد نظام ايان سميث بما في ذلك المقاطعة النفطية وسحب كافة الاستثمارات الخارجية من روديسيا الجنوبية (٦٠).

تنفيذاً لدعوة مجلس الامن عام ١٩٧٨ قامت المملكة المتحدة بصفتها الدولة القائمة بادارة الاقليم في شهر ايلول عام ١٩٧٩ بالمشاركة في مؤتمر تأسيس للجبهة الوطنية في لندن وادارة سالزبوري، واتفقت الاطراف المعنية في هذا المؤتمر على وضع دستور يضمن ويحقق الاستقلال الكامل على اساس الانتخابات الحرة والمباشرة – أي بما يضمن حق

---

(٥٨) للتفصيل انظر:
قرارات مجلس الامن ٢٨٨ في ١٩٧٠/١١/١٧، ٣١٤ في ١٩٧٢/٢/٢٨، ٣١٨ في ١٩٧٢/٧/٢٨، ٣٢٠ في ١٩٧٢/٩/٢٩، ٣٣٣ في ١٩٧٣/٥/٢٢.
قرارات الجمعية العامة: ٣١١٦ في ١٩٧٣/١٢/١٢، ٣٢٩٨ في ١٩٧٤/١٢/١٣، ٣٣٩٧ في ١٩٧٥/١١/٢١.

(٥٩) – United Nations, Basic Facts about the U.N,' N.Y. 1930 P. 93.

(٦٠) – Ibid., P. 94

الاغلبية من السكان في تقرير المصير – والاجراءات الكفيلة لتنفيذ ذلك وعرف هذا المؤتمر بمؤتمر لانكستر هاوس (Lancaster House) أواتفاق لانكستر هاوس ، ورحب الامين العام للامم المتحدة بهذا الاتفاق وعبر عن امله في تنفيذه (تحقيق الاستقلال الكامل للاقليم ، وفي ١٢ كانون الاول من ذات العام اطلعت المملكة المتحدة مجلس الامن عن وصول اللورد (Soames) الى جنوب روديسيا وانتهاء كل اشكال التمرد وانها رفعت الجزاءات المفروضة ضد النظام في الاقليم وعلى ضوء ذلك أيدت الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٨ – ١٢ – ١٩٧٩ الاتفاق الذي توصل اليه الاطراف المعنية (٦١).

بناء على ماجاء باتفاق لانكستر هوس فن مجلس الامن قرر في ٢١ – ١٢ – ١٩٧٩ الغاء الجزاءات الاقتصادية المفروضة على نظام الحكم في روديسيا الجنوبية بقراره (٢٣٢) المتخذ عام ١٩٦٦ والقرارات اللاحقة له ، كما قرر حل لجنة العقوبات التي شكلت عام ١٩٦٨ ، الخاصة بمتابعة تنفيذ الجزاءات وطالب المجلس الدول الاعضاء والوكالات المتخصصة تقديم كافة المساعدات اللازمة لتحقيق الاستقلال الكامل في الاقليم (٦٢) ، وفعلا تحقق الاستقلال وقامت دولة زيمبابوي في ١٨ – ٤ – ١٩٨٠ .

الموقف الدولي من الجزاءات الاقتصادية – روديسيا الجنوبية :

كان للموقف الدولي اثر في ايصال مشكلة روديسيا الجنوبية الى اروقة الامم المتحدة وحمل المنظمة الدولية على الاهتمام بها ومعالجتها وفرض الجزاءات الاقتصادية كاجراء جزائي له فعاليته وتأثيره لحل المشكلة اذ التزمت الدول بتنفيذها . ومن خلال بحث هذا الموضوع تبين لنا ، الموقف الخاص للمملكة المتحدة باعتبارها الدولة صاحبة العلاقة بالمشكلة ، ومواقف دولية متباينة منها غير الملتزمة والملتزمة او المتظاهرة بالالتزام علماً بأن موقف القطر العراقي من هذه الجزاءات تمثل بتأييد فرضها انطلاقاً من ايمانه بحق ، الشعوب في تقرير مصيرها وسنأتي الى ذكر أهم وابرز تلك المواقف .

المملكة المتحدة :

في بدء معالجة الامم المتحدة مشكلة روديسيا الجنوبية عام ١٩٦٢ ، ادعت المملكة المتحدة بأن الاقليم متمتع بالحكم الذاتي منذ عام ١٩٢٣ ولا تملك سلطة التدخل في شؤونه الداخلية وكانت سياسة حكومة المحافظين تهدف من وراء ذلك تسوية سياسية تمكن

(٦١) – Ibid.

(٦٢) – Ibid., P.95.

نظام ايان سميث من الاستمرار. لكن الموقف تبدل عند مجيء حكومة العمال برئاسة هارولد ويلسن عام ١٩٦٤ والذي كان يتسم بالشدة والعمل على عقاب ايان سميث (٦٣) وحذرت من اعلان الاستقلال من جانب واحد في الاقليم لان ذلك يعتبر من اعمال التحدي والتمرد وعند زيارة ايان سميث لندن خلال الفترة ٤ — ١١ / ٢ / ١٩٦٥ واجراء محادثات مع هارولد ويلسن وجه الاخير اليه تحذيرا اشار فيه الى اجراءات الامم المتحدة قد لاتقتصر على الجزاءات الاقتصادية، وعند اعلان الاستقلال فعلا من جانب واحد مثل موقف المملكة المتحدة باعلان ويلسن عدم تعامله مع النظام وطلب من الامم المتحدة فرض عقوبات عليه (٦٤).

وخلال الفترة ٢ — ٤ / ١٢ / ١٩٦٦، بدأت مفاوضات بين ويلسن وسميث حيث التقيا على ظهر السفينة الحربية (تايجر) بالقرب من جبل طارق اتفق فيه على مقترحات بشأن تسوية دستورية الا ان المفاوضات لم تسفر عن اية نتيجة لحل مشكلة الاقليم لعدم تقيد سميث بتنفيذ المقترحات (٦٥). وتجددت هذه المفاوضات في اجتماع عقد للفترة ٩ — ١٣ / ١٠ / ١٩٦٨ على ظهر السفينة فيرليس في جبل طارق ايضاً وفشلت هذه المفاوضات (٦٦).

وعندما دعت الجمعية العامة للامم المتحدة في قرارها ٢٥٠٨ (٢٤) المتخذ في ٢١ — ١١ ١٩٦٩ المملكة المتحدة لاتخاذ اجراءات بما فيها القوة لانهاء النظام في الاقليم ونقل السلطة الى الشعب الزيمبابوي على اساس حكم الاغلبية (٦٧)، رفضت المملكة استخدام القوة واعلنت بان القوة ليست بديلا عن الجزاءات وهذا الموقف هو الذي مكن ايان سميث من اعلان الجمهورية خارج نطاق الكومنويلث البريطاني، وعند اعلان الجمهورية ذكر مايكل ستيوارت وزير الخارجية البريطاني امام مجلس العموم؛ ان اعلان الجمهورية

(٦٣) – Evian Lapping, The labaur Government 1964–1970, Great Britian, (1970), P.127.

(٦٤) – Ibid,

(٦٥) – George Gabbour, op, Cit,' P. 149.

(٦٦) احمد يوسف احمد، السياسة البريطانية بعد هزيمة حزب العمال، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠، ص ٥٦ .

(٦٧) الجمعية العامة المتحدة، الوثائق الرسمية، الدورة (٢٤) ملحق رقم ٣٠ (ج ع/٧٦٣٠)، صص ١٧٤ — ١٧٧.

غير شرعي مثل اعلان الاستقلال وان ذلك لايؤثر على سياسة المملكة المتحدة بالاستمرار في فرض العقوبات على النظام في روديسيا الجنوبية (٦٨).

وفي عام ١٩٧٦ ابدت المملكة المتحدة اهتماماً بالغاً بمهمة د. هنري كيسنجر في افريقيا واقتراحه بحل المشكلة عن طريق المفاوضات بين الاطراف المعنية والاتفاق على تسليم السلطة للاغلبية الافريقية خلال عامين وعندما طلب مجلس الامن عام ١٩٧٨ اجراء الحوار المباشر بين الاطراف المعنية باشراف الامم المتحدة فان المملكة المتحدة استجابت لطلب المجلس وفي عام ١٩٧٩ تم اجراء المفاوضات والتوصل الى اتفاق لانكستر هاوس وقيام المملكة المتحدة برفع العقوبات الاقتصادية المفروضة ضد النظام.

نخلص الى ان موقف المملكة المتحدة من الجزاءات وهي الدولة صاحبة العلاقة، موقف منحاز في الواقع ومحايد في تظاهره.

المواقف غير الملتزمة :

ان ابرز المواقف غير الملتزمة بالجزاءات الاقتصادية صراحة هي موقف الولايات المتحدة الامريكية، المانيا الاتحادية، البرتغال وحكومة جنوب افريقيا. فقد اتسم موقف الولايات المتحدة الاميريكية على الرغم من انخفاض حجم التبادل التجاري خلال الفترة (١٩٦٥ ٪ ١٩٧١)(٦٩) ببقاء استيراد معدن الكروم من روديسيا الجنوبية والمحافظة على العلاقات الاقتصادية والابقاء على القنصلية الاميريكية في سالزبري، اضافة الى استمرار العلاقات الاقتصادية غير المباشرة عن طريق علاقاتها مع حكومة جنوب افريقيا (٧٠)، وينطلق هذا الموقف من الستراتيجية الاميريكية تجاه القارة الافريقية خاصة افريقيا الجنوبية بالمحافظة على مصالحها كما حددت في تقرير بعثه فرنسيس موتون المنشور عام ١٩٥٦ (٧١) والمذكرة السرية التي تعرف باسم « دراسة الامن القومي — مذكرة رقم ٣٩ والتي

(٦٨) محمد عبد المولى، حركات التحرر الافريقية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (د.ت)، ص ١١٧.

- Southern Rhodesian Trade, Objective: Iustice' U.N.Vol. 5,(٦٩) No4 1973, PP. 32-5.

(٧٠) محمد عبد المولى، مرجع سبق ذكره، ص ١١٨.

(٧١) برافينسكي، تحرير افريقيا، دار التقدم، موسكو، (د.ت)، ص ٢٣٦.

وضعها د. هنري كيسنجر عام ١٩٦٩ (٧٢)، واخيرا مهمة كيسنجر في ١٤ – ٩ – ١٩٧٦ الخاصة بايجاد حل سلمي للصراع العنصري في افريقيا الجنوبية وايجاد حل لمشكلة روديسيا عن طريق اجراء تسوية وجمع للاطراف المتنازعة على مائدة المفاوضات.

وتمثل موقف المانيا الاتحادية باستمرار التبادل التجاري مع روديسيا الجنوبية مع ملاحظة المحافظة على حجم الصادرات خلال الفترة ٦٥ – ١٩٧١ والانخفاض التدريجي في نسبة الاستيراد من روديسيا الجنوبية ، اضافة الى ذلك فان المانيا الاتحادية قد تعاونت مع نظام ايان سميث عن طريق قيام الخبراء الالمان ببناء معسكرات الاعتقال في روديسيا الجنوبية (٧٣).

اما موقف البرتغال فقد تميز بالامتناع صراحة عن تنفيذ قراري مجلس (٢١٦،٢١٧) اضافة الى الدعم الذي تقدم به نظام الدكتاتور سالازار من اجل استمرار نظام ايان سميث وعدم الالتزام بتنفيذ الجزاءات وذلك لالتقاء المصالح والاهداف المشتركة بينها وللسيطرة الاستعمارية البرتغالية على كل من انجولا وموزمبيق المجاورين لروديسيا الجنوبية (٧٤).

وجاء موقف حكومة جنوب افريقيا متماثلا لموقف البرتغال المتميز بالامتناع صراحة عن تنفيذ قرار مجلس الامن (٢١٦،٢١٧) اضافة الى دعم اقتصاديات روديسيا الجنوبية وادامة علاقاتها الاقتصادية مع الدول من خلال الشركات الاحتكارية الدولية في جنوب افريقيا فضلا عن المساعدات العسكرية التي قدمتها حكومة جنوب افريقيا (٧٥) ،ودخول القوات المسلحة الى روديسيا الجنوبية والتي اشار اليها قرار مجلس الامن ٢٧٧ بالطالب من حكومة جنوب افريقيا سحب قواتها من الاقليم .

المواقف الملتزمة :

ان ابرز المواقف الملتزمة بالجزاءات تمثلت بموقف الاتحاد السوفيتي ، موزمبيق ، منظمة الوحدة الافريقية والمؤتمر العالمي لدعم الشعب الزيمبابوي والناميبي فالاتحاد السوفياتي ادان نظام ايان سميث في روديسيا الجنوبية ولم يعترف به وأيد اجراءات الامم

(٧٢) مجلة رسالة افريقيا، العدد٢ السنة ١٩٧٥ ،ص ص –٢٦، العدد ٧ السنة ١٩٧٦ ص ص ١١ – ١٢.

(٧٣) محمد عبد المولى، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٢٦ – ١٢٧.

(٧٤) حمدي حافظ ، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٦ – ١٢٧

(٧٥) محمد عبد المولى، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٢٨ – ١٢٩.

المتحدة الخاصة بانهاء النظام اضافة الى التضامن مع شعب زيمبابوي في تقرير المصير (٧٦) .

ويعتبر موقف موزمبيق من ابرز واشجع المواقف التي التزمت بالجزاءات ، اذ اقدمت على غلق حدودها مع روديسيا الجنوبية في ٣ - ٣ - ١٩٧٦ على الرغم من كون هذا الاجراء ذو تأثير كبير على اقتصاديات موزمبيق (٧٧) ، لحداثة استقلالها في عام ١٩٧٥ .

وجاء موقف منظمة الوحدة الافريقية ليعكس لنا الموقف الملتزم لمعظم الدول الافريقية حيث نرى ان المنظمة اصدرت في دورتها الاستثنائية السادسة المنعقدة في أديس ابابا في ٢٢ - ١٢ - ١٩٦٥ قراراً بفرض الحصار الكامل على انظام ايان سميث (٧٨) . كاجراء للمساعدة في تطبيق قرار مجلس الامن المرقم ٢١٧ والتزمت معظم الدول الافريقية الاعضاء في المنظمة في هذا القرار .

وعند انعقاد المؤتمر العالمي لدعم الشعب الزيمبابوي والناميبي باشراف الامم المتحدة في موزمبيق في شهر مايس ١٩٧٧ ، تبنى هذا المؤتمر في برنامج العمل الذي اعلنـــه الجزاءات الاقتصادية التي فرضتها الامم المتحدة ضد نظام ايان سميث وطلب من الدول خاصة الدول الافريقية الالتزام بها . (٧٩) .

المواقف المتظاهرة بالالتزام

ان ابرز المواقف المتظاهرة بالالتزام بجزاءات الامم المتحدة هو موقف الكيان الصهيوني اذ نلاحظ عند صدور قرار مجلس الامن ٢٥٣ عام ١٩٦٨ أوضح الكتاب السنوي لحكومة (الصهاينة) ان الكيان الصهيونـي يـبذل كل مايستطيع من اجل تنفيذ قرار المجلس هذا (٨٠) ، وعند اتخاذ الجمعية العامة للامم المتحدة قرارها المرقم ٢٠٢٤ في ١١ - ١١ - ١٩٦٥ والمتضمن ادانة اعلان الاستقلال في روديسيا الجنوبية من جانب واحد ، أيدت الصهيونية هذا القرار حيث اصدرت وزارة الخارجية (الصهيونية) بيان رسمي ادانت فيه اعلان الاستقلال من جانب واحد وقيام الكيان الاستيطاني في روديسيا الجنوبية (٨١)

---

(٧٦) المرجع السابق ، ص ٥١٨

(٧٧) مجلة رسالة افريقيا ، العدد ٧ السنة ٤ ، ١٩٧٦ ، ص ٤ .

(٧٨) عزيز عبد المهدي الروام ، مرلا سبق ذكره ، صص ٧٠ - ٧٢ .ملخص

(٧٩) U- N,', Basic facts, Op. Cit., P.93.

(٨٠) Isoral Government year Book1968 - 1969 .p120

(٨١) اليوميات الفلسطينية ١٩٦٥/٧/١ - ١٩٦٥/١٢/٣١ ، المجلد الثاني ، مركز الابحاث التابع لم. ت.ف ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٢١٤ ، ص ٢٢١ .

ان (الصهيونية) بموقفها هذا كانت تهدف التظاهر امام الدول الافريقية المستقلة والتي اقامت معها علاقات بانها تعارض نظام ايان سميث وتسعى الى تحقيق حكم الاغلبية للشعب ، الزيمبابوي ، بالاضافة الى كسب جانب حركات التحرر الافريقية والنفوذ الى صفوفها للحد من نضالها ضد الانظمة الاستعمارية الاستيطانية خاصة نظام ايان سميث فضلا عن انها كانت تهدف الى اظهار الكيان الاستيطاني الصهيوني في فلسطين هو كيان شرعي قام بموافقة المجتمع الدولي الا أن الكيان الاستيطاني في روديسيا الجنوبية قد رفضه المجتمع الدولي .

وعلى الرغم من هذه المواقف المتباينة فان تأثير الجزاءات الاقتصادية ضد نظام الحكم في روديسيا الجنوبية قد حقق اهداف محددة تمثلت ب(٨٢) :

١ — اعاقة نظام الحكم من الاستمرار في السلطة .

٢ — ابقاء النظام في حالة عزلة دبلوماسية .

٣ — حمل نظام الحكم واجباره لممارسة سياسة اقتصادية لمواجهة المقاطعة الاقتصادية

٤ — ابقاء الرأي العام العالمي بحالة قلق تجاه قضية روديسيا الجنوبية وحالة دائمـة من الرفض لنظام ايان سميث غير الشرعي .

٥ — نشطت هذه الجزاءات حركة التحرر في روديسيا الجنوبية ودعمت موقف المعارضة لحكم ايان سميث غير الشرعي وانهاءه وتحقق الاستقلال الكامل وقيام دولة زيمبابوي .

---

(٨٢) - Guy Arnold, Southern Rhodesia: Increasing the Effectivenes of Sanctions' U N (i - Objective: Justice Vol. 5 No. 3, 1973.

الاستنتاجات :

الجزاءات الاقتصادية في المنظمات الدولية هي احدى التدابير التي تجد أساس مشروعيتها في المواثيق اللوائح الخاصة بالمنظمات الدولية ، كاجراء جزائي (عقوبة) يفرض على الدولة اوالدول التي تمارس أعمالا عدوانية غير مشروعة دولياً ضد الدول الاخرى ، أو تخل بالتزاماتها المنصوص عليها في المواثيق. وقد جرى تطبيقها بقرارات صدرت عن عصبة الامم والامم المتحدة .

واثبت الواقع ان الجزاءات التي جاء بها عهد عصبة الامم ظلت حبرا على ورق اذ عجزت العصبة عن تطبيقها وقت اللزوم فجردت بذلك الاحكام التي جاء بها العهد من كل قيمة عملية بنفس الوقت الذي شجع ذلك الدول المعتدية على المضي في اعتداءاتها المستمرة مما ادى الى قيام الحرب العالمية الثانية . وهذا الامر ينطبق تماما على الجزاءات التي اقرتها الامم المتحدة وفقاً لما جاء به ميثاقها عند معالجة بعض المشكلات الدولية عدا مشكلة روديسيا الجنوبية التي نجحت فيها الامم المتحدة الى حد ما وكان لها فاعلية وتأثير واسهمت بقدر معين على حل المشكلة واستقلال زيمبابوي .

ويلاحظ بان الامم المتحدة قد اغفلت مسألة الجزاءات عند معالجة كثير من المشكلات الدولية المعاصرة وخاصة التي تعرضت لها المنطقة العربية،قضية فلسطين والخطر الصهيوني على الامة العربية والاعتداء الايراني على القطر العراقي الذي تطور الى الحرب بين الطرفين واغفال هذا الجانب مكن الكيان الصهيوني والنظام الايراني بالاستمرار في العدوان غير المشروع دوليا ضد الامة العربية .

هل هذا الاغفال عجز من المنظمة الدولية لممارسة دورها وتطبيق ماجاء به ميثاقها ، أم أنها ترى مبررا لذلك عدم جدوى الالتزام بإجراءاتها والتقيد بها نرى لاهذا ولا ذاك بل ان الامم المتحدة اسيرة الدول الكبرى وستراتيجيتها في العلاقات الدولية؟

لذا فان الجزاءات الاقتصادية هي الاخرى وان اقرتها المنظمة الدولية يبقى الالتزام بها وتطبيقها مرهونا بمستقبل العلاقات الدولية ومدى تأثرها بسياسة الدول الكبرى .

قائمة المراجع :

– الوثائق :

١ – عهد عصبة الامم :

٢ – ميثاق الامم المتحدة :

الكتب

١ – د. محمود سامي جنينه ، القانون الدولي العام ، ط٢ القاهرة ، ١٩٣٨ .

٢ – عزيز عبد المهدي الزدام : المقاطعة الاقتصادية العربية ، لاسرائيل ، مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ١٩٧٩ .

٣ – د. عبدالحسين القطيفي ، القانون الدولي العام ج١ ، في اصول القانون الدولي العام ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٠ .

٤ – د. سعيد نوفل ، العمل العربي المشترك في المجال الدولي ، القاهرة ، ١٩٧١ .

٥ – د. علي صادق ابوهيف ، القانون الدولي العام، ط١٢ ، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٧٥ .

٦ – د. محمد سامي عبدالحميد ، قانون المنظمات الدولية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ط ٥ ، الاسكندرية ١٩٨٢

٧ – د . محمد السيد الدقاق ، التنظيمات الدولية العالمية والاقليمية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٧٨ .

٨ – حمدي حافظ ، المشكلات العالمية المعاصرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، والقاهرة ١٩٦٦ :

٩ – براغينسكي ، تحرير افريقيا ، دار التقدم ، موسكو (د. ت) .

١٠ – محمد عبد المولى ، حركات التحرر الافريقية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، (د .ت)

١ – الجمعية العامة للامم المتحدة ، الوثائق الرسمية : الدورة (٢٤) ملحق رقم ٣٠ ، (ج٤ – ٧٦٣٠) .

١٢ – اليوميات الفلسطينية ١ – ٧ – ١٩٦٥ – ٣١ – ١٢ – ١٩٦٥ المجلد الثاني ، مركز الابحاث التابع لم. ت.ف . بيروت ، ١٩٦٦ .

المجـلات : (المقالات والابحاث)

١ – د. عزالدين فودة ، المقاطعة العربية لاسرائيل ، مجلة الاهرام الاقتصادي. العدد ١٤٦ القاهرة ، ١٥ – ٩ – ١٩٦١ .

٢ – د. عبد الحسين القاطيعي ، المقاطعة الاقتصادية في العلاقات الدولية ، مجلة السياسة الدولية العدد ٧ ، القاهرة – كانون الثاني (يناير) ، ١٩٦٧

٣ – د. راشد البراوي ، الاستعمار البريطاني ومشكلة روديسيا الجنوبية مجلة السياسة الدولية ، العدد ٣ ، القاهرة ، كانون الثاني (يناير) ١٩٦٦ .

٤ – عواطف عبدالرحمن ، قضيه روديسيا والامم المتحدة ، مجلة السياسة الدولية العدد ٢١ ، القاهرة ، تموز (يوليو) ١٩٧٠ .

٥ – أحمد يوسف أحمد ، السياسة البريطانية بعد هزيمة حزب العمال ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) . ١٩٧٠

٦ – مجلة رسالة افريقيا ، الجمعية الافريقية ، القاهرة ، العدد ٢٠ السنة ١٩٧٥ ،

٧ – مجلة رسالة افريقيا ، الجمعية الافريقية ، القاهرة ، العدد ٧ السنة ١٩٧٦ .

1- U.N. Resolutions and Decisions of the Security Council (1963)' N.Y. 1966
2- ——————, (1965) N.Y. 1967.
3- ——————, (1966) N.Y. 1968.
4- —————— (1968), N'Y. 1970.
5- ——————' (1970), N.Y. 1971,
6- ——————' (1972), N,Y, 1973',
7- GAOR, (XVI), Supplement, No 17 (A/5100),
8- GAOR' (XVI), Supplement, No. 17 (A/5100/Add.I).
9- GAOR' (XVII), Supplement' N, 17 (A/5217),
10- GAOR, (xx), Supplement' No. 14 (A/6014),
11- United Nations' Basic Facts about the U.N., New York, 1980.
12- Isreal Government year Book, 1968-1969.
13- George Jabbour, Settler Colonialismin Southern Africa and Middle East, Beirut 1970.
14- Evian Lappin(' The Labour Covernment 1964-1970, Great Britian, 1970.
15- Southern Rhodesian Trade, Objective: Justice' U.N. Vol 5, No.4, 1973,
16- Guy Arnold, Southern Rhodesia: Increasing the Effectiveness of Sanctions, U.N. Objective: Justice, Vol.5, No. 3. 1973.

جريمة القتل غسلاً للعار بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي

د. ماهر عبد شويش
جامعة الموصل / كلية القانون السياسة

المقدمة

من الظواهر التي أخذت تلفت الانتباه ظاهرة ازدياد جرائم الزنا وهتك العرض ، وتقف وراء هذه الظاهرة اسباب عديدة وعوامل مختلفة تدفع البعض من النساء الى التردي في احضان الرذيلة ، كما تدفع بالبعض من الرجال الى اقتراف افعال الزنى التي قد تصل الى اتباع اسلوب القوة والاكراه من اجل اشباع ملذات النفس الامارة بالسوء بطاريق غير مشروع وغير شريف .

وقد ترتب على هذه الظاهرة ان ازداد عدد القتول التي تقع من اجل غسل العار وجبر الشرف الذي ثلمته الجريمة التي وقعت على شرف الانسان وكرامته وقد يتعدى القتل الزانية ليشمل كذلك شريكها – كما يحصل في الواقع الان – ونتيجة لهذه الزيادة رأيت انه من المناسب ان نبحث في هذا الموضوع لان من المبادىء الاساسية في الشريعة الاسلامية والتشريع الوضعي عدم جواز ترك فرض العقوبة اوايقاع الجزاء الجنائي لارادة الافراد ورغباتهم ، وانما يجب ان يكون حصراً بيد الولي او الحكومة اي لسلطة الدولة فاذا قام به الفرد اعتبر مرتكباً لجريمة القتل العمد اوالاصابة العمد على حسب الاحوال – فما هو التكييف الشرعي اوالقانوني لهذا الفعل ؟

ولذلك باعتقادنا ان الامر يتطلب ان نعالجه من وجهتين الاولى التعرف فيها ومن خلالها على موقف الشريعة الاسلامية السمحاء من جرائم القتل التي تقع غسلا للعار وذلك كي نضع المبادىء التي تحكم هذا الموضوع امامنا حتى نستطيع ان نستهدي بها الى الطريق القويم

لمعالجة الموضوع من الناحية الوضعية وهو ما تتضمنه الوجهة الثانية من المسألة ، بمعنى اننا يجب ان نقف على خطة المشروع الوضعي من حوادث القتل التي تقع غسلا للعار ومن ثم يمكن ان نتوصل الى بعض الحلول او المقترحات .

ولذلك عالجنا هذا الموضوع في مبحثين ، نتكلم في اولها عن موقف الشريعة الاسلاميـة من هذا الامر ، اما المبحث الثاني فسوف ندرس فيه موقف المشرع الوضعي من موضوع القتل غسلا للعار .



المبحث الأول

القتل غسلا للعار في الشريعة الأسلامية

قال الله سبحانه وتعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة...الخ) (١)
وقد اختلف الفقهاء المسلمين في تعريفهم للزنا،فقد عرفه الحنفية بانه (وطأ الرجل المرأة في قبلها بدون عقد شرعي ولا ملك يمين ولا شبهتهما)، كما يذهب الحنابلة الى ان الزنا (هو وطأ امرأة في قبلها وطأ حرا ما لاشبهه له في وطئها)، ومن هذه التعريفات نجد انها تخرج من نطاقها الوطأ في الدبر.

اما المالكية فقد عرفوه بانه (هو وطأ الرجل او المرأة في القبل او الدبر بدون حق شرعي او شبهته)، ويزيدون على ذلك بانه مرتكب الوطأ يجب ان يكون مكلفاً، فيخرج وطأ الصبي والمجنون، كما عرفه الشافعية بانه (ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً) وبنفس المعنى عرفه الشيعة الامامية (٢) وبذلك نجد ان الزوجية ليست ركنا في الجريمة — كما ستري في التشريع الوضعي، بل ان الزنا ينصرف الى فعل الوطأ سواء وقع مع قيام حالة الزوجية او بدونها كل ما للزوجية من اثر هو تشديد العقوبة، حيث عقوبة المحصن هي الرجم اما عقوبة غير المحصن — الثيب — فهي الجلد كما ورد في الاية الكريمة (٣).

ومما تجدر الاشارة اليه هو انه لايكفي في نظر الشريعة الاسلامية لقيام الزنا وجود رجل مع امرأة على فراش واحد او مداعباً لها او عاريا معها، ولكن في هذه الحالة عليهما التعزير مما يرجع فيه الى رأى القاضي يحكم فيه حسب قناعته.

وبعد هذا التقديم نرى ان نقسم هذا المبحث الى مطلبين ندرس في اولها الاتجاه العام للفقه الاسلامي في جرائم الاعتداء العرض والضوابط التي تحكمها ونخصص الثاني لبحث موقف الشريعة الاسلامية من القتل غسلا للعار.

---

(١) سورة النور الاية (٢).

(٢) انظر تفصيلا احمد الحصري: الحدود والاشربة في الفقه الاسلامي — مكتبة الاقصى عمان الاردن ،ص ٢٨ وما بعدها ،ابو الاعلى المودودي : تفسير سورة النور — دار الفكر بدمشق ص ٥٠ .

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر: د. عبد الرزاق قاسم الصفار: دراسة مقارنة بين المذاهب الاربعة والمذهب الجعفري في بعض احكام الجنايات — رسالة دكتوراه،جامعة كراجي— مسحوبة على الالة الرونيو— ١٩٨٣ — ص ٤٤٥ وما بعدها.

المطلب الأول

الاتجاه العام للفقه الاسلامي في جرائم الاعتداء على العرض

ان نظرة سريعة لموقف الشريعة الاسلامية وفقهائها من هذا النوع من الجرائم الخطيرة توصلنا الى درجة اليقين بان هذه الشريعة من اكثر الشرائع الدينية والوضعية حرصا على حماية الاسرة ودفاعا عنها من اجل ابقائها سليمة معافاة بعيدة عن كل مايشوبها ويعكر صفو الجو الاسري السليم وبما انه ليس في وسعنا في هذا البحث المتواضع ان نستعرض كل القواعد الشرعية التي وضعت من اجل دعم الاسرة المسلمة وحمايتها، فاننا سنقتصر على استعراض القواعد المرتبطة بموضوع الاعتداء على العرض وكيفية تنظيمها لضوابط ووسائل حماية الاسرة، ونرى أن الاصول الثابتة في الفقه الاسلامي تحيط الفرد المسلم بشبكة واسعة من القواعد الدينية والخلقية والضبطية التي تدعوه الى الابتعاد عن كل ما من شأنه ان يهبط به الى هاوية الشهوة ورذائل الجسد الزائلة ،لاخوفاً ولا خشية من سيف السلطان او حكم القاضي. — العقوبة — بل نتيجة ايمان صادق وعميق ومستقر في قلبه وضميره يبعده عن كل ما يفسد خلقه ويدنس روحه ، ولذلك نجد المصطفى (ص) يحذر من هذه الرذائل ، فعن عبد الله بن عمر (رض) قال: (أقبل رسول الله (ص) فقال: (يامعشر المهاجرين،خمس اذا ابتليتم بهن واعوذ بالله ان تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط ، حتى يعلنوا بها ، الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن مضت في اسلافهم الذين مضوا.. الخ(1) ولذلك نجد أن هذه التربية والتوجيه القويم ادى الى الاستقرار الاخلاقي للفرد المسلم والتصرف المنضبط الذي كان من نتيجته الحد الى درجة كبيرة من جرائم الاعتداء على العرض ووفر الحماية الكافية للاسرة المسلمة من كثير من الشرور التي تصاحب شهوات الجسد وخلجات النفس واضطراب الغرائز البشرية اذا انطلقت دون عقال ولا رقيب وما اقسى الرقيب اذا كان نابعاً من الذات.

الا ان الشريعة الاسلامية لم تقف عند هذا الأساس الاخلاقي السليم ، بل انها اتجهت الى دعمه وتركيزه وتأكيده بجملة قواعد اخرى لا تحمي جوهر الاسرة فحسب بل تحمي ايضاً كيانها الخارجي وسمعتها واعتبارها ، فنجد ان الشريعة الاسلامية ترفض الطعــن

(1) سنن ابن ماجة: الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ج ٢ — حققه محمد فؤاد عبد الباقي — ١٩٧٣م–١٩٥٣م — دار احياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي وشركاه — ص ١٣٣٢ — ١٣٣٣.

بالاعراض ، فلا تقبل من المسلم ان يرمى اخر بتهمة الزنا دون ان يكون ذلك صحيحــاً وثابت بادلة قاطعة والا تحمل القاذف العقوبة وهي ثمانون جلدة (١) ، لان من شأن قبـول ذلك دون اثبات اكيد ان يقوض بناء الاسرة المسلمة التي تنشد القواعد الشرعية إلى بقائـــه عالياً شامخاً بعيداً عن كل ما يمس به أو يزعزعه .

وترتيباً على ذلك اخذت الشريعة بفكرة حماية الاسرة كمبدأ عام واساسي ، حيث احاطتهـا بسياج من الاحكام والقواعد المحددة في قبول كل قول يخل بسمعة الاسرة ووجودها الا اذا بني ذلك القول على ادلة ثبوتية غاية في الدقة والوضوح إلى حد اليقين بوقوع ذلك الفعل .

ويمكن حصر الاحكام التي استقرت عليها الشريعة الاسلامية في حمايتها لكيان الاسرة وسمعتها بالامور التالية :

١ ـ التشدد في مسائل اثبات جرائم الاعتداء على العرض ـالزنا :ـ

لقد اشترطت الشريعة الاسلامية في مسألة اثبات هذا النوع من الجرائم توفر عدد من الشهود اكثر مما استلزمته في قضايا تبدو اشد خطورة في طبيعتها مثال ذلك جرائم القتل العمد (٢) .

فلقد اشترطت الشريعة الاسلامية حضور اربعة شهود عدول فعل المواقعة اي تشترط المعاينة الفعلية لفعل الزنا (٣) ، فقال تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً) (٤) وقال تعالى (واللاتي يأتيـن

---

(١) سورة التوبة اية ٤ .

(٢) ذلك بالرغم من ان جرائم القتل العمد أشد خطورة في طبيعتها من جريمة الزنا الا أن اثار الجريمة الاخيرة لاتقف عند حد معين بل تمتد الى كيان الاسرة ووجودها واعتبارها وبذلك تظهر حكمة التشدد في اثباتها.

(٣) كما ان الاقرار من وسائل الاثبات في جرائم الزنا وقد اختلف الفقهاء في كيفية حصول الاقرار وعدد المرات التي يقر فيها الزاني ، فيذهب رأي الى انه يكفي ان يقر الجاني مرة واحدة بينما يذهب الرأي الاخر الى ان الاقرار يجب ان يكون اربع مرات ، د.عبد الخالق النوادي: جريمة الزنا في الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا ص ٦٣ .

(٤) سورة التوبة الاية (٤) .

الفاحشة من نساءكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) (١) وقوله عز وجل (لولا جاءوا عليه باربعة شهداء) (٢) اما في الجرائم الأخرى من غير جريمة الزنا — فنجد ان الشريعة الاسلامية قد اكتفت بشهادة شاهدين من الذكور او رجل وامرأتين في الحدود التي تبيح فيها الشريعة الاسلامية قبول شهادة المرأة ، حيث قال تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ... الخ) (٣) .

كما يشترط في الشهادة في جرائم الزنا ، ان لا تختلف لا في الزمان ولا المكان (٤) اي يجب الا تختلف شهادة احد الشهود عن الاخرين من حيث الزمان والمكان كما اشترطت الشريعة الاسلامية ان يكون الشهود من الذكور ، فان شهد ثلاثة رجال وامرأتان بالزنا لم تجز شهادتهم فكانوا جميعاً قذفة (٥) .

واذا لم يكتمل نصاب الشهادة فيعتبر الشهود بحكم القاذفين ويقام عليهم الحد .

٢ — التمسك بالاصل العام وهو حسن النية والخلق القويم :

اتجهت الشريعة الاسلامية الى التمسك بالاصل العام وهو حسن النية والخلق القويم ، والابتعاد قدر الامكان عن الخوض في كل ما من شأنه المساس بشرف العائلة واعتبارها فعن سعيد بن المسيب ان رجلا من اسلم جاء الى ابي بكر الصديق (رضي) ، فقال له الرجل اني قد زنيت ، فقال له الصديق هل ذكرت هذا لاحد غيري ؟ فقال الرجل لا ، فقال له ابوبكر فتب الى الله فان الله يقبل التوبة من عباده ، فلم تقرره نفسه حتى اتى عمر بن الخطاب (رض) ، فقال له مثل ما قال لابي بكر ، فاجابه عمر (رض) مثل ما اجابه ابي بكر (رض) ، فلم تقرره نفسه حتى جاء رسول الله (ص) ، فقال له ان الاخر زنا فقال سعيد فاعرض عنه الرسول (ص) وكرر القول ثلاث مرات كل ذلك يعرض عنه رسول الله (ص) ، حتى اذا اكثر بعث رسول الله (ص) الى اهله فسألهم .. ، دايشك ام به

---

(١) سورة النساء (الاية ١٥) . (٢)سورة النور (الاية ١٣)

(٣) سورة البقرة (الاية ٢٨١) .

(٤) محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد القرطبي : بداية المجتهد ونهاية المقتصد — ج ٢ المكتبة التجارية الكبرى — بمصر — ص ٤٣٠ .

(٥) شمس الدين السرخسي : كتاب المبسوط ج٩ ، دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت ط ٣ ١٩٧٨ ص ٦٦ .

جنة»، فقالوا يارسول الله والله انه لصحيح فقال الرسول (ص): ابكر ام ثيب؟ فقال الرجل بل ثيب يارسول الله، فامر به الرسول (ص) فرجم (١).

وفي حديث اخر عن يزيد بن نعيم بن هذال عن ابيه قال: كان ماعز بن مالك يتيماً في حجر ابي، فاصاب جارية من الحي، فقال له ابي، ائت رسول الله (ص) فاخبره بما صنعت لعله يستغفرلك، وانما يريد بذلك رجاء ان يكون له مخرجاً، فقال فأتاه فقال يارسول الله اني زنيت فاقم علي كتاب الله، حتى قالها اربع مرات، فقال النبي (ص) «انك قلتها اربع مرات فيمن، قال بفلانة قال، (هل ضاجعتها؟) قال: نعم، قال «هل باشرتها» قال نعم، قال «هل جامعتها» قال نعم، قال فامر به ان يرجم، فاخرج به الى الحرة فلما رجم فوجد مس الحجارة (جزع) فخرج يشتد، فركض خلفه عبدالله بن انيس وقد عجز اصحابه فنزع له بلحي جمل ــ اي عظم ــ فرماه به فقتله، ثم اتى النبي (ص) فذكر له ذلك فقال، «هلا تركتموه لعله ان يتوب فيتوب الله عليه.» (٢).

ومن هذا يتضح ان اتجاه الشريعة الاسلامية هو الى المزج بين الناحية الاخلاقية والناحية الدينية، ولذلك لاضير ان يتوب الفاعل بالرجوع الى الله سبحانه وتعالى، ولذلك كان الرسول (ص) يصد عمن يعترف بالزنا الى ان يكررها او يشهد عليه اربعاً ــ كما ذكرنا ــ حتى يقيم الحد عليه حفاظاً للاسرة المسلمة واعتراض المسلمين.

٣ ــ اتجاه الشريعة الاسلامية إلى تشجيع الستر :

تتجه الشريعة الاسلامية الى الدعوى الى الستر ــ كما تدعو الى التوبة ــ ذلك ان الستر والتوبة لاتعني خلاصاً للمسلم من العقاب، بل هو يقتصر فقط على ضمان حماية دينويه لكيان الاسرة المسلمة واعطاء فرصة للمذنب لاصلاح نفسه واجتناب المعاصي وبعدها قد يتوب الله عليه او يعذبه بما جنت يداه وامرت به النفس.

واساس دعوة الشريعة ستر اعراض المسلمين وعدم التشهير بها عملا بحديث المصطفى (ص) الذي قال فيه (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والاخرة)، وعن ابن عباس عن النبي

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي: تنوير الحوالك، شرح موطأ الامام مالك ــ ج ٢ ــ مطبعة مصطفى احمد ــ مصر ــ ص ١٦٦ .

(٢) سنن ابي داود: الامام الحافظ ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق الازدي السجستاني ج ٢ ــ ط ١ ــ ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م ــ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، (علق عليه فضيلة الاستاذ احمد سعد علي) ص ٤٥٦ ــ ٤٥٧ .

(ص) قال (من ستر عورة اخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة اخيه المسلم، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته)(١). وعن ابن عمر (رض) قال: قال رسول الله (ص). (اجتنبوا هذه القاذورات (٢)، فمن الم بها فليستتر بستر الله وليتب الى الله فانه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله عز وجل) رواه الحاكم (٣).

وعن سعيد بن المسيب انه قال: بلغني ان رسول الله (ص) قال لرجل من اسلم يقال له (هزال، ياهزال لو سترته بردائك لكان خيرا لك، قال يحيى بن سعيد تحدثت بهذا الحديث) في مجلس فيه يزيد بن نعيم بن هزال الاسلمي، فقال يزيد، هزال جدي وهذا الحديث حق(٤) ولقد توسع الفقه الاسلامي في باب الستر وخصوصاً في مجال جرائم الاعتداء على العرض؛

فنجد ان الحنابلة ومعهم الشافعية قد ذهبوا الى انه من المستحب الستر على المسلمين وانه من كانت لديه شهادة على اخر فمن المستحب ان لايقيمها لان النبي (ص) قال: من ستر عورة مسلم في الدنيا ستره الله في الدنيا والاخرة، وانه يستحب للامام وغيره التعريض بالوقوف عن الشهادة بدليل قول عمر لزياد: اني لا أرى رجلا ارجو ان لايفضح الله على يديه رجلا من اصحاب رسول الله (ص)، ولان ترك الشهادة هنا افضل فلا بأس بدلالته على الفضل(٥) اي ان المقصود هنا هو عدم فضح المسلم اما اذا طلب امام القضاة فعليه اداء الشهادة وجوباً، وروى عن عمر (رض)، انه جلد ابابكرة(رض) في داره وامر امرأته ان تكتم ذلك (٦) واوضح الحنابلة ان التشهير بالمسلم حرام، وان محاولة اصلاح من ارتكب خطأ بالتستر عليه امر مرغوب فيه في الشريعة الاسلامية، واضاف الحنابلة انه يستحب للامام اوالحاكم الذي يثبت عنده الحد بالاقرار التعريض له بالرجوع اذا تم الايحاء له بالوقوف عن اتمامه

---

(١) سنن ابن ماجة: ج ٢ – المرجع السابق ص ٨٥٠ .

(٢) القاذورات ، جمع قاذورة، والمراد بها الفعل القبيح والقول السيء مما نهى الله تعالى عنه

(٣) الامام محمد بن اسماعيل الكحلاني الصنعاني : سبل السلام – ج ٤ – مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٥ (تعليق محمد عبد العزيز الخولي) ص ١٥، السرخسي كتاب المبسوط – ج ٩ ص ٩٧ .

(٤) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي :تنوير الحوالك – شرح موطأ الامام مالك ج ٢ – مطبعة مصطفى محمد – مصر – ص ١٦٦ .

(٥) احمد الحصري: المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٦) السرخسي : كتاب المبسوط –ج ٩ –ص ٤٤ .

اذا لم يتم واخذوا هذا مما روى عن الرسول (ص) من انه اعرض عن ماعز حين اقر عنده ثم جاءه من الناحية الاخرى فاعرض عنه حتى أتم اقراره اربعاً ثم قال: «لعلك قبلت، لعلك لمست»(١).

وعن سعيد بن المسيب قال جاء ماعز بن مالك الى عمر بن الخطاب (رض)، فقال له، انه اصاب فاحشة، فقال له عمر (رض) اخبرت بهذا احد قبلي قال ماعز، لا، قال عمر (رض) فاستتر بستر الله، وتب الى الله، فان الناس يعيرون ولايغيرون والله يغير ولا يعير، فتب الى الله ولا تخبر به احدا، فانطلق الى ابي بكر (رض) فقال مثل ماقال عمر (رض)، فلم تقر نفسه هذا حتى الرسول (ص)، فذكر له ذلك (٢).

وبذلك يتضح لنا على الرغم من ان الواجب يملي على كل مسلم اذا علم امرأ ان يشهد به، وهذا واجب مفروض على كل مسلم فان بعض الفقهاء لم ير بأساً من عدم الادلاء بالشهادة اذا ماتعلقت بجرائم العرض، بل ذهب البعض الى اكثر من ذلك بانه من المستحب كتمان الشهادة كما ذكرنا سابقاً.

فالادلاء بالشهادة والاخبار بما لدى الانسان هي القاعدة العامة المستقرة لقوله تعالى.. (واقيموا الشهادة لله)، كما روى عن الرسول (ص) قال (الا أخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها (٣)، اي يخبر بشهادته قبل ان يسألها)، ولذلك يعتبر ماذكرناه عن الشهادة في نطاق جرائم الاعتداء على العرض استثناء من هذه القاعدة المراد به تحقيق نفعاً اكبر وهو صيانة بناء الاسرة المسلمة وحفظاً لاعراض المسلمين.

٤ – درء الحدود بالشبهات :

على الرغم من مبدأ درء الحدود بالشبهات هو من المباديء المسلم بها باجماع الامة الا أن الفقهاء اختلفوا في سنده الشرعي، فبعضهم اتجه الى انه يرجع في سنده الى حديث الرسول (ص) الذي قال فيه « ادرأوا الحدود بالشبهات»، بينما اتجه رأي اخر في الفقه الى ان مبدأ درء الحدود بالشبهات لايعدو ان يكون قاعدة فقهية اجمع عليها فقهاء الامة

---

(١) احمد الحصري: المرجع السابق، ص ١٨٢ – ١٨٣.

(٢) ابن قدامة : المغني والشرح الكبير – ج ١ – دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م – ص ١٩٦ .

(٣) الحافظ بن حجر العسقلاني : بلوغ الحرام من ادلة الاحكام – مطبعة مصطفى بمصر، ص ٢٩٠ .

وأساسها ان الفقهاء اتفقوا على ان الحد لايجوز ايقاعه الابدليل خال من كل شبهة كما ارجعوه الى حديث الرسول (ص) ، روى عن طريق عائشة (رض) جاء فيه (ادرأوا الحدود عن المسلمين مااستطعتم فان كان لها مخرج فخلوا سبيله فان الامام ان يخطيء في العفو خير من ان يخطيء في العقوبة » (١) .
وروى عن عمر بن الخطاب (رض) لان اعطل الحدود بالشبهات ، احب الي من ان اقيمها بالشبهات) وعن معاذ وعبدالله بن مسعود وعتبة بن عامر رضى الله عنهم قالوا، اذا اشتبه عليك الحد فأدرأه (٢) .

والاشتباه اي الظن وهو عدم اليقين من قيام الزنا على وجه لازم واكيد وايا كان السند الشرعي لهذا المبدأ فانه مبدأ ثابت لا شك في انسجامه مع مبادىء احكام الشريعة الاسلامية الغراء ، وقد وجد هذا المبدأ مجالا رحباً للتطبيق في جرائم الاعتداء على العرض اذ يجب ان يكون الدليل سليم من كل شبهة .

ولذلك استقر الفقه الاسلامي على ان الشهود يجب ان يجمعوا على ان الزنا قد وقع فعلاً كاملاً تاماً ، اي يجب ان يشهد الشهود الاربعة على واقعة الزنا دون اختلاف — كما ذكرنا سابقاً — ويجب ان تكون شهادتهم واضحة لا غموض بها ولا ابهام ، فاذا لا يكفي ان يشهد على الزنا بأنه رآه يقبلها او يعانقها او ينام معها في فراش واحد ، وانما يجب أن تأتي الشهادة على فعل المواقعة كاملة اي الرؤية الفعلية لعملية الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة ، وهذا الرأي مجمع عليه عند الأئمة وجمهور الفقهاء (٣) .

ومن هذا يتضح لنا ان الاتجاه في الشريعة الاسلامية يرمي إلى التوجه قدر الامكان إلى الابتعاد عن التشهير بالمسلمين وضمان نقاء الاسرة وسلامتها بالتشدد في ثبوت جرائم الاعتداء على العرض فقد روي عن الرسول (ص) ، انه قال : «ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعا»(٤)

(١) الشيخ الامام كمال الدين محمد بن عبد الواحد : شرح فتح القدير للعاجز الفقير —ج ٥ — دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ٧ .
(٢) شرح فتح القدير : المرجع السابق ص ٣٢ — ٣٣ .
(٣) احمد محمود خليل: جريمة الزنا — ١٩٨٢ دار المطبوعات الجامعية بالاسكندرية، ص ٦٧ .
(٤) اخرجه ابن ماجة نقلا عن ابن حجر العسقلاني : بلوغ المرام من جميع ادلة الاحكام مطبعة مصطفى محمد بمصر — ص ٢٥٩، وسبل السلام: ج ٤ص ١٥ .

المطلب الثاني

موقف الشريعة الاسلامية من القتل غسلا للعار

لقد كشفنا في المطلب الأول عن موقف الشريعة الاسلامية من جرائم الاعتداء على العرض وكان هدفنا من ذلك وضع الاساس الاول للشريعة من هذه الجرائم وتوضيح المبادىء العامة التي تحكمها وذلك تمهيداً للوقوف على موقف الشريعة من القتل الذي يقع على الزاني والزانية غسلاً للعار الذي تلحقه جريمة الزنا بالمجنى عليها فيها .

فسوف نقسم هذا المطلب إلى فرعين ندرس فيهما حالة القتل في وضع التلبس بالزنا ، اما الفرع الثاني فندرس فيه حالة القتل في غير حالة التلبس .

— الفرع الأول —

موقف الشريعة الاسلامية من القتل في حالة التلبس

في هذا الموضوع لم نجد الا جملة من الأقوال والاراء يذكرها الفقه الاسلامي في مواضع مختلفة لم تجمعها نظرية عامة متكاملة تعالج هذه المسألة ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لم نجد نصوصاً صريحة تعالج هذا الموضوع عدا الاحكام العامة في القتل — كما لم نجد ان هناك حادثة معينة عرضت على الرسول (ص) واصدر فيها حكمه ، وكل ما هناك اثر عن الرسول (ص) وكان مجرد جواب عن سؤال محصن ورد على لسان سعد بن عبادة ، نورده لانه النص الثابت عن الرسول (ص) : عن ابي هريرة ان سعد بن عبادة قال لرسول الله (ص): أرأيت لو اني وجدت مع امرأتي رجلا ، امهله حتى آتي باربعة شهداء ؟ قال الرسول (ص)، نعم (1) وقد روى الحديث اكثر من رواية منها عن سلمة المجتهد قال : قيل لابي ثابت سعد بن عبادة وكان رجلا غيوراً ، ارأيت لو انك وجدت مع امرأتك رجلا ، اي شيء كنت تصنع ، قال كنت ضاربها بالسيف ، انتظر حتى اجيء باربعة إلى ما ذاك قد قضى حاجته وذهب ، او اقول رأيت كذا وكذا فتضربوني الحد ، ولا تقبلوا لي شهادة ابداً ،

---

(1) الامام مالك ابن انس: الموطأ: منشورات دار الاقامة الجديدة — ط ١٩٧٩، ص ٧١٢ ـ ٧١٣.

قال فذكر ذلك للنبي (ص) فقال (ص) (كفى بالسيف شاهداً) ، ثم قال «لا اني اخاف ان يتتابع في ذلك السكران والغيران» (١)

وقد روي أن رجلاً من اهل الشام يقال له ابن خيبري وجد مع امرأته رجلاً فقتلـه او قتلهما معاً فكتب معاوية يسأل عن حكم هذه القضية فاجاب علي بن أبي طالب (رض) انه يجب ان يأت باربعة شهداء على الزنا (٢) .

والمشكلة تبدو في ان ما روي عن حديث سعد بن عبادة هي روايات مختلفة وبذلك لم تكن المسألة واضحة وقاطعة في تلك الروايات ، ثم أن الاحاديث المنقولة كانت منصبة في الاساس على تساؤلات أفتراضيه بحتة . ولم تكن حاسمة لنزاع معين مما يستوجب معه الدقة والتمحيص لمعرفة الحكم الشرعي بشأنها . وهذا السبب هو الذي ادى إلى الاختلاف في الرأي حول من رأى مع امرأته رجلاً فقتله او قتلها معاً .

ولذلك انقسم الفقه الى اتجاهين : الاول يذهب الى ان القاتل عليه القود اي انــه يصبح محلا للقصاص الذي ثبت بالايات الكريمة ، اما الاتجاه الثاني ففيه بعض التفصيل .

فالرأي الاول يذهب الى انه من يقتل الزاني في حالة التلبس يقتل به لانه ليس له ان يقيم الحد بغيراذن الحاكم ، وقد ذهب الطهلي الى ان حديث سعد بن عبادة دال عـلى وجوب القود فيه على من قتل رجلا وجده مع امرأته لان الله عزوجل ان كان اغير مـن عبادة فانه اوجب الشهادة في الحدود فلايجوز لاحد ان يتعدى حدود الله ولايسقط دما وعن الثوري عن المغيرة عن النعمان عن هاني بن داهم أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتلهما قال يكتب،عمر (رض) كتاب في العلانية ، كان يقتلوه في السروان يعطوه الديه(٣) واما الرأي الثاني فيذهب الى ان القاتل لايقتل ويعذر في مافعله اذا ظهرت امارات صدقة ويشترط احمد واسحاق رحمهما الله ان يأتي بشاهدين على انه قتله بسبب ذلك ، وقـد

(١) وقد روي بشكل اخر ، عن أبي هريرة، ان سعد بن عبادة الا نصاري قال: يارسول الله، الرجل يجد مع امرأته رجلا ،ايقتله قال رسول الله (ص)،لا قال سعد: بلى والذي اكرمك بالحق : فقال رسول الله (ص)، (اسمعوا مايقول سيدكم» ،سنن ابن ماجة: ج ٢ – ص ٨٦٨ – ٨٦٩ .

(٢) الا مام مالك بن انس: الموطأ – ص ٧٢٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني : في شرح البخاري، المسمى (فتح الباري – ١٩٥٩ ص ١٨٩ – ١٩٠).

وافقهما على هذا الشرط بن القاسم وابن حبيب في المالكة ، ولكن زادوا عليه ان يكون المقتول محصناً ، واذا كان غير محصن فعلى القاتل القود حتى وان اتى باربعة شهود (١) .

قال اصبغ عن ابي القاسم انه استحب الدية في البكر ، قال المغيرة لا قود فيه ولا دية وقد اهدر عمر (رض) دماء من هذا الوجه ، وقال ابن المنذر ان الاخبار عن عمر (رض) من هذا مختلفة منقطعة ، فان ثبت عن عمر انه اهدر الدم فيها فانما ذلك لشيء ثبت عنده يسقط القود . (٢) .

اما الجمهور فقد ذهبوا الى انه لايعفى من القصاص الا ان يأتي باربعة يشهدون على الزنا او يعترف به المقتول قبل موته بشرط ان يكون محصناً (٣) هذا اهم ماوجدناه عن هذا الموضوع ، ورغم ان الانسان يستفز استفزازاً خطيراً عند مشاهدته لمنظر زوجته مع رجل آخر في حالة التلبس بالزنا وقد يفقده هول المنظر وثورة الغضب ان يمسك زمام نفسه وتفلت منه السيطرة على اراداته ويرتكب فعل القتل ، الا أنه يمكن لنا ان نستعرض هنا المبادىء المستقرة في الشريعة الاسلامية حول هذا الموضوع والتي اشرنا الى بعضها سابقاً .

١ - ان وجوب حضور الشهود الاربعة لاثبات جريمة الزنا هو من القواعد المستقرة في الشريعة الاسلامية وذلك لانها مؤكدة في كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء والصحابة ، ولايقيم الامام الحد على الزاني الا بهذه الشهادة وبالشروط التي ذكرناها سابقة فكيف نتساهل بشأنها مع الفرد العادي ؟ ثم نعطيه الحكم بقيام الزنا وفرض وتوقيع العقوبة استناداً الى مشاهدته حر فقط .

٢ - ان اعطاء الحق للزوج بقتل زوجته اوشريكها اوقتلهما معاً عندما وجدهما في فراش واحد وعدم توجيه العقوبة له سوف يؤدي الى نتيجة غريبة لاتتفق مع احكام الشريعة الاسلامية في موضوع جرائم العرض ، وهي ان القاضي بعفوه عن الزوج القاتل قد أيد ثبوت الزنا على الزوجة لمجرد قول الزوج القاتل دون التحقق من صحة نسبة الزنا بشهادة اربعة شهود ، وهذا يخالف شروط الاثبات التي ذكرناها .

---

(١) ابو الاعلى المودودي: تفسير سورة النور - ص ١١٠ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : في شرح البخاري، المسمى (فتح الباري) - ص ١٨٩

(٣) ابو الاعلى المودودي: تفسير سورة النور -١١٠ - ١١١.

٣ — ان الاحاديث التي رويت عن الرسول (ص) تدل على رفض الرسول (ص) للرأي القائل بان من حق الرجل قتل زوجته وشريكها اواحدهما دون احضار الشهود الاربعة : بل انه (ص) استدرك عندما قال ، وكفى بالسيف شهيداً فقال (لا) .

٤ — ان الرأي الفقهي القائل بوجوب التفرقة بين حالة كون الزاني محصناً فيجيز القتل وحالة كونه غير ذلك فعلى القاتل القود ، نجد ان هذا القول يصعب تبيانه من الناحية العملية ، اذ كيف يتسنى للزوج ان يعرف ان الزاني محصن او غير محصن ، فالمسألة يجب الاتعلق على امر لايمكن معرفته وقت وقوع القتل خصوصاً اذا كان شريك الزوجة ، مجهولاً بالنسبة للزوج ، ان المهم في المسألة — باعتقادنا — هو هل يعطي الحق للزوج في قتل الزوجة وشريكها في حالة التلبس ام لا ؟ .

أي يجب ان يعرف المسلم ان هذا الفعل مباحاً اومجرم مسبقاً حتى اذا اتاه سوف يعلم حكم الشرع فيه .

الفرع الثاني

موقف الشريعة الاسلامية من قيام الفرد بالقصاص من الجاني (شريك الزوجة) *

كان نظام الثأر هو النظام السائد قبل وجود الدولة ، ولكنه بقي معاصراً لها الى فترة الى ان استطاعت الدولة ان تستكمل مؤسساتها العقابية فهجرت بذلك هذا النظام بشكل نهائي والى الابد . وقد بينت الدراسات الحديثة مساوىء الثأر ومنها ، عدم التناسب بين العقوبة والجرم ، فقد ينال الشخص حقه كاملا او اكثر اذا كان قادراء وقد لاينال شيئاً اذا كان ضعيفاً كما قد يقع صاحب الحق في الخطأ في معرفة غريمه الحقيقي فيتوجه بثأره الى شخص اخر غير الجاني الحقيقي ، وقد يتوجه الثأر ابتداء الى غير الجاني الحقيقي اذا اختفى فيقع النعل على احد اقاربه ابتداء اذا عجز صاحب الحق عن النيل من الجاني الحقيقي ، واخيرا نجد ان صاحب الحق لايتجه الى البحث عن دليل لاثبات الجرم على خصمه قبل الاقدام على الثأر منه بل يكتفي في ذلك على مايستقر عليه ضميره من اعتقاد دون تمحيص او بحث دقيق عن الجاني الحقيقي ، ولا نرى في القصاص من الجاني (شريك الزوجة او المحرم) الا نوعا من الانتقام

(*) نقصد بهذه الحالة عندما يعلم الفرد بوقوع جريمة الزنا في غير حالة التلبس فيلجأ الى الاقتصاص من الزاني الذي اتى الفعل مع الزوجة او مع احدى المحارم .

او الأخذ بالثأر حيث يصعب قبول ذلك في ظل الشريعة الاسلامية التي أوجدت مؤسسات محايدة متخصصة في الحكم بين المسلمين وانزال حكم الشرع بمن يثبت عليه الفعل وفقاً للقواعد الاجرائيه والموضوعية المستقرة في الشريعة الاسلامية ، ولذلك نجد ان ماقلناه بصدد الاخذ بالثأر ينطبق على اعطاء الفرد الحق في القصاص من الزاني شريك الزوجة، فقد يلجأ الزوج الى قتل الجاني في حين ان هذا الاخير لايستحق حسب احكام الشريعة الا عقوبة الجلد لكونه غير محصن، كما ان حالة الزوج قد لاتؤهله — في بعض الحالات — من الحكم على الواقعة بصورة صحيحة كأن يكون سكرانا او فيه عاهه او مرض عقلي او نفسي او ان يكون شديد الغيرة سريع الثورة فتلتبس عليه الامور فيقدم على القتل بالظن دون اليقين، وهذا عين ماقصده الرسول (ص) بقوله (لا، اني اخاف ان يتتابع في ذلك السكران والغيران) .

ثم ان مسائل الحدود لايمكن ان تترك للافراد فهي تمس جوهر المجتمع وترتبط باسس العقيدة والقواعد الشرعية مما يجب ان ينحصر امر البت فيها باولي الامر فقط.

ولو وجدنا رجلا يتساهل في جرائم العرض ووجد رجلا في فراش زوجته فعفا عنهما ، اى تسامح في هذا الفعل، ووصل الامر الى السلطان وشهد على ذلك اربع شهود، فهل يترك الامر لقول الزوج — كما فعل القول الرضي — ام ان الحد يجب ان يقام على الزاني ووقوعه امر محتوم لامحاله ؟

ان هذا النظر هو الذي جعل المشرع الاسلامي الحكيم يمنع على الزوج، واى محرم، من الاقتصاص من الزاني نفسه، لان تقرير الحق لهم في ذلك يتضمن من جانب اخر منحه حق العفو عن الزاني والزانية، وبالتالي يعتبر الفعل مباحا مادام قد وافقهم عليه الزوج ، لان من يملك الشيء يملك حق التنزول عنه، وهذا الامر محال في الشريعة الاسلامية لتعلقه بحدود الله عز وجل والتي لايد للفرد فيها وليس له عليها اى سلطان، ولذلك فان الامر فقط متروك للقاضي المسلم هو الذي يقيم الحد على الزاني، حيث اجمع فقهاء الامة على ان ليس الخطاب في قوله تعالى (فاجلدوا ، لعامة الناس واحادهم وانما هو لحكام الدولة الاسلامية وقضاتها (١)

---

(١) ابو الاعلى المودودي: تفسير سورة التوبة، ص ٥٦ .

غير ان هناك خلافاً حول كون سيد العبد مباحا له اقامة الحد على عبده، وانقسم الرأى الى مذهبين (١) :

الاول يذهب الى ان السيد لايملك الحد على عبده او جاريته بعلمه دون بينة او اقرار من المملوك واحتج اصحاب هذا الرأى بما يحتج به بالنسبة لمنع الامام من اقامة الحد بعلمه مع قوة ولايته فغيره لايملك هذا الحق من باب اولى، ومن هذا الرأى المذهب الحنفي ، اما المذهب الثاني فيذهب انصاره الى ان السيد من حقه اقامة حد على عبده او جاريته اذا علم منهما او من احدهما مايوجب الحد عليه، وحجة هذا الرأى بأن السيد حق تأديب عبده بعلمه، وهذا يجرى مجرى التأديب، ولان السيد اخص بعبده واتم ولاية عليه، ومن هذا الرأى الشافعية والمالكية.

المبحث الثاني

موقف التشريع الوضعي من القتل غسلا للعار

تقديم : لم يعرف المشرع الوضعي الزنا وانما تركه لشراح ، ولقد عرف الزنا بأنه اتصال شخص متزوج – رجلا او امرأة – اتصالا جنسياً بغير زوجه (٢) كما عرف بأنه (ارتكاب الوطء غير المشروع من شخص متزوج مع امرأة او رجل برضاه حال قيام الزوجية فعلا اوحكماً (٣) ، والزنا وفقاً للقانون الوضعي جريمة ترتكبها الزوجة اذا اتصلت جنسياً برجل غير زوجها ويرتكبها الزوج اذا تصل جنسياً بأمرأة غير زوجته ويمكن ان نعرف الزنا بمعناه العام ، كل صلة جنسية غير شرعية بين رجل وأمرأة ، وبذلك يشمل حالات زنا الزوجية وغيرها التي تتطلب ، بطبيعتها طرفين : الا ان

(١) انظر ابن قدامة: المغني والشرح الكبير –ج ١٠، ص ١٩١ – ١٩٢. احمد الحصري – المرجع السابق، ص ١٨٢ ، والشيخ عبد الغني الغنيمي الدمشقي ، الميداني ، الحنفي ، اللباب في شرح الكتاب، حققه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد – ج ٣ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده بمصر ،ص ٧٨.

(٢) د. محمود نجيب حسني : شرح قانون العقوبات – القسم الخاص – دار النهضة العربية ١٩٧٨، ص ٤٥٦ .

(٣) د. عبد الخالق النواوى : التشريع الجنائي في الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي – دار الثقافة – بيروت ٤٧ .

فاعل الجريمة هو المتزوج منهما . اما الطرف الاخر فهو شريك فيها ، ذلك ان جوهر هذه الجريمة ليس الاتصال الجنسي في ذاته – كما هو في الشريعة الاسلامية – ولكن ماينطوي عليه هذا الاتصال من اخلال بالثقة الزوجية والاخلاص الزوجي ، وبذلك فان المشرع قصد من تحريم الزنا صيانة وحماية اهم حقوق الزوجية ويضع لها الحماية الجنائية لادامة صلة الزواج كنظام اجتماعي وقانوني .

وبعد هذا التقديم نود ان نلفت النظر الى اننا لانريد ان ندرس جريمة الزنا واركانها وعقوبتها وانما نقصد البحث في التكييف القانوني لفعل الذي يأتيه الفرد والذي يصل الى حد القتل الذي يقع على الزوجة اواحدى المحارم بسبب ممارستها لفعل المخالف للأداب أي الزنا بمعناه الواسع – أي الذي يشمل زنا الزوجة اوغيرها من النساء المحرمات على الفاعل اوابنة عمه او عمته وسوف نقسم هذا البحث الى مطالب ثلاثة ، ندرس في اولها الاحكام العامة لجرائم العرض بصورة موجزة ، ونخصص الثاني لدراسة التكييف ، القانوني لفعل القتل عند المفاجأة بالتلبس بالزنا ، اما المطالب الثالث فسوف ندرس فيه ، التكييف القانوني افعل القتل عند وصول علم الشخص بزنا الزوجة او المحرم .

المطلب الأول

الاحكام العامة في جرائم العرض

نستطيع ان نقرر ان المشرع الجنائي الحديث لم يتبن نظرية عامة متكاملة لجرائم العرض ، كما ان التشريعات الحديثة لم تضع قواعد عامة محددة لمسألة الافعال التي تقع من الأفراد جبراً لشرف الاسرة ورداً لاعتبارها الذي ثلمته جريمة الزنا وهي ما نسميه القتل غسلاً للعار .

ولذلك نجد المشرع الحديث يتكلم عن جريمة زنا الزوجة وزنا الزوج ويضع القواعد التي تحكم كل منها ، ثم يتكلم عن جرائم الوقاع او هتك العرض او الافعال المخلة بالحياء التي تقع بدون رضا المجنى عليها او التي تقع على من هو دون الثامنة عشر من العمر حتى وان حصل رضاء المجنى عليها اذ لا يعتد المشرع برضاها في هذه الجرائم ما دامت لم تتم الثامنة عشرة من العمر .

وهذا ما فعله المشرع العراقي حيث نص على جريمة زنا الزوجية في المادة (٣٧٧) من قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩، ثم تكلم عن الجرائم المخلة بالاخلاق والاداب العامة في

الباب التاسع من الكتاب الثاني والذي جاءت مواده مقررة للمسؤولية الجنائية على من يرتكب احدى هذه الجرائم ضد الانثى او الذكر الذي لم يبلغ الثامنة عشرة سنة ، مثال ذلك (م٣٩٦ و٣٩٧) ومن هذه النصوص نجد ان المرأة اذا قامت باحدى الافعال التي تعتبر مخلة بالاداب والاخلاق ، اي اذا ما ارتكبت جريمة الزنا فان فعلها هذا لا يشكل جريمة وبالتالي لا تخضع لاحكام قانون العقوبات اذا كانت الزانية قد بلغت الثامنة عشر من العمر ووقع الفعل برضاها (١) .

اي ان الرضاء يبيح الفعل اذا صدر عن شخص بالغ سن الرشد القانوني (٢) وهذه الخطة التي تتبعها معظم التشريعات الحديثة تدل على اعتراف هذه التشريعات للناس بالحرية الجسية، وبالتالي يقتصر العقاب على الافعال التي تشكل اعتداء على هذه الحرية .

ولقد انقسم موقف التشريعات العربية بشأن عقاب المرأة الزانية اذا لم تكن متزوجة وكان الفعل قد وقع برضاها الى مذهبين:

المذهب الأول :

تذهب هذه التشريعات الى اعتناق مبدأ اباحة فعل الزنا اذا قام الرضا من الزانية البالغة سن الرشد ومن هذه القوانين كما ذكرنا قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ ، حيث لايشكل فعل المرأة الزانية البالغة جريمة اذا وقع الفعل برضاها الصحيح.

ولكن المشرع العراقي اخذ بمسؤولية المرأة الزانية برضاها في حالة واحدة وهي الحالة التي جاء بها قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٤٨٨ في ١١ – ٤ – ١٩٧٨(٣) والذي جاء في فقرته (ثانيا) مايلي:

«يعاقب بالسجن المؤبد مرتكبا فعل الوقاع او اللواط ذكرا او انثى ، اذا تم الفعل برضاهما وكانا قد اتما الثامنة عشرة من العمر وكانت درجة القرابة بينهما الى الدرجة الثالثة» .

ونلاحظ ان المشرع اراد ان يحمي علاقة القرابة ويسمو بصلة الرحم الى ما يجب ان تسمو له من الاحترام والتقدير بين الارحام، ولذلك فرض هذه العقوبة كي لاتستغل علاقة القرابة

(١) هذا في غير حالات البغاء التي تخضع لاحكام قانون البغاء رقم ٥٤ لسنة ١٩٥٨ حيث لم تكن موضوع بحثنا.

(٢) وهذا خلاف موقف الشريعة الاسلامية كما وجدنا سابقاً، الذي لا تبيح الفصل ولا تعلقه على ارادة ورضاء الزاني .

(٣) تنشر في جريدة الوقائع العراقية، العدد ٢٦٥٠ في ١٩٧٨/٤/٢٤ .

لامور مخلة بالاخلاق والاداب مما يسيء الى صلة القرابة التي يجب ان تكون مبعثا للاحترام والتقدير .

ومن هذا المذهب كذلك قانون عقوبات الاردني الصادر سنة ٩٦٠ وقانون العقوبات الجزائري الصادر سنة ٩٦٦ ، وقانون عقوبات البحرين، وقانون العقوبات المصري لسنة ١٩٣٧ ، وقانون العقوبات السوري، وقانون العقوبات اللبناني، وقانون العقوبات التونسي وقانون عقوبات دولة الامارات العربية والسوداني ، وهذه القوانين لم تتضمن نصا على عقوبة المرأة — غير المتزوجة — التي ترتكب فعل الزنا برضاها .

ولكن هذه القوانين جميعها تضمنت نصوصا تعاقب الزوج او الزوجة في حالة ارتكاب احدهما لجريمة الزنا على خلاف في بعض التفصيلات، ولكن معظمها — ومنها القانون العراقي — يتطلب في جريمة زنا الزوج ان تقع في منزل الزوجية ، وهذا الموقف منتقد ومرفوض اذ ان الجريمة يجب ان تعتبر قائمة اذا ثبتت على الزوج اينما ارتكبها وليس هناك اى مسوغ قانوني او منطقي يدعو الى هذا الشرط ، الذي ان تحقق يدل على امعان كبير في الاستهتار بقيم الزوجية وعلاقتها التي يجب ان ترتفع عن كل الدناءات ، ولذلك نرى وجوب تدخل المشروع لتعديل هذا النص بما ينسجم مع قيم وتقاليد مجتمعنا الذي يمقت هذا الفعل الشائن.

المذهب الثاني :

وتذهب التشريعات العربية الاخرى الى اقامة المسؤولية على الزاني ولوكان غير متزوج حتى وان اتى فعله عن رضا صحيح لاتشوبه شائبة . اذ ان جريمة الزنا معول هدام في المجتمع ، فاذا ابيحت الاعراض لمجرد رضاء من تسول له نفسه من ضعاف النفوس نجا من كل عقاب تداعى صرح المجتمع وتقوضت اسسه الذي يجب ان تقوم على الخلق القويم والصلات المشروعة ، فاذا تركنا هذه المسألة لتحكم الفاعل فسد المجتمع وانهار بناءه لذلك ووفقاً لهذا المذهب فان المسألة الجنائية تقوم على اعتبار ان شرف الانسان واعتباره حق للمجتمع باسره قبل ان يكون حقاً شخصياً له لذا يجب ان يضع المجتمع من الضوابط مايصون له شرف وا عتبار اعضاءه الذي هو في نفس الوقت الاساس السليم للمجتمع ، الصالح القويم .

ولذلك ذهبت بعض التشريعات العربية الى اقامة المسؤولية الجنائية على الزاني مهما كانت صفته ومهما كان موقفه من الفعل — سواء تم برضاه اوبدونه ومن هذه القوانين

قانون الجزاء الكويتي رقم ١٦ لسنة ١٩٦٠ . (م ١٩٤) ، وقانون العقوبات المغربي (م ٤٩٠) ، وقانون العقوبات القطري (م٢١٢) ، وقانون العقوبات الليبي (م ٤٠٧) .

وهذه القوانين تختلف في العقوبة ، ولقد وجدنا ان اشدها هو القانون الليبي الذي جعل العقوبة هي السجن مدة لا تزيد على خمس سنوات (م ٤٠٧) .

زنا المحارم :

ان من اخطر الافعال واكثرها قذارة وهمجية هو ان يأتي الشخص ذو رحم محرم عليه شرعاً ويمارس معه فعل الزنا اومافي حكمه ، وهذا الفعل وما ينطوي عليه من فضاعة وخسة في الخلق . مناراً للحزن والاسى لوضع يصل فيه الانسان وغرائزه الجنسية الى درجة وطء المحرمات ، ولذلك نجد ان رد الفعل الاجتماعي على هذا الفعل شديد وقوي أذ لم يمقت المجتمع ولم يستهجن فعل مثل مايمقته على الزاني بالمحرم . ولذلك نجد ان المشرع العراقي انتبه الى هذا الفعل الدنيء وجرمه في قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٤٨٨ في ١١ — ٤ — ١٩٧٨ المشار اليه سابقاً وقد عاقب المشرع في هذا القرار بعقوبة الاعدام على جريمة الزنا بالمحارم ، وفي حالة قيام الرضا من جانب الانثى البالغة الثامنة عشر تكون العقوبة السجن المؤبد .

وهذا النهج من جانب المشرع العراقي نهجاً سليماً موفقاً اذ ان هذه الجريمة كما ذكرنا تدل على منتهى الخسة وتنم عن نفس شريرة لا يمكن ان يصلح صاحبها ، كما ان قانون الجزاء الكويتي قد تضمن نصوصاً على هذه الحالة ، ولكن العقوبة التي فرضها القانون الكويتي لم تصل الى الاعدام ، فالشخص الذي يواقع ذات رحم محرم منه — وهو عالم بذلك ، بغير اكراه او تهديد او حيلة ، وكانت المرأة تبلغ الثامنة عشر يعاقب بالحبس مدة لا تجاوز عشر سنوات وبغرامة عشرة الاف روبية او باحدى هاتين العقوبتين .

اما اذا كانت المجنى عليها لم تتم الثامنة عشر من عمرها ، وبلغت التاسعة ، فإن العقوبة تصبح الحبس مدة لا تجاوز خمس عشرة سنة ، ويجوز ان تضاف اليها الغرامة التي لا تزيد على خمسة عشر الف روبية (١) .

كما ان القانون الكويتي عاقب كل انثى اتمت الثامنة عشر من عمرها وقبلت ان يواقعها ذو رحم محرم ، وهي تعلم صلتها به (٢) ، وبذلك نجد ان المشرع العراقي اكثر تشدداً مع

(١) ١٨٩ من قانون الجزاء الكويتي :

(٢) م١٩٠ من القانون نفسه.

الشخص الذي يأتي فعل الوقاع مع ذي رحم محرم منه وهذا الموقف هو الذي نؤيده ونرجو ان يسلكه مشرعنا في جميع انواع الجرائم الواقعة على العرض اي جرائم الزنا .

والذي نريد ان نخلص اليه هو ان جريمة الزنا في التشريعات العربية ومنها قانون العقوبات العراقي — عدا ما نص عليه قرار ٤٨٨ — لم تنل من المشرع الاهتمام الذي تستحقه مثل هذه الجريمة ، ففي جميع القوانين العربية نجد ان عقوبة الزوجة او الزوج الزاني عقوبة بسيطة وقد تكون الغرامة اذ ان معظم القوانين يترك تقدير العقوبة بين الحبس والغرامة إلى سلطة المحكمة التقديرية ، كما اننا وجدنا ان الرضا يبيح الفعل المخالف للاخلاق والاداب العامة اذ صدر عن شخص بالغ سن الرشد .

واكثر من هذا نجد ان القانون العراقي — ومعه جميع التشريعات العربية — يذهب إلى ان الدعوى لا تحرك ضد الزوجة الزانية الا بناء على شكوى الزوج المضرور من الجريمة . حيث لا تقبل الشكوى اذا رضي الشاكي باستئناف الحياة الزوجية بالرغم من علمه بوقوع الجريمة من الزوج الاخر ، وكذلك لا تقبل الشكوى اذا ثبت ان الزنا تم برضاء الشاكي ، وللزوج الشاكي ان يتنازل عن شكواه ؛ كما تنقضي الدعوى اذا رضي الشاكي بالعودة إلى معاشرة الزوج الزاني قبل صدور حكم نهائي في الدعوى (١) ، والملاحظ ان هذه القواعد تدل على ان المشرع يعتبر الحق في الشرف والاعتبار حقاً شخصياً خالصاً — كما ذكرنا — وبذلك يملك المضرور من الزنا التصرف فيه كما يشاء ومتى شاء .

ولكن باعتقادنا اذا كان يمكن تبرير موقف المشرع بعدم اعطاء حق تحريك الدعوى في زنا الزوجية للادعاء العام او لمن علم بالجريمة وانما حصره بيد الزوج المضرور وذلك بقصد الحفاظ على سمعة وتماسك الاسرة وخاصة اذا كان لهم اولاد ؛ فان اعطاء الزوج المضرور الحق في التنازل أو اعادة مباشرة الزوج الاخر وكذلك الحق في منع السير في تنفيذ الحكم ليس له ما يبرره اذ ان الجريمة قد افتضح أمرها واصبح علنياً لوصوله إلى المحاكم ولذلك نرى الا يترك هذا الأمر لخيار الزوج الاخر يحدده كما يشاء .

لذا نؤكد على ما سبق ان ذكرناه باعتبار حق الشرف حقاً عاماً للمجتمع وليس حقـاً شخصياً ، ولذلك نقترح ان تشدد عقوبة الزوج او الزوجة اذا ارتكب اياً منهما فعل الزنـا مع قيام حالة الزوجية بأن تصبح الاعدام او السجن المؤبد ، اما اذا زنت المرأة الباكر فتكـون عقوبتها السجن المؤبد او المؤقت على الا يقل عن خمسة عشر سنة وتطبق العقوبة ذاتها عـلى من زنا بها .

---

(١) انظر المواد ٣٧٨ و٣٧٩ من قانون العقوبات .

كما نقترح انه إذا كان لابد من الابقاء على النص الخاص بتعليق حق تحريك الدعوى على شكوى الزوج المضرور ، فيجب أن يضاف الى هذا النص ، فقرة تفيد بانه في حالة قيام الزوجة بالزنا في غياب الزوج خارج البلاد يتولى الادعاء العام واجب تحريك الدعوى ضدها .

وهذا ما نص عليه الفصل ٤٩١ من قانون العقوبات المغربي ، ومن هذا كله نرجو ان يعاد النظر في وضع نظرية عامة لجرائم العرض تأخذ طابع التشديد والقسوة مع مرتكبي الزنا.

المطلب الثاني

التكييف القانوني لفعل القتل عند المفاجأة بالتلبس بالزنا

تقديم : في البدء نريد ان نؤكد بان التشريعات العربية – عدا القانون الجزائري قد تكلمت عن فعل القتل او الاصابة التي تقع من الزوج على زوجته او على شريكها اوعليهما معاً اذا ضبطهما متلبسين بالزنا ، أي ان القتل يقع من الرجل فالمادة ٤٠٩ من قانون العقوبات العراقي تذكر (من فاجأ زوجته ..) وهكذا جميع التشريعات العربية :

اما القانون الجزائري – خلاف التشريعات العربية – اعطى الحق في الاستفادة من الحكم المخفف للزوج اوللزوجة اذا فاجاء الاخر في حالة تلبس بالزنا فقتله اواصابه بجراح اوحده اومع شريكه . (١) .

وبعد هذا التقديم سوف نتكلم عن حالة التلبس بالزنا في فرعين نخصص الاول للموقف التشريعات التي اعتبرت التلبس بالزنا عذراً قانونياً مخففاً أما الثاني فسوف ندرس فيه موقف التشريعات العربية التي أعتبرته عذراً معفياً من العقوبة .

---

(١) انظر نص المادة ٢٧٩ من القانون الجزائري.

الفرع الاول

اعتبار التلبس بالزنا عذرا مخففاً للعقوبة

تعرف الاعذار القانونية المخففة بانها (احوال ، وافعال ، وعناصر تبعيـة تضعف من طبيعة الجريمة ، وتكشف عن درجة خطورة فاعلها ، خصها الشارع بالنص الصريح، ، وتوجب تخفيف العقوبة الى اقل من حدها الادنى المقرر قانوناً ، اوالحكم بتدبير يلائم تلك الخطورة . (١) .

ومن هذا التعريف يتضح ان للاعذار المخففة خصائص اربعة هي ،انها شرعية وذلك لان الشارع نص عليها في القانون ، كما انها الزامية أي ان المحكمة تلتزم بتطبيق الاعذار، عند توافر شروطها ، كما انها لاتؤثر على بقاء الجريمة أي ان الجريمة تبقى موجودة مع قيام العذر القانوني ، واخيراً تؤثر الاعذار على العقوبة حيث توافر العذر ينقص من العقوبة(٢) ولقد ذهبت معظم التشريعات العربية الى اعتبار التلبس بالزنا عذراً مخففاً اذا ماأقدم ، الزوج على قتل الزوجة المتلبسة بالزنا اوقتلهما هي وشريكها . فلقد نصت م٤٠٩ من قانون العقوبات العراقي على انه (يعاقب بالحبس مدة لاتزيد على ثلاث سنوات من فاجأ زوجتـه أواحدى محارمه في حالة تلبسها بالزنا اووجودها في فراش واحد مع شريكها فقتلهمـا في الحال اوقتل احدهما اواعتدى عليهما اوعلى احدهما اعتداء أفضى الى الموت او الى عاهة مستديمة ....)

كما ان قانون العقوبات المصري اعتبره عذراً مخففاً يعاقب على هذا الفعل بالحبس (أ٢٣٧) وقد سار على نفس النهج ، قانون العقوبات الليبي (م٣٧٥) وقانون الجزاء الكويتي (م ١٥٣) وقانون العقوبات المغربي (م٤١٨) وقانون العقوبات الجزائري م(٢٧٩) .

ونلاحظ ان القانون الجزائري في هذه المادة قد انفرد بمسلكه عن القوانين العربية الآخرى اذ اعتبر الفعل الواقع من الزوج على الزوجة اومن الزوجة على الزوج في حالة تلبس الآخر بالزنا اعتبره عذراً مخففاً كما ذكرنا .

اما بقية القوانين العربية التي اعتبرته عذرا مخففاً فقد ذكرت الزوج اذا فاجـأ زوجتـه اواحدى محارمه — على خلاف في الصياغة — أي ان الزوجة لايحق لها ان تقتل زوجهـا

(١) د. فخري عبد الرزاق الحديثي : الاعذار القانونية المخففة للعقوبة — دراسة مقارنة بغداد ١٩٧٩ص ١٠٤ .

(٢) د. فخري عبد الرزاق الحديثي : المرجع السابق ص ١٠٥ — ١٠٦.

ولو كان متلبساً بالزنا واذا فعلت فانها لاتستفيد من العذر المخفف وانما تحاكم وتنال جزائها كقاتلة عندما ، ولكن القضاء يتلبس الظروف القضائية في مثل هذه الحالة سداً لنقص التشريعي .

ونرى ان النهج الذي سلكة المشرع الجزائري اسلم واصوب من نهج القوانين العربية الاخرى، اذ ان عنصر المفاجأة والاستفزاز الخطير يصيب الزوجة مثل مايصيب الزوج ، وبالتالي يكون التفرقة بينهما ليس لها مايبررها ، ولذلك يجب ان يستفيد من العذر كلاهما اذا فاجأ أيا منهما الاخر في حالة التلبس :

الفرع الثاني

اعتبار التلبس بالزنا عذرا معفيا من العقاب

لقد اتجهت بعض التشريعات الجنائية العربية الى اعتبار القتل او الاصابة الذي يقع من الزوج على الزوجة اذا كانت في حالة تلبس بالزنا او على شريكها عذرا معفيا من العقاب .

ومن هذه القوانين قانون العقوبات السوري اذ جاء في المادة ٥٤٨ عنه بأنه :

١ — يستفيد من العذر المحل من فاجأ زوجة او احد اصوله او فروعه او اخته في جرم الزنا المشهود او في صلات جنسية فحشاء مع شخص اخر فاقدم على قتلهما او ايذائهما او على قتل او ايذاء احدهما بغير عمد.

٢ — يستفيد مرتكب القتل او الاذى من العذر المخفف اذا فاجأ زوجة او احد اصوله او فروعه او اخته في حالة مريبة مع اخر .

كما ان قانون العقوبات اللبناني جاء بنص مشابه للفقرة الاولى من المادة السابقة وذلك في المادة (٥٦١) مع بعض الاختلاف ، حيث جاء في اخر هذه المادة عبارة (فأقدم على قتل احدهما او ايذائه بغير عمد) .

والحقيقة لانفهم هذا الموقف من المشرع اللبناني اذ كيف يحصل القتل والايذاء غير العمدي في هذه الحالة، كما ان المشرع السوري ذكر في نهاية الفقرة الاولى من المادة (٥٤٨) (او على قتل او ايذاء احدهما بغير عمد) ونعتقد ان هذه العبارة زائدة لاداعي لذكرها لعدم تصور وقوع القتل او الايذاء بصورة غير عمدية في حالة مفاجأة الزوج لزوجته وهي متلبسة بالزنا.

كما ان المشرع اللبناني قد جاء بنص المادة (٥٦٢) مطابق تماما لنص الفقرة (٢) من المادة (٥٤٨) سوري .

وبذلك فان القانونان — السوري واللبناني — اعتبرا عنصر المفاجأة عذرا معفيا من العقاب، والعذر المحل يعفي المجرم من كل عقاب (م ١/٢٤ سوري) .

اما اذا كانت مفاجأة الزوجة او احد الاصول اوالفروع اوالاخت في حالة مريبة مع شخص آخر فقد عده القانونين عذراً مخففاً ، كما ان قانون عقوبات سلطنة عمان رقم ٧ لسنة ١٩٧٤ قد سار على نفس الخطة مع بعض الاختلاف حيث جاءت المادة ٢٥٢ منه بالنص على انه يستفيد من العذر المحل اومن تخفيف العقوبة وفقاً لاحكام المادة ١٠٩ من هذا القانون من فاجأ زوجته حال تلبسها بالزنا ، اوفاجأ امه او اخته اوابنته ، حال تلبسها بالمضاجعة غير المشروعة ، فاقدم في الحال على قتلها ، او ايذائها اوقتل من يزني او يضاجعها اوايذائه (١) ووجه الاختلاف بين النص العماني ونصوص القانونين السوري واللبناني ، هو ان القانون العماني لم يجعل التلبس بالزنا عذرا معفياً من العقوبة على وجه الاطلاق — كما فعل القانونين السابقين — بل ترك الموضوع لتقدير المحكمة ان تجعله عذرا معفياً — محلا — من العقوبة اوعذراً مخففاً للعقوبة حسب مايتراءى لها من ظروف الواقعة وملابستها . وعلى كل حال يمكن ان تحكم المحكمة بالعذر المعفي ، ويعفى الفاعل من كل عقاب وكذلك جاء قانون العقوبات الاردني بالنص على اعتبار التلبس بالزنا عذراً معفياً حيث نص في المادة ٣٤٠ منه على مايلي :(١ — يستفيد من العذر المحل : من فاجأ زوجته او أحدى محارمه حال التلبس بالزنا مع شخص واقدم على قتلهما اوجرحهما اوايذائهما كليهما اواحداهما .

٢ — يستفيد مرتكب القتل اوالجرح اوالايذاء من العذر المخفف اذا فاجأ .. زوجته أو احدى أصوله أو فروعه أو أخوانه مع اخر على فراش غير مشروع .

والرأي الثاني هو الذي نؤيده لانه اقرب الى المنطق والواقع ولذلك ندعو المشرع العراقي الى تعديل احكام المادة (٤٠٩) واعتبار التلبس عذراً معفياً .

---

(١) وقد نصت المادة ١٠٩ من القانون العماني على ان (العذر المحل اذا توفر حصوله يعفى المجرم من العقاب، اما العذر المخفف فيؤدي الى تخفيف العقوبة) .

المطلب الثالث

التكييف القانوني لفعل القتل في غير حالة التلبس

نقصد بهذا الموضوع هو الحالات التي يصل فيها الى علم الفاعل بأن زوجته او احدى محارمه او اقاربه الى الدرجة الرابعة (كأبنة العم او العمة) تمارس فعل الزنا فيقوم بقتلها غسلا للعار (١) .

لم نجد نصاً خاصا في قانون العقوبات العراقي ينظم هذه الحالة كما فعل في المادة (٤٠٩) التي نصت على حالة التلبس بالزنا، ولذلك نجد ان القضاء العراقي قد ذهب في موضوع القتل غسلا للعار الذي يقع في غير حالات التلبس بالزنا الى تطبيق احكام المادة ٤٠٥ او ٤٠٦ /١/أ عقوبات حسبما اذا كان القتل بسيطا او كان مقترنا مع سبق الاصرار ، و يستدل القضاء بالمادة ١٢٨ الفقرة (١) والتي تنص على انه (الاعذار اما ان تكون معفية من العقوبة او مخففه لها ولا عذر الافي الاحوال التي يعينها القانون،وفيما عدا هذه الاحوال يعتبر عذرا مخففاً ارتكاب الجريمة لبواعث شريفة او بناء على استفزاز خطير من المجنى عليه بغير حق)، ثم تحكم المحكمة على الفاعل بدلالة المادة (١٣٠) التي تنص على العذر المخفف ، وبذلك تقول محكمة تمييز العراق (حيث ان قضاء هذه المحكمة قد استقر على ان القتل اذا وقع بدافع (غسل العار) يعتبر من البواعث الشريفة المنصوص عليها في الفقرة (١) من المادة (١٢٨) من قانون العقوبات ، فكان يقتضي فرض العقوبة على المحكوم عليهما بدلالة المادة ١٣٠من قانون العقوبات) (٢).

كما تقول المحكمة (يعتبر قتل المتهم لابنة عمه قد وقع بباعث شريف اذا كانت المجنى عليها قد هربت من دار اهلها مع عشيقها ثم تزوجت منه دون موافقة اهلها مما يجلب العار لاسرتها حسب التقاليد السائدة في بيئتها) (٣) .

---

(١) اردنا باضافة (القريبة) الدرجة الرابع شمول ابنة العم والعمة مثلا لان القضاء يعتبر قتل الفاعل لابنة عمه غسلا للعار تنطبق عليها احكام م١٢٨ لكون القتل بباعث شريف.

(٢) قرار محكمة التمييز ١٥٠ و ٢٤٠و ٣٠٤/ هيئة عامة/ ١٩٧٩ في ١٩٧٩/١٠/١٣ مجموعة الاحكام العدلية – وزارة العدل – العدد الرابع – السنة العاشرة – ١٩٧٩ ص ٩١ –٩٣.

(٣) القرار ٣٤٢/ جنايات/ ٩٧٩ في ١٩٧٩/٩/١٨ ، فؤاد زكي عبد الكريم مجموعة لاهم المبادىء والقرارات لمحكمة تمييز العراق – ١٩٨٢ ص ٦٨ و بنفس المعنى قرار محكمة التمييز ٢٩٦٨/ جنايات/ ١٩٧٤ في ١٩٧٥/١/١٦ مجموعة الاحكام العدلية السنة السادسة ، العدد الاول – ١٩٧٥ص ٢٣٦ قرارها ٥٣١/ ٥٣٣/ هيئة عامة / ٩٧٨ في ١٩٧٨/١٢/٣٠، فؤاد زكي عبد الكريم ، المرجع السابق ص ٦٧ .

وقد ذهبت محكمة جنايات نينوى الى انه (ثبت ان ابنة المتهم المجني عليها كانت على علاقة غير مشروعة مع الشخص المدعو (ع) ولذلك ترى المحكمة ان الباعث الذي حدى بالمدان والدها على قتلها بالصورة المبينة هو باعث شريف وهو القتل غسلا للعار والمشمول باحكام المادة ١٢٨ ق .ع فقررت المحكمة الاستدلال بهـا عند فرض العقوبـة) .

وبذلك يتضح ان القضاء العراقي مستقر على ان القتل غسلا للعار يعتبر عذراً مخففاً وتطبق احكام المادة (١٣٠) ق .ع لكون الباعث على القتل شريفاً الذي نص عليه في المادة (١٢٨) ق .ع بشرط أن يثبت للمحكمة ان المجني عليها كانت تتعاطى أفعال الزنى ، وفي هذه الحالة تتوصل المحكمة الى بنا عقيدتها من مختلف الادلة المتوفرة عن الواقعة ، كالاعتراف او الشهود او ظهور حالات الحمل على البنت الباكر ، او ازالة البكارة ، مما يثبت عن طريق الفحص الطبي ، ذلك لان القتل في هذه الحالة لم يقع والمجني في حالة تلبس بالزنا ، بل ان الزنا قد وقع بصورة خفيه ولكن نتيجة لاكتشاف أمره وصل العلم الى الزوج اوذي الرحم المحرم فاقدم على فعل القتل غسلا للعار وجبراً لشرف المثلوم .



---

(١) قرار محكمة جنايات نينوى ١٨٤/ج/١٩٨٣ في ٢٧/١١/٩٨٣ وصادقت عليه محكمة التمييز بالقرار ١٧٠٧/ج١/ جنايات/٨٣ – ١٩٨٤ في ٢١/٦/١٩٨٤.

الخاتمة

بعد ان انتهينا من دراسة موقف الشريعة الاسلامية الغراء وموقف التشريع الوضعي من القتل الذي يرتكبه الانسان غسلاً للعار الذي لحقته به جريمة الزنا ، كما درسنا موقف الشريعة والقانون الوضعي من مسألة قتل شريك الزانية نلخص اهم النتائج التي توصلنا اليها وهي :

١ ـ ان الشريعة الاسلامية اخذت بمبدأ الستر وحماية الاسرة المسلمة وبذلك احاطتها بسياج من القواعد والاحكام المتشددة في قبول ما ينال من سمعتها وكرامتها ، ولـذلك تشددت في اثبات جرائم الزنا وتطلبت شروطاً لا يمكن تجاهلها عند اثارة مسألة الزنا على المسلم .

٢ ـ ان القاعدة الاساسية في الشريعة الاسلامية هي التسليم بحسن النية والخلق القويم للمسلم إلى ان يثبت العكس ، لذلك كانت مواقف الرسول (ص) من ادعاء الزنا واضحة بكونها محاولة لسد باب الطعن في الاعراض عن الاسرة المسلمة ولذلك وجدنا انه (ص) كان لا يقيم الحد عند اعتراف الزاني لاول مرة بل كان (ص) يحاول ان يتغاضى عن هذه القاذورات وينزه سمعه عنها .

٣ ـ أن موقف الشريعة الاسلامية من جرائم الزنا هو ان الولي ـ اي الحكومة ـ هو الذي يقيم الحد على الزاني ـ الرجم المحصن والجلد لغير المحصن (الباكر) ، وليس للمسلم ان يقيم الحد بنفسه .

٤ ـ وقد وجدنا ان الشريعة الاسلامية لم تتضمن قاعدة عامة واضحة بشأن قتل شريك الزانية ، ولذلك اختلف رأي الفقه بشأنها ، فمن الفقه من قال بجواز قتل الشريك المتلبس بالزنا اذا كان محصناً ، والجمهور قال بعدم جواز ذلك الا اذا اتى باربعة شهود او اعترف المقتول قبل موته وبشرط ان يكون محصناً بينما يذهب القانون العراقي إلى اعتباره عذراً مخففاً حسب نص المادة (٤٠٩) عقوبات .

٥ ـ لقد وجدنا أن الزنا بمعناه الواسع مباحاً في بعض التشريعات العربية ولا تقرر له أية عقوبة اذا وقع من بالغ عاقل وبرضاه الصحيح ، بينما يذهب البعض الاخر من التشريعات العربية إلى فرض العقوبة على الزاني ولو كان بالغاً ووقع الفعل برضاه ، ومع كون العقوبة تعد في نظرنا خفيفة، حيث لا تتعدى في اشد القوانين ـ بالسجن لمدة ـ خمس سنوات ، الا ان موقف التشريعات الاخيرة يعتبر هو الاصوب والاسلم .

٦ — لقد اتضح لنا ان بعض التشريعات العربية اعتبرت التلبس بالزنا عذراً معفياً من العقاب اذا اقدم الزوج على قتل زوجته اواحدى محارمه مع شريكها اوقتل احدهما ، وقد فضلنا هذا الاتجاه ، لان الاستفزاز هنا خطير جداً وقد وقع على اهم واعز حق يملكه الانسان وهو الشرف والكرامة .

٧ — اما بالنسبة لقتل شريك الزانية — في غير حالة التلبس ، فقد اتضح لنا ان القضاء العراقي اعتبره ظرفاً قضائياً مخففاً يستوجب الاستدلال بالمادة (١٣٢) عقوبات .

المقترحـــات :

نود ان نجمل المقترحات التي نراها مناسبة لمعالجة هذا الموضوع الخطير .

١ — نؤكد ماسبق ان اشرنا اليه وهو وجوب اعتبار حالة مفاجأة الزوج لزوجته او احدى محارمه اواقاربه الى الدرجة الرابعة ، في حالة تلبس بالزنا عذراً معفياً من العقاب اذا قتلها هي وشريكها او قتل احدهما ، مما يتطلب تعديل نص م (٤٠٩) ع عراقي .

٢ — فرض عقوبة شديدة على المرأة الزانية حتى وان وقع الفعل برضاها وكانت ، بالغة سن الثامنة عشر — عدا القاصر — وجعلها على غرار الشريعة الاسلامية السمحاء ، الاعدام اوالسجن المؤبد للزاني المحصن اذا اتى الفعل وحالة الزوجية قائمة ، والسجن المؤبد اذا كان غير محصن — أي باكر — مع عدم شمول الفاعل بالافراج الشرطي ، وقرارات العفو او تخفيف العقوبة وبذلك نضمن اطمئنان الشخص الى ان الزانية سوف ينالها العقاب الذي تستحقه وقد يكون ذلك سبباً للاقلال من القتول التي تقع غسلا للعار وهذا ماكان عليه العمل في السابق في عهد الرسول (ص) والخلفاء والصحابة .

٣ — تشديد عقوبة الشخص الذي يرتكب جريمة الزنا اوالوقاع مع الانثى وفقاً لما ذكرناه في الفقرة (٢) اعلاه ، وبذلك سوف يغنينا عن البحث عن الظروف والاعذار التي تطبق لتخفيف عقوبة من يقتل من اعتدى على شرف زوجته اواحد محارمه لانه سيكون مطمئناًالى ان الجاني — مرتكب الزنا — سيناله عقاب شديد وبذلك تكون الدولة هي صاحبة الحق في انزال العقاب بالجاني ، ويترتب على ذلك عدم التسامح مع من يقتل من اعتدى على شرفه ، ولكن مادام الانسان يعلم بان الجاني سوف لن يناله سوى عقاب خفيف ، وسوف يشمل بالافراج وقرارات التخفيف لذلك يعمد الى انزال العقاب به بنفسه حتى لايرى امامه من سبب له العار والفضيحة .

المراجع

١ – الاسلام وجريمة الزنا: مصطفى كمال رفعت– القاهرة – ١٩٧٥

٢ – الاعذار القانونية المخففة للعقوبة : د. فخري عبدالرزاق الحديثي – دراسة مقارنة ، بغداد ١٩٧٩ .

٣ – بلوغ المرام من جمع ادلة الاحكام : ابن حجر العسقلاني – مطبعة مصطفى احمد – مصر .

٤ – بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن محمد بن احمد بن رشد القرطبي: ج٢ المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٥ – تفسير سورة النور: ابو الاعلى المودودي – دار الفكر بدمشق

٦ – التشريع الجنائي في الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي: د. عبد الخالق النوادي دار الثقافة بيروت.

٧ – تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي ج٢ مطبعة مصطفى احمد – مصر.

٨ – جريمة الزنا: احمد محمود خليل – دار المطبوعات الجامعية – الاسكندرية ١٩٨٢.

٩ – الحدود في الفقه الاسلامي : احمد الحصري – مكتبة ألاقصى الاردن – عمان ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

١٠ – دراسة مقارنة بين المذاهب الاربعة المذهب الجعفري في بعض أحكام الجنايات : د. عبد الرزاق قاسم الصفار – جامعة كراتشي – كلية المعارف الاسلامية رسالة دكتوراه – مسحوبة على الة الرونيو ١٩٨٣ .

١١ – رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الابصار في فته مذهب الامام ابي حنيفة: ابن عابدين – ج٣ .

١٢ – سبل السلام: الامام محمد بن اسماعيل الكحلاني الصنعاني: ج٤ – ط٤ – ٩٦٥

١٣ – سنن ابن ماجة : الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني: ج٢ حققه محمد

فؤاد عبد الباقي – دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركائه – مصر – ١٩٧٣هـ – ١٩٥٣ م .

١٤ – سنن ابي داود: الامام الحافظ ابي داود سليمان بن الاشعث بن اسحق الازدي السجستاني، تعليق الاستاذ احمد سعد علي – ج٢ ط١ – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده – مصر ١٣٧١هـ ١٩٥٢م .

١٥ – شرح قانون العقوبات – القسم الخاص : د. عمر السعيد رمضان – دار النهضة العربية – مصر ١٩٧٧ .

١٦ – شرح فتح القدير للعاجز الفقير : الشيخ كمال الدين محمد بن عبدالواحد – المجلد الخامس – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان .

١٧ – شرح قانون العقوبات – القسم الخاص – د. محمود نجيب حسني – دار النهضة العربية – مصر ١٩٧٨ .

١٨ – الفتاوي الهندية في مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان : الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند الاعلام – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط٣ – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م .

١٩ – القسم الخاص من قانون العقوبات : د. عبدالمهين بكر : ط٧ – دار النهضة العربية – مصر ١٩٧٧ .

٢٠ – كتاب المبسوط – شمس الدين السرخسي – ج٩ – دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٣ – بيروت ١٩٧٨ م .

٢١ – اللباب في شرح الكتاب : الشيخ عبدالغني الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي : ج٣ – حققه محمد محيي الدين عبدالحميد – مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده بمصر .

٢٢ – المغني والشرح الكبير : بن قدامة الحنبلي – دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

٢٣ – الموطأ : الامام مالك بن أنس : منشورات دار الاقامة الجديدة – بيروت ط ١ – ١٩٧٩م .

المدير المفوض للشركة دراسة في التشريع العراقي

كامل عبدالحسين حسن
جامعة الموصل \ كلية القانون

تمهيد وتقسيم :

أن المنطلقات النظرية الصادرة عن قيادة الحزب والثورة في موضوع الاشتراكية، إصبحت حقيقة ماثلة للعيان في القطر العراقي يفخر بها العراقيون ، ويعجب بها الأشقاء والأصدقاء. حيث بدأت مرحلة التحول الاشتراكي وتنفيذ الخطط التنموية القومية العملاقة . ولغرض تعجيل عملية التنمية اقتضى الأمر اعادة النظر بالقوانين التي تحكم الشركات والتي اصبحت عاجزة عن مواكبة التطور وتنظيمها من جديد بما ينسجم وظروف المرحلة الراهنة والمستقبل وقد ورد في الأسباب الموجبة لقانون الشركات رقم ٣٦ لسنة ١٩٨٣ الذي صدر يوم الثلاثين من آذار عام ١٩٨٣ ونشر في الجريدة الرسمية يوم الثامن عشر من نيسان عام ١٩٨٣ واصبح نافذ المفعول يوم التاسع عشر من شهر تشرين الأول عام ١٩٨٣ مانصه «حيث ان الأحكام القانونية التي تطبق على الشركات المتوزعة بين تشريعات متعددة أهمها قانون الشركات التجارية رقم ٣١ لسنة ١٩٥٧ والقانون المدني رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ وقوانين وقرارات قانونية أخرى اصبحت قاصرة عن تحقيق هذه المنطلقات والأهداف وعن مواكبة مسيرة التحولات الراهنة والمستقبلية بالنسبة لشركات القطاع المختلط والقطاع الخاص في مختلف مجالات النشاط الاقتصادي فقد اقتضى اعادة النظر في هذه الأحكام وتوحيدها تحقيقاً ، لمبدأ وحدة التشريع وفق مبادىء وأسس جديدة تضمن ربط الشركات — كوحدات اقتصادية بالقطاعات الاقتصادية المختصة وبمتطلبات خطط التنمية وتنظيمها بشكل يساعدها على أداء دورها في التنمية في كل مجالات نشاطها منذ تأسيسها وحتى انقضائها».

ولأجل هذا كله شرع قانون الشركات رقم ٣٦ لسنة ١٩٨٣ ، وتم تنظيم احكـــام الشركات تنظيماً جديداً متكاملاً بالاضافة الى استحداث بعض الاحكام الجديدة التي لـم يسبق تنظيمها في التشريعات السابقـة ، وقد حددت المادة (١) من قانون الشركات الهدف

من القانون بقولها. ويهدف هذا القانون الى تنظيم الشركات وتطوير نشاطاتها وفق مقتضيات التنمية القومية ومستلزمات مرحلة البناء الاشتراكي» .

وعلى الرغم من مرور أكثر من ثلاث سنوات على صدور قانون الشركات لم نجد دراسات فقهية متعمقة تتناول شرح احكامه ، وأننا سنتناول في هذا البحث توضيح الاحكام الخاصة بالمدير المفوض للشركة ، واختصاراً سنطلق على المدير المفوض كلمة المدير فقط وسوف نتناول في هذا البحث النقاط التالية:

أولا : مدير الشركة في التشريع العراقي السابق وبعض تشريعات الاقطار العربية
ثانياً : الشركة شخص معنوي
ثالثاً : التكييف القانوني لصفة المدير
رابعاً : تعيين المدير
خامساً : عزل المدير
سادساً : اجور المدير
سابعاً : اختصاصات المدير
ثامناً : مسؤولية المدير
تاسعاً : مدير الشركة البسيطة
عاشراً : الخاتمة

اولا : مدير الشركة في التشريع العراقي السابق وبعض تشريعات الاقطار العربية : —

١ — تعيين وعزل مدير الشركة : في التشريع العراقي السابق (قانون الشركات التجارية والقانون المدني) يتم تعيين مدير شركة التضامن قبل الشركاء أما ماينص في العقد ويسمى عندئذ المدير النظامي او بموجب اتفاق لاحق ويسمى المدير غير النظامي وأوجب القانون ان يتضمن عقد التأسيس اسماء المديرين المأذونين بالادارة (آ) وبذلك اجاز القانون تعدد المدراء للشركة الواحدة اما عزل مدير شركة التضامن من فيتم بنفس الطريقة التي عين فيها على أن لا يكون العزل تعسفياً والاحق للمدير المعزول المطالبة بالتعويض طبقا للقواعد العامة كما يجوز عزل المدير لسبب معقول بقرار قضائي (٢) وتجدر الاشارة الى ان تغيير المدير النظامي يستلزم تعديل عقد الشركة ، ويجب ان يعلن عن تعيين المدير وعزله في احدى الصحف المحلية وبالنشرة .

اما تعيين وعزل المدير في شركة التوصية بنوعيها البسيطة والمساهمة فتطبق عليها نفس أحكام شركة التضامن مع ملاحظة ان حق الادارة محصور بالشركاء المتضامنين اما الشركاء الموصين فلا يحق لهم الاشتراك في الادارة .

أما عن تعيين وعزل المدير في شركات الاموال ففي الشركة ذات المسؤولية المحدودة يتعين مدير أوأكثر بموجب نص في نظامها اوبقرار من الهيئة العامة على ان لايزيد عدد المدراء عن خمسة اشخاص ويجوز ان يعين المدير لمدة محدودة اوبصورة دائمة ويجوز ان تدار الشركة من قبل مجلس لايزيد عدد اعضائه عن خمسة اشخاص (٣) وتتم اقالة المدراء بقرار من الهيئة العامة غير العادية على ان يصدر هذا القرار بأكثرية تزيد على نصف مجموع

---

(١) لاحظ الفقرة (أ) من المادة (٧) من قانون الشركات التجارية .

(٢) لاحظ الفقرة (أ) من المادة (١٤) من قانون الشركات التجارية .

(٣) لاحظ المادة (١٩٦) من قانون الشركات التجارية وحدد التشريع السوري الحد الاعلى لعدد المدراء بسبيه لاحظ الفقرة (١) من المادة (٢٩٩) تجاري مشار اليها في الوسيط في الحقوق التجارية البرية — للدكتور رزقالله انطاكي والدكتور نهاد السباعي دمشق ١٩٦٣ ص٣٩٦ أما التشريع اللبناني فلم يحدد الحد الاعلى لعدد المدراء حيث نصت المادة(١٦) ، من المرسوم الاشتراكي رقم (٣٥) لسنة ١٩٦٧ على مايلي «ويكلف ادارة الشركة مدير اوعدة مديرين من الشركاء اوغيرهم يعينون بموجب نظام الشركة اوبصك لاحق لمدة محدودة اوغير محدودة شرط ان يكونوا من الاشخاص الطبيعيين» . مشار اليها في الكامل في قانون التجارة — الشركات التجارية — الياس ناصيف — بيروت ١٩٨٢ ص١٥٠ .

الأسهم المكتتب بها (٤) ويجوز للهيئة العامة بالاقتراع السري اقالة المدير بناء على اقتراح صادر من المجلس بالاكثرية مطلقة او بناء على طلب ممن يحملون ٥١٪ من رأس المال المكتتب به الذين يحق لهم حضور الجلسات (٥) أما تعيين المدير في شركة المساهمة ضمن المعلوم ان هذه الشركة تدار من قبل مجلس الادارة الا أنه كما كانت اجتماعات مجلس الادارة متباعدة فان القانون أجاز للمجلس ان ينتخب بالاقتراع السري عضواً مفوضاً او اكثر يكون له أرفع صلاحية التوقيع عن الشركة مجتمعين او منفردين حسب تفويض من مجلس الادارة(٦) ويجوز اختيار مدير الشركة من غير اعضاء مجلس الادارة يمثل الشركة وهذا ما يستفاد ضمناً من القانون (٧) .

٢ — سلطات مدير الشركة :

بالنسبة الى شركة التضامن تنص الفقرة (ب) من المادة (١٤) من قانون الشركات التجارية على أن «للمدير ان يزاول بحسن نية جميع الاعمال اللازمة للادارة بحدود ما نص عليه في النظام » . ومعنى ذلك أن للمدير ان يقوم بكافة الاعمال الخاصة بادارة الشركة في حدود غرضها مالم يوجد نص في نظام او عقد الشركة يقيد سلطاته اما أتخاذ القرارات في حالة تعدد المدراء فقد عالجته الفقرة (أ) من المادة (١٦) حيث نصت « تصدر قرارات المديرين بالاكثرية واذا كانت هناك معارضة من احدهم تستند الى مخالفة العمل لاغراض الشركة المنصوص عليها في العقد او النظام جاز رفع القرار الى المحكمة لتقدير صفة العمل »(٨) أما سلطات المدير في شركة التوصية والشركة ذات المسؤولية المحدودة فلا تختلف عن شركة التضامن . . .

(٤) لاحظ المادة (١٦٩) من قانون الشركات التجارية .

(٥) لاحظ الفقرة (١) من المادة (١٥٩) من قانون الشركات التجارية .

(٦) لاحظ الفقرة (٣) من المادة (١٤٦) من قانون الشركات التجارية .

(٧) لاحظ المادة (١٤٨) من قانون الشركات التجارية ، ويلاحظ أن التشريع اللبناني اعتبر رئيس مجلس الادارة يقوم بوظيفة المدير العام ويرجع اليه وحده ان يقترح على المجلس تعيين مدير عام سواه لاحظ المادة (١٥٣) من المرسوم الاشتراكي المرقم (٥٤) لسنة ١٩٧٧ — الياس ناصيف — المرجع السابق ص٣٢١ .

(٨) ان موقف القانون اللبناني لا يختلف عن القانون العراقي فيما يتعلق بسلطات المدير في شركة التضامن حيث نصت المادة (٨٥) من قانون التجارة اللبناني على مايلي «ويجوز لمديري الاشغال ان يقوم بجميع الاعمال اللازمة لتسيير مشروع الشركة تسييراً منتظماً الا إذا =

أما بالنسبة الى الشركة المساهمة خطا لما القانون (٩) يجيز تعيين عضو أو مدير مفوض يكون له صلاحية التوقيع عن الشركة فأن سلطاته تتحدد في قرار تعينه اونظام الشركة .

٣ـ مسؤولية مدير الشركة :

تتحدد مسؤولية مدير الشركة سواء كان عضوا فيها أو من الاغيار طبقاً لاحكام عقد الوكالة المنصوص عليه في القانون المدني وقد عرفت المادة (٩٢٧) من القانون المدني الوكالة حيث نصت « الوكالة عقد يقيم به شخص غيره مقام نفسه في تصرف جائز معلوم» . وعلى المدير ان يبذل عناية الرجل المعتاد في ادارته للشركة اذا كان عمله مأجوراً (١٠) ، ويخضع المدير بصفته وكيلا عن الشركة لاحكام المسؤولية المدنية ويمكن ان يخضع ايضاً لاحكام المسؤولية الجزائية اذا ارتكب فعلا يعتبر جريمة بموجب القانون التجاري اوقانون العقوبات .



كانت سلطاتهم محددة بمقتضى نظام الشركة» لاحظ الياس ناصيف ـ المرجع السابق ص٧٣ . وهذا مانصت عليه ايضاً الفقرة (١) من المادة (٥١٦) من القانون المدني المصري لاحظ الدكتور مصطفى كمال طه ـ الوجيز في القانون التجاري ، الاسكندرية ١٩٧٤ ص٢٣١ .

(٩) لاحظ الفقرة (٣) من المادة (١٤٦) والمادة (١٤٧) والمادة (١٤٨) من قانون الشركات التجارية اما سلطات المدير العام للشركة في القانون اللبناني فتحدد بموجب نظام الشركة اوالعرف ، لاحظ الياس ناصيف ـ المرجع السابق ص٣٢٣ .

(١٠) لاحظ الفقرة (٢) من المادة (٦٤١) من القانون المدني

اولا : الشركة شخص معنوي :

اعتبر قانون الشركات الشركة شخصاً معنوياً (١) حيث تتعامل كما يتعامل الشخص الطبيعي (الانسان) ويكون لها حقوق وعليها التزامات وتستطيع القيام بالتصرفات القانونية ، الا أنه بالرغم من اعتبار الشركة شخصاً معنوياً لايمكن اعتبارها كالانسان . حيث تبقى هناك فروق أساسية بين الانسان والشركة كشخص معنوي خاصة في دائرة الاحوال الشخصية التي هي من صميم حياة الانسان ولاتدخل في حياة الشركة كذلك بالنسبة الى العقوبات الجزائية ، فالأصل فيها ان توقع على الانسان وان كان ممكن توقيع بعضها على الشخص المعنوي كالغرامة ، وكذلك الحال بالنسبة للاهلية ، حيث ان الانسان الكامل الأهلية يستطيع ان يقوم بأنواع التصرفات كافة في حدود القانون أما أهلية الشخص المعنوي فمحدودة بالقدر الذي يستلزمه نشاطه . (٢) وفيما عدا ذلك يكون للشركة اسم وموطن وذمة مالية مستقلة وجنسية وأهلية وحق التقاضي ، ولكن لما كانت الشركة شخصاً معنوياً ليس لها كيان محسوس ولا ارادة مستقلة ولاتستطيع ان تعبر عن ارادتها ، لذلك استلزم القانون (٣) انيكون لكل شخص معنوي ممثل يعبر عن ارادته وان هذا الممثل بالنسبة للشركات هو المدير (٤) لأن ادارة الشركة لاتستقيم مالم تناط بشخص طبيعي يتولى تصرف شؤونها في حدود نشاطها وفي حدود السلطات الممنوحة له .

ثانياً : التكييف القانوني لصفة المدير :

اختلف الفقهاء في التكييف القانوني لصفة المدير . فيرى البعض (٥) أن المدير يعتبر وكيلا عن الشركة ويخضع في علاقته معها عموماً الى احكام عقد الوكالة المنصوص عليها في القانون المدني . وأغلب الفقهاء ينتقدون هذا الرأي ، ان هناك فروقاً اساسية بين الوكيل العادي ومدير الشركة حيث ان مدير الشركة ليس نائباً اووكيلا عنها ، اذ ان الوكالة تفترض عقداً بين الشركة والمدير أي تطابق ارادتهما على الوكالة ، كما ان

---

(١) لاحظ المادة – ٥ – من قانون الشركات .
(٢) لاحظ المادة –٤٨ – من القانون المدني .
(٣) لاحظ المادة –٤٨ – منالقانون المدني
(٤) لاحظ البند – اولا – من المادة –١١٣ – من قانون الشركات .
(٥) لاحظ الدكتور اكرم ياملكي – الوجيز في شرح القانون التجاري العراقي – الجزء الثاني الشركات التجارية – الطبعة الثانية المعدلة – مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٢ ،ص٧١

الأصيل يستطيع ان يعمل مباشرة دون وساطة الوكيل ، في حين ان الشركة ليست لها ارادة مستقلة عن ارادة المدير ، ولايمكنها ان تعمل الا بواسطة المدير ، ويمتنع قانوناً ان يمنح المدير نفسه الوكالة عن الشركة » . (٦) كما لايعتبر المدير وكيلا عن الشركاء لانه لواعتبر كذلك لوجب تعيينه وعزلهبالاجماع من قبل الشركاء بينما يكون تعيين المدير وعزله عادة بالأغلبية ، ويصبح من الصعب القول أن المدير وكيل عن الاقلية من الشركاء الذين رفضوه كما ان سلطة الوكيل يجب ان لاتتجاوز سلطة الموكل ، ولايحق لوكيل القيام بعمل لايحق للموكل القيام به ، ولكن للمدير سلطات تتجاوز سلطات كل شريك على حدة . (٧) .

ويرى بعض الفقهاء ان الصفة القانونية للمدير هي اعتباره « بمثابة عضو في الشركة يقوم بتمثيلها والزامها بتصرفاته القانونية التي يأتيها بأسمهـــا ويستمد سلطته من احكام القانون التي تعلوا ارادة الشركاء » (٨) .

وقد انتقد هذا الرأي بحجة ان المدير ليس عضواً في جسم الشركة اذ ليس للشركة جسم(٩).

ويذهب رأي ثالث الى ان المدير بحكمه وضع قانوني خاص ، اذ يعتبر وكيلا في العلاقة الداخلية بينه وبين الشركاء في الشركة ، وعضواً في الشركة في العلاقات التـــي تقوم بينه وبين الغير (١٠) .

ويمكن ان يوجه الى هذا الرأي نفس الانتقادات التي وجهت الى الرأيين السابقيـــــن وذلك لان الرأي الثالث لايتعدى كونه جمع لما ورد في الرأيين السابقين .

ويذهب رأي رابع الى ان المدير يعتبر ممثلا للشخص المعنوي ، وهو في تمثيله لـــــا يختلف عن نيابة الوكيل ، لأنه لايعبر عن ارادة موكل معين ذو أهلية وقدرة على التعبير وانما هو في حقيقة الأمر يعبر عن ارادته هو التي تعتبر في ذات الوقت ارادة الشخص

---

(٦) لاحظ الدكتور مصطفى كمال طه – الوجيز في القانون التجاري – الناشر ، منشأة المعارف بالاسكندرية – ١٩٧٤ ، ص٢٠٠ .

(٧) لاحظ الدكتور علي البارودي – القانون التجاري اللبناني – الجزء الاول – مطبعة عيتاني الجديدة – بيروت ١٩٧٢ ، ص٢٥٢ .

(٨) لاحظ الياس ناصيف الكامل في قانون التجارة – الشركات التجارية – ٢ – منشورات بحر المتوسط ومنشورات عويدات ، بيروت ، باريس ١٩٨٢ ، ص ٧١

(٩) لاحظ الدكتور علي البارودي – المرجع السابق –ص٢٥٢ .

(١٠) لاحظ الياس ناصيف – المرجع السابق –ص (٧١) .

المعنوي على الأقل في الحالات التي لايكون فيها المدير خارجاً عن سلطاته ولاعن هدف الشركة ، ويبنى على ذلك ان المدير – على خلاف الوكيل العادي – لابد له في جميع الأحوال ان يكون كامل الأهلية ، (١١) بينما الوكيل العادي لايشترط فيه ان يكون كامل الاهلية فيصح أن يكون الصبي المميز وكيلا . (١٢)

ونحن نميل الى تأييد هذا الرأي لأنه يتلافى الانتقادات التي وجهت الى الاراء السابقة

ثالثاً : تعيين المدير :

ورد في المادة (١١٣ – أولا –) من قانون الشركات مانصه: يكون لكل شركة مدير مفوض من اعضائها او من الغير يعين وتحدد اختصاصاته من قبل مجلس الادارة في الشركة المساهمة والهيئة العامة في الشركات الاخرى. وبهذا النص اعطى القانون الحق لمجلس الادارة او الهيئة العامة حسب نوع الشركة تعيين المدير ، ففي الشركة المساهمة الخاصة او المختلطة يتم تعيين المدير من قبل مجلس الادارة ، ولما كانت قرارات مجلس الادارة تصدر بالأغلبية(١٣)فيمكن ان يعين المدير بقرار صادر من مجلس الادارة بالاغلبية وليس بالاجماع .

اما في الشركات الاخرى ، ونظراً لقلة عدد اعضائها فليس لها مجلس أدارة ، لذلك اناط القانون مهمة تعيين مدير الشركة الى الهيئة العامة وفي هذه الشركات يمكن تعيين المدير من قبل الهيئة العامة للشركة باغلبية الأصوات وليس بالاجماع ، حيث لم نجد مـا يستوجب الاجماع في النصوص القانونية الخاصة باجتماعات وقرارات الهيئات العامـة للشركات.

وتجدر الاشارة ان القانون لم يوجب ان يكون تعيين المدير منصوصاً عليه في عقد الشركة عند التأسيس (١٤) كما لايشترط فيه ان يكون عضواً من أعضاء الشركة ، فيمكن ان يختار المدير من غير الأعضاء ، أي من الاشخاص الذين يكون لهم الوقت الكافي والخبرة العالية

(١١ لاحظ الدكتور علي البارودي – المرجع السابق – ص٢٨٦

(١٢) لاحظ البند –٢– من المادة –٩٣٠– من القانون المدني .

(١٣) تنص المادة (١٠٦) من قانون الشركات على مايلي: «اولا – تتخذ قرارات المجلس، بالأكثرية المطلقة للأعضاء الحاضرين واذا تساوت الاصوات يرجح الجانب الذي فيه الرئيس .

ثانياً – في الشركة المساهمة المختلطة يشترط لنفاذ قرارات مجلس الادارة ان يكون اثنان من ممثلي القطاع الاشتراكي قد صوتا الى جانبها في الأقل» .

(١٤) لاحظ المادة (١٣) من قانون الشركات

في أدارة الشركات ، وأن كان الغالب في الشركات بصورة عامة ان الشخص الذي يشغل منصب المدير فيها هو من اعضائها.

رابعاً : عزل المدير :

نصت المادة (١١٤) من قانون الشركات على مايلي «يعفى المدير المفوض بقرار مسبب من الجهة التي عينته» . واضح من هذا النص ان القانون يشترط شرطين لعزل المدير : الشرط الأول هو صدور قرار من الجهة التي عينته ، وهذه الجهة هي اما مجلس الادارة في الشركة المساهمة او الهيئة العامة في الشركات الاخرى ، فاذا كان قرار تعيين المدير بالاجماع فيعزل بالاجماع اما اذا عين بقرار الأغلبية فيعزل بالأغلبية ، ومن باب اولى يمكن عزله بالاجماع ، ويتم التصويت على اعفاء المدير في الهيئات العامة للشركات عدا شركة المساهمة بصورة سرية (١٥).

اما الشرط الثاني فهو ان يكون قرار العزل مسبباً أي توجد اسباب جدية ومشروعة تبرر العزل، كأن يكون المدير مهملاً او أرتكب اخطاء كبيرة في أدارة الشركة ، ويظهر عدم مقدرته وخبرته في أدارة الشركة ، اما اذا تم عزل المدير بدون مسوغ قانوني يحق له المطالبة بالتعويض اذا لحق به ضرراً من جراء العزل والمطالبة بالتعويض هنا طبقاً للقواعد العامة كما يحق للمدير الاعتزال بشرط ان يكون اعتزال المدير بعذر مشروع وفي وقت مناسب ، فاذا كان اعتزال المدير بدون عذر مشروع او في وقت غير مناسب وترتب على ذلك ضرر للشركة يحق لها مطالبته بالتعويض (١٦) .

ولابد من الاشارة الى ضرورة النشر عن تعيين وعزل المدير في النشرة الخاصة بالشركات حتى يعلم الغير بتأريخ تعيين المدير وتاريخ عزله والفترة التي يعتبر فيها ممثلاً عن الشركة.

خامساً : اجور المدير :

عالجت المادة (١١٣) من قانون الشركات اجور المدير ، حيث نصت في بندها الثاني على مايلي «تحدد اجور المدير المفوض في الشركة المختلطة وفق الضوابط المطبقة لدى الجهة القطاعية المختصة . اما اجوره ومكافآته في الشركات الخاصة فيحددها مجلس ادارة الشركة المساهمة والهيئة العامة في الشركات الأخرى» اذن تحديد اجور المدير في الشركة المختلطة (مساهمة او محدودة) يتم وفق ضوابط الجهة القطاعية المختصة ، اما بالنسبة الى الشركات

(١٥) لاحظ البند - اولا - من المادة - ٩٠ - من قانون الشركات

(١٦) لاحظ البند - ٣ - من المادة - ٩٤٧ - من القانون المدني

الاخرى فيتم تحديد أجور المدير من قبل الجهة التي عينته . ويحدد الأجر في قرار التعيين مبلغ مقطوع من النقود او نسبة من الأرباح التي تحققها الشركة او الأثنين معاً حسب الاتفاق ، وقد يعين من قبل القضاء في حالة الخلاف بشأنه ويبقى الأجر مستحقاً حتى لو لم تحقق الشركة أرباحاً (١٧) .

سادساً : اختصاصات المدير :

تحدد اختصاصات المدير في قرار تعيينه من الجهة التي عينته ويعمل وفق توجيهاتها ، وبصورة عامة يتولى المدير كافة الاعمال اللازمة لادارة الشركة وعلى نص هذا البند – أولا من المادة (١١٥) من قانون الشركات حيث يقول : «يتولى المدير المنوض كافة الاعمال اللازمة لادارة الشركة وتسيير نشاطها ضمن الاختصاصات المحددة له من الجهة التي عينته ووفق توجيهاتها » . وتختلف اختصاصات المدير في الشركة المساهمة عنها في الشركات الاخرى .

بالنسبة الى الشركة المساهمة فمن المعلوم ان الشركة المساهمة لها مجلس ادارة يتولى ادارتها الا أن مجلس الادارة لايعتبر منعقداً بشكل دائم لذلك يحتاج الى مدير يتولى تنفيذ قراراته ويقوم بالادارة التنفيذية اليومية وتحت اشراف المجلس كما ان المجلس باعتباره هيئة في الشركة له اختصاصات محددة (١٨) بالقانون تعود له حصراً ، ولايجوز له حتى للهيئة العامة ممارستها على الرغم من كونها أعلى سلطة في الشركة . (١٩) وعلى هذا الاساس نرى ليس للمجلس ان يعهد بقسم من اختصاصاته الأصلية الى المدير .

اما اختصاصات المدير في الشركات الاخرى حيث نص عليه البند – ثانياً – من المادة (١١٥) من قانون الشركات حيث يقول «مع مراعاة احكام الفقرة (اولا) من هذه المادة يكون للمدير المفوض في الشركة المحدودة والتضامنية والمشروع الفردي نفس اختصاصات مجلس الادارة في الشركة المساهمة المنصوص عليها في الفقرات (ثانياً ، ثالثاً ، رابعاً ، خامساً ، سادساً) . من المادة (١٠٩) من هذا القانون » .

---

(١٧) لاحظ الياس ناصيف – المرجع السابق – ص٧٧ .

(١٨) لاحظ المادة – ١٠٩ – من قانون الشركات .

(١٩) لاحظ موفق حسن رضا – قانون الشركات – من منشورات مركز البحوث القانونية – بغداد ١٩٨٥ ، ص١٤١ .

واضح من النص ان القانون اعطى للمدير المفوض في هذه الشركات معظم اختصاصات مجلس الادارة في الشركة المساهمة .

والرجوع الى المادة (١٠٩) من قانون الشركات نرى ان اختصاصات المدير تشمل :

١ — تنفيذ قرارات الهيئة العامة ومتابعة تنفيذها .

٢ — وضع الحسابات الختامية للسنة السابقة خلال الاشهر الستة الاولى من كل سنة واعداد تقرير شامل بشأنها وتقديمها الى الهيئة العامة لمناقشتها والمصادقة عليها على ان تتضمن مايأتي : —

(آ) الميزانية العامة .

(ب) كشف حساب الارباح والخسائر .

(ج) أية بيانات أخرى تقررها الجهات المختصة .

٣ — اقتراح خطة سنوية لنشاط الشركة للسنة القادمة تعد خلال الاشهر الستة الأخيرة، من السنة في ضوء هدف الشركة ، ووفق خطة التنمية القومية وتوجيهات الهيئات التخطيطية تتضمن تقريراً شاملا عن نشاط الشركة وتقديمها للهيئة العامة لمناقشتها واقرارها قبل بداية السنة التي تخصها على ان ترفق بها موازنة تخمينية تتضمن مايأتي : —

(آ) النقدية

(ب) المبيعات

(ج) المشتريات

(د) القوى العاملة .

(هـ) الاستثمارية .

(و) الانتاج .

٤ — تنفيذ ومتابعة تنفيذ الخطة السنوية وتقديم تقارير عن نتائج التنفيذ الى الهيئة العامة مرة في السنة في الأقل .

٥ — اعداد الدراسات والاحصائيات بهدف تطوير نشاط الشركة .

وبالقاء نظرة على اختصاصات المدير في هذه الشركات نجدها اختصاصات واسعة تشمل الادارة والتنظيم والتخطيط . ولكن القانون استثنى اختصاص واحد لمجلس الادارة — لم يضفه الى اختصاص المدير في الشركات الاخرى ، وهذا الاستثناء متعلق بالقـــرارات الخاصة بالاقتراض والرهن والكفالة .

والسؤال الذي يرد هنا هل يحق للهيئات العامة لهذه الشركات ان تحتفظ بكل او بعض اختصاصات مجلس الادارة لذاتها ؟ وهل يحق لها ان تضيف للمدير اختصاصات أخرى ؟

نقول نعم تستطيع الهيئة العامة لشركة ان تقصر اختصاصات المدير في اعمال معينة بالذات على ان يتم ذلك في قرار تعيينه ، كما يحق لها ان تضيف اعمال جديدة لاختصاصاته بشرط ان لاتكون من الاعمال الخاصة بها بالذات والتي لايجوز ممارستها الا من قبلها(٢٠).

سابعاً : مسؤولية المدير :

من المعلوم ان المدير يعتبر ممثلا عن الشركة ويعمل باسم الشركة فاذا قام المدير بالتصرفات القانونية وفي حدود صلاحياته ، فان اثارها تنصرف على الشركة مباشرة ، على ان يسبق توقيعه اسم الشركة حتى يعطي علماً للغير بصفته كوكيل عن الشركة (٢١) .

اما في الحالات التي يقوم بها المدير بالتصرف القانوني باسمه الشخصي فقط فان آثار هذا التصرف تنصرف اليه وليس الى الشركة ويسأل عنه تجاه الغير الذي تعاقد معه ولكن يحق لهذا الغير ان يثبت ان التصرف تم لصالح الشركة فاذا استطاع الغير اثبات ذلك فعندئذ تسأل عنه الشركة . وتسأل الشركة عن كافة التصرفات القانونية غير المشروعة التي تقع من المدير اثناء ممارسته وظيفته وتقوم بتعويض الاشخاص الذين لحقهم ضرراً من جراء هذه التصرفات غير المشروعة ومسؤولية الشركة هنا مسؤولية مباشرة وليس على أساس مسؤولية المتبوع عن التابع . (٢٢) .

اما في حالة تجاوز المدير صلاحياته اي تصرفه خارج صلاحياته باسم الشركة فالشركة لاتلتزم بهذا التصرف وعلى الغير ان يتحقق من صلاحيات المدير ولكن هذا لايعفي الشركة من نشر جميع التخفظات الواردة على صلاحياته اما اذا لم تقم الشركة بهذا الواجب أي

---

(٢٠) لاحظ المادة – ١١٥ – من قانون الشركات .

(٢١) لاحظ المادة (٩٤٢) من القانون المدني حيث تقول: «حقوق العقد تعود على العاقد فاذا تعاقد الوكيل مع الغير باسم الموكل وفي حدود الوكالة فان العقد يقع للموكل وتعود كل حقوقه اليه » .

(٢٢) لاحظ الدكتور علي البارودي –المرجع السابق– ص٢٨٩ وقرار المحكمة الذي استند عليه .

النشر لايمكنها في هذه الحالة الاحتجاج في مواجهة الغير بتجاوز المدير لصلاحياته (٢٣) كما يجوز للشركة إجازه التصرف الذي قام به المدير متجاوزاً صلاحياته وتصبح هي ، المسؤولة عنه بعد الاجازة (٢٤) .

اما استغلال المدير لسلطته لتحقيق مصلحة شخصية له كأن يبرم عقداً باسم الشركة ، لمصلحته الشخصية فان الشركة تكون ملزمة تجاه الغير عن تصرفات المدير ولاتستطيع التخلص من المسؤولية الاإذا كان الغير سيء النية أي ان الغير كان يعلم ان المدير قد قام بالتصرف باسم الشركة لمصلحته الشخصية ففي هذه الحالة يسأل المدير فقط عن تصرفه تجاه الغير اما اذا كان الغير حسن النية فتسأل الشركة ولها أن تعود على المدير بما لحق بها من ضرر .

ويخضع المدير لقواعد المسؤولية التي تطبق على رئيس وأعضاء مجلس الادارة حيث نصت المادة (١١٦) من قانون الشركات على مايلي : «يسرى على المدير المفوض عند ممارسته اختصاصاته احكام المادتين (١١١، ١١٢) من هذا القانون» وبالرجوع الى المادة (١١٢) نجدها تنص «على رئيس وأعضاء مجلس الادارة ان تبذلوا من العناية في تدبير مصالح الشركة ما يبذلونه في تدبير مصالحهم الخاصة وادارتها إدارة سليمة وقانونية على ان لاينزلوا في ذلك عن عناية الشخص المعتاد من امثالهم وهم مسؤولون امام الهيئة العامة عن أي عمل يقومون به بصفتهم هذه » اوجب القانون بموجب هذا النص ان يبذل المدير في تدبير مصالح الشركة مايبذله في تدبير مصالحه الخاصة وكحد أدنى يجب أن لاينزل عن عناية الشخص المعتاد من امثاله وبهذا يكون القانون قد أخذ في موضوع مسؤولية المدير بالمعيارين الموضوعي والشخصي ، فالمعيار موضوعي بحده الادنى ويكون ، شخصياً اذا تجاوز المعيار الموضوعي . وتتولى مسألة المدير الهيئة العامة . وفي الشركة المساهمة بالاضافة الى مسؤولية المدير المباشر تجاه الهيئة العامة قد يسأل ايضاً مجلس الادارة عن اعماله اذا ارتكب خطأ في اختياره اوفوضه اعمالا ليس من اختصاصه اوقصر في مراقبته (٢٥) .

أما المادة (١١١) فقد نصت على أنه : « لايجوز لرئيس مجلس الادارة أو اي عضو فيه ان تكون له مصلحة مباشرة أو غير مباشرة في العقود التي تبرم مع الشركة او لحسابها

---

(٢٣) لاحظ الدكتور مرتضى ناصر نصرالله – الشركات التجارية– مطبعة الرشاد –بغداد١٩٦٩.ص٧٢.

(٢٤) لاحظ المادة (٩٤٤) من القانون المدني .

(٢٥) لاحظ الدكتور مرتضى ناصر نصرالله – المرجع السابق – ص٢٤٩ .

الا بترخيص من الهيئة العامة وكل غبن ينجم عن هذا التعاقد يتجاوز ١٠٪ من قيمة المتعاقد عليه يجعل العقد باطلا رغم ترخيص الهيئة العامة ويتحمل عاقدة كل ضرر يصيب الشركة بسببه». فبموجب هذا النص يجب ان لايكون للمدير مصلحة مباشرة او غير مباشرة في العقود التي تبرم مع الشركة الا بترخيص من الهيئة العامة ورغم ترخيص الهيئة العامة فان اي عقد من هذا النوع يقع باطلا اذا تجاوز الغبن فيه ١٠ ٪ لمصلحة المدير، ويكون مسؤولا عن أي ضرر يلحق بالشركة بسببه.

وأخيراً تجدر الاشارة بأن المدير بالاضافة الى مسؤوليته المدنية يتعرض ايضاً الى المسؤولية الجزائية كلما ارتكب في ادارته لشركة فعلاً يعاقب عليه القانون، وان بعض هذه الأفعال نص عليها في قانون الشركات ومنها ماورد في المادة (٢١٠) حيث نصت على انه «كل من مارس نشاطاً بأسم شركة مساهمة او محدودة اوتضامنية)اومشروع فردي دون استحصال شهادة تأسيسها يعاقب بالحبس مدة لاتقل عن ستة أشهر ولاتزيد على السنتين او بغرامة لاتقل عن ألف دينار ولاتزيد على ثلاثة آلاف دينار او بالعقوبتين معا كل ذلك مع مراعاة احكام الفقرة (ثانياً) من المادة (٢١) من هذا القانون». كما نصت المادة (٢١٣) على أن: «كل مسؤول في شركة أعطى عن عمد بيانات او معلومات غير صحيحة الى جهة رسمية حول نشاط الشركة او أسهم أعضائها او حصصهم او كيفية توزيع الارباح يعاقب بالحبس مدة لاتقل عن ثلاثة أشهر ولا تزيد على السنة او بغرامة لاتقل عن ألف دينار ولا تزيد عن ثلاثة آلاف دينار او بالعقوبتين معـاً».

اما المادة (٢١٤) فتقول: «كل مسؤول في شركة حال دون اطلاع جهة مختصة على سجلات الشركة او وثائقها يعاقب بالحبس مدة لاتقل عن شهر واحد ولاتزيد على ستة أشهر او بغرامه لاتقل عن خمسمائة دينار ولاتزيد على ألف دينار او بالعقوبتين معاً».

ثامناً: مدير الشركة البسيطة:

عالجت المواد (١٨٠و١٨١و١٨٢) من قانون الشركات موضوع مدير الشركة البسيطة فقد اشترط القانون ان يثبت في عقد الشركة الشريك المفوض او كيفية اختياره وصلاحياته والا كان العقد باطلا، وهذا مانصت عليه المادة (١٨٠) بقولها: «يحدد عقد الشركة طريقة الادارة ويعين الشريك المفوض بها او كيفية اختياره كما يحدد صلاحياته والا كان العقد باطلا.»

وحددت المادة (١٨١) اختصاصات الشريك المفوض بقولها: «يتولى الشريك المفوض بالادارة كافة الاعمال اللازمة لادارة الشركة وتسيير نشاطها ضمن صلاحياته ووفـق توجيه الجهة التي عينته» .

وتطرقت المادة (١٨٢) الى العناية التي يجب ان يبذلها الشريك المفوض في تدبير مصالح الشركة حيث نصت على مايلي : «على الشريك المفوض بالادارة ان يبذل من العناية في تدبير مصالح الشركة مايبذله من العناية في تدبير مصالحه الخاصة على ان لاينزل في ذلك عناية الشخص المعتاد» .

ولابد لنا من تثبيت ملاحظة مهمة على هذه المواد القانونية وهذه الملاحظة يمكـن تحديدها في نقطتين :

النقطة الأولى :

هي أعتبار عقد الشركة باطلاً في حالة عدم تعيين الشريك المفوض فيه أو طريقة اختياره او تحديد صلاحياته وبذلك أضاف القانون شرطاً موضوعياً جديداً الى الشروط الموضوعية الخاصة بعقد الشركة .

ويرى البعض (٢٦) ان تبرير بطلان العقد هنا هو لتحذير الشركاء ابتداء بضـرورة ايضاح كل مايتعلق بادارة الشركة دون ترك ذلك للاتفاق عليه لاحقاً وبالتالي يفسح المجال للاختلافات وتعثر الشركة . وقد شهد القضاء في العراق العديد من المنازعات بين الشركاء انصبت حول من له حق الادارة وما هو مدى هذا الحق، وعلى الرغم من وجاهة هذا التبرير الا أننا لانتفق معه تماماً وكان من الأفضل ان يعامل القانون الشركة البسيطة من هذه الناحية معاملة بقية انواع الشركات التي لم يشترط في أدارتها مثل هذا الشرط .

النقطة الثانية :

أوجب القانون ان يكون مدير الشركة احد الشركاء ، ولم يجز اختياره من خارج الشركاء ، ومن الصعب تبرير مثل هذا الشرط ، علماً بأن القانون لم يشترط مثله بالنسبة للشركات الأخرى ، ونحن نرى ان المرونة تقضي باعطاء الحق للشركاء باختيار المدير من بينهم او من الغير ، فلو أفترضنا ان الشركة تتكون من أربعة شركاء وكان واحداً منهم فقط لديه الخبرة في الادارة وعلى هذا الأساس تم اختياره مديراً للشركة ، وبعد فترة خرج من الشركة ولم يجد بقية الشركاء شريكاً جديداً لاختياره مديراً للشركة، ففي هذه الحالة لايكون امام الشركاء الا حل وتصفية الشركة وهذا في غير صالح الاقتصاد القومي .

(٢٦) موفق حسن رضا – المرجع السابق – ص٣٨ .

خاتمة

بالنظر لأهمية دور المدير وخطورة وتعدد المهام التي يكلف بها ، فقد خصص لـــه المشرع الفصل الثالث من الباب الرابع من قانون الشركات رقم ٣٦ لسنة ١٩٨٣ ، ورغم ان المشرع أورد تنظيماً متكاملاً لكل مايتعلق بتعيين واعفاء واختصاصات ومسؤوليـة المدير بشكل مفصل ومبسط وواضح ، الا أننا ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع توصلنا الى بعض المقترحات ونأمل من المشرع عند اعادته النظر بالقانون أن يأخذ بها وهـــذه المقترحات هي :

١ ــ النص الصريح على عدم جواز أن يكون الشخص مديراً لأكثر من شركتين في وقت واحد ، وذلك نظراً للمهام الكبيرة التي تقع على عاتق المدير .

٢ ــ النص الصريح على عدم جواز أن يكون المدير مديراً لشركة أخرى تمارس نشاطاً مماثلاً الا اذا حصل على ترخيص بذلك من الهيئة العامة للشركة التي يديرها .

٣ ــ النص الصريح على حق الهيئة العامة لشركة البسيطة على اختيار مدير من بين اعضائها او من الغير ، لأنه لايوجد مبرر مقنع لأن يكون مدير الشركة من أحد أعضائها فقط .

٤ ــ لم يعالج القانون حالة ماإذا شغر منصب المدير لأي سبب كان عليه نقترح اضافة مادة تعالج هذه الحالة أي حالة من له الحق في ادارة الشركة خلال فترة شغور منصب المدير .

مراجع البحث :

اولا : المراجع

١ – الدكتور اكرم ياملكي – الوجيز في شرح القانون التجاري العراقي – الجزء الثاني – الشركات التجارية – الطبعة الثانية المعدلة – مطبعة العاني – بغداد ١٩٧٢ .

٢ – الياس ناصيف – الكامل في قانون التجارة – الشركات التجارية – ٢ – منشورات البحر المتوسط ومنشورات عويدات – بيروت – باريس ١٩٨٢.

٣ – الدكتور رزق الله انطاكي بالأشتراك مع الدكتور نهاد السباعي – الوسيط في الحقوق التجارية البرية – الجزء الأول – مطبعة الأنشاء – دمشق ١٩٦٣.

٤ – الدكتور علي البارودي – القانون التجاري اللبناني – الجزء الأول – مطبعة عيتاني الجديدة – بيروت ١٩٧٢ .

٥ – الدكتور مرتضى ناصر نصر الله – الشركات التجارية – مطبعة الرشاد – بغداد ١٩٦٩ .

٦ – الدكتور مصطفى كمال طه – الوجيز في القانون التجاري – الناشر منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٧٤.

٧ – موفق حسن رضا – قانون الشركات – من منشورات مركز البحوث القانونية بغداد ١٩٨٥ .

ثانياً: القوانين :

١ – قانون الشركات رقم ٣٦ لسنة ١٩٨٣ .

٢ – قانون الشركات التجارية رقم ٣١ لسنة ١٩٥٧ .

٣ – القانون المدني رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ .